جاكلين سوزان

آلة الحب



ترجمة: عبد الكريم ناصيف

التكوين

رواية

جاكلين سوزان

آلـة الحب

ترجمة عبد الكريم ناصيف

التكوين

jackline suzan

The Love Machine

جاكلين سوزان، آلة الحب، رواية

ترجمة عبد الكريم ناصيف

الطبعة الأولى 2016

هاتف: 00963 112236468

فاكس: 00963 112257677

ص. ب: 11418، دمشق - بيروت

taakwen@yahoo.com

الإنسان صَنَع الآلة.

والآلة لا تشعر بالحب أو الكراهية أو الخوف. كما أنها لا تقاسي من قرحة معدية أو أزمة قلبية أو اضطرابات عاطفية.

لعل الفرصة الوحيدة لخلود الإنسان هي أن يصبح آلة. وقد نجح البعض في ذلك. إن الآلة التي تتخذ شكل إنسان غالباً ما تحكم المجتمعات ـ فالدكتاتور آلة متمسكة بالسلطة والفنان المهووس بفنه ينقلب إلى آلة للموهبة.

أحياناً يحدث هذا التطور دون أن يعيه الإنسان. ولعله حين يحدث لأول مرة، يقول الإنسان: «لقد تعرضت للأذى» فيجيبه لا شعوره: «إن تُزِل كل شعور من حياتك لن تشعر بالأذى» ستضحك أماندا كثيراً إن قلت لها هذا عن روبن ستون. فأماندا مولعة بالرجل كثيراً.

رجل وسيم.

يبتسم بشفتيه.

يفكر متجرداً من العواطف.

يمارس الحب بجسده، وجسده لا غير.

روبن ستون هو تجسيد للحبّ الآلي.

أماندا

الفصل الأول

الإثنين آذار 1960

في الساعة التاسعة صباحاً، كانت ترتعش في ثوبها الكتاني وهي واقفة على درجات فندق بلازا. كان أحد الدبابيس التي تشبك ظهر ثوبها قد سقط على الأرض فأسرعت مزينة الملابس تستبدله بينما استغل المصور الفرصة لاستبدال الفيلم في آلته. وبسرعة، أعادت مزينة الشعر تسوية بضع شعرات متمردة من شعرها بعلبة من رذاذ تثبيت الشعر ثم استؤنفت الجلسة. كان المارة الفضوليون الذين تجمعوا يبدون مسحورين برؤية إحدى الجميلات، عارضة الأزياء الشهيرة وهي تواجه هبات الريح الجليدية في شهر آذار بثوب من ثياب الصيف الرقيقة. ولكي يزداد المشهد غرابة، كان بإمكان المرء أن يرى أكداس الثلج فوق تلال «الحديقة» مذكرة بعاصفة ثلجية حديثة. وفجأة، شعر المارة الذين كانوا يلفون أنفسهم بمعاطفهم الشتوية، أنهم لا يحسدون أبداً هذه المخلوقة المرتعشة التي يراقبونها والتي تكسب في صباح واحد أكثر مما يكسبون في أسبوع كامل.

كانت أماندا توشك أن تتجمّد من البرد فعلاً لكنها كانت منيعة على الحشد لا تتأثر به. كانت تفكر بروين ستون وكان التفكير به يساعدها أحياناً، خاصة عندما يكونان قد قضيا معاً إحدى الليالي الرائعة.

هذا الصباح لم تكن أفكارها مريحة فهي لم تقض ليلة رائعة معه ولم تسمع شيئاً عنه. كانت لديه محاضرتان الأولى في بالتيمور يوم السبت، والأخرى على العشاء من يوم الأحد في فيلادلفيا. «سوف

ألقي كلمتي الساعة السابعة ثم أعود إلى نيويورك في حوالي العاشرة»، وعدها روبن «بعدئذ نذهب إلى مشرب اللانسر لتناول طبق هامبورغر» ولقد انتظرته بكامل زينتها حتى الثانية صباحاً دون أن تتلقى منه مكالمة هاتفية.

توقف المصور فأسرع منسق الأزياء بمعطف وإناء قهوة... دخلت الفندق وتركت نفسها تتهاوى على أريكة كبيرة ثم بدأت ترشف قهوتها. الذرات الجليدية في شرايينها بدأت تذوب. إذن ستبقى على قيد الحياة، وحمدت الله على أن بقية اللقطات ستؤخذ في الداخل. رشفت قهوتها بسرعة ثم انتقلت إلى الجناح المحجوز لبقية الجلسة. هناك كانت الملابس معلقة على شكل صف أنيق. وبمساعدة مزينة الملابس أبدلت ثوبها ببنطال صيفي من ذلك «النوع المنزلي» ثم عدلت نهديها الاصطناعيين في منهدتها وتفحصت زينتها جيداً. بعدئذ زحف المشط إلى غرتها الكثيفة المذهبة. ليلة أمس كانت قد سرحت شعرها وفق الطريقة التي يحبها روبن «الشعر ينسدل على الكتفين». هذا العصر، لديها ثلاث ساعات تصوير لصالح مستحضرات تجميل «الويسو» وقد يطلبون منها تغيير تسريحتها. كان جيري موس يفضل شعرها مرفوعاً بحجة أن هذه التسريحة تجعل المنتجات أرفع درجة.

في الساعة الحادية عشرة، وداخل حمامها المغلق، استعادت أماندا ثيابها النظيفة، وسحبت من محفظتها فرشاة ومعجوناً ثم راحت تدلك أسنانها من أسفل إلى أعلى. كانت هذا اليوم قد التقطت صوراً ملونة عن أحمر شفاه. والشكر لله على هذه الأسنان، الشكر لله على هاتين الشفتين، وعلى هذا الوجه، ساقاها على ما يرام، وركاها نحيفان والقامة طويلة. الإله كان رائعاً معها. لم يحرمها إلا من شيء واحد. وألقت نظرة حزينة على منهدتها المحشوة مستعرضة في خيالها كل

هاتيك النساء اللواتي يعملن معها من مستخدمات ومزينات ومدبرات، على بشاعتهن كن جميعاً ذوات نهود ناهدة وكن يرين ذلك شيئاً طبيعياً. وهي، هي وحدها كانت مسحاء الصدر تماماً كالغلمان.

شيء غريب، فقد كان هذا بالنسبة لعملها ورقة رابحة لكنه لم يكن كذلك، بالتأكيد، في حياتها الخاصة. فهي مازالت تتذكر الخجل الذي أحست به وهي في الثانية عشرة من عمرها عندما بدأت مناهد الفتيات الأخريات في مدرستها تتبرعم. بينما كانت هي تسرع لتخفي نفسها في تنورات خالتها روز التي كانت تشرع في الضحك قائلة:

«هذا شيء يأتي يا فؤادي. ما آمله فقط هو ألا يكبر نهداك كثيراً كما هي الحال مع نهدي خالتك العجوز».

لكنهما لم يأتيا، وعندما بلغت الرابعة عشرة قالت لها الخالة روز «هيا، هيا يا فؤادي، لقد وهبك الله وجهاً جميلاً ودماغاً حسناً، عدا عن ذلك فالمهم هو أن يحبك الرجل لذاتك لا أن يحبك لوجهك أو جسدك».

هذا المنطق البسيط ظلّ حسناً تماماً ما دامت جالسة هناك في مطبخ الخالة روز تصغي إليها، أيام لم تكن هي ولا الخالة روز تفكران بأنها، هي أماندا، سيأتي عليها يوم تذهب فيه إلى نيويورك وتقابل الناس الذين تقابلهم هذه الأيام، كالمغني بيلي، وكانت غير قادرة على التفكير ببيلي بطريقة أخرى. حين قابلته لأول مرة كانت في سن الثامنة عشرة، وكانت لا تزال تلميذة في بداية ممارستها مهنة عارضة الأزياء. وكانت أماندا قد استمعت لأسطواناته وهي في سن الثانية عشرة ولا تزال تذكر كيف كانت قد اصطفت في الرتل المنتظر ساعتين أو ثلاثاً لمشاهدته وهو متوجه إلى السينما التي ستعرض له فيلماً. كانت رؤيته بشحمه ولحمه في حفلة شيئاً أشبه بالأحلام وكانت إثارة اهتمامه بها على نحو خاص أمراً أكثر استحالة على التصديق

أيضاً. لكن كما صرح بيلي لبعض الصحفيين «كانت قصة غرام سريع». ومنذ تلك الليلة باتت جزءاً من حاشيته. لم تكن قد رأت ذلك الأسلوب في الحياة. افتتاح النوادي الليلية، السائق المأجور بالساعة، الزمرة التي يجرها معه إلى كل مكان يذهب إليه: كتّاب أغانٍ، مستشارون فنيون، وسطاء فنيون، ومخبرو صحف. ورغم أنهم لم يكونوا قد رأوها من قبل، فقد تقبلوها تماماً وكأنها جزء من العائلة. لقد أرعبتها سرعة تقدم علاقتها ببيلي وظهور صورتهما كثيراً في الصحف. فقد أمسك بيدها حين رآها وطبع قبلة على وجنتها تحت أضواء آلات التصوير. وفي اليوم الخامس وجدا نفسيهما على غير توقع وحيدين في جناح بيلي.

لم تكن أماندا قد وضعت رجلها في فندق ولدورف من قبل، ففي ذلك الحين كانت تعيش في فندق باربيزون، فندق العازبات من النساء. دخلت الغرفة، وقفت في منتصفها تتأمل طاقات الزهر وصفوف الزجاجات. عانقها. وبدأ يحل عقدته، ثم سار باتجاه غرفة النوم فتبعته بطواعية شديدة، وهناك بدأ يخلع ثيابه. «حسناً يا ملاكي، اخلعي ثيابك».

واستولى عليها نوع من الرعب وهي تخلع ثيابها ببط. أخيراً وقفت دون حراك بقطعتي ملابسها الداخليتين فاقترب منها بيلي طابعاً قبلات حارة على فمها وعنقها وكتفيها بينما كانت يداه تفكان بقليل من الحذق كلابات منهدتها التي انزلقت أخيراً إلى الأرض. وفجأة تراجع خطوة إلى الوراء خائب الأمل تماماً «يا يسوع المسيح! استعيدي منهدتك». (وانزلقت نظرته إلى جسمها نزولاً ثم شرع يضحك)، «لقد ولى العصفور الصغير هارباً من الصدمة». فاستعادت منهدتها، ثم ارتدت ثيابها من جديد وأسرعت تغادر الفندق. في اليوم

التالي أرسل لها هدية من الزهور، وهاجمها دون هوادة بدقات الهاتف، حاصرها دون انقطاع، حتى استسلمت أخيراً وأمضيا ثلاثة أسابيع رائعة معاً. كانا ينامان معاً لكنها لم تكن تخلع منهدتها.

في نهاية الأسبوع الثالث، غادر المغني المدينة إلى الشاطئ، ولم يتصل بها مرة أخرى قط. كان، بهدف إراحة وجدانه، قد قدم لها معطف فيزون كهدية وداع. لكنها ما تزال تذكر تعبير الدهشة في عينيه حين اكتشف أنها عذراء. كانت الضجة التي رافقت نشر صورهما في الجرائد قد جعلت وكالة نيك لنجوورث تهتم بها وتقترح عليها العمل. وهكذا انطلقت بأجر مقداره خمسة وعشرون دولاراً في الساعة، أما اليوم، وبعد خمس سنوات، فقد أصبحت أماندا بين العشر الأوائل من عارضات الأزياء في البلاد بأجر مقداره ستون دولاراً في الساعة. لقد جعلها نيك لونجوورث تدرس مجلات الأزياء، تتعلم كيف تلبس وكيف تسير. كما تركت فندق باربزون إلى شقة مفردة في الحي الشرقي حيث كانت تقضي جل أمسياتها وحيدة، فقد اشترت تلفزيوناً وقطاً سيامياً واستغرقت في عملها وفي دراسة المجلات النسائية.

دخل روبن ستون حياتها إثر حفلة خيرية. إذ كانت قد اختيرت مع خمس عارضات أخريات للقيام بعرض أزياء في فندق ولدورف. كانت قيمة بطاقة الدعوة مئة دولار. وكانت الطبقة الراقية كلها هناك، في الصالون الكبير، حيث جرت السهرة الراقصة القصيرة والعروض الجذابة المعتادة. لكن شيئاً آخر ميز تلك الحفلة من الحفلات الخيرية الأخرى، هو أن السيدة أوستن هي التي كانت ترئس الجمعية المشرفة على الحفلة. فحفلتها لم تكن محط أنظار الصحف وحسب بل كانت محط اهتمام شبكة الآي، بي سي التي قدمت عنها برنامجاً تلفزيونياً، ولم يكن في ذلك ما يدهش فصاحب الشبكة التلفزيونية هذه ليس إلا السيد أوستن نفسها زوج السيدة أوستن.

كان الصالون الكبير يغص بالناس، وكانت أماندا والعارضات الأخريات يعاملن كالزائرين الذين دفعوا ثمن بطاقات الدخول نظراً لتبرعهن بوقتهن. كان المشرفون قد وضعوهن جميعاً على طاولة واحدة إلى جانب ستة من الفتيان الوسيمين التافهين كي يقوموا بدور الفرسان لدى العارضات. في البداية قام هؤلاء بمحاولات عدّة لإجراء محادثة عادية بينهم وبين العارضات لكنهم شيئاً فشيئاً تخلوا عن هذه المحاولات وشرعوا في الحديث عن المهنة بصورة خاصة.

كانت أماندا تستمع إليهم بإذن شاردة، وبطرف عينها كانت تراقب الطاولة التي تشغلها السيدة أوستن وأصدقاؤها. لقد ميزت جوديث أوستن من صورها في الصحف. وقد شعرت بكثير من الزهو حين رأت أن جوديث صبغت شعرها باللون نفسه الذي صبغت به أماندا شعرها. كانت جوديث في حوالي الأربعين، لكنها بدت جميلة جداً ـ دقيقة، بهية، متميزة، تماماً. إنها ذلك النوع من النساء الذي تعلمت أماندا أن تقلده كنموذج في ثيابها ـ لا شك أنه لم يكن باستطاعتها تحمل نفقات الثياب التي تدفعها جوديث لكن كان بإمكانها أن تحصل على نسخ مشابهة لها.

بعد العشاء، ذهبت كي تستعد لعرض الأزياء، وكانت كاميرات الآي بي سي قد نصبت كي تنقل العرض مباشرة عبر أخبار الحادية عشرة. هناك، كانت أماندا تجلس مع العارضات الأخريات حين طرق الباب طرقاً خفيفاً ودخل روبن ستون.

قدمت له الفتيات أسماءهن. وحين وصل إليها قالت له ببساطة: «أماندا» سجل ذلك وانتظر فابتسمت قائلة: «أماندا فقط» عند ذاك التقت نظراتهما ورأته يبتسم. بعدئذ رأته يجول في الغرفة وهو يسجل الأسماء. كان رجلاً طويلاً وكانت حركاته بسيطة تترك أثرها في

النفس على الفور. تذكرت أماندا أنها رأته في لقطات عدة على الشاشة الصغيرة خلال الجريدة المتلفزة في شبكة سي بي اس قبل الانتقال إلى فيلم السهرة. كما تذكرت بشكل مبهم أنه كان قد حصل على جائزة «بالتزور» للصحافة، لكن في التلفزيون لم يكن يحتل المكان الذي يستحق. كان شعره أسود كثيفاً وكان الشيب قد بدأ يخط فوديه. لكن ما استدعى انتباهها فيه بصورة خاصة إنما هو عيناه. فقد تركزتا على عينيها فجأة كما لو أنه كان يقيِّمها، بعدئذ ابتسم ابتسامة صغيرة وغادر الغرفة.

وقدّرت أن له زوجة ولا بد أن تكون على غرار السيدة أوستن، ولم ينته العرض حتى كانت قد تصورت أن لديه ولدين يشبهانه الشبه كلّه.

حين انتهت من ارتداء ثيابها تماماً قرع الباب.

«مرحباً يا ذات الاسم الواحد»، قال روبن مبتسماً، هل هنالك سيد ذو اسم واحد ينتظرك في المنزل أم أن باستطاعتي أن أدعوك لتناول البيرة؟

ومضت معه إلى مطعم الـ ب ج س حيث راحت، وكأس من الكوكا أمامها، تتأمله بنوع من الذهول وهو يعب خمساً من كؤوس الفودكا ويبقى واعياً تماماً. بعدئذ تبعته إلى منزله دون أن يتلفظ بكلمة واحدة أو يتقدم لها باقتراح. ضغطة يده حملت لها الرسالة وكأن تفاهماً مشتركاً قد تم بينهما.

كانت تشعر وكأنها منوَّمة مغناطيسياً. فقد دخلت منزله دون أقل شعور بالخشية، ووقفت أمامه تخلع ثيابها دون أن يشغل بالها، لحظة واحدة، موضوع صدرها. لكنه رآها تتردد في خلع منهدتها فتقدم نحوها ثم نزعها بنفسه.

ـ هل أصبت بخيبة أمل؟ سألته، فقذف المنهدة المحشوة إلى طرف الغرفة قائلاً:

ـ البقرة وحدها تحتاج للضروع.

ثم أخذها بين ذراعيه وانحنى إلى الأمام وطبع قبلة على نهديها. أبداً لم يحدث لها شيء مماثل من قبل. فقد بدأت، ورأس روبن بين يديها، ترتعش كقصبة في مهب الريح. هاتيك الليلة، ليلتهما الأولى، أخذها روبن بكل لطف ودون أن ينبس ببنت شفة. بعدئذ وعندما استراحا أخيراً، سعيدين، لاهثين، راح يشدها إلى جسده.

ـ هل تريدين أن تظلي صديقتي الصغيرة؟ سألها روبن.

ولكي تجيبه كلياً، وافقت بشده شدة أقوى إلى جسدها. بعدئذ ابتعد، وعيناه الزرقاوان المشعتان تتفحصانها بدقة، ثم ابتسمت شفتاه لكن نظرته كانت جدية.

ـ لا روابط، لا وعود، لا أسئلة، لا من طرفي ولا من طرفك، اتفقنا؟

وافقت بصمت، وعاد يمارس معها الحب بمزيج عجيب من العنف والرقة. وعندما سقطا ثانية على الفراش ساكنين، مستنزفين، ألقت نظرة على الساعة فإذا هي الثالثة صباحاً. فانزلقت مسرعة من السرير إلا أنه انتصب ممسكاً بها من معصمها.

ـ إلى أين؟.

ـ إلى منزلي

ففتل معصمها بقسوة إلى حد جعلها تطلق صرخة من الألم.

ـ عندما تنامين معي، عليك أن تظلي طوال الليل، مفهوم؟

ـ لكن علي أن أعود، أنا في لباس السهرة.

فتركها دون أن يقول كلمة أخرى، ثم نهض، وبدأ يرتدي ملابسه.

ـ إذن سأقضي الليل في منزلك.

فابتسمت قائلة:

ـ تخاف أن تنام وحيداً؟

رماها روبن بنظرة غاضبة ثم قال:

ـ لا تعيدي هذا أبداً. فأنا معتاد على النوم وحيداً. لكن عندما أذهب إلى الفراش مع فتاة فإنني أنام معها.

بعدئذ ذهبا إلى منزلها، وحين رقدت بين ذراعيه كانت تشعر بأنها سعيدة إلى درجة الإحساس بالشفقة على نساء العالم لأنهن لم يعرفن روبن ستون. والآن، بعد ثلاثة أشهر، حتى قطها السيامي سلجر تقبل روبن وكان يحشر نفسه عند قدميه في الليل.

لم يكن روبن يكسب الكثير من المال. لذا كان يقضي أكثر العطل الأسبوعية مسافراً، ملقياً المحاضرات كي يزيد دخله. ولم تكن أماندا تهتم لعدم ارتيادها مطعم (كولوني) أو الـ(21). لقد أحبت مطعم الـ ب ج س ومشرب اللانسر، والبيكو الإيطالي حيث كان روبن يجلس دائماً. وكانت مغرمة بالاستماع إليه وهو يتحدث، محاولة بصورة يائسة أن تفهم الفرق ما بين الديمقراطي والجمهوري. كان باستطاعتها أن تجلس ساعات في مطعم اللانسر تصغي لروبن وهو يتحدث في أمور السياسة مع جيري موس. كان جيري يعيش في غرينوتش وكان يعمل في الوكالة التي تهتم بالإعلان عن المنتجات التجميلية لـ(إلونسو). وبفضل الصداقة بين الرجلين عرض عليها أن تقدم الصورة الملونة لمنتجات (إلونسو).

وقفت أماندا أمام المرآة في غرفة الحمام في فندق البلازا ثم انزلقت داخل ثوبها الصوفي وعادت إلى الصالة الصغيرة. كانت طاولة الطعام التي استعملت مؤقتاً قد أُبعدَت، وكان المصور الذي يدعى إيفان جرنبرغ قد جهز آلته وكان صديقاً جيداً. لوحت أماندا بيدها له وللناس الذين كانوا يعيدون الألبسة ثم غادرت الجناح، خيالاً ذهبياً، شعرها الطويل يتطاير، وأطراف معطفها الفيزون، هدية المغني، تصطفق وهي تعبر القاعة جرياً. في ردهة الاستقبال توجهت نحو الهاتف متفحصة ما لديها من قطع نقدية. لا خبر عن روبن. أدارت رقمه وفي الطرف الآخر من السلك رن الهاتف ذلك الرنين الذي ينبئك أن لا أحد في المنزل، فعلقت السماعة. إنها الظهيرة تقريباً، أين تراه روبن؟

الفصل الثاني

كان روبن في جناح من أجنحة فندق بللفيو ستاتفورد في فيلادلفيا.

شيئاً فشيئاً أفاق يملؤه شعور بأن الوقت قد تجاوز الصباح. سمع الحمامات يهدلن على حافة النافذة، فتح عينيه فعرف تماماً أين هو. إنه يستيقظ أحياناً في نزل ما، وهو غير متأكد من مكان وجوده. فكل الغرف في النزل تتشابه وعليه أن يقوم بجهد كبير لكي يتذكر اسم البلدة، واسم الفتاة التي قد تكون إلى جانبه. لكنه هذا الصباح، وعلى غير عادته، كان وحيداً. كما أنه لم يكن في نزل. فمدينة فيلادلفيا العتيقة الطيبة وعشاؤها بمناسبة انتخاب «شخصية العام» قد أوصلاه إلى جناح حقيقي.

فتش عن سجائره على طاولة السرير، لكن العلبة كانت فارغة. ولم يكن قد بقي في المنفضة عقب سيجارة سليم. لاحظ في الجانب الآخر منفضة سجائر: إنها فائضة بأعقاب السجائر الطويلة الملوثة بأحمر شفاه برتقالي. لكنه لم يلمس أياً منها. مد يده إلى الهاتف ثم طلب كأساً مضاعفة من عصير البرتقال وفنجان قهوة، وعلبتي دخان. وبانتظار وصول الطلب، استعاد عقب السيجارة الأقل تلفاً، نفض عنه الرماد ثم أشعله. كانت أعقاب السجائر الموجودة في المنفضة الأخرى أفضل منه لكنه مع ذلك، نهض وألقى محتوياتها في دورة المياه. ثم تأملها وهي تختفي شاعراً أنه يتخلص من الفتاة أيضاً. يا للعنة! كان بإمكانه أن يقسم إنها عزباء، رغم أنه عادة، قادر على تحديد النساء

المتزوجات تماماً لما فيهن من إثارة سرية. لكن هذه خدعته فعلاً ربما لأنها تفوق المعدل المعتاد. حسناً، المتزوجات لسن سوى محطة لليلة واحدة فلينزعج أزواجهن. حينذاك ابتسم ثم ألقى نظرة على ساعته. منتصف النهار تقريباً، بإمكانه أن يلحق قطار الساعة الثانية عائداً إلى نيويورك.

هذا المساء يحتفل هو وأماندا بالخبر وسيشربان نخب جورجي أوستن، الرجل الذي سوف يخلصه من هذا كله. في بداية الأمر لم يستطع أن يصدق، بل لم يرد أن يصدق أن أوستن هو الذي هتف له في الساعة التاسعة من صباح السبت، ظاناً أنها دعاية كاذبة. رئيس مجلس إدارة الآي، بي، سي، يتصل بصحفي صغير. لكن جورجي ضحك قائلاً له أن يعاود الاتصال بشبكة التلفزيون كي يتحقق من الخبر ونفذ روبن الفكرة فرفع أوستن السماعة لدى الرنة الأولى. هل بإمكان روبن أن يأتي مباشرة إلى مكتبه؟، وكان روبن في مكتب جورجي أوستن بعد عشر دقائق، وحقيبته في يده: كان يريد أن يلحق بقطار الظهيرة إلى بالتيمور.

كان أوستن وحيداً في مكتبه الفخم، وعلى الفور دخل في صلب الموضوع. ما رأي روبن في أن يصبح رئيساً لأخبار الشبكة؟ كذلك، يود أوستن أن يعمل روبن على تطوير قسم الأخبار وتكوين طاقم خاص به قادر على تغطية هذا الصيف بما فيه من مؤتمرات حزبية. أعجب روبن بالفكرة كثيراً، لكن، لقب «رئيس أخبار الشبكة»؟ لقب غامض، فمورجان وايت هو «رئيس أخبار الشبكة». حسناً، في الحقيقة، إنه يعني خمسين ألف دولار سنوياً، أي أكثر من ضعف مرتبه الحالي. وجواباً على سؤال روبن حول اللقب، قال أوستن: دعنا نتركه على هذا النحو كبداية فقط، ممكن؟ وإنها لبداية رائعة.

فعندما علم أوستن أن روبن مرتبط بعقد محاضرات لمدة سنة لم يحتج إلا لاتصالين هاتفيين الأول لهيئة المحاضرات، والثاني لمحاميه يطلب منه تسوية قضية عقد محضرات روبن ـ هكذا كان الأمر: بسيطاً وطي الكتمان. كان على روبن أن يغيب عن الآي بي سي لمدة أسبوع. وكان عليه أيضاً أن يحفظ سر التسمية هذه، حتى الاثنين القادم وحينها يمكنه أن يأتي لاستلام منصبه الجديد. أما جورجي فسوف يتدبر أمر إعلان الخبر بنفسه. صب روبن لنفسه القهوة وأشعل سيجارة. بينما كانت شمس الشتاء الشاحبة ترسل أشعتها الضعيفة عبر نوافذ الفندق. خلال ثمانية أيام سيستلم منصبه في الآي بي سي. وسحب نفسه عميقاً من سيجارته فتسرب شيء من مزاجه الرائق مع دخان السيجارة. سحق سيجارته على الأرض مثلما فعل من قبل كي يحطم صورة الفتاة ذات أحمر الشفاه البرتقالي. ماذا كان اسمها؟ بيجي؟ بتسي؟ كلا، أي من هذه الأسماء لم يبد له معقولاً. مع ذلك، بدا له وكأنه ينتهي هكذا. بلي؟ ملي؟ ليلي؟ ياه!! أية أهمية للموضوع؟ وارتمى إلى الوراء على أريكته ثم تناول فنجانه. ذات مرة حين كان يدرس في هارفارد، وخلال عطلة كان يقضيها في نيويورك، رأى مسرحية، اسمها سيدة في الظلام. المسرحية تتحدث عن فتاة تسمع جزءاً من لحن.. ولا تستطيع أبداً أن تتجاوز مطلعه الأول الظاهرة نفسها تحصل له أحياناً، فقط لا تحصل بالنسبة للحن بل بالنسبة لذكرى أو صورة. إنه شيء لا يمكن تحديده يبدو فيه وكأنه على حافة استعادة ذكرى هامة تترك في نفسه إحساساً رقيقاً دافئاً عاطراً. ثم فجأة يعتريه شعور بالرعب. هذه الظاهرة نادرة في حياته، لكنها وقعت له الليلة الماضية بلمعة سريعة أو بالأحرى بلمعتين اثنتين. المرة الأولى عندما انزلقت الفتاة إلى جانبه في السرير. لمسة

جسدها المختلج الطري - نهداها الرائعان، لم يكن عادة يولي أية أهمية للنهود. بالنسبة له، رضاعة نهد حسن الاستدارة هي نوع من العودة إلى مرحلة الطفولة. أية متعة جنسية يمكن أن يجدها الرجال هناك؟ ذلك كله عبارة عن حنين للشدي الأمومي. وحدهم الرجال الضعفاء من يحتاجون لأن يخفوا أنفسهم في حجور النساء ذوات النهود الكبيرة. أما روبن فقد كان يعجب بالشقراوات ذوات الأجسام النحيفة الصلبة. ففي تلك الأجسام تناسق لَشَدَّ ما يجده مثيراً.

الليلة الماضية كان الأمر مختلفاً فالمرأة التي أمضى الليل معها سمراء ذات نهدين كبيرين. والغريب أنه وجدها مثيرة للغاية. بل إنه يتذكر الآن: لقد صرخ بشيء ما في لحظة النشوة. لكن ما هو؟ لم يكن روبن يصرخ عادة، لا مع أماندا ولا مع أية امرأة أخرى. لكنه يعلم الآن أنه صرخ بشيء ما، كما أنه يعلم أن هذا حدث له من قبل ومع امرأة أخرى لكن دون أن يستطيع أن يتذكر مطلقاً الكلمات التي تلفظ بها.

أشعل روبن سيجارة أخرى محولاً عن عمد وتصميم أفكاره باتجاه المستقبل الذي انفتح أمامه. هذا وقت يُحتفل به ولديه أسبوع كامل لذلك. شرع يقلب جريدة فيلادلفيا التي حملها له أحدهم مع الإفطار. على الصفحة الثالثة رأى صورته بصحبة النموذج الذي كانت فيلادلفيا تقدم له الولاء. قاض كبير ذو جمجمة صلعاء. روبن ستون، جائزة بالتزر في الصحافة، محاضر وشخصية تلفزيونية، حضر إلى فلادلفيا كي يتحدث ويكرم القاضي جاريسون أوكز «شخصية عام 1960». صب لنفسه شيئاً من القهوة، ثم ابتسم ساخراً، فهو، بالتأكيد، لم يأت لتكريم القاضي الذي لم يكن قد سمع به من قبل. بل جاء لأنهم دفعوا لهيئة المحاضرات العالمية خمسمائة دولار. كان يرشف قهوته

وهو في غاية السعادة لمعرفته أنه لن يضطر بعد الآن لأن يحاضر. لقد بدأ الأمر سهلاً للغاية. في البداية منذ سنة فقط، كان كلايد واطسون مدير الهيئة العالمية للمحاضرات قد دعاه للإدارة الإقليمية لـلآي، بي سي. كانت الهيئة تشغل طابقاً كاملاً في بناية جديدة في شارع ليكسنجتون. وبدا كلايد واطسون وهو خلف مكتبه المهيب وبين أكوام الأضابير، أشبه بسمسار موثوق. كل شيء كان محسوباً حتى البسمة الأبوية الطيبة التي تساهم في طمأنة الضحية.

ـ عزيزي السيد ستون، لماذا ينبغي عليك وأنت حامل جائزة بالتزر للصحافة أن تنتهي إلى مقدم أخبار محلية؟

ـ لأنني تركت وكالة النشر الشمالية.

ـ وما السبب؟ ألأنك لم تجد منفذاً لك في نيويورك

ـ لا، عدم اشتغالي في جريدة نيويوركية لم يزعجني. بطاقات إلى المسارح ودعوات مجانية إلى المطاعم، هذا كل ما يحصل عليه المرء هناك. وهذا لا يثيرني البتة. إنني كاتب، أو على الأقل أحسب نفسي كذلك، وا ن بي سي تسمح لأي محرر رئيسي كائناً من كان أن يقص لي مقالاتي ويطابقها مع أفكاره بل أحياناً لا يسمح بنشر أكثر من ثلاثة أسطر.

ثلاثة أسطر من نص كلفني ست ساعات أو أكثر من الجهد. فأنا لست غزير الكتابة. بل إنني أكتب مقالاتي مغمسة بالعرق والدم. وكل هذا لكي يأتي أول قادم ويلقي بجهد ست ساعات في سلة المهملات!! (وهز روبن رأسه متألماً) في الآي، بي سي، أنا قادر على الأقل أن أكون محلل أخبار وليس هناك هيئة تحرير تراقبني وفي النهاية يمكن للمحطة أن تتنصل من آرائي.

هذه المرة أرفق واطسون بسمته بهزة موافقة من رأسه ثم علق متنهداً تنهد الفاهم:

ـ لكن هذا لا يعود عليك بالكثير.

ـ يعود بما يكفي للعيش. فأنا لست كثير المتطلبات، غرفة في فندق، ورق للآلة الكاتبة (وابتسم روبن ابتسامة غلام صغير) شيء آخر، الحقيقة أني أحصل على ورقي وكربوني من الآي، بي سي،

ـ وهل تكتب الكتاب العظيم؟

ـ كسائر الناس.

ـ لكن متى تجد وقتاً للكتابة؟

ـ خلال عطلة الأسبوع، وفي الليل أحياناً.

واختفت ابتسامة واطسون وهو يستعد لشد العقدة المنحلة من جديد.

ـ أليس من الصعب فعل ذلك بالتقسيط؟ كيف تستطيع أن تحتفظ بالإلهام؟ ألا ينبغي أن تكون لدى الكاتب إمكانية أخذ إجازة عام كامل كلي يكرسه كلياً للكتابة؟

أشعل روبن سيجارة، وركز على واطسون نظرة ملؤها حب الاستطلاع بينما انحنى واطسون أكثر وأكثر مستأنفاً. وأنا مقتنع أن بإمكانك أن تكسب خمسمائة دولار أسبوعياً، أو سبعمائة وخمسين!!

ـ ماذا أعمل؟

ـ يمكنك أن تختار أي موضوع. لقد قرأت مقالاتك (وحرك واطسون إضبارة لتأكيد أقواله) بإمكانك أن تكتب عن قصص مسلية حدثت لك كمراسل. خذ موضوعاً أو آخر عالجه بنَفَس جدي أو هزلي وأنا أضمن لك النجاح.

ـ ولماذا يأتي الناس لرؤيتي؟

ـ تأمل نفسك في المرآة، سيد ستون، واعلم أن النوادي النسائية تستضيف الفنانين، ولدى هؤلاء النساء ما يكفيهن من أساتذة الجامعات الصلع والممثلين الهزليين الخالين من أي سحر، أما أنت فتُدخِل قليلاً من البهجة إلى حياتهن. مراسل حربي، جائزة بالتزر! لسوف يكون الطلب كبيراً عليك في حفلات العشاء وفي الكليات.

ومتى يتاح لي الوقت للكتابة؟

ـ ضع كتابك جانباً في الوقت الحاضر. انسَه في القطار الذي يوصل إلى هناك، لا بد لك من عشر سنوات للكتابة. لكن سنتين من المحاضرات سوف تمكنك من تدعيم نفسك مالياً بشكل مناسب، الأمر الذي يسمح لك أن تأخذ إجازة لمدة عام تخصصه للكتابة، فترحل إلى مكان ما، وبعدئذ، من يدري؟ ربما تعود بجائزة بالتزر أخرى، إنما عن الكتاب هذه المرة. أنت لا تريد أن تظل مقدم أخبار محلية طوال حياتك، أليس كذلك؟

هذه الفكرة بدت له فوق آماله. حتى مع الأخذ بالاعتبار نسبة الـ 39% التي تأخذها الهيئة من عائدات المحاضرات. وقع العقد بحماسة. كانت محاضرته الأولى في هوستون. خمسمائة دولار، مائة وخمسة وسبعون منها للهيئة، وثلاثمائة وخمسة وعشرون دولاراً له. لقد قرأ حينذاك ما كتب في البنود الصغيرة. نفقات النقل والفندق كانت على حسابه وعندما أراد أن يفسخ العقد، ابتسم واطسون ببرود. طبعاً بإمكانه دائماً أن يستعيد حريته، شريطة أن يدفع تعويضاً عن نكوصه في التزامه. كل هذا كان قبل عام. وهو منذ ذلك الحين يقضي وقته مسافراً ليلاً في الدرجة السياحية، أو منكمشاً في مقعده في الطائرة ما بين سيدات سمينات وصبية صخابين. وأخيراً هذه النزل

اللعينة، باستثناء حالات نادرة، كفيلادلفيا مثلاً، حين ينص العقد على جناح في فندق جيد. وحملق روبن في الجناح. إنه إطار مناسب لآخر عمل له في دنيا المحاضرات. الشكر لله. لقد انتهى كل هذا. طائرات الدرجة السياحية، الاختلاط بالضيوف... باستطاعته الآن أن ينسى كل شيء عن الخُطَب التي حفظها عن ظهر قلب، ولم يعد بحاجة لأن يفكر بأي شيء. كان باستطاعته أن يحاور وهو سكران حتى الموت، الضحكات كانت تتصاعد تماماً في المواقع نفسها، تصفيقات الاستحسان في اللحظات نفسها. كل المدن والناس كانوا متشابهين. لدى وصوله كانت تستقبله دائماً طالبة الطب الصغيرة نفسها الراغبة سلفاً في أن تناقش عن ميلر، وبلو، أو أن تصبح رسامة حديثة. ولدى الانتهاء من كأس مارتينيها الأول، كان روبن يعرف أنها ستنتهي لقضاء الليل في سريره. حسناً، كان قد أكثر من الأسفار منتقلاً من طرف البلاد إلى طرفها الآخر. أما في الوقت الحاضر فقد غدا «رئيساً لأخبار الشبكة». بأرباحه من محاضرته الأولى كان روبن قد اتخذ لنفسه شقة. ما من شيء فيها كان باذخاً. لكنها ولا شك أفضل من غرفة في فندق. صحيح أنه كان قليل التواجد فيها، إنما كان لديه مكتب جديد، مؤونة كافية من الورق والكربون كما كان قد استبدل آلته الكاتبة المحمولة بآلة كاتبة كهربائية. عمله في الآي، بي، سي كان يشغله طوال النهار بينما كانت الحانات والفتيات يشغلن أماسيه كلّها، خلال العطل الأسبوعية كان عليه أن يعدو في الجهات كلها. أخيراً، أمسى ذلك كله من الماضي. سيشرع في العمل بكل حمية ونشاط وسيرتب أموره المالية حتى آخر فلس، ولسوف يكتب كتابه القديم. أحياناً كان روبن يتساءل حول ما يكتبه. أهو الذي كتبه فعلاً؟ إن جائزة بالتزر لا تبرهن عن شيء. أهو الذي كتبه فعلاً؟ إن جائزة بالتزر لا تبرهن عن شيء، فالمرء يستطيع أن يعمل حسناً في الصحافة

دون أن يكون كاتباً بالضرورة، والكتابة هي ما يريد أن يكرس نفسه له. سيحاول أن يعرض فيه آثار الحرب على الحياة السياسية: عودة تشرشل، مجيء الجنرالات إلى السلطة، ايزنهاور، ديجول، وأخيراً، بوده أن يكتب رواية سياسية، لكنه بصورة خاصة يود أن يغدو كتابه حقيقة واقعة، أن يرى الورق الأصفر فيه يتحول إلى واقع مكتوب. لم يكن روبن يولي أهمية كبيرة للأشياء المادية. وحين كانت أماندا تقدم له مع هرير المتعة زوجاً جديداً من الأحذية، غالباً ما كان يدهش من تجرده الكامل. ربما كان هذا لأنه لم يكن قد احتاج شيئاً، أو على الأقل لم يكن قد احتاج شيئاً حتى وفاة أبيه. هذه الوفاة التي تركت لكيتي ميراثاً مقداره أربعة ملايين دولار سيقتسمه أخيراً مع أخته ليزا. بانتظار ذلك كانت كيتي الرائعة، بمبلغ 12 ألف دولار شهرياً، تقضي وقتاً طيباً. لكن، شيء غريب، أبداً لم يكن يستطيع التفكير بأمه إلا هكذا: «كيتي الرائعة». لقد كانت طاغية السحر، كل شيء فيها دقيق أشقر - يا لله! ربما كانت في هذه اللحظة قد أصبحت صهباء. فالمرة الأخيرة التي رآها فيها كانت قبل عامين وكانت ما يسمى في روما بالنمراء، الشقراء. حينها ادعت أن هذا كان بسبب الشعر الأبيض. وابتسم برقة. بالنسبة لعجوز في سن التاسعة والخمسين كانت كيتي ما تزال رائعة تماماً.

كان روبن قد قضى طفولة سعيدة، بل كان سعيداً حتى في الكلية. كان والده قد عاش طويلاً إلى أن أقام لأخته ليزا عرساً رائعاً لم تشهد بوسطن له مثيلاً. إنها تعيش الآن في سان فرانسيسكو، بعد أن تزوجت رجلاً أبله ذا شعر كالفرشاة، أغنى وأكبر وكيل عقاري على الشاطئ الأمريكي. كما أصبح لديها الآن طفلان رائعان «يا إلهي! خمس سنوات مرت دون أن أراهم.صار عمر ليزا الآن... هيا ترى». حين ولدت كان هو في السابعة إذن لا بد أنها الآن في الثلاثين، ربة

أسرة وكل شيء، هو نفسه لم يستقر بعد. لعل هذا بسبب ملاحظة من أبيه أبداها له عندما كان في الثانية عشرة من عمره، يوم رافقه إلى ملعب الجولف للمرة الأولى.

ـ تقرب من الجولف كما لو أن الجولف مادة دراسية، جبر مثلاً، على المرء أن يتغلب على مصاعبها. يجب أن تتعلم كيف تدافع عن نفسك يا غلام. وفي ميدان الجولف يستطيع المرء أن يتمرن على كثير من القضايا.

ـ هل كل ما يتعلمه المرء يجب أن يخدمه في ميدان كسب المال فيما بعد؟ سأل روبن أباه.

ـ بالتأكيد، إن كنت تريد أن يكون لك زوجة وأطفال. عندما كنت في سنك كنت أحلم بأن أصبح كلارنس دارو جديد. ومن ثم وقعت في غرام أمك وشرعت في دراسة الحقوق لكنني لا أشكو، فقد صنعت ثروة.

ـ لكنك حلمت أن تكون محامياً يا أبي.

ـ عندما يتزوج المرء لا يعود باستطاعته أن يفعل ما يحلو له. فرب الأسرة مسؤول قبل كل شيء عن أفراد أسرته.

وتعلم روبن كيف يلعب الجولف وعندما ترك هارفارد كان قد دخل سبع مباريات. كان بوده أن ينتسب إلى قسم الآداب وبالتالي يتخصص كصحافي لكن أباه عارضه، بل لقد كان ينزعج كل مرة يجد فيها روبن غارقاً في قراءة نيتشه أو تولستوي.

ـ ليس هذا بالشيء الذي يخدمك في دراسة الحقوق، كان يكرر له.

ـ لكنني لا أريد دراسة الحقوق.

وكان أبوه يرمقه بحدة ثم يغادر الغرفة. وفي اليوم التالي كانت كيتي تشرح له بكثير من اللطف أن من واجبه أن يجعل من نفسه فخر أبيه. وكان يخيل له أحياناً، أنه لا يسمع أبداً سوى كلمة (واجب). كان من واجبه أن يتعلم لعبة كرة القدم كي يثبت ذات يوم أنه جدير بأن يكون القانوني الشاب، النشيط، وكافح ذلك العام كما تكافح الأبالسة إلى أن أصبح في تلك السنة أفضل رئيس فريق عرفته هارفارد. وعندما حصل على الدبلوم عام 1944. كانت لديه الإمكانية لدراسة «الحقوق» لكنه كان قد بلغ الحادية والعشرين وكانت الحرب قد وقعت! فانخرط في القوى الجوية على أمل أن يدرس الحقوق بعد عودته. لكن الأمور جرت مجرى آخر. فقد أصيب في الجبهة ونال رتبة نقيب كما كتبت عنه مقالة صغيرة في الصفحة الثانية من جريدة بوسطن عندما جرح ـ وبشكل من الأشكال بات والده، على الأقل، فخوراً به. لم يكن جرحه إلا جرحاً بسيطاً لكنه فتح له دمل الغرور الذي كان قد تكون لديه كلاعب لكرة القدم.

كانوا يعالجونه في مستشفى خارج الأطلسي. ولقتل الوقت، شرع روبن وهو في المستشفى يتسلى بكتابة قصة حياته وتجارب زملائه في الجيش. ثم أرسلها إلى أحد أصدقائه في الآي، بي، إس حيث نشرها له وبذلك بدأت حياته كصحفي. انتهى الحرب، ودخل روبن الإن، بي، بصفة لقب مندوب دائم. كان من الواضح أن والديه تركا له حرية التصرف، مع أن واجبه كان أن يدرس الحقوق لكي يرضي أباه. ولحسن الحظ وجدت ليزا «رجلها» وشرع كل من في المنزل يستعد لحفلة زواجها. بعد خمسة أيام سقط العجوز ميتاً بتأثير ضغط الدم. لقد مات، على الأقل، الميتة التي تخيلها. فقد قضى متوتر العضلات متأكداً تماماً من أنه أنجز واجبه.

نهض روبن ودفع الطاولة الدوارة. إنه حر، ليس عليه أي واجب تجاه أي إنسان. وقد صمم على أن يحافظ على طريقه هذا. انطلق إلى المرشة حيث يمكن للماء البارد أن يزيل كل أثر باقٍ من آثار الفودكا. يا لله! لقد فوت جلسة الرياضة الصباحية يوم الاثنين ونسي أن يهتف لجيري لكي يلغي الموعد. فابتسم. مسكين جيري، لعله ذهب إلى هناك وحيداً، هو من يكره التربية البدنية. لقد كان يذهب لأن روبن أجبره على الذهاب. وإنه لأمر غريب أن يبدو جيري غير مهتم بترهله وخور قواه وهو في السادسة والثلاثين.

بدأ روبن يدندن: سيهتف لجري وأماندا حال وصوله إلى نيويورك وسيذهبون لكي يحتفلوا في اللانسر. لكنه لن يخبرهم بماذا يحتفلون: فجورجي أوستن قال، إنه يريد أن يتدبر أمر الإعلان بنفسه.

بدأ روبن يرغي صابون الحلاقة على ذقنه ثم فكر: يا إلهي! إنني أدفع كل ما أملك في العالم مقابل أن أعرف ما يجري في الآي، بي، سي، هذا الصباح.

الفصل الثالث

بالنسبة لموظفي الآي، بي، سي كلهم بدأ صباح الإثنين هذا ككل صباح اثنين. الأرقام، كما تسمي الإحصاءات الأسبوعية الشعبية البث عادة، كانت موجودة فوق كل مكتب. الإشارة الأولى التي سبقت العاصفة انبثقت الساعة العاشرة على شكل ملاحظة بسيطة: «غريغوري أوستن ينتظر دانتون ملر في مكتبه الساعة العاشرة والنصف».

السكرتيرة الخاصة للسيد أوستن نقلت الرسالة إلى سوزي مورجان السكرتيرة الخاصة لدانتون ملر. سوزي خطّتها كيفما اتفق على مسودة وضعتها على مكتب ملر بجانب نتائج السبر الأسبوعية. بعدئذ، توجهت إلى دورة المياه، عابرة «القفص» الخاص بأمانة السر، حيث كانت قد اكتسبت من قبل نشاطاً شديداً، وحيث كانت الآلات تتكتك منذ التاسعة والنصف. ووفق المقياس العالي، فإن سكرتيرات الشخصيات المرموقة لم يكنّ يصلن إلا الساعة العاشرة بنظارات سود وبدون تبرج. يعطين إشارة لإعلام حُماتهن المحترمين بوصولهن، ثم يختفين في دورات المياه. بعد عشرين دقيقة يخرجن ثانية وهن أكثر شبهاً بعارضات الأزياء، بل إن واحدة منهن نصبت هناك مرآة كبيرة مجسمة.

كانت هنالك الكثير من الفتيات عندما وصلت سوزي إلى دورة المياه. كل واحدة منكبة على زينتها فانحشرت هي بلا مبالاة في الحوار العام. جورجي أوستن استدعى دانتون ملر. الفتاة الأولى التي تركت المكان روت الخبر إلى زميلة كانت تشتغل في القسم القانوني. لكن بعد ست دقائق كان الخبر قد انتشر في طول البناء وعرضه.

كانت إثيل ايفانز قد تأهبت لطبع أخبار «الساعة الأخيرة» عندما وصل الخبر إلى قسم النشر.

فأسرعت تستفسر من سوزي عن تفاصيل أكثر إلى حد لم يسمح لها بانتظار المصعد فهبطت الطوابق الأربعة جرياً ولم تبلغ دورة المياه في الطابق السادس عشر إلا وهي مقطوعة الأنفاس. هناك كانت سوزي بمفردها تضع اللمسة الأخيرة لزينتها. «يبدو أن معلمك في طريقه إلى الشارع»، قالت إثيل. انتهت سوزي من صبغ شفتيها ثم سحبت مشطاً ورتبت بضع خصلات من شعرها، مدركة أن إثيل كانت بانتظار جوابها. فأجابت بصوت كانت تأمل أن يحمل نوعاً من السأم:

ـ أليست هذه هي النميمة العادية لصباح الاثنين؟

وتقلص بؤبؤا إثيل.

ـ هذه المرة يبدو أنها لن تكون مجرد كلمات في الهواء. الخميس، كان اجتماع جورجي الأسبوع مع أركانه، ثم استدعاء دانتون ملر صباح الاثنين، العالم كله يعلم أنه يريد أن يصرفه.

وفجأة أحست سوزي بانقباض القلق.

ـ هذا ما يقولونه فوق؟

وشعرت إثيل بالعزاء. لقد حصلت على ردة فعل. فأسندت ظهرها إلى الحائط وأشعلت سيجارة.

ـ الناس يفهمون كل شيء. حسناً، هل رأيت الأرقام؟

شرعت سوزي تجعد شعرها، فلم يكن الحديث ضرورياً قط كما أنها لم تكن تحب إثيل إيفانز. لكن إذا طار دانتون ملر فإن شغلها سيطير هو الآخر. ويجب أن تعرف أن وراء الأكمة ما وراءها فهي لم تكن تجهل أن مركز دانتون يعتمد بشكل أساسي على جدول نتائج البث. ولم تكن قد فكرت بأن استدعاء أوستن يمكن أن يحمل في طياته أي تهديد.

وحين وصلت إلى دورة المياه، كانت تقدر أن الخبر عبارة عن برهان إضافي على أهمية دانتون، أما الآن فقد بدأت تشعر بالخوف. إنما كان عليها أن تستأنف، فإثيل إيفانز لم تكن سوى مستخدمة بسيطة في قسم العلاقات العامة. أما هي سوزي مورجان فإنها السكرتيرة الخاصة لدانتون ملر. وهكذا أجابت بصوت مجرد: بلى، لقد رأيت الأرقام. وقسم النشاطات هو الذي يجب أن يتلقى الضربة، فمورجان وايت هو من يوجه إدارته. وهو نفسه من يجب أن يدفع الضريبة، لا دانتون ملر.

فشرعت إثيل بالضحك:

ـ مورجان وايت قريب أوستن. إذن، لن يمسه أحد. أما صديقك الصغير فهو من ينام في الشراشف الوسخة.

احمرت سوزي قليلاً، فقد كانت بالحقيقة تخرج مع دان لكن علاقاتهما لم تتعد عشاء في مطعم الـ(21) من حين لآخر، وفي أحد مطاعم الدرجة الأولى في برودوي. كانت تأمل في قرارة نفسها أن يحدث شيء بينهما لكن حتى الوقت الحاضر كان يقنع منها دائماً بطبع قبلة صغيرة على جبينها لحظة الوداع. وكانت تعرف أن الناس يعتبرونها صديقته، بل لقد لاكتها الألسن في ثرثرات برودوي. وكانت فخورة بالهيبة التي كان هذا الموضوع يعطيها إياها لدى السكرتيرات الأخريات. هزت إثيل كتفيها:

ـ ما أريد قوله فقط، هو أن هذه قصة تنذرك. انتظري أن تقضي سهرة صعبة مع دان العظيم إذا ما طرد، فقد يغامر بأن يأتيك مخموراً حتى الموت.

كانت سوزان تعرف أن الكل يعتقدون أن دانتون سكير رغم أنه لم يكن يشرب أكثر من قدحي مارتيني عندما يخرجان معاً، ولم تكن قد رأته أبداً يخرج عن هدوئه، فابتسمت لإثيل قائلة:

ـ لا يشغلن بالك هم دان. إذا فقد منصبه فإنني واثقة من أنه لن تنقصه الأفكار في أي وقت من الأوقات.

ـ يخيل للمرء أنك لم تكوني هناك عندما قدم كولن شاس استقالته، والمرارة تملأ قلبه. فعندما سأله أحدهم: ما هي مشاريعه؟ أجاب: «عندما يكون المرء معلقاً بحافة منطاد شرع بالتفرقع بين يديه، فليس من حل أمامه سوى السقوط». لكن كم هنالك من مناطيد في هذا العالم السافل؟ (وأضفت إثيل رنة على صوتها حين توقفت كي تترك لعبارتها الأثر الذي تبتغيه. لا بد أن يكون الأمر قاسياً تماماً حين يجد المرء نفسه في ليكهرست بانتظار منطاد آخر ينطلق في الأفق.

ـ ليس لدي انطباع بأن دان سيتعفن في ليكهرست.

ـ يا عزيزتي، كل مكان هو ليكهرست عندما لا يكون لدى المرء عمل. كولن شاس يقضي أيامه كلها في مطعم الـ (21) ويمط وجبته على مدى ثلاث ساعات بانتظار أن تحل الساعة التي يذهب فيها لتناول كوكتيل عند لويس وأماندا.

كانت سوزي تتفحص تسريحتها في المرآة. فقالت إثيل:

ـ حسناً، خذي الأمر باللامبالاة إن كان هذا يناسبك لكنني أراهنك على غداء بأن دان سيجد نفسه في ليكهرست. إنه حقاً في المعجن.

بقيت سوزي وحيدة في دورة المياه. صحيح أنها كانت تهتم بدان، لكن اهتمامها الأساسي كان منصباً على نفسها. فإن فقد دان منصبه سيجلب خلفه سكرتيرته المناسبة معه وبالتالي لن تستطيع أبداً العودة إلى (القفص) أي أن عليها أن تشرع بالبحث عن عمل، وهي التي قد خصصت راتب أسبوع لشراء ثوب قدرت أنها سترتديه برفقة دان إلى عشاء جائزة إيمي «الشهر القادم»!! في الوقت الحاضر نكبة حقيقة. فقد رأت نتائج الإحصاءات. كافة الجداول تشير إلى أنها

سقطت. وينبغي في الحقيقة أن يتأثر قسم النشاطات، لكن إثيل على حق: مورجان وايت هو قريب آل أوستن. وعلى دانتون أن يدفع الحساب. بالتأكيد، كان دانتون يبدو مرتاح الذهن عندما وضعت الرسالة على مكتبه، لكن مع دانتون لا يستطيع المرء أن يعرف شيئاً. فلطول وجوده في هذه المهنة، كان دان قد اعتاد أن يبقى دائماً مسيطراً على نفسه دون أن تفارقه بسمته الأبدية الناعمة.

في الحقيقة، لم يكن مرتاحاً تماماً. فعندما رأى نتائج السبر شم رائحة الكارثة. وعندما وضعت سوزي الرسالة على مكتبه، شعر على الفور أن قرحته المعدية قد تحركت. كان دان يعبد عمله. إنه شغل مثير ومحبوب. ونظراً لأنه يحب السلطة أكثر من الجميع، فإن خشيته من الفشل كانت أكثر وضوحاً ذلك أن المرء لا يخشى أن يغامر عندما يكون العمل لعباً. مدراء الشبكات الأخرى يستطيعون أن يسمحوا لأنفسهم بذلك. فهم لا يشتغلون من أجل مجنون مثل غريغوري يخلط بين برنارد باروش وداوود ماريك. ماذا يمكن أن يبرهن؟ ماذا يستطيع المرء أن يقدم ثانية لغريغوري إن يكن أقل من روبر سارنوف أو ويليم بالي؟ في الساعة العاشرة وسبع وعشرين دقيقة غادر دان مكتبه واتجه نحو المصعد.

نظر من طرف الممر إلى الباب المهيب المصنوع من خشب الجوز الذي كان يحمل حروفاً من ذهب باسم:

مورجان وايت. كل شيء بدا هادئاً. طبعاً لم يكن لدى مورجان أي أثر للخوف. إنه دانتون ملر المسكين، الذي اختاره أوستن كي يكون كبش الفداء.

حيا دان بهيئة مرحة عامل المصعد الذي قاده إلى الطابق الأخير، وابتسم باطمئنان لسكرتيرة أوستن الخاصة التي أعلنت عن وصوله.

لقد حسدها لهدوئها ورزانتها، في غرفتها الصغيرة ذات الجدران المكسوة بالخشب والأرضية المستورة بالسجاد. دخل إلى الصالون الكبير الذي كان أوستن يستقبل فيه ضيوفه المعتبرين من مسؤولين كبار أو مديري وكالات نشر يشترون مقابل عدة ملايين من الدولارات ساعات البث. وفي النهاية كان هناك صالون الاجتماعات والمكتب المترف الخاص بغريغوري أوستن.

لو كان لدى غريغوري نية لتحطيمه، إذن لكان موجوداً في مكتبه في تلك اللحظة كي ينهي الأمر بالسرعة الممكنة. إنما غريغوري غير موجود. إذن هذه علامة شر.

جلس دان على واحد من الدواوين الجلدية وراح يتأمل بهيئة كئيبة أثاث الغرفة الرائع. ثم راح يتأمل ثنية بنطاله الصوفي الناعم المكوي جيداً. أوه يا إلهي! حتى الآن ما يزال دانتون ملر مدير الشبكة، لكن خلال خمس دقائق قد لا يعود شيئاً من هذا القبيل. أخرج دان علبة سجائره وبالرغم من الإنذار الشديد الذي وجهته له معدته فقد أخرج سيجارة أهوى بمؤخرتها مرة أو مرتين على علبة السجائر. كان عليه أن يأخذ مهدئاً قبل أن يترك مكتبه، فهو، لا شك، قد أفرط في الشراب مساء أمس. وهناك أشياء وأشياء عليه أن يفعلها.

تأمل علبة سجائره. العلبة التي اختارها بكثير من العناية. ثلاثمائة دولار، من جلد التمساح الأسود المطعم والمؤطر بالذهب عيار 18 قيراطاً. بالسعر نفسه كان باستطاعته أن يشتري واحدة من الذهب الخالص لكن تلك لم تكن تتفق مع الطراز الرائع والخالص النقاء الذي كانت توحي به هذه. طقم أسود، ربطة عنق سوداء، وقميص أبيض. كانت لديه اثنتا عشرة بزة سوداء، خمسون ربطة سوداء متجانسة، كل منها تحمل رقماً صغيراً مخيطاً في حاشيتها على نحو

يمكنه من تغييرها يومياً بالتناوب. البزة السوداء تُبسط الحياة. فهي لباس كامل بالنسبة للمكتب كما أنها توحي بذوق جيد إذا ما خرج الإنسان للعشاء في مكان ما. وعلبة السجائر عنصر مساعد ثمين. فلو وجد نفسه أمام قرار ينبغي اتخاذه بسرعة فإن بإمكانه أن يخرجها من جيبه، يختار سيجارة بعناية وينفض الدخان على ظهرها، وبذلك يكسب الوقت للتفكير كما أن هذا يمنعه من ممارسة أعمال صغيرة أخرى مثل قضم الأظافر، اقتلاع الشوائب البيضاء حول الأظافر أو أية مظاهر أخرى للعصاب.

كانت يداه قد تبللتا. لم يكن يود أن يفقد منصبه. كان يحب الشعور بالسلطة الذي كان يعطيه إياه هذا المنصب، وليس لديه مكان يذهب إليه بعد هذا إلا «فالهالا»، مركز المدراء السابقين للتلفزيون. سيكون أمامه أن يتناول وجبته اليومية في مطعم الـ (21)، الوجبة التي سيضطر لإطالتها برشفات كبيرة من المارتيني.

نظر من النافذة فرأى شمس الشتاء الحزينة تشع ضعيفة في السماء. قريباً سيأتي الربيع وهذا المقعد سيظل دائماً في مكانه.

سكرتيرة غريغوري ستظل دائماً في مكانها. وهو، هو وحده سيغادر. وفي الحال، فهم ما يجب أن يشعر به محكوم بالإعدام وهو يتوجه إلى الكرسي الكهربائي متأملاً الشهود المكلفين بحضور التنفيذ. وتنفس بعمق كما لو أنه يريد الاستمتاع بكل دقيقة متبقية له، كما لو أن وجوده سينتهي بين دقيقة وأخرى. مكتبه الواسع، رحلاته الصغيرة إلى الشاطئ، المنزل الخشبي في بيفرلي هيلز، الفتيات الصغيرات... وترك نفسه يتهاوى من جديد على المقعد. لم يكن مؤمناً حقيقياً، لكنه مع ذلك بدأ يتمتم صلاة صامتة للإله، ناذراً، إن لم يطرد من مركزه، أن يتغير كل شيء. سيرفع من جديد علامات الجداول. لقد أقسم أن يصل

بها إلى الذروة حتى لو اضطر لأن يأخذ من أجل هذا برامج بث من شبكات أخرى. سيشتغل ليل نهار. سيقول وداعاً للمشروبات والفتيات. سيفي بعهده. ألم يحترم دائماً القاعدة التي وضعها لنفسه بأن لا يشرب الكحول عند الغداء؟ لقد اتخذ هذا القرار عندما رأى سقوط لستر مارك. لستر كان يوجه وكالة كبيرة للنشر. ولقد رآه دان يزيد عدد أقداح المارتيني من اثنين إلى أربعة ثم إلى خمسة أثناء الغداء. المارتيني يشوش الأدمغة ويحل الألسنة. لقد رأى لستر ينحدر من مدير وكالة إلى مساعد مدير لوكالة أقل أهمية بكثير ثم إلى عاطل عن العمل ومتسكع دائم.

كان دان مقتنعاً بأن تناول المارتيني مع الغداء هو علة هذه المهنة وهذا ما جعله يمتنع عن تناول المارتيني طوال النهار. أما ما يفعله بعد العمل فأمر لا يهم أحداً سواه. لكنه خلال العام الماضي كان قد ضغط قليلاً على كمية الشراب. ولهذا السبب ربما شرع بالخروج مع سوزي مورجان، خارقاً قاعدة أخرى من قواعده المقدسة. (لا تخلط أبداً بين حياة العمل والحياة الخاصة) كانت سوزان صغيرة جداً بالنسبة له. ولعل هذا هو السبب الحقيقي في أنه لم يسمح لنفسه بالتمادي في معاملتها بل اهتم الاهتمام كله بأن يبقى رصيناً حين يخرج معها. في حقيقته، لم يكن دان من النوع الذي يربط نفسه بفتاة عمرها ثلاثة وعشرون عاماً، ففي هذه السن لا تحمل الفتيات في رؤوسهن إلا فكرة الزواج. كان يفضل على ذلك أن يمضي مع عاهرة عادية ذلك لأن فتاة كسوزي كفيلة بأن تسرق ماله وتتفاخر عليه. وقرر في سره أنه إن استمر في منصبه سيتخلى حتى عن العاهرات. سيبقى في بيته أمسيات عدّة في الأسبوع يتفرج على هذا التلفزيون المقدس، بل سيفتحه على الشبكات الأخرى كي يكتشف لماذا الآي، بي، سي في المؤخرة، وكي يجد ما يستقطب الجماهير، لكن يا لله، كيف يمكن معرفة ذلك؟ فالجماهير نفسها لا تعرف ما تريد.

فتح الباب الثقيل ودخل غريغوري أوستن، فهب دان واقفاً على قدميه. كان غريغوري يمسك بيده جداول السبر. مد الورقة لدان وأشار إليه بالجلوس . فشرع دان يتفحص الصفحة كما لو أنه يراها للمرة الأولى. ومن زاويتي عينيه راح يتأمل غريغوري وهو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً. ترى من أين يستمد هذا النموذج طاقته؟ كان دان أصغر منه بعشر سنوات على الأقل، مع ذلك لم يكن يملك هذه الحركية ولا تلك الطاقة والحيوية.

لم يكن أوستن كبير الجسم. فهو بطوله البالغ متراً وخمسة وسبعين سنتمتراً، كان دان يبدو وكأنه يزيده عدة سنتمترات، بل حتى جوديث بكعبها العالي كانت تبدو أحياناً أطول من زوجها. لكن مع ذلك، كان غريغوري يترك انطباعاً عن قوة ورجولة بشعره الأصهب، بيديه القويتين المسمرتين بالشمس والمرصعتين ببقع النمش، ببطنه الضامر، وابتسامته الطاغية، بهذا كله كانت شخصيته تفيض حماسة وحيوية. والناس يروون أنه كان يقوم بمغامرات في هوليوود قبل أن يلتقي بجوديث.

ـ إيه، ما رأيك بالقضية؟ سأله أوستن بسرعة. فكشر دان.

ـ ترى ألم تلاحظ أي شيء مميز؟.

وسحب دان علبة سجائره، وبنقرة من طرف سبابته حرر سيجارة. أخذ غريغوري سيجارة لكنه رفض إشعالها قائلاً:

ـ لقد أقلعت عن التدخين منذ أسبوع. فقط بت أضع سيجارة في فمي، هكذا حسن، وعليك أنت أن تحاول الإقلاع عن التدخين يا دان.

أشعل دان السيجارة ثم نفخ دخانها ببطء، موجهاً صلاة أخرى لله الذي كان يسهر على مدراء التلفزيون، ناذراً أنه إن ترك هذه الغرفة محتفظاً بعمله لن يلمس سيجارة واحدة في حياته.

انحنى غريغوري إلى الأمام. وبيده الضخمة المغطاة بالشعر الأصهب أشار إلى جداول المعلومات. فتمتم دان كما لو أنه خلص أخيراً لهذا الرأي.

ـ هي ليست رائعة كثيراً

ـ ألم تلاحظ شيئاً آخر؟

وشعر دان بالقرحة تتهيج من جديد وتؤلمه. لم يستطع أن يبعد عينيه عن برنامجي منوعات سجلا أرقاماً في الأماكن العشرة الأخيرة. إنه هو الذي أوصى بهما. لكنه خشي أن يرفع نظره إلى أوستن الذي نقر الورقة بإصبع نافدة الصبر.

ـ القِ نظرة على فعالياتنا الإقليمية، إنها لم تحافظ على مواقعها وحسب، بل هي في بعض الأمسيات تتفوق على برامج الشبكات الأخرى سي، بي سي، إن بي سي وآي. بي. سي. وهل تعرف السبب؟ الفضل في ذلك يعود لروبن ستون.

ـ لقد رأيت هذا البرنامج مرات عدة. إنه ممتاز، قال دان كاذباً، إذ لم يكن قد رأى هذا النموذج في حياته أبداً، ولم يكن قد رأى جريدة الساعة الثالثة والعشرين على شبكات الآي بي سي، ففي هذه الساعة كنت دائماً تجده مستلقياً إما نصف نائم أو متفرجاً على برنامج الـ إن بي سي «هذا المساء».

إني أتفرج عليه كل الأماسي منذ شهر، صرح غريغوري، السيدة أوستن تراه رائعاً. والنساء هن من يخترن الشبكة التي يمكن للمرء أن يجري استعلاماته. صحيح أن الرجال قد يدلون بآرائهم في البرامج، لكن عندما يكون البرنامج برنامج فعاليات فالنساء هن اللواتي يقررن ذلك، فالأخبار هي نفسها في كل مكان. لذا كل شيء يتوقف على

المتحدث الذي يفضله المرء. وهذا هو السبب الذي دعاني لأن أعرض على روين أن يترك الفعاليات الإقليمية. أريده أن يقدم الجريدة المتلفزة في الساعة التاسعة عشرة مع جيم بولت.

ـ في هذه الحالة، لماذا يبقى جيم؟

ـ إنه متعاقد معنا دائماً. وبالأساس، لا أريد أن يحجز روبن ستون لهذا البرنامج. لدي مشاريع أخرى له. فلدى هذا الولد مادة رجل كمارو، هنتلي، وبرنكلي. وعلينا أن نطلقه. قبل نهاية الصيف سيكون وجهه معروفاً في البلاد كلها، وسيكون مندوبنا الدائم إلى المؤتمرات. أريد أن يكون لدينا قسم مستقل للمعلومات بإدارة جديدة، ولهذا الغرض، نحن بحاجة إلى نجم، هذا النجم هو روبن ستون.

ـ أجل، ممكن. قال دان مستغرقاً في التفكير بينما كان ينتظر البقية. إذن يمكن للمرء أن يدخل منطقة سيادة مورجان وايت. وكما لو أنه قرأ أفكاره، أضاف غريغوري بصوت هادئ:

ـ مورجان وايت يجب أن يرحل.

وبقي دان صامتاً. فلقد اتخذت الأحداث مجرى غير منتظر، مساراً مفاجئاً. وراح يتساءل لماذا يا ترى يضعه غريغوري محط ثقته هو الذي كان دائماً يبقيه على مسافة بعيدة من الأمور.

ـ ومن سيحل محله؟

فتفحصه غريغوري:

ـ يا إلهي، عمن إذن أتكلم منذ ساعة؟ كان عليك أن تستنتج. فأنا لا أريد أن يحجز روبن ستون للجريدة المتلفزة، وهو بالتالي من أريده أن يستلم إدارة القسم.

ـ إنها فكرة هائلة، (إذ شعر بكثير من العزاء لنجاته بجلده).

ـ لكنني لا أريد طرد مورجان. أريده هو أن يقدم استقالته. (ووافق دان هازا رأسه خائفاً كثيراً من المخاطرة بتعليق) فمورجان ليس لديه أية موهبة، لكنه مفعم بالكبرياء. إنها سمة من سمات العائلة. فأمه وأم السيدة أوستن شقيقتان. عائلة ممتازة. لا تملك حساً عملياً قط لكنها متكبرة بشكل مريع. هذا هو ما اعتمد عليه. لذلك عندما تخرج من هنا، أرسل إلى مورجان كتاباً تعلن فيه أنك ارتبطت مع روبن ستون للعمل كرئيس للمعلومات.

ـ رئيس للمعلومات؟

ـ المنصب غير موجود بعد. إنني أوجده بشكل ارتجالي. مورجان سيسألك بمن سيرتبط روبن ستون وحينها ستقول له إنك أوجدت هذا المنصب لروبن ستون بهدف رفع مؤشرات الإحصاء وإن لروبن ستون / بطاقة بيضاء/ صلاحية مطلقة في توجيه الإدارة وإنه مرتبط مباشرة بك.

وافق دان بهزة من رأسه مفكراً.

ـ سيقول مورجان إنني أتعدى على صلاحياته.

ـ أنت لا تتعدى على صلاحيات أحد، وطالما أنت مدير للشبكة فإن لك الحق في أن تقترح التغييرات التي تراها ضرورية.

فابتسم دان قائلاً:

ـ أن اقترح، لا أن أنفذ.

ـ لا تتمسك كثيراً بالشكليات. فمورجان سيسرع حالاً إلي. وأنا سأدعي أنني فوجئت. لكنني سأجيبه أن مركزك يعطيك الحق في تشغيل من تجده مناسباً.

ـ وإن لم يقدم مورجان استقالته؟

ـ مورجان سيقدمها. بإمكاني أن أضمن لك ذلك.

رمى غريغوري سيجارته التي لم تمس فوقف دان. لقد انتهت المقابلة، وقد نجا بجلده. أجل، احتفظ بمنصبه وهذا أمر لا شك فيه. حالياً كان غريغوري يريده أن يقوم بالأعمال التي يكره القيام بها. ودارت رأسه لفكرة واحدة: المهابة التي ستحققها له هذه المهمة بين الموظفين. فالكل يعلم أن مورجان هو قريب أوستن. وهاهو دانتون ملر الذي سوف يعلمه أنه عين روبن ستون رئيساً للمعلومات. إذن سيفكر الناس بأنه بلغ من القوة درجة تسمح له أن يحرك مورجان من مكانه دون أن يستطيع أوستن رفع إصبع. غداً سيكرر الجميع: دانتون ملر قادر على كل شيء، بيده المطر والصحو.

لقد ارتعشت كفه وهو يحرر الكتاب الموجه إلى مورجان وايت، وتساءل كم يحتاج انتشار الخبر من وقت في البناء كله. ثم رجع إلى الوراء مستنداً إلى كرسيه بارتياح، وسحب سيجارة ثم تذكر الوعد الذي قطعه على نفسه فألقاها في سلة المهملات دون أن يشعلها.

بعدئذ نهض متوجهاً إلى النافذة يتأمل العالم الخارجي كانت الشمس تشع، وكانت السماء شديدة الزرقة. قريباً سيحل الربيع ولسوف يكون هنا لاستقباله.

وحين اندفع مورجان وايت داخلاً مكتبه، دار على نفسه ببطء وتمهل.

ـ ما هذه القصة؟

ـ اجلس مورجان

ثم أخرج من جيبه علبة سجائره، وبعد شيء من التـردد، فتحهـا بنقرة واحدة. يا لله! إن كان هنالك إلـه حقـاً فـلا بـد مـن أن يعلـم أن الإنسان في لحظة كهذه يكون بأمس الحاجة لسيجارة ينفث دخانها.

الفصل الرابع

في اليوم التالي عادت الحياة في الـ آي بي سي إلى مجراها الطبيعي. لقد ظهرت صورة روبن ستون في جريدة النيويورك تايمز مصحوبة بمقالة صغيرة تعلن تسميته مديراً للمعلومات بدلاً من مورجان وايت الذي قدم استقالته. في إدارة النشاطات كان الناس ينتظرون وصوله بشيء من الخشية. فقد كان روبن دائماً وحيداً منعزلاً. إنه نوع من الرجال يتساءل المرء بينه وبين نفسه «أي صنف تراه هذا الرجل؟» الوحيد الذي كان قد اقترب منه قليلاً هوبيل كتنر، المصور. إذ كان قد رافقه مرتين إلى حانة من الحانات والمرة الثالثة لمشاهدة مباراة. كان روبن ستون يحب لعبة البيسبول، كما كان قادراً أيضاً على جرع ثلاثة أقداح مارتيني ـ فودكا تماماً كما لو أنها عصير برتقال. وهذه هي كل العناصر التي يستطيع المرء أن يجمعها لصالحه.

بعض السيدات رأينه في مطعم (ب ج س) برفقة فتاة جميلة دائماً. وأحياناً أيضاً مع جيري موس الذي بدا أنه صديقه الوحيد. لقد كانا يتواجدان دائماً في (اللانسر) لشرب قدح.

ـ لكن أي مشرب لعين هذا اللانسر؟

كان جيم بولت يعتقد أن هذا المطعم يقع في الشارع الغربي رقم 48 بينما كان سام جاكسون مقتنعاً أنه في الشارع الخامس.

وبحثا في الدليل السنوي. فوجدا أنه في الشارع الشرقي رقم 54. لم يكن أي منهما قد وطئ ذلك المكان بقدمه.

لكن عصر يوم الأربعاء كان نصف موظفي الإدارة متواجد في اللانسر. لكن روبن لم يظهر. يوم الخميس عاد واحد منهم فقط إذ أعجبه المكان. وكان روبن ستون هناك مع جيري موس وأجمل فتاة في العالم.

لم يكن لديه أي عمل على الإطلاق سوى أن يشاهد روبن ستون. يوم الجمعة بعد الظهر وجد جميع العاملين في الإدارة فوق مكاتبهم الملاحظة التالية:

اجتماع صباح الاثنين، الساعة العاشرة والنصف، في قاعة المؤتمرات، الطابق الثامن عشر.

في العاشرة وعشرين دقيقة كان أوائل القادمين ينسلون إلى الصالة. في العاشرة وخمس وعشرين ظهرت إثيل ايفانز، فألقى جيم بولت عليها نظرة اندهاش، إذ لم تكن لها أية علاقة بالاجتماع. لكنه كان مشغول البال كثيراً بمسائله الخاصة فلم يعطها الكثير من الاهتمام. فمدير جديد يعني كثيراً من التبديلات. لكن حتى عندما رفع لها قبعته فإنها لم تفقد توازنها.

في العاشرة والنصف دخل راندولف لستر، مساعد مدير المعلومات أيام مورجان وايت فلاحظت إثيل أن له هيئة الواثق من نفسه تماماً. ربما كان روبن قد أسمعه أنه ينبغي ألا يخشى شيئاً فيما يخص منصبه. وكان يرتدي طقماً أسود وعقدة سوداء. نموذج الـ آي بي سي الذي وجده دانتون ملر. ابتسم راندولف بسمة أبوية ثم بدأ:

«أصدقائي، صباح الخير، أعلم أنكم قد استقبلتم بكل ترحاب، مثلنا جميعاً في الـ آي بي سي، تعيين السيد روبن ستون مديراً للمعلومات. البعض منكم كان قد مارس العمل معه، وآخرون

سيقابلونه هذا اليوم للمرة الأولى. السيد غريغوري أوستن ودانتون ملر كلاهما فخوران بأن يعهدا إليه بمسؤولية برامجنا القادمة. لكن لا بد من أن تحدث تغييرات هنا. والحقيقة أن بإمكان المرء أن يقول إن تعديلات عديدة حدثت هنا، لكنني متأكد من أنكم ستفهمون إن كل ما يفعلونه إنما هو بسبب الموهبة الشخصية للمرء. التغييرات ستتجه بصفة خاصة كي تبسط نطاق أعمالنا على كل مجالات الإعلام، ولإصلاح برامجنا أيضاً.

ـ لماذا لا نقول ببساطة: لكي نرفع علاماتنا؟ همس واحد بجانب إثيل.

ـ موعد لصندوق البطالة، همهم واحد آخر.

ـ فسياسة الـ آي بي سي دائماً... لكنه توقف إذ فتح الباب ودخل روبن ستون فانطلقت بعض تصفيقات الترحيب، لكن شيئاً ما في نظرة روبن ستون جعلها تتوقف. كان روبن يبتسم وبدا الجميع يشعرون وكأنه طفل أمسك متلبساً بجريمة لكن بالإمكان غفرانها له. نظرة روبن دارت بسرعة على من حول الطاولة كلهم دون أن تتوقف على واحد بعينه كما لو أنه أراد أن يحسب بسرعة عدد الموجودين وأن يأخذ فكرة عن القائمة، وترتيب الأماكن. ثم ابتسم من جديد. ولاحظت إثيل أن مقاومة الجميع قد تحللت، إذ انعكست بسمته على الحضور أشد تأثيراً من تيار كهربائي. بالنسبة لإثيل بدا روبن فجأة أكثر إغراء من أي ممثل سينمائي. أوه يا إلهي، لتتحطم هذه القوقعة من الفولاذ! اجعل هذا الرجل يرتعش بين ذراعيها!! انزل به إلى رحمتها.... ولو كان ذلك للحظة واحدة! من مكانها في طرف الطاولة، كان باستطاعتها أن تراقبه دون أن تجذب انتباهه. لقد قدرت بسرعة أنه لم يكن يبتسم إلا بشفتيه فقد ظلت عيناه باردتين.

ـ لقد درست الأسلوب الذي تعمل وفقه الإدارة، بدأ روبن بهدوء، كلكم ممتازون، إنما علامات الإحصاء سيئة. الآي بي سي في المؤخرة. ولا بد من تزييت الآلة. إنني صحفي وأرجو ألا تنسوا ذلك فأنا صحفي قبل كل شيء. وهذه هي المرة الأولى التي أجد نفسي فيها على رأس إدارة ما. لكنني سأتابع العمل في الصحافة. في الطيران، عندما نزعت رتبتي كنقيب طيار، تابعت الطيران كمرشد حربي.

لم تفارقه إثيل بعينها طوال حديثه. كان بارداً جميلاً بل جميلاً جداً. لا بد أن طوله يبلغ متراً وتسعين سنتمتراً دون أن تكون عليه أوقية شحم واحدة. إنه، ولا بد، يتمسك بنظام طعام قاس تماماً. وابتسم من جد. لو لم يكن لديه شيء سوى هذه الابتسامة لكسب الحرب.

ـ ليست لدي نية في أن نبقى حيث نحن. هذا الصيف، سأشكل على ما أظن جهازاً قادراً على تغطية مؤتمرات الأحزاب، تابع روبن. حتى ذاك الوقت، آندي بارينو، من محطتنا في ميامي، سيكون قد التحق بنا، هو أيضاً سيكون جزءاً من طاقم تغطية المؤتمرات. إنني أود أن نزيد فعالياتنا. لا أن نبقيها كما هي. (والتفت باتجاه راند ولف لستر) لكن قبل أن نبدأ أرجو أن يتكرم أحدكم ويقدم لي الحضور.

هب الرجلان واقفين فقد كان روبن سيصافح كل فرد من الموجودين. لم تكن قد فارقته ابتسامته الودود لكن نظرته كانت بعيدة، وكلماته مجردة لا تحمل شيئاً شخصياً. كان بإمكان المرء أن يقول إنه يقابلهم جميعاً للمرة الأولى.

عندما لاحظ لستر إثيل إيفانز، بدا وكأنه فوجئ. تردد لحظة من الزمن، ثم تابع طريقه. لقد مر على الجميع مرور الكرام، حتى أن إثيل لم تفهم أنه أهملها عن قصد. بعدئذ رأتهما يعودان إلى مكانيهما على طرف الطاولة. لكن روبن لم يجلس، بل طافت عيناه بين الحضور مرة ثانية ثم توقفت عليها:

ـ لا أعتقد أن أحداً قدمك لي، وأشار إليها بإصبعه.

فنهضت: أنا إثيل إيفانز. وشعرت أنها تحمر، إنني من قسم العلاقات العامة.

ـ إذن ماذا تفعلين هنا؟ (قال ذلك دون أن تفارقه ابتسامته، صوته هادئ لكن نظرته جمدتها).

ـ حسناً... فكرت.. أود أن أقول إنني يجب أن أعمل في قسم المعلومات، أعد نشرات الأخبار الأولية. قلت لنفسي إنكم بحاجة لـ... (وعادت للجلوس بكل حيوية).

ـ عندما أحتاج أحداً سأطلبه من قسم النشر، قال روبن بذلك اللحن نفسه. والآن أرجو أن تعودي من حيث أتيت. وتسمرت عليها الأعين كلها وهي تغادر الغرفة.

عندما وصلت إلى الممر، استندت إلى الباب شاعرة بأنها على حافة التقيوء. لقد تمنت لو تستطيع الابتعاد عن هذه الصالة ـ حيث سمعتهم يتناقشون في الدخل ـ لكنها بقيت مغروسة هناك. لم يكن باستطاعتها أن تحرك قدمها... لقد هزتها الحادثة إلى حد كبير. بعدئذ سمعت لستر يسأل روبن إن كان يريد أن يبقي يوم الاثنين يوم اجتماعات أسبوعية.

ـ لن تكون هنالك اجتماعات أسبوعية، أجاب روبن، سأستدعيكم كل مرة أجد فيها ضرورة لذلك. لكن ثمة شيئاً يجب أن يتغير.

ومرت لحظة صمت، فشعرت إثيل أن الناس كلهم ينتظرون. بعدئذ انطلق صوت روبن مجدداً.

ـ خلصوني من هذه الطاولة، فأنا أريد طاولة مستديرة.

ـ مستديرة (كان صوت لستر)

ـ أجل، طاولة مستديرة كبيرة وجميلة. فأنا لا أحب الجلوس في كرسي الشرف، كما لا أريد أن يكون لكل واحد مكانه المرسوم. إن كان على المرء أن يعمل في جهاز ما فعليه أن يعمل مع الآخرين جنباً إلى جنب. إذن، أعدوا لي طاولة كبيرة، جيدة ومستديرة.

ومرت لحظة صمت. ثم بدا وكأن الناس كلهم قد شرعوا بالكلام في الوقت نفسه، فأدركت أن روبن غادر الصالة. لقد سمعتهم يتكلمون جميعاً في آن واحد كي تسترخي أعصابهم، لكنهم وخلال لحظة من الزمن، سيبدؤون بالخروج، فغادرت الممر على جناح السرعة. لم يكن لديها الوقت لانتظار المصعد، ولم تكن ترغب في أن تجد نفسها وجهاً لوجه معهم. فهبطت السلم جارية ثم أغلقت عليها دورة مياه الطابق الأدنى. لحسن الحظ، لم يكن هناك أحد. وتعلقت بكل قوتها بالمغسلة إذ شعرت بأن مفاصلها قد تعطلت وأن دموع المذلة تنحدر فوق وجنتيها.

ـ ابن الزانية! كم أكرهه!!

وبدأت تنشج، أكرهه! أكرهه!

ثم مسحت عينيها وتأملت نفسها في المرآة. ومن جديد سالت دموعها.

ـ أوه يا إلهي! لِمَ لست جميلة؟!!

الفصل الخامس

دفع دانتون ملر كدسة الأوراق جانباً. لقد كان عاجزاً تماماً عن التركيز. ثم أدار كرسيه لمواجهة النافذة. فخلال ساعة عليه أن يكون على مائدة الغداء مع غريغوري أوستن.. لم يكن يدري كيف يتوجب عليه أن يتصرف حقاً. لقد أعلمته سكرتيرته بهذا الخبر دون أي إخطار مسبق.

حتى الآن لم تكن إحصائيات السبر قد تحسنت مطلقاً، فالنشاطات كانت ما تزال في المؤخرة لكن القادم الجديد، آندي بارينو، لم يكن قد غادر ميامي إلا قبل ثمانية أيام. وكان عليه أن يعترف بامتنان أن وصوله قد غير البث بشكل محسوس. لكن بعد كل شي، هذه مشكلتهم الخاصة وله هو مشاكله الخاصة. برنامجه، برنامج المنوعات كان قد ألغي. وكان قد اقتنع أن البرنامج الغربي الذي اختاره غريغوري ليحل محل برنامج المنوعات سيحقق تحسيناً ما. كما كان قد قرر أن ينقذ الموسم ببرنامج ضخم. وبهذه النية كان قد أمضى سهرات الأسبوع الأخير كلها مع مؤلفين اثنين ومغنٍ تحت التجربة اسمه كرستي لين.

قبل ثمانية أيام، كان دانتون قد حط في ملهى كوبا لرؤية ممثل هزلي مشهور ـ هو كرستي لين. في البداية لم يعط دان أي اهتمام لهذه الشخصية الضعيفة ذات الأعوام الأربعين والتي تبدو على هيئة ندل المقهى الذين كانوا قديماً يرددون الترانيم في جزيرة كوني. لم يكن من قبل قد سمع كلمة واحدة عن هذا الخامل. لكن مذ رآه بدأت فكرة ما تجول في ذهنه. فالتفت بسرعة صوب سيج هايمان وهوي هاريس، المؤلفين اللذين كانا يرافقانه، ثم قال:

ـ انظرا، هذا هو الرجل الذي يلزمني تماماً.

كان يعلم أن المؤلفين يتصوران أنه يتكلم بتأثير الويسكي. لكن في اليوم التالي استدعاهما ليعلن لهما أنه يريد القيام بتجربة مع كرستي لين. فتأملاه ملياً وهما غير مصدقين.

ـ كرستي لين!! لكنه شخص تافه!! لا يساوي مسماراً.

ـ ليس بوسعه حتى إقامة حفل مساء السبت في الكونكورد وفي جروسنجر. أضاف هوي مزيداً. إنهم لا يريدونه هناك. وما عمله الآن إلا خارج الموسم. ألم تقرأ تقديرات النقاد حول المسرحية في برنامج المنوعات؟ لم يذكر اسمه، وحتى ثياب فتيات الكوبا سيكون لها تأثير أكثر منه. وهو لا يذهب إلى نيويورك إلا كبديل عندما يكون أحد النجوم الرئيسيين متغيباً. وهو لا يذهب إلى نيويورك إلا كبديل عندما يكون أحد النجوم الرئيسيين متغيباً. علاوة على أن أناشيده الإيرلندية... (ورفع هوي عينيه إلى السماء).

ـ عدا ذلك، فإنه يشبه عمي شارلي الذي يعيش في استوريا، أكمل سيج.

ـ هذا تماماً ما أبحث عنه، أصر دان، فكل الناس سيكون لهم العم العجوز شارلي الذي يعبدونه.

ـ لكنني أكره عمي شارلي!! احتج سيج.

ـ «احتفظا بكلماتكما الطيبة لمحاوراتكما!» رد دّان.

مثل كثير من الفنانين كان كرستي لين قد بدأ التمثيل كمقلد. كان بإمكانه أن يرقص ويغني ويروي قصصاً ضاحكة، ويحكي نصاً. لقد انطلق في العمل برغبة عنيدة. ولقد قدر دان أن سنه لا تقل عن الأربعين. شعره أشقر، معظمه مبعثر، وجهه كبير كوجه طفل سمين، قامته متوسطة مع بداية انحناءة في ظهره، ربطات عنقه صاخبة، ثنيات

سترته كبيرة جداً، الماسة التي يحيط خاتمها بإصبعه الصغرى مشعة للغاية، أزرار أكمامه لها هيئة نصف الدولار الذهبي ومع ذلك فقد شعر دان أن بالإمكان إخراج شخصية أنيقة من هذا الخليط العجيب من العامية والموهبة الحقيقية. فهو عامل لا يعرف الكلل، وأيا كانت المدينة التي يعمل فيها فقد كان يرتب نفسه كي يعمل بشكل إضافي في هذا النادي أو ذاك. حاجاته كانت تسعها خزانتان كبيرتان وعندما يكون في نيويورك ينزل في فندق أستور.

في آخر الأسبوع الأول بدأت فكرة دان تظهر إلى حيز الوجود. حتى المؤلفان قبلا الفكرة أخيراً. لم يعودا يرغبان في أن يتخلى عن ربطاته الفظيعة وطيات ستراته الكبيرة فهو يعتقد أنه يلبس على نحو حسن. وكان يحب ربطاته المقدسة كثيراً، ربطاته التي هي مفتاح شخصيته. شرح دان. ومن الواجب إيجاد بعض الأغاني الجيدة له لكن في الوقت نفسه يجب أن يترك له قليل من خاصته المعجناتية.

في الأسبوع السابق كان دان قد أوصل إلى غريغوري خلاصة موجزة عن برنامجه. ولعل هذا هو سبب هذا الغداء. لكن غريغوري لم يكن من النوع الذي يضيع ساعتين من أجل مناقشة محاولة. لقد كان بإمكانه أن يرسل له كلمة تعني الموافقة... أو تنهي المشروع كله. ولقد كان يأمل أن يعطيه غريغوري الضوء الأخضر. فسيكون قاسياً جداً أن يمرض هذا المرض كله مقابل لا شيء. لقد أصيب رأسه بالصداع لكثرة ما فكر بتلك الأمسيات التي قضاها في الجناح الصغير المليء بالدخان في الأستور. تباً لكرستي وسيجاره!! تباً لفتاة الكوبا الأبدية الصغيرة أو فتاة الحي اللاتيني القابعة في زاويتها صامتة جامدة دون حراك بانتظار أن ينتهوا. تباً للزميلين إدي فلين وكيني ديتو اللذين يدعوهما كرستي «بالمؤلفين» ويسحبهما وراءه حيثما يذهب. كان كل

امرئ يشعر أنهما يزودانه بالأفكار الطريفة دائماً. لكن بمقدار ما استطاع دان أن يحكم عليهما من معاملته، فقد كانا يخدمانه كحاجبين أكثر منهما كمؤلفين. إنه يقول مثلاً «قل إذن، يا إدي، هل تجلب لي القهوة!» أو «إيه، كيني، هل أحضرت لي ثيابي الداخلية من التنظيف؟» وهلم جرا من الصباح حتى المساء. لقد جاء كرستي من الوسط الذي تقاس فيه أهمية الإنسان بعدد الناس الذين يسيرون خلفه. أحياناً لم يكن يدفع لكيني وإدي إلا خمسين دولاراً في الأسبوع. وعندما تتحسن أموره يحسن لهما الدفع. لكنه يبقيهما دائماً معه، كما يأخذهما إلى الحفلات والسباقات بالتناوب. كان كرستي قد استبق دان مباشرة.

«أريد أن يعيد البعض نسج ما يكتبه هذان الغلامان للبرنامج، كما يجب أن يكون لهما متنا بطاقة أسبوعياً. وبكثير من الاستمتاع أخفى دان ارتياحه، أربعمائة دولار أسبوعياً تضاف على ميزانية برنامج ضخم من هذا النوع! إنها لا شيء أبداً! فاسم كل من هوي وسيج سيمر بأحرف كبيرة علي الشاشة وسيستطيع المرء دائماً أن يضيف بأحرف صغيرة المحادثات الإضافية في خاتمة الفيلم. إن أعطاه غريغوري الضوء الأخضر سيكون باستطاعته حتى آب أن يحصل على الهدف الأول من المحاولة. إذ كان يأمل أن يخرج البرنامج مباشرة لكن في الوقت نفسه كان بالإمكان تسجيله حتى يتمكن من بيعه ثانية للشبكات الأخرى. وبإخراجهم البرنامج مباشرة يمكن توفير الكثير من المال، وإذا نجحت تجربته سيصبح دان بطل الساعة.

خلال بضع ثوان، شعر دان بالزهو. ثم تذكر قصة الغداء هذا فشعر على التو بقرحته تتحرك وتعذبه. ماذا يمكن أن يحدث؟.

في الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة دخل دان إلى المصعد. فضغط عامل المصعد على الزر الذي يقود إلى الطابق الأخير، حيث مكتب غريغوري. في هذا المكتب يمكن للحياة أن تبدأ أو تتحطم تماماً. لكنه كان قد اتخذ احتياطاته: إذ أخذ قرصي مهدئ بمجرد تلقيه الخبر.

لقد توجه مباشرة إلى صالة الطعام الخاصة بغريغوري. فلاحظ أن الطاولة مرتبة لثلاثة أشخاص. وكان يسحب سيجارة عندما دخل روبن ستون بعدئذ وصل غريغوري وأشار إليهما بالجلوس.

كانت الوجبة خفيفة. فقد كان غريغوري يمر بإحدى فترات الريجيم. مع غريغوري لم يكن باستطاعة المرء أن يعرف شيئاً أبداً. لقد كان لديه رئيس طباخين أشتغل فترة في مطعم مكسيم في باريس، لكن قد تأتي إلى هنا في أحد الأيام وتقع على قطعة رائعة من الجبنة أو الفطائر اللاهبة القادرة على إتلاف معدتك تماماً. كان هذا يحصل بشكل عام، عندما يكون غريغوري قد فرغ من قراءة خبر عن موت أحد زملائه في حادث طائرة، أو بسبب السرطان أو مرض آخر غير قابلٍ للشفاء. في حالة كهذه، كان غريغوري يدخن ويولم الولائم قائلاً: يا لله! غداً، قد أتلقى ضربة أصيص على رأسي.

هذه المرحلة من الاهتمام بفاخر الطعام يمكن أن تستمر إلى أن يسمع أن أحد زملائه سقط هذه المرة بنوبة قلبية. حينذاك، ومن جديد، تعود قوائم الطعام الإسبارطيّة. في الوقت الحاضر كان غريغوري قد عاد إلى تطبيق نظام قاس مذ أصيب آخر مرة بعسر الهضم.

في البداية تحدثوا عن مختلف الأشياء. تناقشوا عن فرص الأمريكيين مقابل فرص الآخرين. وعن تأثير الزمن على الأرقام التي يحصلون عليها في الجولف. بالنسبة لشهر نيسان لم يكن المرء ينزعج فاليوم، يمكن للمرء أن يتصدع من الحر وفي اليوم التالي، يا للعنة!! يسقط ميزان الحرارة إلى الخمسة.

التهم دان طبقه دون أن يقول كلمة واحدة، طبقاً من ضلع الخروف والفاصولياء الخضراء مع ثلاث شرحات من البطاطا. ثم انقض على صحن من مطبوخ الفواكه المثلجة، وتساءل في نفسه عما إذا كان روبن ستون يفكر. لكنه شعر بالأسى بصورة خاصة على رئيس المطبخ الذي كان نظام غريغوري الغذائي قد كتم كثيراً من مواهبه.

عندما بدأوا بتناول القهوة مر غريغوري على ذكر قصة حياته. روى لروبن قصة نشوء الآي بي سي وصراعاته الأولى في مطلع حياته كي يكوّن من كل القطع المبعثرة شبكة جديدة موحدة، بينما استمع روبن بانتباه كلّي طارحاً بين الحين والحين سؤالاً ذكياً ما. بعدئذ أطرى غريغوري روبن على نيله جائزة البالتزر بل إنه ردد بضع فقرات من مقالاته. لقد تأثر دان تأثراً خالصاً، فالرجل، لا شك، يعطي لروبن قيمة عالية كي يسجل ويحفظ شيئاً من مقالاته.

عندما أدخل غريغوري سيجارته المطفأة بين أسنانه، أدرك دان أنه سوف يقترب من الدافع الحقيقي الكامن وراء دعوة الغداء.

«لدى روبن مشاريع عديدة مثيرة، بدأ غريغوري بصوت دافئ، أعتقد أنها سترفع سوية البرامج من جديد، وهذا هو السبب الذي دعوتك من أجله يا دان».

بعدئذ التفت نحو روبن بهيئة شبه أبوية، فانحنى هذا فوق الطاولة محدقاً إلى دان مباشرة في عينيه. «أود أن أعد برنامجاً، يمكن أن يدعى «من الأعماق» قال روبن بصوت خاسم. هنا أخرج دان علبة سجائره، فنبرة روبن لم تترك مجالاً لأي أثر من الشك. فهو لا يرجو أو يطلب بل يُعلم. كان غريغوري قد أعطى الضوء الأخضر لروبن، ولم يكن يبتغي أكثر من سؤال شكلي، كي يتمكن من الادعاء أن الأمور تمر برأيه. وشعر دان أنه يميل للموافقة والاستحسان. ايه،

حسناً! ! وماذا بعد! لكن، لا، لن يجعلهم يخضعونه بمثل هذه السهولة. وأشعل سيكارته ثم أخذ نفساً عميقاً. وعندما نفث الدخان، لم تكن ابتسامته قد تغيرت.

ـ عنوان جميل، قال بهدوء، لكن ما هو يا ترى؟ برنامج معلومات لمدة ربع ساعة؟.

ـ نصف ساعة، الاثنين، الساعة العاشرة مساء.

(يالأولاد الزنى! لقد عينوا حتى الساعة مسبقاً).

والتفت دان نحو غريغوري.

ـ أظن أن هذه الساعة قد خصصت لبرنامج غربي. فرد روبن بصوت جازم:

ـ السيد أوستن يقدر أن برنامج «من الأعماق» يجب أن يكون في هذا الوقت، فتقديم برنامج معلومات في ساعة مسموعة جيداً وطرح أسلوب جديد للنشاط سيبرهن عن سمو الشبكة الفكري: أما البرنامج الغربي فباستطاعة المرء أن يجد له مكاناً آخر.

ـ هل حسبتم تكاليف البرنامج؟ بعد البرنامج الغربي تظل إمكانية متوفرة لبيع برنامج ألعاب. أما بعد برنامج كبرنامجك، فسيتوجب علينا أن نسلم للاشيء، تقريباً، وقت البث التالي. (كان دان يخاطب روبن، لكنه بالحقيقة كان يقصد غريغوري).

ـ إذا نجح البرنامج فإن السعر لن ينخفض. رد روبن.

ـ أخشى أن تكون مخدوعاًن قال دان ببرود، إن لم تحسب أننا لن نجد شريطاً مثيراً خلال نصف ساعة من الأخبار. (وتساءل لماذا ظل غريغوري صامتاً لا ينبس ببنت شفة تاركاً إياه يتعارك وحيداً مع أفكار هذا المثقف العجيبة).

ويدا روبن مغلوباً:

ـ أنا لا أعلم شيئاً عن القيمة التجارية للبرنامج. بإمكانك أن تناقش هذا مع القسم التجاري. أنا هنا كي أقدم برنامج معلومات أكثر جاذبية وأعطيه انتشاراً أكثر اتساعاً وأظن أن برنامج «من الأعماق» سيكون برنامجاً مثيراً. إذ لدي النية في أن أسافر وأجري مقابلات تغطي العالم كله حول مواضيع النشاطات السياسية. وأقدر أنني سأعدّ بعض البرامج مباشرة خارج نيويورك ولوس أنجلوس. وبإمكاني أن أعدك بشيء واحد: سأقدم برامج نشاطات لم ير أحد مثيلاً لها من قبل، برامج ستكون مسلية بمقدار ما هي مثيرة.

ولم يستطع دان أن يصدق أذنيه. فراح يبحث عن دعم غريغوري الذي كان يبتسم بهيئة متملصة:

ـ متى تظن أن برنامجك سيكون جاهزاً للبث؟ سأل دان وهو يفكر (شيء أغرب من أن يكون حقيقياً).

ـ في تشرين الأول.

ـ ومن هنا حتى ذلك الحين ألن تقدم شيئاً؟ لا جريدة متلفزة ولا ريبورتاج؟.

ـ هذا الصيف سأغطي المؤتمرات الحزبية.

ـ أظن أنك ستأخذ جيم بولت معك. صورته معروفة حسناً عند المشاهدين وقد قام بعمل جيد في الـ /56/.

ـ كان دون الكل، أجاب روبن بغير انفعال، جيم ممتاز بالنسبة لجريدة الساعة السابعة مساء لكن بالنسبة لهذا النوع من الريبورتاج أعتقد أن الفاعلية تنقصه. أنا على أتم الاستعداد لتشغيل طاقمي الخاص.

ـ وهل لك أفكارك الجاهزة، أم تخبئها لنا كمفاجأة؟ سأل دان.

ـ كل شيء جاهز في فكري تقريباً (والتفت روبن نحو غريغوري أوستن) سوف نكون أربعة: سكوت هندرسون، أندي بارينو، جون ستيفنز وأنا نفسي. هذه المرة أمسك غريغوري بزمام الكلام.

ـ لماذا أندي بارينو وهو ليس اختصاصياً بالمسائل السياسية؟ أنا لا أرى ضرراً في أن يأتي من ميامي، لكن من أجل مؤتمر..؟

ـ اختصاصي بالنسبة للمؤتمر، أجاب روبن، فأندي زميل دراسة لبوب كندي...

ـ إذن ما هو التقدير؟ تدخل دان.

ـ أعتقد أن جون كندي سيكون المرشح الديموقراطي.. وصداقة أندي مع آل كندي يمكن أن تكون ذات أهمية كبرى بالنسبة لنا.

فقهقه دان ضاحكاً:

ـ لا أظن أن لدى كندي أقل حظ بالنجاح، لقد تقدم عام 56 لمنصب نائب الرئيس وخسر، إنه ستيفنسون الذي سيكون مرشح الحزب الديموقراطي.

فتأمله روبن:

ـ دعك لجداولك وأسعار برامجك يا دان، فهذا ميدان تعرفه جيداً. أما السياسة والنشاطات الاجتماعية فهذا ميداني أنا. ستيفنسون نموذج جيد لكنه سوف يلملم نفسه في آخر لحظة. وتدخل غريغوري قائلاً:

ـ دان، إنني مع إطلاق يده في كل ما يتعلق ببرنامج «من الأعماق». الجداول شيء جميل، لكننا بحاجة لبرنامج ذي اعتبار. وإذا نجح روبن في تغطية المؤتمر بشكل جيد، فإنني أعتقد أن برنامج «من الأعماق» سيحقق: نجاحاً تجارياً كبيراً.

ـ هل تظن أن باستطاعتك أن تقدم أفضل مما يقدمه ونكيت وهنتلي وبرنكلي والأشخاص الآخرون المماثلون؟ سأل دان مع ضحكة خفيفة في صوته.

ـ سأبذل ما في وسعي. بفضل أندي بارينو سيكون بإمكاني تسجيل مقابلة مع جون كندي وإن نجحنا، ستكون ضربة موفقة جداً نبدأ بها برنامج «من الأعماق»، وحينذاك بإمكانك أن تتأكد أن السيد نكسون سيكون مسروراً للغاية أن يوافق لي على مقابلة تستغرق المدة نفسها. وغمغم دان قائلاً:

ـ لقد وجدت مرشحين لتنفيذ فكرتك، وهذا يؤمن لك برنامجين لكن ماذا بعد؟ ماذا تنوي أن تفعله؟ حتى هنا، وبمقدار ما أستطيع الحكم فإن برنامجك ليس إلا منبراً لمرشحي الرئاسة.

فابتسم روبن بهيئة متراخية:

ـ إنني أضع في حسابي أن أذهب لمقابلة بعض الممثلين المشهورين مثل بول سكولفيلد ولورنس أوليفيه. بعدئذ سأقابل ممثلاً أمريكياً من المستوى نفسه كي أجري مقارنة بين وجهات نظرهم. في أيار، ستتزوج الأميرة مارغريت توني ارمسترونج. لدي صديق صحفي على صلة وطيدة بتوني، وسيكون بإمكاني أن أسجل مقابلة معه. كما أن لدي النية أيضاً في الذهاب الأسبوع القادم إلى سان كانتان كي أقابل كاريل تشيان، وقد حدد موعد المقابلة في أيار.

ـ سيبلغك تأجيلاً جديداً للموعد، قال دان. فرد روبن:

ـ أنا لا أفكر به. لكن هناك الحركة المضادة لعقوبة الإعدام.. وهناك غيرها وغيرها وإنني أقدر أهمية تقديم برنامج «سؤال وجواب».

ـ هذا موضوع جدلي نوعاً ما، احتج دان. كل المواضيع التي اخترتها هي إلى حد كبير مواضيع للطليعة. والناس لا ترغب كثيراً في أن تصدع رأسها.

ابتسم روبن لكن دان لاحظ أن بسمته كانت متجمدة.

ـ أعتقد أنك تحط من قدر الناس يا سيد ملر.

وابتلع دان غضبه فأخرج علبة سجائره ثم أشعل سيجارة، ومن جديد استعاد قدرته على أن يضفي على صوته ما يجب أن يضفيه من تواضع ورقة:

ـ أفكارك نبيلة ورائعة، لكن بما أنك تقاتل طواحين الهواء فإن عليّ أن أتحمل انزعاج الشركاء وتنظيم البرامج والحسابات، وقبل أن تنطلق في مهمتك هذه، أرى أن علينا أن نستمزج رأي بعض الشركاء: فبعد كل شيء، شبكة التلفزيون هي لعبة الإدارة. ثم، إنك لا تستطيع أن تنطلق بعمل هامٍ وخَطِرٍ متنظراً مني أن أغطيك إن لم أكن أعرف خطتك. إنني أقدر شجاعتك وحماستك لكن هل رأيت برنامج الآي بي سي، والإن بي سي والسي بي سي؟ علينا أن نقدم تنويعات إذا أردنا أن نبقى في ساحة المنافسة.

ـ ليس في نيتي أن أهرب لك طرائدك. قاطعه روبن بحدة، فأنا هنا لكي أعطي دفعاً جديداً للمعلومات، وربما بحكم وظيفتك عليك أن تنغرس في مكتبك لرؤية النجاحات التي تحصل عليها الشبكات الأخرى وتقلدها، ثم تقتطع شيئاً منها إذا ناسبك الأمر. هذا شأنك وليس شأني.

كانت عينا غريغوري تلمعان فقفز على قدميه وربت كتف روبن:

ـ في سنك، كنت أتحدث مثلك. وكانت لي الحماسة نفسها عندما أعلنت أنني سأنشئ الشبكة الرابعة، متحركاً من فرع إلى آخر،

متصرفاً مثل شيطان لعين، رافضاً الاستماع إلى المشككين. امضِ يا روبن. انطلق! سأعطي توجيهاتي إلى دائرة الحسابات كي يفتحوا لك الحسابات الضرورية. هيئ لنا هذه البرامج وأنا ودان سنتكفل البقية.

فابتسم روبن وهو يتجه نحو الباب:

ـ سأشرع مباشرة بالعمل، وسأطلعك دائماً على مجريات الأحداث، يا سيد أوستن. كان دان ما يزال جالساً على كرسيه، فهب على قدميه بقليل من الحذق، بينما كان غريغوري يتأمل الباب الذي أغلق خلف روبن بإعجاب ظاهر.

ـ إنه لرجل ذو شأن! قال غريغوري، فرد دان:

ـ إذا سارت الأمور.

ـ الأمور ستسير. وحتى إذا فشل فإنه على الأقل سيكون قد صنع شيئاً. هل تعرف يا دان؟ أعتقد أنني تعاقدت من خلاله مع الرجل الأكثر حركية وحيوية في مهنتنا. عاد دان إلى مكتبه. كان برنامجه مع كريس لين قد وضع على الطاولة. فجأة بدت له الفكرة بمجملها غير متماسكة. فغطرسة روبن ستون كانت قد سطحته تماماً. مع ذلك أخذ الهاتف وطلب هوي وسيج ثم حدد معهما موعداً للقاء في الساعة الرابعة. يجب أن يسير برنامجه. برنامج «من الأعماق» سيحطم الرقم وهو متأكد من ذلك لكن غريغوري أراد أن يبين أن الرجل نفسه ديناميكي.

سيمضي إلى العمل. ربما لن يكون لديه توني أرمسترونج أو كندي ليضعهم في برنامجه. ربما ستحطمه مجلة التايمز لكنه متأكد من أن البرنامج سيحقق نجاحاً تجارياً وهو كذلك واثق من أن العلامات في الجداول سترتفع لصالح الشبكة، وعندما يجتمع العاملون فإن ما يهم هو العلامات والجداول، إذ ليست المهابة هي التي تحمل أرباح الأسهم بل الجداول. وفي مكتبه أبقى سيج وهوي حتى الساعة

السابعة، وقبل أن يسمح لهما بمغادرة المكتب طلب إليهما أن يحملا إليه أكثر من مشروع واحد: كان يريد مشاريع عديدة بخطوطها الكبيرة من هنا حتى يومين.

بعد ذهاب المؤلفين قرر دان فجأة أن يسكر، أنه يستحق أن يسكر فتوجه إلى الـ(21) وجلس إلى البار. كان الزبائن المعتادون هناك. وطلب دان كأس ويسكي مضاعفة. شيء ما كان يضايقه بخصوص مقابلته مع روبن، يصدع رأسه. إنه ليس إعجاب غريغوري بهذا النوع من الناس، وانخراطه بحماسة وهيجان مماثل. بضعة أسابيع من تدني علامات الجداول وسوف يجد نفسه أن من غير الممكن أن يعيدها بروبن ستون.. كلا لقد جرى شيء ما في قاعة الطعام، لكنه لا يستطيع أن يضع إصبعه عليه. لقد أعاد تذكر كل ما جرى في المحادثة دون أن يكتشف سبب انزعاجه وطلب كأساً مضاعفة أخرى. بعدئذ استعاد ذكرى الغداء منذ البداية ودون أن يحذف نقطة تفصيلية واحدة. فهم الرواية الكاملة لحياة غريغوري. وشعر أنه لو استطاع فقط أن يتذكر تصرفه فإنه سيستطيع أن يحدد مع من وضد من يجب أن يضع نفسه.

صراعه مع روبن كان واضحاً جلياً. الأحداث ستعطيه الحق وسيخرج من الصراع أكثر قوة مما كان. عند هذه النقطة شعر وكأنه بلغ مفتاح الخطر الأكثر جدية والذي يمكن أن يضيعه. وفكر بإثيل، ربما سيكون من الأفضل أن يذهب معها ويرتاح من كل شيء. بإمكانه أن يطلبها إلى منزله كي تمارس معه اللعبة العظيمة، لعبة الحب. مع إثيل ليس المرء بحاجة لأن يتعب نفسه كي يرضيها. بالحقيقة، كان قد أخذ انطباعاً أنها تفضل اللعبة أيضاً حتى حين لا تتعرى من ثيابها. ويدأ يحس بالتحسن. مع ذلك ففي أعماقه كان الضيق الصغير

ما يزال موجوداً، إنه شيء ما له علاقة بروين ستون. ومرة أخرى استعاد في ذاكراته مجريات الغداء من اللحظة الأولى حتى خروج روبن وقوله: «سأشرع مباشرة بالعمل».

ضرب دان كأسه بوحشية على الطاولة إلى حد أنها انكسرت، فأسرع أحد الخدم يصلح الأضرار بينما صب له الساقي في الحال كأساً مضاعفة أخرى عبها دان على الفور. يا لله! إنها هنا، العبارة الأخيرة التي قذفها روبن: «سأطلعك على مجريات الأحداث، سيد أوستن».

«سأطلعك على مجريات الأحداث سيد أوستن».

إنه، هو دانتون ملر، من يجب أن يقدم له روبن الحسابات. ودانتون ملر بدوره يتحمل مسؤولية نقلها إلى أوستن. ابن الزنى هذا ماذا فعل؟! لقد قفز من فوق رأسه! ولم يحتج غريغوري. حسناً، حسناً!! هاهنا الجواب على السؤال. لا بد أن برنامجه مع كرستي لين جاء نوعاً من النحس لكن عليه أن يخرج رابحاً.

مضى دان إلى حجرة الهاتف يطلب إثيل:

ـ هل تأتين إلى بيتي!

ـ لست فتاة تحت الطلب.

ـ ماذا تعنين بقولك هذا؟

ـ إنني لم أتعش بعد.

ـ حسناً، لنتعش في مطعم البي ـ جي إس

ـ ألا يوجد مطعم سواه في البلد؟

ـ اسمعي يا ملفوفتي قال بصوت أكثر رقة، إنها الثامنة والنصف. وأنا لا أستطيع أن أسمح لنفسي بالسهر متأخراً. في الأسبوع القادم سآخذك حيث تشائين.

ـ هذا وعد!

ـ أحلف لك عليه بجداولي!!

وانفجرت إثيل ضاحكة:

ـ حسناً إذن سألبس بنطالاً.

ـ ولماذا تغيرين ثيابك!

ـ لأن فتاة تأتي للعشاء في البي جي إس في سن الواحدة والثلاثين يأخذ المرء انطباعاً عنها أنها مخدوعة، وأنها تأمل أن تذهب إلى «فوازان» أو «كولوني» لكنها عندما تصل بالبنطال فإن الناس يفكرون أنها ليست مخدوعة وأنها هي التي قررت المجيء.

ـ أنت تحسبين كل شيء، يا للعنة!

ـ أجل أحسب حتى تصرفاتك أيها القائد.

وابتسم، فلم يكن يرغب في مخالفتها:

ـ حسناً إذن. لنلتق بعد نصف ساعة.

وعاد إلى المشرب يفرغ كأسه، ثم تأمل ساعته. إنه لشيء مزعج تماماً أن يظهر بصحبة إثيل وليس بالشيء الحسن أبداً أن يراه الناس بانتظارها. طلب لنفسه قدح وسكي مزدوجاً آخر وشعر بأحدهم يربت كتفه. إنها سوزي مورجان. يا لله! كم هي عذبة وجميلة!!

ـ دان هل تعرف توم ماتيو!

ووجد دان نفسه وهو يشد على يد عملاق ذي شعر رملي أصهب. هذا الاسم يعني له شيئاً ما! آه، أجل، لقد طرح هذا الاسم في الإدارة القانونية في السي بي إس، أم عساه في الان بي سي! وضغط العملاق على يده إلى حد كاد يحطم له عظامه. يالله كم هو نضر وقوي!!

ـ انظر، دان! (ومدت سوزي يدها فلمعت على بنصرها ماسة صغيرة فوق محبس من الذهب).

ـ أوه! أوه! متى جرى هذا؟

ـ هذا المساء! أخيراً! الخاتم أقصد. لقد كنا نخرج معاً إلى هنا وهناك منذ سنة. لكننا بتنا نخرج بكثرة منذ ثلاثة أسابيع، هذا مدهش أليس كذلك يا دان؟

ـ مثير، هل أقدم لكما كأساً؟ .

ـ كلا، سنتعشى هناك مع والدي توم. لكن علمت أنك هنا وأردت أن تكون أنت أول من يطلع على الخبر.

ـ ومتى ستتركينني؟ سأل دان.

ـ لكنني باقية إلا إن كنت لا ترغب في بقائي. سنتزوج في حزيران. وشهر عسلنا سيقع أثناء العطل. لدينا خمسة عشر يوماً نأخذها كعطلة. وسأظل أتمنى أن أعمل معك يا دان، حتى اليوم الذي يوفر لي الحظ فيه أن أنتظر طفلاً. (واحمرت ثم نظرت إلى العملاق الأشقر بنوع من العبادة).

فوافق دان قائلاً:

ـ حسناً، لكنك ستقولين لي ما تودين أن أقدم لك كهدية.

ورآهما يغادران القاعة. ليس للإنسان الحق في أن يكون سعيداً هكذا. هو نفسه لم يمر بشيء كهذا قط.

نظر دان إلى ساعته، يالله!! إنها العاشرة! وقع ورقة الحساب ودفع حساب ما كان قد شربه. وعندما خرج نادى سيارة أجرة وعاد إلى منزله. لتنتظر، إثيل إذن! ومن هي إن انتظرت؟ إنه لا يهتم أو يحسب حساباً لهذه العاهرة! فهي ليست إلا مستخدمة مسكينة ـ أما هو: فرجل ذو شأن كبير.

الفصل السادس

انتظرت إثيل، وفي العاشرة والنصف طلبت دان على الهاتف، فأجاب بعد عدة رنات:

ـ ما هذا؟

ـ هذا أنا، أيها السكير القذر!! إنني أنتظر في الـ بي جي اس.

وسمعت طلقة السماعة على الجهاز فتأملت سماعتها لحظة من الزمن ثم علقتها محمرة من الخجل. يالله!! لماذا ورطت نفسها معه! ليس دان ممثل سينما كي تنام معه ليلة واحدة. بل حتى ممثل السينما لا يمكن أن تسمح له بإهانتها. عادت إلى طاولتها. دفعت حسابها وألقت نظرة أخيرة حولها. فلاحظت أن الكل يتأملون فتاة جميلة جداً كانت قد دخلت لتوها إلى القاعة بصحبة رجلين. يالله كم هي ساحرة! كان الثلاثة قد جلسوا إلى الطاولة الأولى قرب الباب، وبدا لها وجه الفتاة مألوفاً على نحو غامض. لا بد أنها هي من كانت صورتها على غلاف مجلة الأزياء لهذا الشهر. تأملت إثيل الرجلين بعد أن استغرقت فترة من الزمن في تأمل الفتاة وأخيراً عرفتهما روبن ستون وجيري موس الذي كانت قد قابلته عدة مرات في الوكالة.

وعلى الفور توجهت إلى طاولتهم: مرحباً جيري، قالت مبتسمة فرفع عينيه: هي! مساء الخير، قال بصوت متجرد دون أن يحرك كرسيه. فابتسمت إثيل متطلعة إلى روبن: أنا إثيل ايفانز... لقد تقابلنا من قبل، إنني أعمل في إدارة النشر في الآي بي سي. فتأملها روبن، ثم ابتسم ابتسامة متأنية:

ـ اجلسي إثيل، بإمكانك أن تنضمي إلينا، هذه أماندا.

فابتسمت إثيل بسمة صغيرة ظلت دون جواب. لقد بقي وجه الفتاة جامداً جمود القناع لكن إثيل شعرت ببوادر حزن تظهر عليه. كيف يمكنها أن تغار مني؟! فكرت إثيل، لو كنت جميلة مثلها سيكون العالم كله ملكي.

أخذت إثيل سيجارة، فمال روبن مقدماً لها شعلة. وراحت تتأمله طوال الفترة التي أضاء خلالها نور الولاعة وجهه لكنه كان قد ركز انتباهه على قدحه.

ثم خيم على الطاولة صمت مزعج. لقد بدا جيري متضايقاً، وأماندا مشمئزة وروبن غارقاً في شرابه.

ـ لقد انتهيت على التو من شغلي. أعلنت إثيل (وبدا صوتها زائغاً نوعاً ما. فصمتت ثم استأنفت هامسة تقريباً). فتوقفت هنا كي أتناول لقمة من الطعام.

ـ لا تعتذري، قال روبن المسترخي دائماً. أنت هنا فارتاحي. (ولفت انتباه الخادم) ماذا تريدين أن تأخذي يا إثيل؟ فتأملت الكأس الفارغة أمامه. لقد كانت تعتبر دائماً أنه نوع من الاحترام أن تطلب الشراب نفسه الذي يشربه مضيفها، فتلك قد تكون نقطة مشتركة بينهما.

ـ أريد بيرة، قالت إثيل.

ـ بيرة للآنسة، أعلن روبن، وكأس ماء مثلج لي.

حمل النادل الطلبات، فابتلع روبن ماءه بجرعة كبيرة. وانحنت أماندا تتذوق كأسها، ثم تجهمت وانتصبت باستعجال:

ـ روبن!، (وكانت عيناها منزعجتين تماماً).

ـ ألا تحبين الماء المثلج يا عزيزتي.

ـ هذه فودكا خالصة.

فراقبتهما إثيل ينهشها حب الاستطلاع.

ابتلع روبن جرعة جديدة ثم قال:

ـ إذن، لا بد أن مايك يخدع نفسه.

ـ كل شيء مختلط عندك: ردت أماندا بصوت بارد. روبن (ومالت إليه أكثر) كنت قد قلت إننا سنقضي السهرة معاً.

ـ لكن ها نحن معاً يا عزيزتي.

ـ أريد أن أقول (وبدا صوتها أكثر انخفاضاً وتوسلا) نحن الاثنين. أي ليس مع جيري وفتاة أخرى، فأنا لا أعتبر هذه سهرة معك.

فمسد لها شعرها ثم قال: لقد قلت لإثيل أن تبقى مع جيري. وهكذا يمكن اعتبارنا زوجين معاً.

لكن ظل وجه أماندا دون أثر من تعبير.

ـ روبن، لدي صور بالألوان في ساعة مبكرة من صباح الغد. كان علي أن أبقى في البيت كي أغسل شعري وأنام. لكنني خرجت كي أكون معك، وها أنت تشرع بالشراب!!

ـ ألست هنا على ما يرام؟

ـ سأكون على أفضل ما يرام في المنزل. أنت لست بحاجة إلي، إن كانت الغاية من بقائي أن أجلس وأراقبك وأنت تشرب.

فتأملها روبن لحظة من الزمن. بعدئذ عادت ابتسامته المتأنية للظهور. والتفت نحو إثيل.

ـ في أية ساعة يتوجب عليك أن تستيقظي صباحاً؟

ـ أنا لست بحاجة للنوم من أجل جمالي، ردت إثيل، فهذا لن يصلح شيئاً.

فابتسم روبن قائلاً:

ـ جيري، يبدو أننا سنبدل شريكتينا.

حملت أماندا حقيبتها ونهضت:

ـ روبن، أريد أن أعود إلى المنزل.

ـ كما تشائين يا عزيزتي

ـ إذن! وكانت عيناها مغرورقتين إلى حد لا يسمح للوعيد. بأن يظهر فيهما.

ـ اجلسي، أمرها بلطف، إنني أحب كثيراً هذا المكان وبودي أن أبقى لحظة أخرى.

عادت أماندا تجلس منخفضة المعنويات وفي عينيها بريق التحدي ثم راحت تنتظر تتمة الأحداث.

فتصرف جيري موس بهيئة المنزعج قائلاً:

ـ إثيل، ربما كان على المرء أن ينسحب من تلقاء نفسه. لدي زميل قريب من هنا يمكنه أن يصنع أمسية رائعة.

ـ أنتما تبقيان هنا، قاطعه روبن بصوت هادئ، إنما بنوع من الأمر.

ثم التفت إلى أماندا بابتسامة رقيقة:

ـ إنها جميلة، أليس كذلك؟ وهي بحاجة للنوم. إنني أتصرف معها بكل لؤم، هل ترغبين حقاً بالمغادرة يا ملفوفتي؟ فوافقت بهزة من رأسها كما لو أنها كانت خائفة من عدم قدرتها على السيطرة على صوتها. فانحنى وطبع قبلة على جبينها:

ـ ضع أماندا في تكسي يا جيري، ثم عد. بعد كل شيء، ليس للمرء أي حق في أن يحرم عارضة أزياء من النوم بحجة أنه يرغب في إمتاع نفسه.

فنهضت أماندا واتجهت نحو الباب يتبعها جيري بنوع من الخور. كل من في المشرب كانوا يتطلعون إليها وهي تبلغ باب الخروج. وما أن أصبحت خارجاً حتى انهمرت بالبكاء.

ـ جيري، ما الخطأ الذي ارتكبت؟ أنا أحبه، أحبه كثيراً! فماذا فعلت؟

ـ لا شيء يا حلوتي. فهذا المساء يبدو كل شيء غير ذي أهمية بالنسبة له. وعندما يكون في هذه الحالة، لا يوجد شيء في العالم يستطيع إخراجه منها. لكن غداً سيكون قد نسي كل شيء.

وصفر داعياً تاكسي:

ـ دعه يعلم أنني أحبه يا جيري. لا تترك هذه العاهرة الكبيرة تضع يدها عليه. فهذا هو ما تبحث عنه، أليس كذلك؟

ـ عزيزتي، إثيل ليست إلا قناصة صغيرة. روبن يعرف ذلك جيداً. وعليك أنت ألا تفكري إلا بأن ترتاحي هذه الليلة.

توقفت تاكسي، ففتح لها الباب:

ـ جيري، أريد أن أعود إلى هناك، لا أريد أن أتركها...

فدفعها إلى داخل التاكسي:

ـ أماندا، أنت لا تعرفين روبن إلا منذ بضعة أسابيع. أما أنا فإنني أعرفه منذ سنين. ما من شخص يستطيع أن يملي عليه سلوكه. هل تريدين أن تعرفي ما فعلته من خطأ؟ هو مجرد افتراض بسيط من لدني، لكنني أظن أنك تصرفت كزوجة. قلت له ألا يشرب، لا تضغطي عليه، أماندا، فهذا رجل بحاجة للهواء. لقد كان دائماً كذلك. حتى في الجامعة. والآن عودي إلى منزلك. ارتاحي جيداً. وأنا واثق أن كل شيء سيكون قد أصبح غداً طي النسيان.

ـ جيري، أخبرني عندما تتركه، مهما تكن الساعة. ثم، كيف تريدني أن أنام بعد أن فارقته بهذه الطريقة؟ أرجوك، يجب أن أعلم، حتى لو قال لك إنه سينهي كل شيء بالنسبة لي أو حتى إن أخذ هذه الفتاة...

ـ هو لن يقول لي شيئاً، يجب أن تعرفي هذا.

قدَّر جيري أن السائق كان يتابع المشهد باهتمام بينما كان العداد يدور، فأعطاه عنوان أماندا.

أنزلت أماندا زجاج النافذة:

ـ أخبروني، جيري! (ثم انحنت وأمسكته من ذراعه). أرجوك!!

فوعدها جيري ثم راقب السيارة وهي تختفي مشفقاً كل الإشفاق عليها. لقد تصرف روبن تصرف السادي هذا المساء، منطوياً كلياً على نفسه. كان جيري قد تعلم أن يكشف هذا الجانب من شخصيته، هذا الجانب الذي ربما كان يضفي عليه شيئاً من السحر. فعلى المرء دائماً أن يقدر أن روبن قد يتصرف على نحو غير متوقع كما جرى هذه الليلة حين دعا إثيل إيفانز، وجعلها تنضم إليهم. وعاد إلى الطاولة:

ـ ما رأيك بالهامبورغر؟ اقترح جيري.

ـ باستطاعتك أن تعد نفسك بتوفير وجبة، رد روبن، فقد زوغت من جلسة رياضية الأسبوع الماضي.

ـ إنني أسكن قريباً من هنا، تدخلت إثيل، لماذا لا نصعد إلى هناك؟ثم إنني موهوبة بصناعة العجة. (وتأملت جيري برهة ثم أضافت) ولدي شقراء صغيرة ساحرة تسكن معي. ربما ستكون قد صنعت كعكة حول رأسها، لكن إن أعطاها المرء خمس دقائق فسوف تكون على أتم الاستعداد.

ـ أنا لست جائعاً. سنصحبك إلى منزلك، بعدئذ سيرافقني جيري. ثم جمع بقية الحساب وقدمه لجيري (هذا من أجل فاتورة نفقاتك).

كانت إثيل تسكن في الـ 57، الشارع رقم 1. وسارت بخطا واسعة كي تستطيع اللحاق بروبن.

ـ هل تسكن قريباً من هنا؟ سألته.

ـ على الضفة.

ـ نحن إذن جيران...

ـ هذا نهر كبير.

وتابعا بصمت. لم تكن إثيل حتى الآن قد وصلت إلى شيء، فقد أجاب بطريقة تقطع كل محادثة تماماً.

وتوقفوا أمام بنايتها.

ـ هل أنتما متأكدان أنكما لا تريدان الصعود معي وتناول قدح ما؟ سألت إثيل. لدي فودكا مضمونة المنشأ.

ـ كلا إنني عائد إلى منزلي.

ـ حسناً، أظن أن المرء سيراك في المستقبل. وأنا واثقة أنك ستسر في الآي بي سي. وإذا كان هنالك شيء أستطيع فعله...

فابتسم بتمهل: ـ إنني أسر حيثما أذهب، تصبحين على خير يا حلوتي. ثم ابتعد وفي إثره جيري.

راقبتهما إثيل وهما يدوران حول زاوية الشارع. لقد كانت تشتهي روبن إلى حد المرض. لماذا كانت دائماً بحاجة للممازحة وللقيام بمحاولات الإغراء؟ أي أثر يمكن أن يتركه عليك أن يكون لك رجل يهتف لك، يشتهيك ويعتبرك المرأة الأكثر روعة في العالم؟ وسارت باتجاه النهر غارقة الوجه بالدموع. أوه، يا إلهي! هذا ليس عدلاً!

لماذا وضعت لي قلباً؟ لماذا وهبتني أحاسيس فتاة جميلة في غلاف غليظ لفتاة ريفية؟ لماذا ليست عواطف مثل هؤلاء الفتيات عامية كأجسادهن؟ إذن لكان باستطاعتها أن تتزوج بيترسنوسك وربما أيضاً أن تعيش سعيدة بقربه. أوه يا إلهي! صرخت بصوت عال، أريد بكل بساطة أن أكون شيئاً ما، أن يكون لي أيضاً رجل هو نفسه شيء ما، رباه أهو كثير هذا الطلب؟ وفجأة أحست بعزلة لا تحتمل. أحلام، مغامرات ليلية... لكنها لا تملك شيئاً من هذا كله. بالتأكيد كانت لديها شقة لطيفة مترفة بالمقارنة مع بيوت هامترامك، لكنها لم تكن إلا شقة من ثلاث غرف تتقاسمها مع فتاة أخرى عزباء، لم تكن هي الأخرى تعرف إلا الحب العابر. صحيح أنه شيء رائع أن تضم بين ذراعيها ممثلاً شهيراً لكن في الغد يكون كل شيء قد انتهى.

عادت إثيل باتجاه بنايتها. لقد كانت مقتنعة أن روبن في هذه اللحظة بين ذراعي أماندا.

وطردت الفكرة من ذهنها. من غير المفيد أن يشقي المرء نفسه، فهناك أماسٍ أخرى.

بعد أن تركا أثيل، سار جيري وروبن شوارع عديدة صامتين.

ـ ما رأيك بتناول قدح سريع؟ اقترح روبن عندما كانا يعبران بأحد المشارب. فتبعه جيري دونما كلمة، سأله بعد قليل.

ـ أين تضع هذا كله؟

وللمرة الأولى لم يبتسم روبن، بل نظر إلى قدحه بأسى:

ـ بالحقيقة، عشت طويلاً دون شراب حتى انتابني شعور بأنني تأخرت عن الإمساك بشيء مقدس ما. إنني أنحدر من عائلة متمسكة بقواعد الصحة العامة. تصور والدي لم يذق نقطة كحول قط. فقهقه جيري ضاحكاً:

ـ أنا الذي كنت أحسبك ولداً مرحاً في الجامعة!

فتأمله روبن كما لو أنه يراه للمرة الأولى.

ـ هل كنت في هارفارد يوم كنت أنا؟

ـ تسبقني بصف واحد، أجاب جيري بتواضع، وقد سر كثيراً أن أحداً لم يكن معهما. فكل الناس يعرفون أن روبن وجيري زميلا دراسة وأن صداقتهما تعود لتلك الحقبة. لكن هذه إحدى سمات روبن الوحشية فهو يبدو مهتماً دائماً لكن المرء لا يعلم متى يسجل في ذهنه ما يمر أمامه ومتى لا يسجل. وفجأة شعر جيري أنه غاضب من نفسه لخضوعه. فالتفت إلى روبن بنفحة مفاجئة من الشجاعة.

ـ يا للعنة، أين إذن تظننا قد التقينا؟

ففرك روبن ذقنه وهو يفكر:

ـ لم أفكر بالأمر أبداً يا جيري. فكثيراً ما أقابل الناس، وافترض أنني ذات يوم في مطعم اللانسر مثلاً رفعت أنفي فإذا بك أمامي.

طلب روبن الحساب وغادرا المشرب صامتين حيث رافق جيري روبن حتى بنايته. وعلى ضفة النهر خطرت في ذهن جيري فكرة لأول مرة، فكرة عدم دخوله شقة روبن من قبل. فهو إما أن يرافقه إلى باب منزله أو يلتقيا في مشرب. وعندما اقترح عليه روبن بشيء من اللامبالاة أن يصعد معه كي يشرب القدح الأخير أحس بالانزعاج. كان بإمكان المرء أن يقرأ هذه النظرة الواضحة في أفكاره. وهكذا غمغم: لقد تأخر الوقت.

ـ هل تنتظر زوجتك بقرص من المعجنات؟ سخر روبن.

ـ كلا، لكن أمامي طريقاً طويلاً إلى المنزل. ثم، لدي موعد في الصباح الباكر.

ـ كما تريد.

ـ حسناً، كأس بيرة على السريع إذن، وافق جيري.

وتبع روبن إلى المصعد، مفكـراً أنـه سـيتمكن مـن تمريـر بـضع كلمات لصالح أماندا. كانت الشقة مريحة، حسنة الترتيب والأثاث.

ـ الفتاة التي كنت أعرفها ـ قبل أماندا، علق روبن مـشيراً بحركـة دائرية من يده.

ـ لماذا تصرفت على هذا النحو القاسي مع أمانـدا هـذا المـساء؟ إنها تحبك. وأنت ألا تشعر بأية عاطفة تجاهها؟.

ـ كلا

فتأمله جيري طويلاً ثم سأله:

ـ قل لي يا روبن، هل يحـدث لـك أحيانـاً أن تـشعر بـشيء؟ ألا تشعر بأي شيء على الإطلاق؟ شعور؟ عاطفة؟

ـ ربما كنت أشعر بكـثير مـن الأشـياء. لكـنني أظـل عـاجزاً عـن إظهارها (وابتسم روبن). إنني أتصور أن حياتي قد تكون أكثـر سـهولة لو أستطيع تغيير نفسي فأنا كالهنود، عندما أمرض أدير رأسـي باتجـاه الحائط وأنتظر حتى أشفى.

فنهض جيري:

ـ لعلك لا تحتاج الناس يا روبـن. ولعمـري، لـيس هـذا بـالأمر الحسن. لكنني صديقك. أنا لا أعرف لماذا، لكن هكذا هي الأمور.

ـ ترهات. إنك معي لأنك ترغب في ذلك أنت نفـسك قلتـه: أنـا لست بحاجة لأحد.

ـ ألم تجرب أبداً شعور العرفان بالجميل؟ (وكان جيري يعلم أنـه مضى بعيداً لكنه لم يكن يستطيع كبح نفسه).

ـ بلى، أثناء الحرب. أنقذ أحدهم حياتي رغم أنه لم يكن يعرفني. لقد كان في طائرة أخرى. وفجأة أعطاني إشارة من يميني. كانت طائرة مسر شميت تنقض علي فغصت بسرعة مبتعداً، وبعد دقيقتين أسقط هو نفسه. إنني مدين له بشمعة كبيرة، مدين له بحياتي. لقد حاولت جاهداً أن أعرف هويته. لكن في ذلك اليوم كانت قد أسقطت لنا سبع طائرات، وكان بودي أن أفعل أي شيء لهذا الإنسان. كنت سأتزوج أرملته إن رضيت بالزواج مني. لكنني لم أستطع أبداً أن أكتشف هويته.

ـ إذن كنت تشعر ما يشعر المرء به تجاه جراح؟

ـ تس ـ س ـ س قال روبن هازاً برأسه: واجب هذا أن ينقذني ما دمت أدفع له مقابل ذلك، أما هذا الطيار فلم يكن يعرفني ولم يكن مديناً لي بشيء. بقي جيري صامتاً لحظة من الزمن، ثم سأل أخيراً:

ـ ماذا تنتظر من صديق؟

ـ لا أدري، فلم يكن لي صديق أبداً.

واتجه جيري نحو الباب قائلاً: روبن، أنا لن أقدم لك سكين الكشافة الخاصة بي، ولن أنتظر إلى أن تعبر الطريق أثناء الإشارة الحمراء كي أنقذ حياتك. لكنني صديقك وسأقدم لك نصيحة طيبة: لا تتخل عن أماندا بالسهولة التي تتخلى بها عن أية فتاة أخرى. إنني لا أعرفها جيداً، لكنَّ ثمة شيئاً فيها لا أستطيع تحديده إنما أستطيع تمييزه، هذا الشيء يقول إنها فتاة جيدة. فوضع روبن كأسه ثانية واجتاز الغرفة.

ـ يا للعنة! لقد نسيت العصفور!

ثم دخل المطبخ وأشعل النور فتبعه جيري. على الأرض كان هناك قفص كبير، في أسفله عصفور صغير جامد دون حراك.

ـ لقد نسيت أن أطعم سام، شرح روبن وهو يخرج قطعة من الخبز.

ـ إنه عصفور أليس كذلك؟ سأل جيري.

فاقترب روبن بفتات من الخبز، وكأس من الماء، وقطارة. ثم انحنى وأمسك بالعصفور الذي كان قد هدأ في يده.

ـ هذا الشيطان الصغير أراد أن يطير باكراً فسقط من عشه وكسر جناحه أو بالأحرى أنا لا أعرف ما جاء به إلى رصيفي وحين رأته أماندا، وبشكل طبيعي، أسرعت فاشترت له قفصاً، لكنها لا تستطيع أخذه إلى بيتها: فلديها قط سيامي. هذا الحيوان اللعين يستطيع أن يتسلق الحيطان وهكذا بات لزاماً علي أن أعتني به أنا نفسي.

ثم أمسك العصفور بلطف شديد بيده ففتح هذا منقاره بهيئة المنتظر. فتت روبن شيئاً من الخبز ثم أدخله في منقاره وازداد ذهول جيري عندما رأى روبن، وبمساعدة القطارة، يسكب قليلاً من الماء في منقاره. ابتسم روبن بهيئة المنزعج قائلاً:

ـ للأسف، لا يستطيع الشرب بطريقة أخرى.

ثم أعاد العصفور إلى القفص وأغلق الباب. فنظر إليه العصفور، يشع في عينيه الامتنان والعرفان.

ـ هيا، سام لقد حان وقت النوم.

بعدئذ أطفأ النور وعاد باتجاه المشرب.

ـ لا أظن أنه يعاني، قال روبن، فهو يلتهم غذاءه كالسرطان، وما أحسبه يأكل لو كان مريضاً، أليس كذلك؟

ـ لا أعرف الكثير عن الطيور. لكنني أعلم عموماً أن الطائر البري لا يستطيع العيش في الأسر.

ـ اسمع، عندما أرتب هذه القضية الصغيرة سأعيد له حريته. الأمر في غاية السوء، ترى هل لاحظت كيف يطبق منقاره طلباً للماء عندما يكون قد أكل فتات الخبز؟ وشعر جيري بأنه متعب للغاية. لقد بدا له نوعاً من السخف أن يستطيع الإنسان معاملة العصافير بمثل هذا اللطف بينما يعامل امرأة تحبه بمثل تلك القسوة.

ـ لماذا لا تخبر أماندا أن العصفور على ما يرام؟ اقترح جيري.

ـ لا بد أنها نامت منذ أمد طويل، أجاب روبن، فمهنتها أولاً. ثم اصغ إلي. لا تصدع رأسك بأماندا. لقد نفشت نفسها بشكل سيء وهي تعرف النغمة.

كان روبن يسكب لنفسه قدحاً آخر عندما تركه جيري. ورغم أن الوقت كان متأخراً إلا أنه قرر الذهاب سيراً على الأقدام حتى المرآب. هذا المشوار سيساعد على توضيح أفكاره. ووقف بدافع غريزي في إحدى الصيدليات ليخابر أماندا.

ـ جيري! كم أنا سعيدة باتصالك هذا!. ذهب مع تلك العاهرة الفظيعة، أليس كذلك؟

ـ لا، لا، إكراماً لك تركنا تلك العاهرة أمام بيتها بعد عشرين دقيقة من مغادرتك لنا.

ـ لكن الوقت متأخر. ماذا صنعتم حتى الآن؟ لماذا لم تهتف لي مباشرة إذن؟ على الأقل كنت قد استطعت النوم.

ـ الحقيقة، تمشينا، ثم دخلنا مشرباً، ثم سرنا ثانية حتى منزله، حيث شربنا وتحدثنا. بعدئذ أطعم روبن ذلك العصفور الشيطاني. وعندما تركته قدم لي تقريظاً له: إنه خبيث جداً، يعلم تماماً متى يريد أن يشرب.

فشرعت بالضحك مرتاحة النفس.

ـ أوه، جيري، لو أطلبه!

ـ لا، أماندا، تماسكي. تصرفي ببرود أرجوك، ودعي الزمن يفعل فعله.

ـ أعرف، سأبذل كل ما في وسعي. الأمر سهل حين يكون المرء خالياً. إنه حينذاك يفعل ما ينبغي فعله على نحو آلي، بل يستطيع أن يتصرف بكل برود ودونما أي جهد. لكن عندما يحب المرء فالأمر يختلف. من قبل، لم يحدث لي أن أحببت أبداً، أما الآن فإنني أعشقه يا جيري.

ـ لا تظهري له ذلك.

فضحكت ضحكة صغيرة مغتصبة وعقبّت:

ـ شيء سخيف أليس كذلك؟ شيء سخيف أن تحب إنساناً وأن تكون مجبراً على إخفاء ذلك عنه. جيري، قل لي، أنت رجل: هل زوجتك تتظاهر بالبرود تجاهك؟ هل حدث أنها أغرتك؟

فضحك:

ـ ماري ليست نجمة من نجوم عرض الأزياء، وأنا لست روبن ستون، وإن لم أعد إلى منزلي فإنني سأغامر بأن لا يبقى لي حتى زوجة. إذن تصبحين على خير يا حلوتي.

الفصل السابع

في صباح اليوم التالي استيقظ روبن الساعة السابعة شاعراً أنه على ما يرام. كان بإمكانه أن يشرب ما شاء من الفودكا دون أن يخشى الثمل أبداً. أياً كان السبب الغامض الذي تعود له قدرته على تحمل الشراب فقد قرر أن يستفيد من هذه الميزة طالما استمرت قدرته هذه مقدراً أنه ذات يوم سيستيقظ وهو في حالة أي رجل آخر شرب كثيراً في ليلته السابقة. توجه إلى البراد ثم سكب لنفسه كأساً من عصير البرتقال. بعدئذ أخذ كسرة خبز ورفع غطاء القفص. فرأى العصفور ممدداً على جانبه، مفتوح العينين، متصلب الجسد فأمسك به ورفعه في راحته وعندما أسقطه مرة ثانية شعر أن شيئاً ما داخل الجسد المسكين قد تحطم.

ـ أنت لم تتألم أبداً أيها الوغد الصغير، همهم روبن، هذا يسرني على كل حال. ثم ارتدى بنطالاً وقميصاً رياضياً وزلق الجسد الصغير في كيس من السلوفان ثم اتجه نحو النهر.

ـ سأدفنك في البحر يا سام، فليس لدي قبر أفضل أقدمه لك.

في النهر كان زورق قديم يعوم على مهل. فرمى الكيس الصغير في الماء الأسود وتأمله وهو يدوم مضطرباً في إثر الزورق.

ـ آسف أنك لن تخرج من هنا يا صديقي الصغير لكنك على الأقل ستكون قد مضيت بصحبة قلب مخلص حتى مسكنك الأخير. هذا بحد ذاته أكثر بكثير مما يأمله الكثير من الناس.

وانتظر حتى غاب الكيس الصغير عن ناظريه ثم عاد يرتقي الدرج إلى شقته.

أخذ دوشاً بارداً وبدأ يغلق الصنبور عندما بدأ الهاتف يرن. فعقد بسرعة منشفة حول جسمه ثم عاد مسرعاً إلى غرفة الهاتف تاركاً وراءه درباً من نقط الماء.

ـ هل أيقظتك يا روبن؟ (إنها أماندا) لدي جلسة في وقت مبكر وأردت أن أتصل بك قبل أن أذهب. (فتلمس حوله بحثاً عن سيجارة) روبن، هل أنت على الخط؟.

ـ إي.. (وفتش الطاولة الصغيرة بحثاً عن كبريت فرأى الكبريتة على الأرض).

ـ آسفة بالنسبة لأمس، يا روبن.

ـ أمس؟

ـ ذهابي العاجل. لكنني لم أستطع تحمل تلك الفتاة، وقد كنت متعبة ولا بد...

ـ ذلك كان بالأمس. فلا تفكري به اليوم.

ـ وهذا المساء؟

ـ أنت تدعينني للعشاء!

ـ بكل سرور.

ـ اتفقنا، اعملي لنا شرحات وسلطتك الشهيرة.

ـ روبن، كيف العصفور؟

ـ مات.

ـ لكنه كان حياً مساء أمس.

ـ آه! أجل.

ـ أخيراً.. (وفكرت بسرعة) أظن ذلك طبقاً لما قلته لي.

ـ أنت على حق. لقد مات بين الثانية والخامسة صباحاً وكان جسمه قد تصلب عندما رأيته.

ـ وماذا فعلت به؟

ـ ألقيته في النهر.

ـ لا، روبن! أنت لم تفعل هذا!!

ـ وماذا تريدين أن أفعل؟ هل أعرضه في شامبل؟

ـ لا، لكن هذا العمل يبدو غير إنساني. أوه! روبن! ألا تشعر بأي شيء أبداً؟

ـ أجل، في الوقت الحاضر، أشعر بأنني رطب جداً.

ـ هل تعرف ما أنت. إنك نوع خسيس حقاً!!

(قالت ذلك بنوع من التقريظ أكثر مما هو نوع من الغضب) فضحك ثم سمعته يسحب نفس سيجارة. وخيم صمت.

ـ روبن، ماذا تتوقع من الحياة؟

ـ الحقيقة، في هذه اللحظة أتوقع بيضاً مقلياً.

ـ أنت إنسان غير معقول فعلاً! (وضحكت لتحسين الجو) حسناً، إنني أنتظرك الساعة السابعة. شرحات وسلطة، ألا تريد شيئاً آخر؟

ـ بلى، أنت.

ـ أوه، روبن، نسيت أن أقول لك إنني مدعوة الأسبوع القادم إلى حفلة رقص (نيسان في باريس) لقد أرسلوا لي بطاقتين مجانيتين، كل منهما تساوي مائة دولار، فهل ترافقني؟

ـ أبداً، في هذه الحياة.

ـ لكن يجب أن أذهب.

ـ يا حلوتي، إذا سارت الأمور وفق مخططها فقد لا أكون الأسبوع القادم موجوداً أصلاً.

ـ أين ستذهب؟

ـ ربما إلى ميامي. فعلي أن أبدأ بتشكيل طاقم لتغطية أنباء المؤتمر مع أندي بارينو. إنه يعمل هناك في محطة (أو وأو). هل تريدين أن تأتي معي؟ هل تعرفين ميامي؟

ـ كلا يا روبن، ليست لدي عطلة. إنني أعمل الشتاء والصيف.

ـ هذا يجعلني أفكر بأن علي أن أذهب أنا نفسي إلى العمل. فإلى هذا المساء يا عزيزتي، وبحق الله أغلقي الحمام على قطك الشيطاني، فالمرة الأخيرة، لم يفارق ركبتي طوال العشاء.

فانفجرت مقهقهة:

ـ إنه يعبدك، وأنا... إنني أحبك يا روبن.

لكنه كان قد أغلق السماعة من قبل.

قفزت أماندا إلى تاكسي وأعطته عنوان اللانسر. لقد استمرت جلستها الأخيرة خمساً وثلاثين دقيقة زيادة. وهذا يعني مزيداً من المال لكنه يعني أيضاً أنها لن تستطيع المرور إلى المنزل لتغيير ثيابها، هي التي كانت تريد أن تلبس ثوبها الجديد ذا اللون الأزرق السماوي المصنوع من الحرير الطبيعي. كان روبن قد عاد من ميامي. وكانت هذه أمسيتها الأخيرة قبل رحيله إلى لوس أنجلوس حيث كان عليه أن يحضر المؤتمر الديمقراطي.

هذا اللعين نيك لونجورث، لقد أرادت أن تأخذ عشرة أيام إجازة وتذهب مع روبن إلى لوس إنجلوس. رحلة كهذه ستكون مدهشة للغاية. بالتأكيد، سيكون روبن خلال خمسة أيام المؤتمر

مشغولاً ولن تراه إلا القليل لكن بعدها، سيأخذ هو وأندي بارينو بضعة أيام للعب الجولف في بالم سبرنج. كان روبن قد قذف دعوته قذفاً لكنها على الأقل كانت دعوة إنما تصرف نيك بكل رسمية. إذ كانت قد بدأت تغدو واحدة من أشهر وأغلى عارضات الأزياء، وكان قد حدد لها مواعيد مهمة جداً في تموز. وعندما شرحت لروبن الأمر كانت تأمل أن يصرخ هاتفاً (إلى الجحيم بمواعيدك! مستقبلك.. إنه أنا). لكنه اكتفى بالقول:

ـ بالتأكيد، يا حلوتي. فأنا أنسى دائماً كم هناك من المال في صناعة الثياب الشفافة، وكان مخلصاً صادقاً.

دائماً كان نيك على حق. لقد كافحت طويلاً كي تصل إلى حيث وصلت. كانت بحاجة لأن تكسب معيشتها وإذا ما تركت اقتراحات عدة مهمة تفلت منها فلن تخسر المال فحسب بل ستكون قد تركت المجال حراً لعارضة أخرى في الوقت الذي بلغت فيه نقطة الذروة.

* * *

نظرت أماندا إلى ساعتها. كانت قد تأخرت عشر دقائق وكانت السيارة ما تزال تسير. فغرقت في مقعدها وأشعلت سيجارة، وبدا لها أنه ليس بذي فائدة أن يفقد المرء أعصابه. لا يهم كيف. كان أندي بارينو مع روبن. فهو لم يتركه ليلة واحدة مذ عادا من ميامي. وكانت قد أحبت أندي جيداً فهو وسيم جداً بل ربما كان أفضل من روبن لكنها لم تكن مفتونة بشكله أكثر من افتتانها بعارضي الأزياء أولئك الذين كانوا يصورون مواقف معها في بعض الأحيان. لقد كانوا وسيمين لكن ماذا بعد؟ وما دام ليس هنالك شيء سوى التفكير بروبن فإن رأسها يدور. لقد كانت تشعر برغبة جامحة في أن تقفز من التاكسي اللعينة وتنطلق جرياً. لكن الجو كان ثقيلاً رطباً وكانت تخشى أن تفسد تسريحتها.

ـ أمسيتها الأخيرة: كلا! يجب ألا ترى الأشياء هكذا. فهو لن يغيب أكثر من عشرة أيام، مذ عُيِّن مديراً للمعلومات أصبح طوال الوقت جوالاً هنا وهناك. كان قد ذهب مرتين إلى أوروبا. وتساءلت هل سيبقى أندي طوال الليل معهما. في المرات الأخيرة، كانوا يلتقون في اللانسر ثم يذهبون لتناول العشاء في مطعم إيطالي. ولم تكن تنفرد بروبن إلا عند منتصف الليل. وفي المرات الثلاث الأخيرة كان روبن يشرب طوال الوقت. لكن كان باستطاعته أن يعب ما يشاء من الكحول دون أن يؤثر هذا في تصرفه كعاشق. مع ذلك كانت تفضله وهو صاح. إذ ذاك كان يحصل لديها انطباع أن الكلمات الصغيرة اللطيفة التي يهمس بها في أذنها لم تكن بتأثير الفودكا.

النور المشع من المشرب جعلها تنتفض:

«هنا يا حلوتي» ميزت أماندا صوت روبن فاتجهت إلى المقصورة الواقعة في آخر القاعة. نهض الرجلان، أندي ببسمته العذبة الودية. وروبن ببسمته الصغيرة المتمهلة وعندما التقت نظراتهما المتواطئة سراً لم يبق أي شيء آخر بعينها، لا أندي ولا المشرب ولا الضجة. لقد خيل إليها أن قلبها قد توقف خلال هذه الثانية السرية المدهشة من الحميمية التي لم يكن باستطاعة أحد أن يشاركهما إياها.

بعدئذ وجدت نفسها تجلس بجانب روبن الذي استأنف الكلام في السياسة مع أندي ومن جديد شعرت بوجود الضجة ومن جديد وعت ظروف المكان. راحت تتأمله وهو يتكلم وشعرت برغبة في أن تلمسه، لكنها غرقت في مقعدها مكونة وجهاً لمؤسسة نيك لونجوورث. ابتسامة خفيفة ـ قسمات جامدة، لا تجاعيد أبداً.

وضع النادل كأس مارتيني أمامها.

ـ إنني أنا من طلب المارتيني، قال روبن، وأنا واثق أن هذا سيجعلك تشعرين على نحو أفضل، إنه لشيء قاتل أن تقضي تحت الأضواء الباهرة وقتا طويلاً كما فعلت هذا اليوم. لم تكن أماندا تحب مذاق الكحول ففي السابق (أي قبل روبن) كانت تطلب قدح كوكا قائلة بلطف «أنا لا أشرب» لكن غريزتها أنذرتها أن روبن لا يمكن أن يبقى مع فتاة لا تشرب أبداً.

معظم الأحيان كانت تظل طوال السهرة تمزمز بكأسها، وغالباً ما كانت تريق نصفه في كأس روبن لكن هذا اليوم بدا المارتيني لها طازجاً عذباً. ربما بدأت تتذوق طعم الشراب.

كان روبن وأندي قد عادا لمناقشة موضوع تسمية مرشحي الرئاسة. وأمسك روبن بيدها، وهو مستغرق في حديثه تماماً، كشكل من أشكال المشاركة. في النهاية سيتفوق اليانور روزفلت على ستيفنسون ومع ذلك ليس له أي حظ بالنجاح، أعلن روبن، وهذه خسارة، فهو رجل عظيم.

ـ ألا تحب كندي؟ سألت أماندا، (بالحقيقة، لم تكن تهتم بأي منهما أكثر من الآخر لكنها شعرت بأن عليها أن تبدي شيئاً من الاهتمام).

ـ لقد قابلته، إنه يترك سحراً غير عادي حوله. وأقدر أنني سأصوت له. لكنني أقول ببساطة إن من الخسارة أن يهزم ستيفنسون. وإنه لشيء نادر أن يرى الإنسان في الوقت نفسه نوعين مختلفين تماماً على المسرح السياسي. هذا حدث مع ويلكي، هو الذي رشح نفسه ضد روزفلت. ترى من يعرف ما كان سيحدث لو وُلِد ويلكي بعد عشر سنوات؟ بعدئذ بدؤوا يناقشون قضية تسمية نائب الرئيس. وسمعت أماندا أسماء سمنجتون، همفري، ميز، بينما كانت ترشف شرابها المارتيني وتتأمل الوجه الجانبي لروبن.

في الساعة التاسعة ذهبوا يتعشون في المطعم الإيطالي. انتهت الوجبة فاقترح أندي أن يذهبوا لتناول كأس أخيرة في مشرب البي جي اس لكن روبن رفض الاقتراح مسبباً الكثير من السعادة لأماندا.

ـ سيكون لدي عشرة أيام أقضيها معك أيها الأخ العجوز. بينما هذه هي ليلتي الأخيرة مع صديقتي الصغيرة هذه.

تلك الليلة بدا روبن في غاية اللطف والرقة. لقد مرر كفه متخللاً شعرها الذهبي وهو يتأملها بهيئة المفتون.

ـ صديقتي أماندا، أنت جميلة جداً، نقية جداً، ناعمة جداً.

وشدها نحوه مداعباً قذالها. كما ظلا يمارسان الحب حتى سقطا مستنفدين مستسلمين. بعدئذ قفز من السرير وسحبها خارجه.

ـ هيا، تعالي نأخذ دوشاً معاً.

هناك وقفا تحت الماء البارد، وهي تسخر من نفسها: ستبلل شعرها رغم أن لديها موعد عمل في الساعة العاشرة من الصباح التالي. ضمت جسده المبلل إلى جسدها بقوة كبيرة. ففي اللحظة الحاضرة كان ذلك هو الشيء الوحيد المهم، وعندما فتح صنبور الماء البارد، أطلقت صرخة، لكنه راح يضحك ممسكاً بها شاداً جسدها إليه بثبات كبير. وما إن مرت دقيقة حتى كانت قد اعتادت وكان الماء البارد شيئاً مدهشاً. عانقها روبن بينما كان الماء يجري فوق وجهيهما، بعدئذ لفا نفسيهما بمنشفة كبيرة واحدة. ثم وقفت محدقة النظر إلى عينيه.

ـ أحبك، روبن.

وانحنى يعانقها، بعدئذ قبل نهديها الصغيرين المسطحين.

ـ أحب جسدك يا أماندا، إنه نقي، صلب، مدهش. ثم حملها إلى المخدع حيث ناما مسترخيين.

استيقظت أماندا، إذ كان روبن قد نام على ذراعها حتى أصيبت بالخدر، تحرك روبن قليلاً لكن دون أن يستيقظ، ورأت عيني القط السيامي تلمعان في العتمة. يالله! كانت الليلة الماضية قد حبسته وأغلقت عليه الباب فكيف انسل إلى الغرفة واستقر على السرير؟ أخذته بلطف وداعبت رأسه، فشخر من السرور.

ـ يجب أن آخذك إلى الصالون يا سلجر، همست أماندا، فروبن لا يحب أن يجدك بين ساقيه حين يستيقظ.

وانزلقت خارج السرير حاملة القط بين ذراعيها. في اللحظة نفسها حرك روبن يده وحين وجد الوسادة خالية، صرخ:

ـ لا تتركيني، أرجوك، لا تتركيني.

فأرخت القط مباشرة وأسرعت تتمدد بجانب روبن.

ـ أنا هنا يا روبن (وشدته إلى جسدها. كان يرتعش، وعيناه مفتوحتان على سعتهما في الظلمة) روبن (ومسحت جبهته المبللة) أنا هنا. إنني أحبك ونفض نفسه كمن يخرج من الماء. بعدئذ نظر إليها طارفاً بعينيه كما لو أفاق للتو.

ثم ابتسم وجذبها نحوه: ـ ماذا جرى؟ (فتأملته مندهشة) أريد أن أقول: ما الذي جعلنا نفيق ونجلس في عز الليل.

ـ كنت أريد أن أضع القط خارج الغرفة وكنت عطشى، ثم شرعت أنت تصرخ...

ـ أنا صرخت؟ أنا نفسي؟

ـ كنت تقول: لا تتركيني.. لا تتركيني.

وللحظات عدة بدا في عيني روبن شيء يشبه الخوف. بعدئذ، ابتسم بسرعة قائلاً:

ـ حسناً، شيء غريب بالحقيقة أن لا آخذك هنا وأقطعك نتفاً لما فيك من رقة. فشدته إليها، لقد كانت المرة الأولى التي تراه فيها رقيقاً سريع العطب.

ـ لن أتركك أبداً يا روبن، إنني أحبك.

فدفعها وشرع يضحك، لقد عاد وتماسك.

ـ اتركيني عندما تريدين يا حلوتي. لكن لا تتركيني أبداً في منتصف الليل.

فتأملته مستغربة:

ـ لماذا؟

لا أعلم، قال روبن متفكراً. الحقيقة إنني لا أعلم. (وابتسم مجدداً) لكن أنت أعطيتني فكرة. أنا نفسي عطشان. (ووجه لها ضربة صغيرة على إليتها) هيا، تعالي نشرب بيرة في المطبخ.

* * *

تتابعت الفصول مضيفة لدى أماندا إرباكاً على إرباك. كان الربيع قد أدخل روبن في حياتها، ومع الصيف تحولت علاقتهما إلى نوع من الهوى. لقد ذهب روبن إلى لوس أنجلوس وشيكاغو من أجل المؤتمرات الحزبية. وفي كل مرة يعود إليها كانت تشعر بالرغبة فيه أكثر من أي وقت مضى. فحبها له رفض كل شكل من أشكال الاستقرار، لقد كان يعلو ويعلو باتجاه الذروة المحمومة، باتجاه اللانهاية وكان أكثر ما يخيفها أن روبن غير قادر على حمل عاطفة مماثلة كما أن النصر الذي أحرزه إثر تقديره عن المؤتمر لم يكن يطمئنها بأي شكل من الأشكال.

المنصب الجديد الذي احتله روبن كان يشكل لها نوعاً من التهديد. كل ما يمكن أن يبعده عنها هو نوع من التهديد. وإذا ما توجب عليها أن تفقده فإنها ستفقد سبب وجودها على قيد الحياة. كانت تتمنى في قرارة نفسها، وبكل حرارة، لو يعود ثانية صحفياً صغيراً في قسم النشاطات الإقليمية.

في أكتوبر كانا يقيمان في شقة روبن ويشاهدان برنامجه «من الأعماق». خابره غريغوري لتهنئته، وخابره أندي مهنئاً له وقائلاً، إنه التقى من جديد مطلّقة شابة وأنه وقع بغرامها.

فقهقه روبن ضاحكاً:

ـ هذا شيء عادي إذ رغم كل الفتيات الموجودات في ميامي لا بد لكاثوليكي تافه مثلك أن يقع في غرام امرأة مطلقة.

ـ لكنها ستيورات، وهي شيء مختلف: أصر أندي.

بالتأكيد، لقد اقتنع أن المسألة الدينية تضع عوائق عدة لكن بدا أن العائق الأساسي هو السيدة نفسها. فهي لم تكن تريد الزواج. وكان أندي قد تعاقد معها لتقديم نشرة موجزة عن أخبار النشاطات الإقليمية. بشكل ما، كما قال له أندي، كانا هما الاثنان، يشتغلان معاً على أقل تقدير.

أصغت أماندا بهدوء. ولعل خطتها بدأت بالتكون في عقلها في تلك اللحظة بالذات لكنها عملياً تشكلت بعد أيام عدة عندما راحت تسخر من النغمة الرتيبة لفتاة كانت تذيع موجزاً أخبارياً، واحتج روبن:

ـ لا تنقدي، فليس أمراً سهلاً أن يكون المرء طبيعياً وآلة التصوير مصوبة عليه.

ـ وماذا تظنني أفعل طوال النهار؟

فشدها صوبه قائلاً:

ـ أنت يا كلية الجمال؟ أنت تقفين خمسين مرة من أجل الصورة نفسها إلى أن تحصلي أخيراً على هيئة الملاك التي تريدين.

وإن لم يتحقق النجاح الكامل، فهناك دائماً إمكانية التحسين والتجميل بعد اللقطة.

وفكرت أماندا بذلك. إن نجحت في تقديم موجز أخباري فإن روبن سيحس نحوها بتقدير حقيقي. وعندما تحدثت مع نيك لونجوورث حول هذه النقطة انفجر ضاحكاً:

ـ هذه فكرة حمقاء يا عزيزتي الصغيرة، فما عدا الأوليات أنت لا تعرفين الكلام. هذا العمل بالحقيقة عبارة عن فن. ثانياً، أنت لا ترضين أن تكوني واحدة من فتيات عدة في مشهد جماعي. فالمرء لا يستفيد إلا من المبتدئات في هذا النوع من العمل، ولدي ثلاث متعاقدات للدعاية لنوع من البيرة. الشيء الوحيد الذي تتمكنين من فعله هو الدعاية لإنتاج ممتاز. أما ما تفكرين به فأمر ليس بالسهل.فهم يأخذون شخصية شهيرة، نجماً نموذجياً من نجوم هوليود يستطيع في الوقت نفسه أن يعطي الإنتاج اعتباراً ويجعله أكثر مبيعاً.

في أمسية عيد الميلاد زين روبن وأماندا شجيرة صغيرة في شقة الأخيرة. وقدم لها روبن ساعة على شكل سوار كهدية لعيد الميلاد. كانت هذه عبارة عن حلية ناعمة للغاية جميلة للغاية إنما دون أية ماسة فأخفت خيبة أملها. أما هي فقدمت له علبة للسجائر عبارة عن غلاف صغير من الذهب نقش عليه تشبيه بارع من كتابته.

في تلك الليلة، وعندما ذهبا للنوم قفز سلجر على السرير، فتهيأت أماندا لأخذه إلى غرفة الطعام.

ـ اتركيه هنا، فالليلة لبابا نويل، تدخل روبن، ثم أضاف بعد قليل «أوه لقد نسيت شيئاً».

ثم أخذ سترته الممددة فوق كرسي وسحب منها علبة صغيرة مسطحة:

ـ عيد ميلاد سعيد يا سلجر.

ورمى العلبة فوق السرير. فتحتها أماندا فاغرورقت عيناها بالدموع وهي ترى العقد الصغير المصنوع من الجلد الأسود، والمزود بجريسات ولوحة صغيرة فضية نقش عليها اسمه. فأسرعت أماندا إلى ذارعي روبن معانقة:

ـ أوه، تحب سلجر؟!

فضحك قائلاً:

ـ أحبه بكل تأكيد. ما أكرهه فقط هو أن يقفز علينا هنا دونما صوت. بهذه الأجراس الشيطانية سوف نسمعه عندما يأتي على الأقل.

بعدئذ أخذها بين ذراعيه معانقاً. ولم يسمعا رنين الأجراس الفضية حين قفز سلجر من السرير بازدراء، ثم غادر الغرفة.

الفصل الثامن

في كانون الثاني نشرت التايمز في تقريرها التلفزيوني تعديلات برنامج شباط. فابتسم دان برضى وسعادة وهو يرى أن برنامج كرستي لين قد وضع في رأس القائمة. لقد بذل الكثير من الجهد والعرق في الصيف كي يحصل من كرستي على أفضل ما لديه من عمل. وعندما رآه غريغوري وأعطاه الضوء الأخضر، توقف دان عن تناول المهدئات.

هذه الأمسية بالذات، كان سيحتفل بانتصاره، وهذا المشروع جعله يفكر بإثيل. ربما كان قد أخطأ بربطها ببرنامج كرستي لين. لكن يا للشيطان! عليه بالتأكيد أن يكافئها بشكل أو بآخر. فما من شخص يقدر «ملكة السرير» هذه. لقد كانت تلقي بنفسها على هذا العمل كما يلقي المدير بنفسه على كنز، وقد تصور دان أن زيادة /25/ دولاراً تهمها أقل بكثير من فرصة التقائها بنجم من نجوم هوليود كل أسبوع. ثم ماذا؟ ليست إثيل هذه إلا شبقة محبوبة ولم يكن دان متأكداً من أنه يستطيع أن يراها أكثر من مرتين إسبوعياً. إذن، إذا ما أرادت أن تضاجع ممثلين مشهورين في أوقاتها الضائعة فلماذا يمنعها من ذلك، إنها بهذه الطريقة تتوقف عن مضايقته كي يدعوها إلى الـ(21). الظاهرة العجيبة أن كرستي لين لم يترك أي جاذبية جنسية عند إثيل «إنه يجعلني أقشعر»، قالت في إحدى المرات «فبشرته شاحبة كابية إلى حد يجعلني أفكر على الفور ببطن دجاجة منتوفة». وبشكل لا شعوري كانت قد لقبته: «بي، بي»

ترك دان نفسه يستند إلى ظهر مقعده ثم ابتسم ابتسامة مشعة. ما كان عليه إلا أن يتظر شهر شباط ثم يمكنه حينذاك أن يقيم احتفالاً حقيقياً. لقد وافقت مؤسسة ألويسو على المشاركة في تقديم كرستي باعتباره «رجل الجميع». كان دان قد اختار مغنية صغيرة غير مشهورة، وخطيباً لا قيمة له كلياً وكل أسبوع نجماً ضيفاً كي يضفي نوعاً من الجاذبية على البرنامج وكان أيضاً قد اجتذب أرتي ريلاندر، المتمرس بعالم الأزياء الذي كان قد حقق شهرة في الخمسينات من خلال برنامج «المنوعات» المباشر. كما كانت ألويسو قد وافقت وتحملت تكاليف قسم الدعاية ومن جديد تهلل دان وهو يقرر كم كان لديه من فرص. فتاة جميلة خلال موجزات الأخبار يمكن أن تحقق مقارنة ممتازة مع الجانب العائلي في عرض كرستي لين.

في اللحظة نفسها كانت غارضات الأزياء الأكثر جمالاً في المدينة يحاصرن بلا شك مكتب جيري الذي كان يصغي لهن ويراقبهن كي يختار واحدة تلعب الدور الصامت لعارضة أزياء لكن كما قال له دان، عليه أن يتعاقد مع الفتاة التي يمكن أن تستمر. إنه اختيار في غاية الدقة.

وابتسم دان، إذ كان قد أمضى أشهراً حابساً نفسه مع كرستي وتابعيه اللذين لا ينفصلان عنه، سيج وهوي، إضافة لآرتي ريلاندر. أما جيري نفسه فلم يكن له من عمل إلا استعراض أجمل فتيات نيويورك في مكتبه. وهز رأسه لقد كان يرغب تماماً في أن تكون لديه مشاكل من هذا النوع لكي يحلها.

وعلى الأثر اعترضت إحدى المشكلات جرى: أماندا، بقسمات وجهها السكندينافية ووجنتيها العاليتين وغرتها الشقراء الكثيفة كانت نموذجاً كاملاً بالنسبة لمنتجات ألويسو. منذ سنة كانت تقف بشكل أو بآخر من أجل صور المؤسسة الإعلانية. وقد أراد جيري أن تعمل أيضاً في البرنامج. لكن كيف سينظر روبن للموضوع!

لعله سيقول: ماذا تأمل؟ أن تخطفها مني؟ «أو ربما يقول: شيء جميل منك يا جري وإني لأشكرك جزيل الشكر».

وفجأة كره جيري نفسه. يا للعنة! عليه أن يتصرف بما يناسب العمل لا بما يفكر به روبن. تأمل جيداً صورة ماري والأولاد الموضوعة على مكتبه. هل يحس بعواطف شاذة تجاه روبن؟ فرضية مضحكة: إنه لا يتصرف بدافع جنسي بل يحبه تماماً، يسر بصحبته، وهذا كل شيء. لكن لحظة... لماذا يسر كثيراً بصحبته؟ فأحياناً كان روبن يعامله بالحميمية البسيطة نفسها التي يعامل بها كارمان فتاة مشرب اللانسر. بينما تمر أحيان أخرى لا يوجه له فيها كلمة إلا بالكاد.

ضغط جيري على زر «الهاتف الداخلي» وطلب من سكرتيرته أن تطلب له أماندا. بعد بضع ثوان كانت أماندا تجتاز عتبة الباب. يا للمسيح!! إنها باللدونة نفسها التي يسير بها قطها اللعين. كانت ترتدي معطفاً من جلد النمر وشعرها الأشقر ينساب على كتفيها، نمرة!!

كان لديها أيضاً معطف من الفيزون. وماري، زوجة جيري، لا تملك إلا معطفاً من جلد ثعلب الماء.

جلست أماندا على المقعد المقابل دون أن تبالي بضوء النهار الذي تسلط على وجهها. وكان قد لاحظ أن عارضات أزياء أكبر سناً منها يتجنبن بحكمة بالغة مواجهة النافذة. لكن وجه أماندا لم يكن يحمل أي عيب وكانت هي تعرف ذلك.

ـ هل تتمسكين حقاً بهذا العمل؟ سأل جيري

ـ كثيراً.

ـ راقبها بكثير من حب الاستطلاع. هذه هي أماندا التي تتكلم مثل روبن: بكل وضوح وصراحة. ولاحظ أنها ألقت نظرة إلى ساعتها خلسة. طبعاً وقتها ثمين. ثم إن الساعة نفسها جذبت انتباهه.

يا للمسيح الطيب! إنها أصغر ساعة رآها في حياته: إحدى معجزات صناعة فاشرون.

كانت ماري قد أعجبت بها في واجهة كارتير، لكنها كانت تكلف أكثر من ألفي دولار مع رسوم الجمارك.

ـ لديك ساعة جميلة جداً، قال جيري.

ـ شكراً (وابتسمت) إنه روبن الذي قدمها لي بمناسبة عيد الميلاد.

كان جيري قد أرسل صندوق فودكا إلى روبن، فودكا أصلية، إنما لم يكن روبن قد أرسل إليه حتى بطاقة معايدة.

وفجأة انحنت أماندا باتجاه المكتب، بنظرة راجية:

ـ إنني أتمسك بالعمل في هذا البرنامج يا جيري! فأنا أريد أن يفتخر بي روبن (وأصبحت نظرتها أيضاً أكثر ترجياً) جيري، أنا أحبه: ولا أستطيع العيش بدونه، وأنت صديقه المفضل. فهل تظن أن لي أدنى حظ عنده؟ لقد مضى على تعارفنا سنة تقريباً ومع ذلك يبدو لي أحياناً وكأنني لا أعرفه أكثر من معرفتي به يوم التقيت به أول مرة. إنه غامض كثيراً! فما رأيك به يا جيري؟ ماذا تعرف عنه والرجال بينهم يتسارون؟

وتغير مزاج جيري منتقلاً من طرف إلى آخر. لقد كان يحس بنوع من التعاطف الغريب مع أماندا. لكن أن تكون عاشقة لروبن فهذا معناه الجحيم بالنسبة إليها.

لقد سر كثيراً لكونه رجلاً لكنه سر أكثر لكونه أحد أصدقاء روبن.

ـ جيري، أود أن أتزوجه، أود أن أنجب أطفالاً منه (وأصبح وجهها رزيناً) هل تعرف كيف أقضي أمسياتي عندما يكون روبن غائباً عني؟ إنني أتبع دورة آداب في المدرسة الحديثة. لقد أنهيت «مغامرات السيد بكويك» وبدأت دراسة تشوسر. وعندما أغامر

بالتحدث عن ذلك مع روبن فإنه يشرع بالضحك ويعاملني كمدعية، لكنني سأستمر. أحياناً أود أن يكون حبي له أقل. لكن حتى عندما يكون قد قضى الليل معي فإنه ما إن يغادرني في الصباح حتى أشعر بأنني ضائعة. فأشد على جسدي المنشفة التي مسح بها جسده، وأمررها على وجهي، بل أحياناً أطويها وأضعها في حقيبتي لكي ألامسها خلال النهار فيخيل إلي أنني أتنشق من خلالها عطره... وحينذاك أرتعش. هذا يبدو شيئاً غبياً يا جيري أنا أعرف ذلك لكن حدث لي أن فعلته مذ كان علينا أن نلتقي مساء في اللانسر. ففي كل مرة أدخل هذا المشرب، أموت خوفاً من ألا يكون روبن موجوداً. بل أحياناً يكون جالساً بجانبي ويبتسم لي ومع ذلك أقول لنفسي: ياالله! اجعل هذه اللحظة تستمر إلى الأبد. إن هذا يدهشني كل الدهشة يا جيري فهو يعني أنني أخشى كثيراً أن أفقده (وضغطت يديها على عينيها كما لو أنها تحرص على هذه الفكرة) فشعر جيري بالارتباك.

ـ أنت لن تفقديه يا أماندا! فأنت تدافعين عن نفسك ببراعة شديدة. لقد نجحت في الاحتفاظ به عاماً كاملاً تقريباً، وهذا بحد ذاته نصر (ثم مد لها عقداً). أنا متأكد من أنك ستقدمين لنا موجزاً إعلانياً رائعاً وسيسعدنا كثيراً أن نتعاقد معك من أجل برنامجنا.

بدت أماندا على حافة الانخراط بالبكاء. ثم أمسكت بالقلم وأسرعت توقع العقد وتنهض لكن عندما مدت يدها تصافحه شعر أنها قد تماسكت تماماً.

تأملها جيري وهي تغادر المكتب. من يظن أن هذه المخلوقات الرائعة تعيش قصة حب ممزقة هكذا؟ فحب روبن ستون عذاب حقيقي ولا بد إذن لكل امرأة ترتبط به أن تعلم واثقة أنه قد يفر منها في أية لحظة وأنها لا بد ستفقده بين عشية وضحاها. حقائق كانت

تظهر وتختفي لأماندا، أما هـو جـيري، فـسيظل باسـتطاعته أن يقابـل روبن في اللانسر وإلى الأبد.

بعد أسبوعين ذهب جيري لاستشارة طبيب نفساني للمرة الأولى. فنادراً ما كان يمارس الحب مـع مـاري إلى حـد جعلـه يـضطرب. في البداية أشارت للأمر بلهجة لا مبالية تقريباً:

ـ إيه، قل إذن، بين عملك أيام الأسـبوع ولعبـك الجولـف يـوم العطلة يبدو أنك نسيت شريكة حياتك.

وبدا وكأنه قد فوجئ تماماً كما لو أن تصرفه نابع من النسيان فقط.

ـ ولا مرة واحدة طوال الـصيف كلـه، حـددت الأمـور بلطـف، رغم أننا الآن في متـصف أيلـول هـل ينبغـي الانتظـار إلى أن يـصبح الطقس بارداً بالنسبة للعب الجولف؟

وانطلق يقدم الاعتذارات. فالصيف لم يكـن فتـرة عطـل بالنـسبة لمهنته، كما كان عليه أن يستعد للموسم القادم، بـل حـتى في أيلـول كان مرهقاً للغاية.

في تشرين الثاني بدأ يتمشى يومياً مـن مكـان عملـه إلى المـنزل. فالوقت ليس مناسباً كثيراً لأن يأخذ السيارة، وكان عليه أن يعـدو كـل صباح ومساء كي يلحق بالقطار. فالوقـت الـذي يقـضيه مـع روبـن في اللانسر ليس مقابل لا شيء. لقد كان يتأخر في العمل. وخـلال عطلـة نهاية العام وجد لنفسه أعذاراً جديدة. إنه يعيش حياة مضطربة.

في كـانون الثـاني: عليـه أن ينـاقش قـضايا العمـل مـع مؤسـسة ألويسو. عليه أن يكتب نصوص البرامج، ويختار الإنتاج الذي سـيقدم أولاً صبغ الشعر أم دهان الأظافر الملون! وإذا كانت ماري قد اقتنعـت بحجج كهذه فهو نفسه لم يقتنع بتاتاً بل ظـل نـوع مـن الـشك الـواخز

يعذب وجدانه. لقد كان متعباً وكان يقضي وقتاً مخيفاً وكان يعاني من الروماتزم منذ أسابيع. وأحياناً كان يقترب من ماري، لكن كيف يستطيع رجل أن يشتهي امرأة تنام في السرير ووجهها مغطى بطبقة من المساحيق الليلية وشعرها معقوص بعدد لا يحصى من عاقصات الشعر الوردية؟ ولكي يتجنب النزاع معها، فقد كان يصمت، لكن ظل جو المنزل مشحوناً مكهرباً. وفي إحدى الأمسيات هبت العاصفة.

كان ذلك يوم الثلاثاء، بعد أسبوع تقريباً من توقيعه العقد مع أماندا. كان قد قضى النهار بطوله في مراجعة النصوص. كل شيء كان على ما يرام. كما كان مزاجه على خير ما يرام. وكان ذلك اليوم واحداً من الأيام النادرة التي لم يحدث خلالها ما يزعج. استقل قطار الساعة الخامسة وعشر دقائق ومضى إلى منزله شاعراً بفيض من السعادة. كانت قد أثلجت الليلة الماضية وكانت الأرصفة مغطاة من قبل بكتل صغيرة من الوحل الرمادي.

لكن حي غرينتش كان له مظهر صورة على بطاقة ميلاد: المظهر النظيف النقي. والنور الذي لمع من نوافذ منزله بدا وكأنه يستقبله بحسن ضيافة وحرارة بالغين. صرخ الأولاد «بابا، بابا» بحماسة تصم الآذان. فلعب معهم لكي يمتعهم لكنه شعر بالراحة عندما جاءت الخادمة وحملتهم إلى أسرتهم. وفي الصالون أعد كأسي كوكتيل قبل أن تنضم إليه ماري. قبلت منه الكأس دون أن تبتسم، وأطرى لها تسريحتها مهنئاً فردت:

ـ إنني أسرح شعري بهذه الطريقة منذ أكثر من عام.

لكنه رفض أن يتأثر بمزاج امرأته المتعكر فأجابها بصوت خفيف رافعاً كأسه:

ـ إذن، في هذه الليلة تبدو رائعة على نحو متميز.

حدقت إليه بهيئة المرتابة:

لقد عدت اليوم باكراً. ماذا حصل يا ترى؟ هل أخلى سبيلك روبن هذا المساء؟

فاغتاظ إلى حد جرع معه كأس مارتين دفعة واحدة. هنا اتهمته ماري بأنه مضطرب فغادر الغرفة صافقاً الباب خلفه. لقد بدأ فعلاً يشعر بالإثم لأن روبن كان قد أخلى سبيله ذلك المساء، أو بالأحرى هذا ما جرى: كانت أماندا قد رجته أن يتركها تغادر الساعة الرابعة إذ كان لديها جلسة في الساعة الخامسة. وكان ضمنياً مسروراً. فروبن سوف يكون وحده في اللانسر. وحالما تركته أماندا طلب روبن هاتفياً مقترحاً عليه أن يلتقيا الساعة الخامسة في المشرب.

فبدأ روبن يضحك:

ـ حباً بالله يا جيري! لقد عدت لتوي إلى نيويورك، وقد دعتني أماندا إلى العشاء. سنلتقي غداً واحمرّ جيري من الغضب. لكن بعد دقائق عدة وجد نفسه يتعزى. يا لها من قضية!! غداً سيرى روبن أما اليوم فإنه سيفاجئ ماري بالعودة إلى المنزل باكراً.

بالتأكيد، كان من الممكن المصالحة مع ماري. فقد لحقت به إلى غرفة النوم حاملة له كأس مارتيني تحت ستار هدية المصالحة. وانتهت الأمسية دون أن تضع ماري مساحيقها ودون أن تعقص شعرها بالعاقصات الوردية. مع ذلك ما إن ذهبا إلى الفراش حتى بدا عاجزاً. أمر لم يكن قد حدث له من قبل. أدارت ماري ظهرها ففهم أنها تبكي، فراح يقدم اعتذاراته لزوجته ناسياً عذابه الخاص، واصفاً هذه الحادثة لها كنتيجة للاستعدادات والانشغال الذي كان يسببه له برنامج كرستي المقبل. في اليوم التالي استشار طبيبه العادي ثم طلب منه أبراً من فيتامين ب12 إلا أن الطبيب أندرسون أجابه بأنه ليس

بحاجة لذلك. ثم انتهى يعرض مشكلته بهدوء فنصحه الطبيب بمراجعة الطبيب النفساني آرشي جولد، لكنه ترك أندرسون ساخطاً. فهو ليس بحاجة أبداً لمحلل نفساني. وإذا ما شك روبن لحظة واحدة في أنه يبحث عن حل كهذا فإنه لن يعطيه دقيقة واحدة من وقته ولسوف ينظر إليه باحتقار وضيق.

لقد بدت له اقتراحات أندرسون سخيفة للغاية، رغم أن كثيراً من الناس السليمين كلياً والصحيحين تماماً يراجعون الأطباء النفسيين إذا ما اصطدموا بعائق ما. لكن لا! جيري نفسه لن يضل أبداً، لن يذهب إلى هؤلاء الغلمان.

لكن ماري كانت قد بلغت نهاية تحملها. فقد استقبلته في المساء مبتسمة، غير واضعة أبداً عاقصات الشعر، مكحلة عينيها ببراعة أكثر كما التصقت به أكثر وأكثر في السرير. ومرتين حاول أيضاً لكن دونما فائدة. منذئذ لم يجرؤ حتى على التفكير بالأمر. فكل مساء كان يعلن أنه متعب مستنفد، ويجهد شديد يحاول النوم، مطبقاً عملية التنفس بطريقة نظامية كما لو أنه نائم فعلاً. لكنه كان يظل ساهراً تماماً وكان يسمع ماري وهي تنزلق خارج السرير ذاهبة إلى غرفة الحمام لاسترجاع أداة منع الحمل باكية بكاء مكتوماً.

بدا له الدكتور أرشي جولد مفعماً بالشباب على نحو مدهش. كان ينتظر أن يرى عجوزاً بنظارتين سميكتين ولحية صغيرة ولكنة ألمانية. لكن جولد كان حالقاً ذقنه منذ فترة قريبة جداً بل كان جذاباً مغرياً. لم تعط الجلسة الأولى أية نتائج تذكر رغم أن جيري دخل مباشرة في لب الموضوع:

ـ دكتور، أنا عاجز عن القيام بواجبي الزوجي، علماً أني أحب زوجتي وأنه لا توجد امرأة تجذبني. فما العمل برأيك؟

ومرت خمسون دقيقة دون أن ينتبه لمرورها. لقد دهش حينما اقترح الطبيب إجراء ثلاث جلسات أسبوعية له، إذ كان يعتقد أن ساعة واحدة كافية لشفائه أياً كان سبب عجزه الجنسي. ثلاث جلسات أسبوعياً!! هذا شيء مضحك. لكنه فكر بماري، بنحيبها المكتوم في الحمام... حسناً، موافق: ... الاثنين، الأربعاء، الجمعة..

الجلسة الثالثة خصصت بكاملها لروبن ستون، بعدئذ، شيئاً فشيئاً تسربت أماندا إلى مقابلاتهما.

وفي نهاية الأسبوع الثاني أحس جيري أنه قد تحسن. ذلك أن فحص وجدانه الفرويدي الباطني والتفتيش بين ذكريات طفولته المبكرة كشفت له أسراراً عدّة مزعجة لكنها لم تكن خطيرة إلى حد يخيفه: صحيح أن لديه مشاكل شخصية إلا أنه لم يكن رجلاً شاذاً وقد خلصه هذا، على الأقل، من شك كان يضنيه دون أن يعترف به.

تكلما بعدئذ عن أبيه: شخص ضخم شديد الرجولة لم يكن قد اهتم به أبداً وهو طفل صغير. بعدئذ بات يأخذه معه إلى مباريات كرة القدم، حيث لم يكن هذا الأب يتوقف عن كيل المديح لروبن ستون: «هذا، إنه نوع هائل من الرجال!» كان يهتف «هذا رجل حقيقي» وتذكر جيري حادثة دقيقة: ذات مرة كان روبن قد اخترق خط الدفاع محاولاً تسجيل هدف فهب والد جيري قافزاً، «يا له من شجاع! اتخذه مثلاً يا ولد». وبتحريض من أسئلة الدكتور جولد، تذكر جيري من جديد نتف أحداث كانت قد أثقلت على ذاته.

فعندما أدرك والده أن طول جيري لن يتجاوز الـ 172سم قال له متضاحكاً: «كيف تراني أنجبت قزماً مثلك، أنا الذي يبلغ طوله قرابة الـ 192سنتم؟ لا بد أنك تشبه عائلة أمك، فكل عائلة بلدوين أسقاط».

وهكذا بدأ جيري يتبصر بعض الأشياء. ففي بحثه عن صداقة روبن كان يحاول أن يرضي والده، وهذا الاكتشاف سحره فسأل الدكتور:

ـ ماذا تفكر بعد تشخيصي؟

لكن عيني الدكتور الرماديتين بقيتا باردتين تقريباً ثم قال:

ـ أجب أنت نفسك عن أسئلتك الخاصة.

ـ لكن، لماذا أدفع لك إن كنت لا تقول لي شيئاً؟ سأله جيري.

ـ أنا لست هنا لكي أعطيك إجابات بل لكي أدفعك لأن تبحث عنها بنفسك.

طوال الأسبوع الذي سبق أول برنامج لكرستي لين كان جيري يحضر فيها يومياً إلى عيادة الدكتور متنازلاً عن الغداء. كان الطبيب يفضل أن يستقبله بين الخامسة والسادسة لكن جيري كان يتمسك بالذهاب في هذه الساعة إلى اللانسر متعللاً أن هذه الفترة فترة استرخاء بعد جهد النهار وأن منادمة روبن تعيد له انتعاشه. لكنه كان يظل فترة طويلة في المشرب ونتيجة لذلك كان يتأخر عن قطاره فيشعر بالإثم تجاه ماري، الأمر الذي يكدر عليه عشاءه.

في اليوم التالي بدا جيري عدائياً تماماً تجاه الدكتور. فقد طلب أن يعلم لماذا يشعر بالإثم. ولماذا يتمسك كثيراً بمقابلة روبن في اللانسر كل مساء رغم علمه بأن هذا سيسبب له توبيخ ضمير عندما يلتقي بماري وجهاً لوجه.

ـ لا يمكن للأمر أن يستمر هكذا، كان جيري يكرر، أود أن أفعل ما يرضي ماري وفي الوقت نفسه أود أن أفعل ما يرضيني. لماذا لست كروبن الذي لا يعذبه ضميره؟ إنه حر، روبن هذا.

ـ بعد كل ما قلته لي عن روبن أعتقد أنه ليس حراً كثيراً.

ـ إنه سيد نفسه. حتى أماندا نفسها تشعر أنها لا تملك عليه أية سيطرة. وروى جيري للدكتور قصة المنشفة التي اعترفت له بها أماندا والتي كانت تحملها معها في حقيبتها طوال النهار فخرج الدكتور جولد عن جموده المعتاد ثم قال هازاً رأسه.

ـ وهذه أيضاً واحدة بأمس الحاجة للمعالجة.

ـ لا، لا. إنها، ببساطة، عاشقة مغرمة.

فعقد الدكتور أرشي حاجبيه:

ـ لا، ذلك ليس بسبب الإفراط في الحب، بل بسبب العبودية. فامرأة كاملة كالتي تحدثني عنها ينبغي أن تحس بالانشراح في علاقتها بالرجل الذي تحبه. إذن لماذا تعيش خيالات وتوهمات كهذه؟ تصور ما يمكن أن يحدث لها إن تركها.

ـ كيف تستطيع أن تحكم على أناس لا تربطك بهم أدنى معرفة؟ فسأل الطبيب

ـ متى يعود إلى نيويورك، صديقك هذا؟

ـ غداً، لماذا؟

ـ إذا قابلتكم في ذلك المشرب فهل تعرفني إلى روبن وأماندا؟.

ففكر جيري:

ـ لكن، كيف تراني أشرح سبب وجودك؟ إذ ليس باستطاعتي أبداً أن أقول: إيه روبن! هذا طبيبي النفساني يريد أن يراقبك.

فشرع الدكتور بالضحك:

ـ بإمكانك أن تقدمني كصديق، ثم إننا متقاربان في السن.

بإمكاني أن أقول إنك طبيب لكن دون تحديد الاختصاص.

ـ لدي أصدقاء من كل الأصناف، فلماذا لا يكون من بين أصدقائك طبيب نفساني؟

شعر جيري بتوفز أعصابه حين رأى الدكتور جولد يدخل المشرب. كان روبن يرشف قدحه الثالث وكانت أماندا ستتأخر في العمل ذلك اليوم. لقد اتفقت مع روبن على أن يلتقيا مباشرة في مطعم إيطالي.

ـ قف، لقد نسيت أن أكلمك عنه! هتف جيري عندما اقترب الطبيب منهما. لقد وجدت واحداً من زملاء الدراسة القدامى (ووضع يده على كتف الدكتور) أرشي (وقد جعله هذا التخفيف غير العادي يغص قليلاً) هذا صديقي روبن ستون. روبن أقدم لك الدكتور أرشي جولد.

ألقى روبن نظرة شاردة على القادم الجديد. ففي تلك الأمسية بالذات كان يسيطر عليه مزاجه الصامت. لقد استغرب في تأمل قدحه، ولم يكن الدكتور أكثر ميلاً منه للكلام. كانت عيناه الرماديتان الباردتان تدرسان روبن. وراح جيري يهذر بشيء من عدم الارتياح إذ كان لا بد من وجود شخص يتحدث.

وفجأة التفت روبن، سائلاً:

ـ هل أنت جراح، أرشي؟

ـ بطريقة ما.

ـ أجل، إنه ينبش في اللاوعي، تدخل جيري مدفوعاً بقوة لا إرادية. أنا لم أكن أؤمن بذلك يا روبن لكن أرشي محلل للرؤوس فعلاً مثل هنود جاوا. لقد التقينا مصادفة في إحدى الحفلات وجددنا تعارفنا. قال لي...

ـ فرويدي؟: سأل روبن قاطعاً حديث صديقه.

فهز الدكتور رأسه.

ـ طبيب نفساني أم محلل نفساني؟

ـ كلاهما.

ـ عجباً، هذا يحتاج لدراسة طويلة. ثم، لا بد من أن يتوفر لك الكثير من الجرأة كي تقدم على دراسة كهذه واسمك أرشيبال. هذا يعني أنك واثق كثيراً من نفسك. فقهقه الدكتور ضاحكاً:

ـ ليس كثيراً، ثم، إنني حولت اسمي إلى أرشي.

ـ هل كان لديك الميل دائماً لهذا الاختصاص!

ـ دائماً تقريباً. في البداية كنت أريد أن أصبح عصبياً. لكن المرء في هذا الاختصاص يقع على كثير من الحالات غير القابلة للشفاء. إذن، في هذه الحالة يضطر المرء لأن يعطي علاجات لإزالة الأعراض. بينما في التحليل... (وانتعشت نظرة الدكتور) يمكن للمرء أن يشفي مرضاه. يمكنه أن يرى مريضاً استعاد توازنه وعاد للعمل من جديد على نحو عادي تماماً مستفيداً من كامل طاقاته... ولا شيء في الدنيا يسرك أكثر من هذه النتيجة. إن التحليل يتيح للإنسان دائماً أن يأمل بمستقبل أفضل.

فابتسم روبن.

ـ أرى وجهة نظرك ضعيفة يا طبيب.

ـ وجهة نظري ضعيفة!

ـ أنت تحب الناس (وترك ورقة نقدية تسقط على الطاولة) ايه كارمان (فجاءت الساقية في الحال) ادفعي للصندوق، وقدمي دوراً جديد من الشراب لصديقي هذين ثم احتفظي بالباقي. (ومد يده إلى الدكتور جولد) آسف لتركي إياكما لكن لدي موعداً مع صديقتي الصغيرة.

ثم غادر المشرب.

كانت نظرة جيري ما تزال مثبتة على الباب حين وضعت الساقية قدحين على الطاولة قائلة:

ـ من روبن ستون. إنه صنف جيد. ايه!

والتفت جيري إلى الطبيب سائلاً:

ـ إذن! فأجاب أرشي:

ـ كما قالت الساقية، إنه صنف جيد.

ولم يستطع جيري أن يكتم نوعاً من الزهو.

ـ ماذا قلت لك؟ لقد رأيت بأم عينك.

ـ لكنني أتمسك برأيي، وقد فعلت كل شيء من أجل هذا.

ـ هل تعتقد أن لديه مشاكل ما، هل يعاني من عقد؟

ـ لا أعلم. الظاهر أنه واثق من نفسه، كما يبدو أنه متعلق بأماندا التعلق كلّه.

ـ ما الذي جعلك تقول هذا، فهو لم يتكلم عنها؟

ـ أجل، جزئياً. لقد قال، لدي موعد مع صديقة (ي) الصغيرة، بصيغة الملكية. ولم يقل مع صديقة (ما) هذه الصيغة التي تعني أنها لا تشكل لديه أهمية، إنما هي مجرد فتاة من فتيات كثيرات أخريات.

ـ برأيك، هل يحبني؟

ـ كلا.

ـ كلا! صرخ جيري مشدوهاً، إذن أنا أزعجه.

فهز الدكتور رأسه:

ـ بل هو لا يعتبرك موجوداً.

في إدارة الشبكة كان ثمة حشد. وفي إحدى الزوايا وجد جيري مقعداً له. كان عرض كرستي لين سيبدأ خلال ربع ساعة مباشرة على الهواء. إنه يوم من أيام المجانين: حتى أماندا كانت قد تركت نفسها تصاب بعدوى الاضطراب العام. في التجربة الأخيرة كانت أماندا قد أمسكت بحوجلة من الصمغ في يدها مخفية علامة (ألويسو).

وحده كرستي لين (وعشيرته) بدوا وكأنهم قد نجوا من الهياج المحموم. كانوا مسرورين فيما بينهم. كان كرستي قد جعل من نفسه مشعوذاً والاثنان الآخران كانا قد ذهبا لإحضار سندويتش.

وكان المرء يعتقد أن هذه الاستعدادات المحمومة تسليهم.

لقد حضر الناس مسبقاً. وكانت أماندا قد قالت إن روبن سوف يشاهد العرض في منزله. غريب! لم يكن روبن قد علق مطلقاً على تشغيل أماندا في البرنامج. عدة مرات شعر جيري بدافع شديد لأن يسأله حول هذا الموضوع ثم نكص خجلاً.

وصل دانتون خالص الأناقة كما هي عادته في طقمه الأسود. وهارفي فيلبس، رئيس الوكالة، دخل كالإعصار.

- كل شيء معد، سيد موس، أماندا هناك تضع اللمسات الأخيرة لزينتها. لقد قلت لها أن تلبس ثوبها الأزرق من أجل صمغ لك والأخضر من أجل أحمر الشفاه.

وافق جيري بهزة من رأسه. فلم يكن قد ظل ما يمكن فعله سوى الانتظار. أمر دان مهندس الصوت بفتح المكروفونات، وارتقى المتكلم المنصة ليلقي الطرفة القديمة المستحبَّة التي تحمّي القاعة: - هل بينكم أحد من نيو جرسي؟ (فارتفعت أيد عديدة) حسناً، ثمة باص ينتظركم في الخارج.

وانفجرت القهقهات. فنظر جيري إلى ساعته، أكثر من خمس دقائق.

وفجأة تساءل في نفسه إن كان البرنامج سينجح. رد فعل الحضور قد لا يعني شيئاً ذلك أن الناس يتقبلون أي شيء في الاستديو طالما هو مجاني. لكن غداً يظهر النقاد في الصحف. وبعد ذاك تظهر علامات الجداول. ووحدها علامات الجداول هي التي

تهم. عليهم أن ينتظروا خمسة عشر يوماً لكي يعرفوا النتيجة. صحيح أن من الممكن الحصول على الرقم الأولي منذ الغد. لكن لا بد من مرور الأسبوع الثاني للتمكن من الحكم على النتيجة.

بعد ثلاث دقائق فتح الباب ودخلت إثيل بتمهل. فحياها دان بهزة من رأسه دونما رقة أو لطف. وحده سيج نهض عن كرسيه وقدمه لها، إنما رفضته إثيل بإشارة من يدها.

ـ لقد جئت بمصور، قالت إثيل، على استعداد لأخذ صور لكرستي كي يوزعها على الصحف. (والتفتت نحو جيري) بعد البرنامج، سوف أجعله يصور كرستي وأماندا معاً. ثم خرجت من المقصورة ومرت خلف المنصة.

بعد دقيقة... ساد الصمت فجأة أرجاء الإدارة كلها. ولوح آرتي ريلاندر بمؤقت الساعة ثم خفض ذراعه فشرعت الجوقة تعزف الموسيقى بينما صاح المتحدث: عرض كرستي لين. لقد ابتدأ البرنامج.

قرر جيري أن يذهب خلف المنصة. فلم يكن لديه ما يفعله في المقصورة. كان مكانه قرب أماندا فإن أصابها شيء من الوجل في آخر لحظة تمكن من مساعدتها.

أمام المرآة المعلقة في صالون الحلاقة، كانت أماندا تمرر مشطها لآخر مرة في شعرها، فطمأنته ابتسامتها الهادئة.

ـ لا تقلق جيري. سأعرف كيف أمسك بالرشاشة لكي يرى الناس طريقة التصرف. اجلس وارتح، فإن لك هيئة أمٍّ قلقة.

ـ لست أنت من يقلقني، يا أماندا، بل البرنامج ككل. لا تنسي أنني أنا من اقترح إخراجه. هل حضرت بعض التجارب؟

فابتسمت ابتسامة صغيرة.

ـ حوالي عشر دقائق، إلى أن يبدأ كرستي يموء كـالقط في مكـان حار. وارتعشت ثم أضافت بعد أن لاحظت تعبير وجه جيري: لا تـنقم علي. جسدياً، هو شيء منفـر. لكنـه، دون شـك، يرضـي الجمهـور. فتح الباب وظهرت إثيل، فرفعت أماندا عينيها. لم تكن على مـا يبـدو قد عرفت القادمة التي راحت نظراتها تجول في طول الصالة وعرضـها وقد بدت عليها الدهشة حين لم تر أحداً غير أماندا وجيري.

بعدئذ ابتسمت وهي تمد يدها.

ـ حظاً طيباً يا أماندا.

فشدت أماندا على يدها بنوع من الاندهاش، فقد خيل إليها أنهـا رأت هذه الفتاة في مكان ما.

ـ آه، أجل! لقد تذكرت. قالت أماندا.

ثم التفتت بادئة برش شيء من المسحوق على شعرها.

جلست إثيل على كرسي الحلاقة شاغلة المكان كله ثم قالت:

ـ يبدو أن القدر يريد أن يجمعنا.

فتراجعت أماندا بينما تقدم جيري مربتاً كتف إثيل:

ـ انزلي من هنا، فأماندا لا تـرى بوضـوح كـاف. ثم، لـيس هـذا بالوقت المناسب لتجديد التعارف.

فنهضت إثيل بطيبة خاطر.

ـ ستكونين رائعة يا أماندا. والكل سيصفق لك بـشدة. (وخلعـت معطفها، دون أن تطلب إذناً، ثم علقته) علـي تمامـاً أن أتـرك هـذا في مكان ما. حسناً. لقد جئت إلى هنا لسببين: الأول كي أتمنى لـك حظـاً طيباً والثاني كي أقول لك إنني أحب أن تأخذي بضع صور مع كرستي لين بعد انتهاء البرنامج.

فالتفتت أماندا تستفهم من جيري الذي وافق بإيماءة من رأسه.

ـ موافقة، لكن أرجو ألا يأخذ هذا وقتاً طويلاً.

ـ أوه! لا أكثر من ثلاث أو أربع لقطات (واتجهت نحو الباب) سأذهب إلى هناك كي أرى المشهد واطمئني يا أماندا، ستكونين رائعة، لا شك. آه لو كنت جميلة مثلك، إذن لأخضعت العالم كله!

وأحست أماندا بشيء من الشفقة. فقد شعرت بالكثير من الصدق والإخلاص في صوت إثيل وبالكثير من الحنين في عينيها. فقالت:

ـ كانت خالتي تكرر لي دائماً: يصعب على المرأة الجميلة أن تعيش سعيدة.

ـ أمي كانت تقول هذا، لكنه ترهات! فأنا حصلت في فحص الذكاء على علامة 136 لكنني أود أن أكون بنصف هذا الذكاء على أن يكون لي وجه جميل كوجهك. وإنني أراهن أن صديقك الداهية سيكون معي على ما يرام. بالمناسبة، ألم يأت لمشاهدة البرنامج؟

ـ روبن، هنا؟ (فقد بدت لها فكرة روبن وهو جالس في الصالة لكي يشاهد البرنامج فكرة سخيفة بل مستحيلة حتى أنها لم تستطع منع نفسها من الضحك) كلا. إنه يشاهده في منزله. لكن منذ اللحظة التي خرجت فيها إثيل بدت أماندا وكأنها فقدت طمأنينتها فأمسكت بيد جيري.

ـ أرجو أن يكون فخوراً بي. هل قال لك شيئاً؟

ـ هل قال لك؟

ـ لقد ضحك قائلاً: إن كنت أرغب في دخول هذا السرك فهذا من شأني وحدي (ورفعت عينيها إلى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط) حان وقت نزولي. لقد مرت عشر دقائق على بدء البرنامج.

ـ لديك خمس دقائق بعد، إن لم يكن أكثر.

ـ لكنني أود أن أهتف لروبن كي أذكره بمشاهدة البرنامج. أنت تعرفه، فقد يستغرق في عب أقداحه ثم يستلقي وينام.

كان هاتف الاستديو الوحيد على مقربة من باب الحلبة. وانتظر جيري في الممر المليء بتيارات الهواء إلى أن طلبت أماندا الرقم. كانت الموسيقى صاخبة والتصفيق على قدم وساق. فالبرنامج يسير على ما يرام. وعلقت أماندا السماعة فسقطت قطعة النقود.

ـ مشغول، قالت أماندا. سأطلبه ثانية بعد ثوانٍ عدة.

ـ عليك أن تذهبي من هنا، إذ عليك أن تدوري حول الشاشة كي تحتلي مكانك.

ـ ثانية واحدة، سأحاول مرة أخرى.

ـ دعيه، أمرها بشيء من القسوة تقريباً، فعليك أن تكوني في مكانك عندما تدور الكاميرا باتجاهك. هيا. اذهبي، وسأهتف له بدلاً منك.

ثم انتظر إلى أن اختفت خلف الستارة لدى ابتداء المشهد وظهرت من جديد في المكان المعد لألويسو. بعدئذ طلب رقم روبن. مشغول. ثم راح يطلبه المرة تلو المرة حتى اللحظة التي بدأ فيها البث. (ابن الزنى) بدأ جيري يلعن في سره. إنه يعلم ما تعانيه هذه الفتاة المسكينة، فلماذا يفعل هذا بها؟

وانزلق إلى داخل الوراق في اللحظة المناسبة تماماً كي تطمئن بابتسامة منه أماندا التي أشرق وجهها. وكأنها اقتنعت أنه تحدث مع روبن، بدت منشرحة تماماً عندما دارت الكاميرا باتجاهها.

راح جيري يتأملها على شاشة مهندس الضبط. وجهها كوجه ملاك، إذن ليس مدهشاً أن تترك انطباعات كهذه.

بعد أن انتهى البث التحقت به أماندا مصطكة الركبتين، ثم سألته لاهثة.

ـ هل بدوت على ما يرام؟

ـ بل أفضل مما يرام. لقد كنت رائعة. والآن استريحي خمس دقائق. ثم اذهبي فغيري ثيابك لكي تقيمي عرضاً لأحمر الشفاه، بعدئذ ستكونين حرة.

ـ ماذا قال لك روبن؟

ـ لم أتكلم معه. الخط مشغول دائماً.

فلمعت عينا أماندا ببريق القلق، إلا أنه أمسكها من كتفها ودفعها باتجاه السلم... اصعدي، غيري ثيابك ولا تبكي أبداً، فزينتك ستفسد.

ـ لكن، جيري...

ـ لكن ماذا؟ إنه في منزله. على الأقل نحن متأكدون من ذلك. ربما كان يشاهدك وهو يتكلم على الهاتف. ربما هي مخابرة عاجلة، مخابرة من أوروبا. ربما هي الحرب، أو ربما سقطت قنبلة ذرية في مكان ما. فعرض كرستي لين ليس أهم حدث في العالم.

كان بوب دكسون يغني على المسرح إحدى أغنياته. وجاء كرستي متمختراً:

ـ هل سمعت؟ كل ذلك التصفيق لي، إنني البطل (ووضع يده على ذراع أماندا) وإنك لأجمل امرأة. لو تعرفين التخلص بشكل جيد فإن تنتون كرستي سيعرض عليك سندويشة بعد البرنامج.

ـ مهلاً، قال جيري وهو يدفع يد كرستي عن ذراع أماندا، أنت لم تدفن برل أو كليزون بعد. ثم، لماذا تنتون كرستي؟

ـ إذن لم تسمع بذاك الذي لم يتوقف دان عن ترداده منذ عدة أشهر؟ إنني رمز العائلة. إنني أذكِّر كل الناس بالعم العجوز أو الزوج الكهل. (وأدار عينيه الزرقاوين المغرورقتين نحو أماندا) وأنت يا فرختي، هل أذكرك بأحد من عائلتك؟ أرجو أن يكون لا، فمع الأفكار التي أحملها في رأسي سيكون ذلك نوعا من ارتكاب المحرَّمات. (ودون أن يعطي أماندا وقتاً للإجابة، تابع) هاهو ذا نجمنا السينمائي أنهى نمرته، والآن انظروا جيداً. سترون رجل مهنة، رجلاً حقيقياً يعطيه درساً: ثم انسل باتجاه المسرح.

ظلت أماندا مذهولة، كما لو أنها عاجزة عن تصديق عينيها. بعدئذ دارت على عقبيها واتجهت نحو الهاتف، فاحتجزها جيري:

ـ أوه، ليس لديك إلا خمس دقائق كي تغيري ثيابك وتعيدي ترتيب نفسك، أما بعد البرنامج فسيكون لديك الوقت كله تخابرينه فيه، وأراهنك على عشاء في الـ(21) أنه سيكون قد رآك. بل أدعوكما كليكما للاحتفال بنجاحك.

ـ لا، جيري، أريد أن أكون وحيدة معه هذا المساء. سأصنع له هامبورجر (ونظرت نحو كرستي على المسرح ثم هزت كتفيها) ربما كنت حمقاء لكن انطباعي أنه يرضي الجمهور. ثم انسلت إلى مقصورتها.

نجحت أماندا في تصوير اللقطة الثانية بالسهولة والراحة نفسيهما اللتين صنعت بهما الأولى. وعندما انتهى البرنامج هبت ريح من الجنون في الأستوديو. كان الناس جميعاً يهنئون بعضهم بعضاً: المساهمون، دانتون ملر، المؤلفون وقد أحاطوا جميعاً بكرستي يشدون على يديه. كما كانت آلات التصوير تلمع. فأمسكت إثيل بذراع أماندا (أريد صورة لك مع كرستي)، (فجرت أماندا إلى الهاتف

تتبعها إثيل). ألا تستطيع مخابرتك هذه أن تنتظر؟ هذا شيء مهم للغاية. إنما لم تجب أماندا بل راحت تدير القرص شاعرة أن إثيل لم تفارقها بعينيها، فأسرع جيري إليها وكأنما جاء لحمايتها. هذه المرة لم تأت الرنة المتقطعة فقد رن الهاتف في منزل روبن، مرة، مرتين، ثلاث مرات وعند الرنة العاشرة علقت أماندا السماعة. فسقطت قطعة النقود. ومن جديد عادت أماندا تدير القرص وتصغي للإشارة الرتيبة إياها، بينما كان جيري وإثيل يراقبانها. بل لقد لاحظت ابتسامة إثيل الساخرة التي ابتسمتها بشكل جانبي. إنها عشيقة روبن ستون! وهي لن تذهب وتقدم نفسها على المسرح. فهذا سيكون شيئاً مغيظاً. الليلة السابقة، حين كان يشدها بين ذراعيه لاصقاً جسده بجسدها، داعب شعرها قائلاً: أنت مثلي يا ملاكي: غير قابلة للخضوع. مهما يفعل الآخرون لنا، مهما يعاني فان معاناتنا تظل في داخلنا لا يعرف عنها الآخرون شيئاً. نحن لا نبكي على أكتاف الآخرين بل لا نبكي في السر. وهذا هو السبب الذي من أجله خلق واحدنا للآخر. رددت هذه الكلمات وهي مستمرة بالإصغاء لرنات الهاتف البعيدة في الفراغ. ثم علقت سماعتها وأخذت، شاردة اللب، قطعة نقودها. أخيراً التفتت نحو إثيل وجيري مبتسمة:

ـ يا لي من حمقاء! لقد خبلني هذا البرنامج إلى حد نسيت معه كل شيء (وصمتت معطية نفسها وقتاً كافياً لتسويغ أكذوبة).

ـ دائماً مشغول؟ سأل جيري بدماثة.

ـ أجل، وهل تعرف لماذا؟ لقد قال لي إنه سيرفع السماعة كي لا يزعجه أحد أثناء بث البرنامج. لقد طار هذا من ذهني. (والتفتت نحو إثيل) حسناً، لنذهب، ولنأخذ هذه الصورة ثم امضي إليه كما اتفقنا. جيري، كن لطيفاً. واطلب لي سيارة.

ثم ذهبت إلى كرستي لين. وقفت بينه وبين بوب دكسون عارضة للكاميرا أجمل ما لديها من بسمات بعدئذ تخلصت بسرعة. فقد كان حوله، والشكر لله، الكثير من الناس مما لم يسمح له برؤيتها وهي تنسل خارجاً.

كان جيري قد طلب السيارة، وهو يتساءل في سره ما الذي حدث لها فعلاً على الهاتف. أن تكون قد نسيت أمر بدا له غريباً جداً، لكنها كانت تضحك بكثير من الصدق وكانت تشع كالشمس، وكانت إثيل أيضاً قد لاحظت طمأنينة أماندا وهي تفكر بكثير من الحسد أن هذه الفتاة ستذهب لتنضم إلى روبن في منزله.

ما إن وجدت أماندا نفسها في ظلمة السيارة حتى فقدت ابتسامتها: كانت قد طلبت أن ينقلها إلى منزلها. ثمانية دولارات خسارة بسبب هذه السيارة المترفة في حين كان تحت تصرفه الكثير من السيارات. لكن هذا هو الحل الوحيد. فعشيقة روبن غادرت مرفوعة الرأس، وهذا ما يتمناه.

هتف لها روبن مرحاً في وقت مبكر من صباح اليوم التالي:

ـ مرحبا أيتها النجمة.

كانت قد أمضت نصف ليلتها وهي تفكر: هل تكرهه إن لم يكن لديه عذر لغلطته؟ وبعد أخذ ورد وصلت إلى شبه قرار هو أن تعامله ببرود. لكن مخابرته لها في هذه الساعة الباكرة من الصباح أخذتها على حين غرة.

ـ أين كنت مساء أمس؟ سألته أماندا (يا إلهي! هذا الكلام لا يتطابق مع الموقف الذي قررت اتخاذه ليلة أمس).

ـ كنت أشاهدك، قال روبن بصوته المرح نفسه.

ـ هذا كذب. (أيضاً أسوأ، لكنها كانت عاجزة عن كبح نفسها). لقد خابرتك بعد البرنامج مباشرة ولم يرد أحد علي.

ـ هذا صحيح تماماً. فهذا الهاتف اللعين رن في اللحظة نفسها التي بدأ بها البرنامج. وكان ذلك ادي بارينو، ففضلت التحدث معه على مشاهدة شعوذات كرستي لين. وعندما أقفل أندي الخط دق علي شخص آخر. ولكي لا يربكني أحد وأنا أشاهد البرنامج قطعت الخط.

ـ لكن كان ينبغي أن تفكر بأنني سأخبرك بعد انتهاء البرنامج مباشرة.

ـ لقد انتظرت هاتفك بالحقيقة. لكنني، لسوء الحظ نسيت أن أعيد وصل الخط.

ـ ولماذا لم تخبرني فيما بعد! تعجبت أماندا. حتى لو أنك نسيت أن تعيد وصل الخط فقد كان باستطاعتك أن تخبرني فيما بعد. ألم تفكر بأني أرغب في أن أكون معك بعد البرنامج؟

ـ إنني أعلم كل ما حدث حتى نهاية القسم الأول. فالاستوديو كان في حالة هياج تام. وكنت مقتنعاً أن المساهمين سيضربون طوقاً حولك بل اعتقدت أنك ستذهبين كي تحتفلي بنجاحك معهم. وهمهمت أماندا يائسة:

ـ روبن، أنت وحدك من كنت أرغب في أن أكون معه. فأنت رجلي، أليس كذلك؟

ـ بالتأكيد (وكان صوته قد حافظ على مرحه) لكن هذا لا يعني أننا مسمران واحدنا للآخر. فأنت لست ملكي، لا أنت ولا وقتك.

ـ وأنت لا تريده، أليس كذلك؟ (من سيء إلى أسوأ، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الانزلاق في المنحدر).

ـ كلا، فحينذاك ينبغي أن أصبح ملكك أنا الآخر، وهذا شيء مستحيل.

ـ لكن، روبن أنا أود أن أصبح ملكك... كلياً. أريد أن أعطيك كل وقتي. فما من أحد سواك يهمني. إنني أحبك. وإنني أعلم أنك لا تريد الزواج، لكن هذا لا يمنعني من أن أظل متمسكة بك، مرتبطة بك بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

ـ وأنا أريدك أن تكوني صديقتي الصغيرة لا أن تكوني ملكي.

ـ لكن إن كنت صديقتك الصغيرة فإنني أرغب في أن أشاركك كل شيء. يجب أن تعرف هذا. وعندما لا تستطيع التواجد معي في المنزل فإنني أمكث فيه كي أنتظرك. روبن، أريد أن أكون ملكك.

ـ لكنني لا أريد أن ألحق بك سوءاً (وأصبح صوته جافاً)

ـ لا تخش علي شيئاً واعلم أنني لن أؤلمك أبداً. أقسم على ذلك.

ـ إذن لنقل بالأحرى إنني لا أرغب بالمعاناة.

وخيم الصمت لحظة من الزمن، ثم استأنفت:

ـ من ذا الذي يجعلك تعاني، يا روبن؟

ـ لا أفهم.

ـ من لم يعان قط لا يمكنه أن يخشى الألم. أم لأن الناس قد أساؤوا إليك، تنصب من وقت لآخر باباً من فولاذ بيننا؟

ـ لا، يا أماندا، ما من أحد في العالم جعلني أعاني أبداً. كان بودي أن أقول لك إن جنية بحر حطمت قلبي وأنا في الجيش. لكن لم يحدث لي شيء من ذلك. فأنا لي أعداد كبيرة من الخليلات كما أنني أحب النساء ولدي الميل للتمسك بك أكثر من التمسك بأية امرأة أخرى.

ـ إذن لِمَ لا تعطيني أكثر من نصف نفسك؟ ولماذا تريدني أن أفعل مثلك؟

ـ لا أدري. ربما بسبب حاجة غبية للدفاع الذاتي فغريزتي تقول لي: من غير باب الفولاذ الذي تكلمت عنه سأكون في خطر. وضحك لكن، تف! ما يزال باكراً أن نبدد أرواحنا بهذا الشكل. شيء آخر، ربما ليس لدي شيء مما يسمونه روحاً بل ربما لو فتح أحدهم باب الفولاذ هذا لما وجد شيئاً خلفه.

ـ روبن، صدقني لن أسبب لك أي ألم أبداً. وسأحبك دائماً.

ـ يا حلوتي، لا شيء أبدي..

ـ هل تريد أن تقول إنك ستتركني ذات يوم؟

ـ يا صغيرتي من يعلم فقد أموت بحادث طائرة وقد يطلق أحد المجانين النار علي... قد يحدث أي شيء...

فضحكت:

ـ سوف تتسطح الرصاصة عندما تصطدم بك.

ـ أماندا.. (وكان صوته ما يزال مرحاً، لكنها أدركت أنه يتكلم جاداً) أحبيني لكن لا تكرسي حياتك لي. فليس باستطاعة المرء أن يحجز لنفسه شخصاً إلى الأبد بل حتى أولئك الذين يحب بعضهم البعض الآخر لا بد من أن يتفرقوا إن عاجلاً أم آجلاً.

ـ إلى أين تريد الوصول؟ سألته أماندا، وهي على أهبة الاستعداد للانخراط في البكاء.

ـ أحاول أن أشرح لك ما أشعر به. فهناك أشياء عديدة لا بد من أن نعرفها كلانا: أولاً، لا يمكن لأحدنا أن يحجز الآخر. ثانياً من الممكن في أية لحظة أن يموت أحدنا. نحن نعرف هذا لكننا نحاول أن نتجاهله. وربما نعتقد أنه بحكم إزالته من تفكيرنا فإنه لن يقع أبداً. لكننا في أعماقنا جميعاً ندرك أن الموت أمر لا مناص منه. أما بالنسبة

لموضوع الباب الفولاذي: فطالما بقي هذا الباب وطالما كان باستطاعتي أن أغلقه متى شئت فما من شيء أبداً يمكنه أن يجرحني.

ـ هل حاولت فتحه في يوم من الأيام؟

ـ هذا بالضبط ما أنا في طريقي لفعله في هذه اللحظة، قال روبن بصوت هادئ. لقد شققته قليلاً كي أظل على صلة كافية بك وأود أن تفهميني. لكنني سأغلقه في اللحظة نفسها إن أخفقت.

ـ لا، يا روبن، لا تفعل هذا. أجبني بلا أفكار خلفية. أنت تود أن تغلق هذا الباب على عواطفك متجاهلاً جزءاً أساسياً من شخصيتك. إنك قادر على الحب... لكنك ترفض الاعتراف بذلك.

ـ ربما بالطريقة نفسها التي أرفض فيها التفكير بالموت. اسمعي، حتى لو مت في التسعين من عمري فإنني سأغادر هذه الدنيا آسفاً حزيناً. لكن لو كنت أقل ارتباطاً فربما سأغادرها بأسف وحزن أقل.

لم تجبه أماندا، فروبن لم يتحدث معها بطريقة مماثلة من قبل. لذا قررت أنه يحاول شرح شيء لها، وأن لديه أشياء أخرى بعد.

ـ أماندا، أنا أشعر بأني مرتبط بك فعلاً وأنني معجب بك لاعتقادي أنك أنت أيضاً لك بابك الفولاذي. فأنت جميلة، طموحة، مستقلة. وأنا لا أستطيع أبداً أن أحب وأحترم الفتاة التي أصبح بالنسبة لها السبب الوحيد للعيش. فالناس، بلا شك، خلق بعضهم للبعض الآخر لكن قليلاً! إذن! هل كل شيء على ما يرام؟ فاغتصبت ضحكة مرحة نوعاً ما ثم أجابت:

ـ على ما يرام. ما عدا أنك إن عملت مقلباً هذا المساء.... (وضحك بدوره) فإنني سأحولك إلى فتات.

ـ لن أجرؤ على المغامرة بذلك. إذ يبدو أن فتيات الجنوب لهن أيدٍ تلطم.

ـ الجنوب!! أنا لم أقل لك أبداً إنني من الجنوب.

ـ أنت لم تقولي شيئاً يا حلوتي أماندا، ولعل هذا سبب سحرك. لكن عندما يحدث لك أن تتحدثي فإنني أشم رائحة جورجيا أو الباما في حديثك.

ـ أنت مخطئ باسم الولاية فقط. (وبعد وقفة قصيرة من الصمت استأنفت) لكنني لم أقل لك شيئاً عن نفسي لأنك لم تسألني أبداً، إلا أنني أود أن تعرف كل شيء عني.

ـ يا حلوتي، لا شيء قاتل أكثر من امرأة بلا سر. فعندما يعرف المرء ماضي المرأة بتفاصيله كلها يقرر أنه لم يعد لديها شيء. لا شيء إلا اعتراف طويل مضجر.

ـ لكنك بالحقيقة لا تعرف شيئاً عن حياتي. أنت رجل غير فضولي.

ـ عندما التقينا، عرفت مباشرة أنك لا تقومين بجولتك الأولى في حلبة..

ـ روبن!

ـ لا تستائي. فأنا أكبر سناً بكثير من أن أهتم بكون الفتاة عذراء.

ـ مع ذلك، ليس هناك كثير من الرجال في حياتي يا روبن.

ـ انتبهي! لا تزيلي لي أوهامي، فالفتيات اللائي ارتبطن بي كن جميعاً من نموذج ماري أنطوانيت، مدام دو بمبادور وحتى لوكريس بورجيا. فإذا قلت لي لم يكن في حياتك سوى زميل دراسة صغير فلسوف تزعجينني كلياً

ـ حسناً تماماً، إذن باستطاعتي أن أحدثك عن ذلك الدكتاتور من جنوب أمريكا الذي حاول الانتحار من أجلي، أو عن ذاك الملك الذي عرض علي أن يتنازل عن عرشه كي يتزوجني. وبالانتظار سوف أعد لك شرحات وسلطة هذا المساء، اتفقنا؟

وضحك. لقد سرت من نفسها لأنها استطاعت المحافظة على حسن مزاجها.

ـ اتفقنا. ولسوف أخذ معي الخمر. فإلى هذا المساء.

أغلقت أماندا السماعة وتركت نفسها تتهاوى من جديد على السرير. لم يكن باستطاعتها الاستمرار في تمثيل ملهاة كهذه. لكنها كانت تعلم أنها مجبرة على الاستمرار كي يظل روبن على ثقة بها. شيئاً فشيئاً ستفقد رصيدها وحينذاك... لكنها قفزت خارج سريرها ومضت تفتح صنابير الحمام. كانت بكامل زينتها. فهذا اليوم لديها جلستان لكنه قد يكون يوماً رائعاً بل قد يكون أجمل أيام حياتها. فقد ظنت أنها أمسكت أخيراً بمفتاح روبن ستون: تظاهري بالبرود، لا تطلبي شيئاً، بقدر ما تقل طلباتك بقدر ما يزداد عطاؤه، وسرعان ما سوف يكتشف أنهما خلقا واحدهما للآخر وربما سيحدث هذا بسرعة أكبر مما يستطيع التصور. وللمرة الأولى مذ عرفت روبن، شعرت أنها بكامل طمأنينتها. كل شيء سيمضي حسناً. هكذا كانت قناعتها.

الفصل التاسع

ظلت أماندا محافظة على مزاجها طوال النهار. وحين طالت جلسة التصوير كثيراً وأتعبتها راحت تستعيد في ذهنها محادثتها الهاتفية مع روبن، مما جعلها تنسى الأضواء الباهرة وتشنج رقبتها والألم الأصم في ظهرها، كما جعلها تسمع بشيء من التشويش عامل التصوير وهو يقول:

«النظرة جيدة» ـ حسناً جداً يا عزيزتي، ابقي هكذا.

في الساعة الرابعة. انتهت الجلسة الأخيرة فمضت لرؤية نيك لنجورث في مكتبه فابتدرها قائلاً:

ـ برنامج الغد سوف يعجبك تماماً. الحادية عشرة صباحاً في (الأزياء) وزميلك القديم إيفان جرينبرج سيقاسمك الصور.

وسرت للغاية، جلستها الأولى ستبدأ الساعة الحادية عشرة. إذن سيكون بإمكانها أن تظل في السرير حتى التاسعة ثم تعد الإفطار لروبن...

كان الطقس دافئاً على نحو استثنائي بالنسبة لشهر شباط رغم أن الضباب كان يخيم على كل شيء وكان الجو متلبداً شديد الكثافة أمام العين. ربما لم يكن هذا صحياً تماماً. لكن درجة الحرارة كانت ثلاث عشرة وكان بإمكان أماندا أن تسير في الطريق دون أن ترتعش، ولأنها كانت سعيدة فقد كان ذلك اليوم أجمل الأيام.

عادت إلى منزلها، أطعمت سليجر، رتبت الطاولة، أعدت السلطة والشرحات، رغم أنها حين تكون مع روبن تفقد شهيتها للطعام وتكتفي ببضع لقيمات من طبقها.

وهكذا خلال عام واحد جعلتها وجباتها مع روبن تفقد خمسة كيلو غرامات من وزنها ذاك الذي لم يعد يتعدى الـ/48/ كيلو غراماً رغم أن طولها /168/سم. لكن هذا لم يضر بوجهها أبداً بل ساهم في جعله أكثر روعة للتصوير.

ضغطت على قرص التلفزيون ثم وضعته على محطة الآي بي سي، فقد كان روبن يحب مشاهدة آندي في برنامج أخبار الساعة التاسعة عشرة. وعندما يكونان معاً فإنها تلتصق به وهو يتابع البرنامج أو تجلس أحياناً في الطرف الآخر من الغرفة كي تتأمل وجهه بوضعه الجانبي. لكنها، هذا المساء، مصممة على مشاهدة البرنامج فهي تود الاهتمام بكل ما يهتم به روبن.

كان غريغوري أوستن ينتظر هو الآخر جريدة الساعة التاسعة عشرة مرة أخرى.

كان مضطراً لأن يعترف بصواب وجهة نظر روبن ستون: فأندي بارينو بدا مثيراً تماماً! إنه غريغوري الذي أعطى لروبن فكرة نقل الأخبار مباشرة وبدوره أثبت هذا الشيطان قدرة استثنائية كمدير . فقط كان مجرد شبح: بل زياراته كانت نادرة بالأحرى. لقد أثار برنامج «من الأعماق» كثيراً من التقريظ وكان ما يزال يتسلق نحو القمة.

إذن كان على روبن أن يقدم نفسه من حين إلى آخر، على الأقل كي يتقبل التهاني، لكنه ظل غائباً عن الأنظار، على عكس دانتون ملر الذي لم تكن تنقصه القدرة على تحريك الدولاب وإثارة المديح. إذ لم ينته عرض كرستي لين حتى كان هذا الأبله قد تعلق بهاتفه. كان برنامجه لا يبرهن عن شيء سوى أن على المرء ألا يقدر كثيراً ذكاء الجمهور. مجموعة بلهاء! فعرض كرستي لين ليس بذي قيمة أبداً. بل أن جوديث، زوجته، لم تستطع مشاهدته حتى آخره. وفي جرائد

الصباح ظهرت مقالات نقدية عنيفة ضده، لكن العلامات في الجداول كانت رائعة وبالتأكيد كان لا بد من مرور خمسة عشر يوماً لمعرفة نتائج السبر النهائية على المستوى الوطني.

هذا ما كان يفكر به غريغوري وهو جالس في الاستديو المكسو الجدران بالخشب. بعدئذ أشعل التلفزيون الملون الموضوع داخل الجدار. فبرامجه المفضلة هي الأفلام القديمة الملونة التي تعرض آخر الليل. لم يعد هناك نجمات سينمائيات مثل ريتا هيوارث، أليس فاي أو بتي جرابل. وحين يجفوه النوم، كان كثيراً ما يستلقي وهو يفكر بنجمات السينما اللواتي أحبهن في سره أيام الشباب.

كان جهاز التلفزيون من لون الاستديو نفسه وإنه لمدين لجوديث التي صنعت له هذه المفاجأة. فقد جعلت كل شيء يتم السنة الماضية عندما كانا يقيمان في بالم بيتش. لقد أدهش غريغوري حينذاك عدد الهواتف السرية الكثيرة التي كانت تتلقاها امرأته وكذلك رحلاتها الكثيرة إلى نيويورك بحجة الذهاب إلى طبيب الأسنان. ولدى عودتها من العطلة قدمت له، وعلى نحو مفاجئ تماماً هذا الاستديو. حتى الشريط كان موجوداً أمام الباب الثقيل المصنوع من السنديان، ولقد أعجب كثيراً بذلك. فجوديث كلها ذوق. لقد كان الأثاث كله يتميز بصفة خاصة، هي الذكورة. فأدرك أنها عانت الكثير في اختيار كل قطعة من قطع الأثاث وأن لكل منها قصة. فرسم نصف الكرة الأرضية، مثلاً، يعود بملكيته لولسون. منضدة المكتب قديمة، لا يعلم لأية حقبة تعود ولم يكن يهتم بذلك أبداً، لكنه كان قادراً أن يحدد في أي تاريخ بالضبط بدأ البرنامج الأول (أمو وأندي) في البث. وقد أظهر الكثير من الزهو عندما أصلح زوج السماعات في طفولته. العاديات القديمة، السجادات الشرقية، مزهريات عصر مانج، هذه

كلها كانت تشكل عالم جوديث. كانت جوديث تعرف ذوق زوجها تماماً ولم تكن تبحث أبداً عن فرض ذوقها عليه.

لقد اشترت له أثاثاً قديماً والحمد لله! فقد كان قوياً صلباً وليس من ذلك النوع المخنث ذي القوائم الهشة مما يصنعونه في فرنسا هذه الأيام.

ـ هذه مملكتك، قالت له حينذاك، لن آتي هنا إلا حين تدعوني.

عقد غريغوري حاجبيه. وأحس بشكل غامض بانطباع من النفور دون أن يستطيع تحديد السبب. لقد ذكره هذا بمجيئهما إلى هنا قبل سبع سنوات، حين تركا شقتهما في الطابق الأخير من بناية في شارع بارك. حينذاك أرته جوديث الغرفتين الكبيرتين المفصولتين بحاجز مضاعف مصنوع من الدف.

ـ أليس هذا رائعاً يا غريغ؟ قالت له. من الآن فصاعداً سيكون لك غرفتك ولي غرفتي. وسيكون لكل منا حمامه الخاص.

فكرة وجود حمام للسيد وحمام للسيدة كانت تسره لكنه اقترح حينذاك تحويل واحدة من الغرفتين الكبيرتين إلى صالون صغير.

ـ أحب أن أنام في الغرفة نفسها التي تنامين فيها يا جوديث، قال لها محتجاً. فانطلقت ضاحكة.

ـ لا تخش شيئاً يا حبيبي. سأستمر في التلحيم بجانبك كل الأماسي وأنت تقرأ جريدة «شارع الجدار» لكن بعدئذ سيكون بإمكاني أن أنام. لن أضطر بعد الآن لأن أوقظك عشر مرات في الليلة الواحدة كي أمنعك من الشخير.

لقد كانت على حق. فهذا حل عملي. في البداية لم يكن بود الاعتقاد بأنه يشخر فعلاً، إلى أن وضع في إحدى الليالي مسجلة قرب سريره. وفي صباح اليوم التالي كانت الشخرات التي عادت المسجلة تطلقها قد زعزعت نفسه وأريكته. فأسرع إلى الطبيب الذي قهقه ضاحكاً:

الأمر عادي تماماً يا غريغ. فبدءاً من الأربعين يبدأ الناس جمعياً بالشخير. وإنك لمحظوظ أن لديك غرفتي نوم منفصلتين. فالحضارة لم تقدم أية وسائل أخرى لتجنب مشكلة الشخير لدى الأزواج المسنين.

بعد أن قدمت له زاويتها تقدمت جوديث بسرعة لتضع يدها على المكتبة. وهناك أعملت خيالها مغيرة الألوان مبدلة الستائر والعديد من قطع الأثاث. منذ ذلك الحين لم تعد تلك الغرفة تعجب غريغوري. فقد حكم عليها أنها تشبه الشقق الفخمة في ولدورف تاورز:

نقلت جوديث إلى الاستوديو الصور المقدمة من ايزنهاور وبرنارد باروش، أما الصور المؤطرة بالفضة لأقرباء جوديث فقد ظلت تتسنم عرش المكان الواقع فوق المكتب الباذخ في المكتبة. وبعد! لماذا لم تعرض هناك تلك الصور التي تعز عليه؟ فمعظم الصور هناك كانت لأناس راقين، أختها التوأم، مثلاً، وهي أميرة إيطالية اكتسبت لقب الإمارة بزواجها، كانت تستحق فعلاً إطاراً من الفضة. كذلك الأميرات الصغيرات التي قدمتهن هي للعالم.

أما بالنسبة لصورة والد جوديث الزيتية، فقد كانت ذات أثر رائع فوق الموقد مع أنه كان لهذا الشخص العجوز هيئة من يقدم دعاية لخمر منعشة عتيقة. أما هو فلم تكن لديه صورة لوالده. ففي أرلندا الشمالية لم يكونوا يأخذون صوراً تعرض بأطر فضية. كانت جوديث وسكرتيرتها تعملان في هذه الغرفة كل صباح رغم أن استخدام كلمة (عمل) وتطبيقها على ما تقوم به جوديث جعله يبتسم. لكن ربما كان شكلاً من أشكال العمل أن تحضر للاستقبالات وترأس احتفالات البر والإحسان وتتصدر بصورة خاصة لائحة النساء الأكثر رقياً. ورأى نفسه يعترف بفضل زوجته: لقد رتبت لنفسها دعاية شخصية ممتازة

حتى أن معظم الناس يعتقدون أنه كان لديها ثروة جيدة قبل زواجها بغريغوري أوستن ذي الأصل الأرلندي الذي صنع نفسه بنفسه. وضحك غريغوري في سره. من المؤكد أن زوجته كانت تتردد دائماً على أفضل المجتمعات وأفضل المدارس. وأنها أنهت دراستها في الخارج لكن عائلتها لم تورثها قرشاً واحداً. فالدوي الكبير الذي أثاره زواج أختها من أمير إيطالي جعل الأختين التوأمين شهيرتين للغاية.

أحياناً كان غريغوري يتصور أن زوجته لا تتخيل أنها كانت غنية دائماً. وماذا بعد؟ فرؤية صديقاتها يدخلن الحياة الاجتماعية بينما تجهد نفسها لكي تحافظ على مستواها تجربة لا شك أنها كانت مرّة. لقد كانت تعيش في أوساط (بوتن مونـدان النيويوركية) عندما تزوجها، بعدئذ نقلها إلى وسط آخر، الوسط الذي مهد الحواجز الاجتماعية كلها أمامها: وسط مشاهير الناس. فلا شيء يلغي الفروق الاجتماعية أكثر من الموهبة. داني كاي استطاع أن يدخل البلاط الإنكليزي، كسياسي من طراز عال وأن يتعشى مع الملك وصاحب الآي بي سي يُستقبَل بكل ترحاب في كل مكان يذهب إليه. كانت جوديث امرأة هائلة وقد أرضاه كثيراً أنها تمكنت من تقديم الشيء الوحيد الذي كان يحتاجه في حياته.

فمنذ ذلك الحين استطاعت جوديث أن تجعل نيويورك كلها من أنصاره. بل أكثر من ذلك، استطاعت أن تكون نموذجاً للموضة والأزياء. إذ كثيراً ما كانت تظهر على الصفحة الأولى من مجلة «ثياب المرأة»، المجلة التي تقرأها كل النساء إذ مهما تلبس فإن الأخريات يتقبلنه. وكان يسر غريغوري كثيراً أن جوديث تخصه، هي التي بدت له دائماً منيعة على الوصول، ذلك الانطباع الذي رسخ في ذهنه منذ اليوم الأول الذي تقابلا فيه، والذي راح يراوده من جديد.

في الساعة السابعة إلا دقيقتين. توجه غريغوري إلى المشرب، سكب لنفسه كأس وسكي مع ماء الصودا وأعد كأس فرموث بالثلج لجوديث، متسائلاً كيف يمكنها تناول هذا الشراب اللعين الذي يشبه طعمه طعم الدهان. جوديث تدعي أن جميلات أوروبا الشهيرات جميعاً يتمسكن بشرب النبيذ أو الفرموث وكان هذا يعني بوضوح الجميلات الأربعينيات. وإنه لشيء غريب أن امرأة جميلة كجوديث تهتم بعمرها إلى حد يقارب التعقيد أحياناً.

دخلت جوديث بعد أن حطمت كأساً صغيرة على الباب. هذا الطقس من طقوسها المعتادة كان عبارة عن مزحة تقبلها عن طواعية. فهي، بطلبها الإذن بالدخول إلى الأستوديو بهذه الطريقة، إنما كانت تمحو توبيخات ضميرها التي شعرت بها بعد استيلائها على المكتبة.

جلست جوديث في مقعد قبالته. وككل مساء وفي اللحظة نفسها تقريباً، فكر في نفسه «يالله كم هي جميلة»! ففي السادسة والأربعين كانت تبدو وكأنها لم تبلغ الخامسة والثلاثين، فشعر بنفحة من الكبرياء وبشيء من الراحة. لقد عبد هذا الأستوديو اللعين الذي دخل شيئاً فشيئاً في حياتهما، إذ حتى عندما كانا يذهبان إلى المسرح أو يستقبلان الناس للعشاء، كانا يتناولان معاً المقبل «في الأستوديو» وهما يشاهدان برنامج نشاطات الساعة التاسعة عشرة. فغريغوري أوستن لا يقبل أي شيء قبل هذا البرنامج وجوديث كانت قد رتبت بكل لطف حياتهما وارتباطاتهما وفقاً لهذه القاعدة.

بدأ البرنامج هكذا: أخبار الساعة السابعة تتمنى لكم مساء سعيداً. في نهاية البرنامج سنكون قد استمتعنا باستقبال زائر غير منتظر بشخص السيد روبن ستون مدير نشاطات الآي بي سي، المخرج الشهير لبرنامج «من الأعماق».

ـ ماذا تريد أن تقول!؟ هتف غريغوري مائلاً بجسده نحو جهاز التلفزيون.

ـ منذ متى انتقل روبن إلى جريدة الساعة التاسعة عشرة؟ سألت جوديث.

ـ المرة الأولى.

ـ إنه رجل جميل جداً، لاحظت جوديث. لكني عندما أراقبه في برنامج «من الأعماق» أشعر وكأنه يحاول عدم الظهور أمام الكاميرا، فكيف تراه في الواقع؟

ـ تماماً كما هو على الشاشة. لقد وصفته بدقة، فهذا الرجل لغز، ظاهرياً هو رجل ساحر، لكنه دائماً إنسان متجرد من شخصيته تماماً.

وأضاء بريق من الاهتمام وجه جوديث ثم قالت:

ـ دعنا ندعُه إلى العشاء في إحدى الأمسيات. إنني أحب التعرف إليه.

ـ أنت غير جادة، قال غريغوري ضاحكاً.

ـ ولم لا؟ فكثيرات من صديقاتي يمتن شوقاً للتعرف إليه. والمرء لا يراه في الحياة العامة وقد بدأ يصبح مشهوراً.

ـ جوديث، أنت تعرفين مبدئي: فأنا لا أخالط أبداً أولئك الذين أشتغل معهم.

ـ عندما نكون على الشاطئ نذهب إلى كل مكان لحضور حفلات استقبالهم.

ـ ذاك على الشاطئ، ولأنني أراك راغبة بذلك لكن هنا الأمر يختلف. إنهم هم الذين يستقبلوننا. أما نحن فلا ندعوهم أبداً إلى منزلنا. احتفالنا الصغير في رأس السنة كافٍ بالنسبة لهم، والأمور تسير تماماً بهذه الطريقة. فهم يشعرون حينما يأتون إلينا بأنهم يدخلون إلى البلاط.

فربتت يده قائلة:

ـ بالنسبة لرجل تربى في الشارع العاشر، تبدو أنت رجلاً حديث النعمة فعلاً.

ـ كلا، لدي حس عملي. فما من شخص يهتم أقل مني بالحفلات الاجتماعية أو بالمركز الاجتماعي، لكنني أعلم أن الناس يبحثون دائماً عن كل ما هو صعب المنال.

فضحكت جوديث قائلة: غريغوري إنك لحاذق قذر!!

ـ بالتأكيد، ثم هنالك شيء آخر، هو أن حفلتنا في رأس السنة ليست مفتوحة لكل الناس. فمن بين العاملين في الآي بي سي هناك القلة الذين أفلحوا في تلقي دعوة منا.

فابتسمت.

ـ كوكتيلنا عبارة عن لعبة قديمة قِدَمَ حفلة رأس السنة، ولقد كان بسبب فكرتي. هل تعلم أنه بعد ريبورتاج مجلة «ثياب المرأة» أصبح هذا واحداً من أحداث العام العالمية؟ بل إن ارنستين كارتر نفسه كرس له مقالة في جريدة التايمز الإنكليزية.

ـ هذا العام، هناك كثير من الشخصيات ستظهر على المسرح.

ـ لكن لا مناص من وجودهم كلهم يا عزيزي. فهم من يضفي شيئاً من الأنس على أمسيتنا. ثم، ليس من السهل أبداً جمع الناس تماماً في هذا اليوم من السنة.

هنا أشار لها إشارة السكوت مستمعاً إلى خبر أثار اهتمامه. فلم تنبس جوديث ببنت شفة حتى بداية الإعلانات.

ـ متى سنتمكن من الذهاب إلى بالم بيتش؟ استأنفت جوديث. إننا نغادر عادة في نهاية شباط، لكنك تشبثت بالبقاء في المدينة حتى البرنامج الأول من «عرض كرستي لين» الفظيع هذا.

ـ أقدر أننا سنظل أسابيع عدة أخرى، إذ أعتقد أننا سنحقق نجاحا حقيقياً. لكن اذهبي أنت، وسألحق بك فيما بعد، على الأكثر في الأول من شهر آذار.

ـ إذن سأذهب يوم الخميس، وسيكون المنزل على أتم استعداد لاستقبالك. فهز رأسه شارد الذهن. كانت الأخبار قد عادت من جديد.

تأملت جوديث الشاشة دون أن توليها الكثير من الاهتمام.

ـ على روبن ستون أن ينتظر إذن حتى رأس السنة القادمة.

ـ بل أكثر، قال غريغوري ماداً كأسه إلى زوجته كي تملأها من جديد.

ـ ولم هذا؟

ـ إن استقبلته سأكون مضطراً لدعوة المديرين الآخرين جميعاً. فكري بالأمر قليلاً. فدانتون ملر لم يأت إلى منزلنا إلا هذه السنة.

ثم انحنى بجسده كي يرفع الصوت قليلاً. فمدت يدها إليه بالكأس ثم استندت إلى كتفه قائلة:

ـ عزيزي، دانتون ملر لا يثير اهتمام أي من صديقاتي، أما روبن فكلهن يلححن على التعرف إليه.

فربت يدها قائلاً:

ـ سنرى. أمامنا عام كامل وربما جرت أشياء كثيرة حتى ذلك الحين.

ومن جديد انحنى بجسده إلى الأمام. فقد ظهر روبن مجسماً على الشاشة، فأدرك غريغوري لماذا يثير اهتمام صديقات جوديث: إنه رجل جميل للغاية. («مساء الخير» وتردد الصوت الأجش رانا في أرجاء الغرفة) بين أخبار الأيام الأخيرة ثمة مغامرة قرصنة أثارت اهتمامنا جميعاً. هذه المغامرة هي احتجاز السفينة «سانتا ماريا» في عرض البحر من قبل 24 رجلاً من المنفيين السياسيين البرتغاليين

والإسبانيين وستة من أفراد الطاقم. هذا التمرد قاده إزيك جالفاو وهو نقيب قديم في الجيش البرتغالي. منذ ثلاثة أيام، أي في الحادي والثلاثين من كانون الثاني، صعد الأميرال سميث إلى ظهر السفينة سانتا ماريا على بعد حوالي ثلاثين ميلاً داخل مياه برنامبوك في البرازيل حيث تباحث مع جالفاو. ولقد علمت أن جالفاو وافق على السماح للمسافرين بمغادرة السفينة هذا اليوم. وقد وعد رئيس جمهورية البرازيل، جانيو كادروس، بإعطاء جالفاو وجماعته التسعة والعشرين حق اللجوء السياسي. هناك على ظهر السفينة سانتا ماريا سياح أمريكيون، والمحرر الصحفي الذي يتكلم إليكم قد عمل جاهداً للحصول على مقابلة مصورة مع أريك جالفاو. وإنني سأغادر هذا المساء نفسه لمقابلته، وآمل أن أسجل لكم، من أجل برنامج «من الأعماق» هذه المقابلة مع جالفاو وربما مقابلات مع أشخاص آخرين من المسافرين الأمريكيين الذين كانوا موجودين على ظهر السفينة عندما احتجزها القراصنة. مساء سعيداً وشكراً لإصغائكم.

وبحركة ساخطة أطفأ غريغوري الجهاز.

ـ أية وقاحة! كيف يسمح لنفسه أن يتصرف هكذا دون استشارة أحد؟ لماذا لم يكلمني أبداً حول الموضوع؟ منذ بضعة أسابيع فقط كان في لندن. إنني أريد برامج مباشرة لا برامج مختلفة. فهذا أفضل الأسباب في أننا نبيع تسجيلاتنا لشبكات التلفزيون الأخرى.

ـ روبن لا يرغب في أن يجعل برنامج «من الأعماق» برنامجاً بسيطاً ومباشراً. إنه يقدم الناس المشهورين في العالم كله، ولهذا أصبح لبرنامجه هذه السمعة الطيبة. أنا شخصياً، أجدها فكرة رائعة أن يصور جالفاو ويقدمه في برنامج «من الأعماق» وسأكون سعيدة أن أرى الرجل الذي توفرت له الشجاعة وهو في السادسة والستين من عمره لأن يسيطر على سفينة من نوع راق جداً تحمل ستمائة راكب.

لكن غريغوري كان قد رفع السماعة وطلب من عاملة المقسم في الآي بي سي أن تجد له دانتون ملر حيثما كان، فردت بعد خمس دقائق وصاح جريجوري محمراً من الغضب:

ـ دان، أراهن أنك لا تعرف شيئاً مما يجري. بل كل ما يهمك هو أن تذهب وتتبختر في الـ/21/..

فقاطعه دان بهدوء: «الحقيقة، الحقيقة، أنني أتمدد مسترخياً على مقعد جميل في الصالة أراقب برنامجنا «أخبار الساعة السابعة».

ـ إذن، أنت مطلع على خبر مغادرة روبن إلى البرازيل؟

ـ ولماذا أكون مطلعاً؟ هو غير مسؤول أمام أحد سواك.

فاحمر غريغوري أكثر وأكثر.

ـ لكن بحق الإله. قل لي لِمَ لم يخبرني شيئاً عن الموضوع؟

ـ ربما حاول أني فعل ذلك دون أن يجدك، فقد كنت متغيباً عن مكتبك طوال النهار. أنا نفسي حاولت الاتصال بك مرات عدة في فترة ما بعد الظهر كي أنقل لك آخر أخبار «عرض كرستي لين». في الولاية أخبار الجرائد ممتازة، وقد وضعت التقرير على مكتبك.

فصرف غريغوري أسنانه غاضباً.

ـ الحقيقة أنني كنت غائباً عصر اليوم. لكن لي الحق كله في أن آخذ إجازة نصف يوم في الشهر (كان قد اشترى فرسين وذهب لرؤيتهما في وستبري) إذن ماذا؟ يا للعنة!! إن غبت يوماً واحداً، هل تنقلب الشبكة كلها رأساً على عقب؟

ـ أنا لا أظن أن الآي بي سي انقلبت لأن أحد موظفيها مسافر إلى البرازيل. إلا أنني أجد الأمر مسيئاً أن يستخدم روبن برنامج أخبار الساعة السابعة للدعاية لشخصه. إذ ما من مدير إدارة يجب أن يسمح

لنفسه بممارسة حرية كهذه. لكن لسوء الحظ، روبن ليس بإمرتي، وبما أنه لم يستطع الاتصال بك فلعله استخدم هذه الوسيلة لإعلامك. إنها أسرع من البرقية.

أغلق غريغوري السماعة بحركة عنيفة. لقد استمتع دانتون ملر بالموقف، الأمر الذي حول غضبه إلى سخط أعمى أبقى نظرته ثابتة وقبضتيه مشدودتين. فقدمت له جوديث كأس وسكي ثالثة وابتسمت له.

ـ تصرفك أشبه بتصرف الأطفال. روبن ستون يحاول القيام بسبق كبير من أجل شبكتك ذلك أن كل من يشاهدون الجريدة المتلفزة سوف ينتظرون بفارغ صبر المقابلة مع جالفاو. والآن ارتح واشرب. فهم ينتظروننا في الساعة الثامنة والربع كي نتعشى في مطعم (كولوني).

ـ أنا جاهز.

فداعبت وجنته برقة بالغة.

ـ لعل من الأفضل أن تمر بآلة الحلاقة الكهربائية قليلاً على ذقنك. ستتعشى مع السفير راجيل وسنرى ثلاثة من خيوله العربية الأصيلة. إذن، كن لطيفاً وابتسم واستعد من جديد سحرك الأوستيني الشهير.

ابتسم غريغوري.

ـ ماذا تريدين؟ إنني صاحب مؤسسة ولي عقلية صاحب مؤسسة، قال ذلك بأسى. لكن أنت على حق. فهذا الإعلان هو مبادرة دعائية ممتازة. لكنه يتصرف بشبكتي، الشبكة التي أسستها وطورتها بنفسي وأنا لا أحب أن يتصرف أحد على هواه ويتخذ قرارات في مؤسستي دون استشارتي...

ـ وأنت لا تحب كذلك أن يشتري سائسك خيولاً دون أن تراها. وليس باستطاعتك أن تكون في كل مكان في الوقت نفسه.

ـ أنت دائماً مصيبة يا جوديث. قال ذلك وهو يبتسم، فابتسمت بدورها أيضاً، ثم استأنفت:

ـ وإنني لآمل أن يكون روبن ستون في رأس السنة القادمة جديراً بالظهور بين مدعوينا.

تجمدت أماندا تماماً أمام الشاشة وهي تستمع للأخبار. هذا ليس صحيحاً!! بين ثانية وأخرى سيرن الجرس وستجد روبن على عتبة الباب. ربما كان قد صار في طريقه إليها، حيث ستنقله فيما بعد إلى الطائرة.

انتظرت عشر دقائق وحين أصبحت الساعة الثامنة والربع كانت قد دخنت ست سجائر. فطلبت منزله إلا أن الهاتف رن عبثاً. طلبت بعدئذ الآي بي سي إلا أنها لم تجد من يعلم على أية طائرة غادر روبن ستون. أحدهم اقترح أن تسأل (البان آم).

في الساعة الثامنة والنصف رن الهاتف. فهبت تجيبه بسرعة كبيرة إلى حد اصطدمت معه برأس السرير. (إيفان الرهيب على الخط).

وانقلب وجه أماندا. لقد كانت تحب إيفان جرينبرج تماماً، لكن دموع الغيظ بدأت تسيل على وجنتيها.

ـ هل تسمعينني، ماندي؟

ـ أجل، أجابته بصوت منخفض.

ـ اعذريني، فربما أربكتك.

ـ كلا، فقط كنت أشاهد التلفزيون.

فانفجر مقهقهاً.

ـ فهمت فهمت. بما أنك الآن نجمة تلفزيونية فعليك أن تدرسي وقائع التلفزيون.

ـ إيفان، أنا أعبدك، لكنني أريد أن يبقى خطي فارغاً. إنني بانتظار مخابرة هامة.

ـ تمام يا حمامتي. فقط كنت قد استمعت لأخبار الساعة السابعة وبما أن رجلك العظيم غادر الآن فإنني آمل أن توافقي على تناول هامبرجر معي.

ـ حرر لي الخط، إيفان، أرجوك.

ـ تصبحين على خير، نامي حسناً، فغدا ستقفين للتصوير في الحادية عشرة.

أعادت أماندا سماعتها وأبقت نظرتها مثبتة على الجهاز. في التاسعة والربع طلبت شركة (بان آم) وكان الجواب، أجل هناك شخص باسم روبن ستون سافر على طائرة الساعة التاسعة. فتركت نفسها تسقط على المقعد والدموع تسيل من عينيها تاركة آثار الكحل الأسود على وجنتيها. لقد أفسدت كحلتها وأجفانها الاصطناعية أيضاً. فنزعتها من مكانها ووضعتها على طاولة السرير قربها.

نهضت أماندا ببطء، فعليها أن تتكلم مع أي كائن. لقد مر زمن طويل مذ كان إيفان موضع سرها، فدقت رقمه. وفي الرنة الثانية سمعت صوته، فتنفست الصعداء.

ـ إيفان، أريد شيئاً من الهامبرجر.

ـ مرحى! لقد كنت على أهبة الخروج. نلتقي عند «نزل النمر» فهناك حانة جديدة على زاوية الشارع الخامس والطريق الثالث والخمسين، قريباً جداً من منزلك.

ـ كلا، اشتر الهامبرجر وأحضره إلى هنا.

ـ أرى ذلك! أرى ذلك! جلسة عذاب إذن.

ـ أرجوك، إيفان، لدي شرحات وسلطة إن كنت تفضلها.

ـ كلا، يا حمامتي. فأنت، إن ظللت في منزلك ستعانين من تأزم عصبي وستكون عيناك غداً متورمتين. أنت ستصورين مواقف معي، لا تنسي ذلك. لقد توجب علي أنا، عندما غادر السيد ستون إلى لندن، أن أرتب أعمال الإنارة طوال ساعة كاملة. فإذا أردت هامبرجر، ستتناولينه في نزل النمر. بين الناس تكونين مجبرة على السيطرة على نفسك.

ـ لكنني مخيفة المظهر الآن ويلزمني أكثر من ساعة لإعادة زينتي.

ـ ألم تسمعي بالنظارات السوداء أبداً؟

ـ ولم تكن تملك الجرأة لمناقشته فأجابت:

ـ اتفقنا. سأكون هناك خلال ربع ساعة.

كان نزل النمر قد اشتهر إلى حد كبير. وكانت طاولاته كلها مشغولة تقريباً. في الصالة عرفت أماندا عدة عارضات أزياء وعدة عملاء دعاية. وراحت تقضم الهامبرجر متأملة إيفان دون أن تقول شيئاً، باحثة في سرها عن جواب لمعضلة روبن ستون.

حك إيفان رأسه ثم قال:

ـ أنا لا أعلم، كيف يحبك في الصباح، ويختفي في المساء. مع كل المشاهير في نيويورك هل كان عليك أن تختاري واحداً مثل روبن ستون؟ هذا الولد لا يصل حتى إلى مستواك، فمن هو بالنتيجة؟ صحفي صغير يعمل في التلفزيون.

ـ ليس ذلك فقط، فهو مدير المعلومات في الآي بي سي. فهز إيفان كتفيه.

ـ جميل! أراهن أنني إن أعلنت اسميكما ستجدين على كل طاولة من يعرفك وعلى كل طاولة من يسأل: «من هو روبن هذا»؟

فراغت جانباً مبتسمة ابتسامة صغيرة:

ـ روبن لا يهتم بالشهرة. بل نحن لا نرتاد الأماكن المشهورة أبداً. إنه يتمسك بالذهاب إلى أحد المطاعم الإيطالية وإلى اللانسر، وأحياناً نتعشى في مطبخي.

ـ مرحى! هذه حياة ذات معنى.

ـ إنها الحياة التي أحبها يا إيفان. اسمع، إنني في نيويورك منذ خمس سنوات ولقد ذهبت إلى كل مكان، لكن ما من شيء يهمني سوى أن أكون معه. فأنا أحبه.

ـ لماذا؟

فخطت الأحرف الأولى من اسم روبن على غطاء الطاولة الورقي الرطبة، ثم قالت:

ـ أود من قلبي لو أعرف السبب.

ـ هل هو أفضل من الآخرين في السرير؟ هل له مزايا سرية خاصة؟

فأدارت رأسها بعيداً عنه والدموع تنساب من تحت النظارات السوداء.

ـ هيا، هيا، ماندي ثمة كثيرون يراقبونك.

ـ سواء بسواء، فأنا لا أعرف أحداً منهم.

ـ لكنهم يعرفونك! فهذا الشهر بالذات ظهرت على الصفحة الأولى لمجلتين. أنت معروفة حقاً. أريحي نفسك واستفيدي من الوقت.

ـ إنني أسخر من نفسي.

ـ حسناً، أنت مخطئة إذن. فروبينك هذا لن يدفع لك أجرة منزلك ولن يقدم لك معاطف الفراء، أم ترى لا يعني كسب المال شيئاً بالنسبة لك؟ ألديك والدان ثريان أم مصادر مال أخرى؟

ـ كلا، إنني أعيش من عرق جبيني. فأمي متوفاة وقد ربتني خالة، أنا الآن ملزمة بإعالتها.

ـ إذن، فكري جدياً بالأمر. اعملي أقصى ما تستطيعين هذا العام فقد يكون العام القادم دور عارضة أخرى. وإن أصبحت نجمة فلا تكوني غبية. ليدفعوا لك كنجمة ولسوف تبقين مشهورة ربما اثني عشر عاماً قادماً.

واستمرت الدموع تنهمر على وجنتي أماندا..

ـ لكن هذا لا يعطيني روبن.

ـ بماذا تلعبين يا صغيرتي؟ بتدمير نفسك؟ هل يسرك كثيراً أن تظلي تبكين وأنت تفكرين به؟ هل تفكرين أنه بهذه الطريقة سيعود إليك؟

ـ هل تعتقد أنني فقدته كلية؟

ـ أرجو ذلك وأتمناه. فهذا الغلام لا يحمل لك إلا النحس. ومثل هذا الصنف اللامبالي يدمر كل من يمسه.

ـ كلا، إنه خطئي. وإنني أعرفه. فهذا الصباح أزعجته على الهاتف.

ـ ماندي، أنت مريضة. ربما لم يضع شيء. وربما كان روبن أفضل من هذا. لكن ما أنت إلا بلهاء.

ـ لماذا؟ ألأنني حزينة مهتمة؟ وبعد كل ما فعله بي؟!

ـ ماذا فعل بك؟ عمله يقتضي منه أن يسافر دون وداعك، ماذا في الأمر؟ أنا نفسي حدث لي هذا لكن دون أن تصنعي من ذلك قضية رغم أننا أصدقاء.

ـ الصداقة غير الحب.

ـ هل يدمر الحب كل شيء برأيك؟

فرسمت ابتسامة على شفتيها.

ـ اسمعي، استأنف إيفان لعل روبن حصان غير سيء في النهاية، أنا لا أعرفه إلا من كلامك أنت. لكن عليك أنت أن تقودي القطار كي تنجحي في مهنتك. اجعليه فخوراً بك. فهذه هي الطريقة الوحيدة للحفاظ على الرجل.

ـ يسمعك المرء فيخيل إليه أن كل شيء سهل يسير بل ربما خلال خمس دقائق ستجعلني أتخيل أنه في طريقه لإرسال برقية لي.

ـ قد يحصل هذا. لكنك تخطئين إن تقنعي بانتظاره. رتبي نفسك بالأحرى كي يعتقد هو أنك تقضين وقتاً ممتعاً.

ـ هذا يعطيه الحجة للتخلي عني.

ـ حسب كلامك ليس روبن من النوع الذي يبحث عن حجة. إنه يفعل ما يعجبه. حاولي التظاهر باللامبالاة واخرجي مع أناس آخرين في غيابه.

ـ مع من؟

ـ أنا لن أرشح لك فرساناً أجراء يا حمامتي، أنت بالتأكيد، تعرفين قدراً لا بأس به من الرجال.

فهزت رأسها:

ـ منذ سنة لم أر أحداً إلا روبن.

ـ ولم يتقرب أحد منك أبداً؟

ـ لا أحد ممن يلفت الانتباه، قالت مع ابتسامة صغيرة. ربما ذلك التافه كرستي لين إنما لم تكن عملية تقرب حقيقية، بل مجرد دعوة للخروج معه.

ـ قد تقعين في الأسوأ.

فتفحصت وجه إيفان وعندما رأت أنه جاد في كلامه أطرقت قليلاً.

ـ ماذا تجدين فيه من عيوب، كرستي لين هذا؟ استأنف إيفان.

ـ هل رأيت برنامجه؟ إنه تافه، لا يملك أقل جاذبية.

ـ لأقل لك الحقيقة. أنا لم أجد فيه ما يعطيه هيئة «السيد النبيل» إنه النموذج العادي الذي صنعت منه الظروف نجماً.

ـ إنه نجم عرضه الخاص وهذا كل ما في الأمر. هل قرأت مقالة التايمز؟ إنها تقول أن برنامجه لن يدوم أكثر من فصل.

ـ لكنك خلال ثلاثة أشهر ستصنعين دعاية رائعة لنفسك إذا ما ظهرت معه.

ـ أنا لا أطيقه ولا أستطيع تحمله.

ـ أنا لا أقول لك مارسي الحب معه، بل بكل بساطة اتركي قليلاً من شهرته تمد ظلالها عليك.

ـ لن يكون في ذلك شيء من الشرف، خاصة عندما يكون المرء وجهاً لوجه معه.

ـ أنت فتاة أنيقة رائعة صغيرة ليس في وجهها تجعيدة واحدة. وستكونين بلهاء للغاية إذا اعتقدت أن هذا سيدوم إلى الأبد. عزيزتي، أنا في الثامنة والثلاثين ومازال باستطاعتي أن ألتهم كل فتيات الثامنة عشرة اللواتي أرغب بهن، بل حتى أبلغ الثامنة والأربعين أو الثامنة والخمسين ـ فسيكون باستطاعتي أن أفعل ذلك دائماً. لكن أنت عندما تبلغين الثامنة والثلاثين، لن يكون باستطاعتك أن تقفي لتصوير شيء ما عدا ثياب السهرة التي تنحدر حتى الأرض، هذا إن لم تطيري كلياً. فسيكون كل شيء بالنسبة لوجهك ويديك قد انتهى. وفي لحظة كتلك اللحظة لن يتنازل حتى تافه مثل كرستي لأن ينظر إليك. لكن بانتظار ذلك ـ وربما حتى ست سنوات من الآن ـ سيكون باستطاعتك أن تنالي كل ما تبتغين.

ـ ما عدا الرجل الذي أحب.

ـ اسمعي، أنت فتاة جيدة، وأنا أعرف ذلك. غير أنني لا أريد أن أضيع وقتي معك في حين أن لـدي الكثير ممـا أفعلـه، وفي حـين أن هنالك ثلاث فأرات ينتظرن إشارة مني. كوني واقعية وانظـري للأشـياء دون مواربة. روبن ليس كالآخرين، إنه نوع مـن أنـواع الرجـل الآلي، احمي نفسك يا فتفوتتي، فهذه هي فرصـتك الوحيـدة. وبكـل شـرود أومأت برأسها موافقـة علـى كـلام إيفـان وهـي ترسـم علـى الطاولـة الحروف الأولى من اسم روبن.

الفصل العاشر

دخلت أماندا شقتها فوجدت برقية منزلقة تحت الباب، أمسكت بها ثم فتحتها آلياً ـ لا شك أنها دعوة لتدشين محل ما ـ «أصل مطار ادلولد الساعة الثانية صباحاً على متن طائرة من طائرات ت. و. آ 3 إذا كنت صديقتي حقاً، استأجري لي سيارة وانتظريني: «روبن».

فنظرت إلى ساعتها، الثانية عشرة إلا ربعاً. حمداً لله، ما يزال لديها بعض الوقت. وأسرعت إلى الهاتف تحجز سيارة. أبداً لن تفهم روبن. فهو لم ينفق سنتيماً واحداً كي يقول لها «وداعاً» لكنه يرسل برقية كي يعلمها بعودته. وتمكنت من تخصيص دقيقتين لإعادة زينتها من جديد وتغيير ثوبها. فعليها أن تقدم نفسها له بأفضل هيئة، وراحت تغني وهي تغير زينتها، وللمرة الأولى منذ أربعة أسابيع وأربعة أيام لم تشعر قط بالتعب.

كانت أماندا تنتظر على البوابة رقم7. وكانت الطائرة قد حطت على التو. بدأ المسافرون يهبطون السلم، فرأت روبن مباشرة. لقد كان مختلفاً عن الرجال الآخرين. فالآخرون يسيرون أما روبن فقد بدا وكأنه يعوم وسط الحشد. عندما وصل إليها رمى حقيبته وأخذها بين ذراعيه سائلاً ـ كيف حال النجمة الجديدة للشاشة الصغيرة؟

ـ سعيدة جداً بأن تكون في حضرة أعظم محرر صحافي في العالم.

ـ أجابت بلهجة سؤاله نفسها مقسمة في سرها إلا تكلمه كلمة واحدة عن البارونة. وضع ذراعه حول كتفها ثم سارا باتجاه السيارة.

ـ أنا لا أفهم، قالت له، كنت أظن أنك في لندن فإذا ببرقيتك تأتيني من لوس أنجلوس.

ـ لقد أخذت طريق القطب، ثم توقفت بضعة أيام في لوس انجلوس.

وبحث في جيبه قليلاً ثم مد لها يده بصرة صغيرة:

ـ هدية لك، نسيت أن أصرح عنها للجمارك فها أنذا مهرب.

في السيارة، ألقت نفسها عليه ثم فتحت الصرة فإذا بها علبة سجاير جميلة جداً قديمة الطراز فأدركت أن سعرها عال لكنها كانت تفضل شيئاً شخصياً أكثر وأقل كلفة.

ـ آمل أنك ما تزال تدخن؟

فضحك ساحباً من جيبه علبة من السجائر الإنجليزية مقدماً واحدة لها. سحبت نفساً عميقاً لكن قوة الدخان قطعت لها أنفاسها. فأخذ منها السيجارة وقبلها برقة على شفتيها:

ـ هل افتقدتني؟

ـ أجل لأن... ك تركتني وأنا حاملة طبقي شرحات على ذراعي. فلم أعرف إن كان ينبغي أن أتأسى عليك أو أن أقتلك. (فتأملها بنظرة شاردة كما لو أنه كان يفتش عن ذكرى شيء ما) لقد كان باستطاعتك أن تخبرني هاتفياً وتقول لي (عزيزتي، استرجعي الشرحات من الفرن، فأنا لا أستطيع المجيء).

ـ ألم أفعل ذلك؟ وبدا مفاجئاً فعلاً.

ـ دعنا ننسى ذلك، فقد استفاد القط منها يوم ذاك.

ـ لكنك كنت تعرفين بسفري. وظهر منزعجاً على نحو ما.

ـ حسناً، لقد عرفت ذلك من التلفزيون. لكنك غبت زمناً طويلاً جداً. فمرر ذراعه حول كتفها وشدها إليه بقوة أكبر.

ـ حسناً، الآن ها أنذا عدت، فهل أنت متعبة؟

التصقت به أكثر وأكثر قائلة:

ـ بالنسبة لك، أبداً؟

فعانقها طويلاً وبشدة بينما كانت نظرته لطيفة ويده تتلمس وجهها مثل أعمى يفتش عن دربه.

ـ حبيبتي أماندا، أنت جميلة للغاية.

ـ روبن، خلال غيابك كنت أخرج مع كرستي لين. فبدا وكأنه يقوم بجهد ما كي يصنع صورة لهذا الاسم، فأضافت: نجم البرنامج.

ـ آه، أجل، يقال إنه يسير بشكل جيد. لقد رأيت علامات الجداول.

ـ وقد ترافق اسمي مع اسمه في الجرائد.

ـ هل رفع هذا من تعرفتك كعارضة؟

وابتسم بمودة، فهزت كتفيها.

ـ إنني أرتب أموري بشكل معقول.

ـ تمام.

فتأملته، ثم قالت:

ـ الناس ... أخيراً، البعض يتصورون أنني عشيقته، وبودي أن تعرف أن هذا مجرد أقاويل كاذبة لكن كل ما أبتغيه هو أن تأخذ فكرة عن الموضوع.

ـ فكرة، لماذا؟

ـ كنت أخشى... (فأشعل سيجارة أخرى) لكنني أرى أنني كنت مخطئة في قلقي.

فبدأ يضحك:

ـ أنت معروفة، والناس المعروفون تتكلم الصحف عنهم.

ـ لكن ألا يزعجك أن أخرج مع كرستي؟

ـ أنا لا أرى كيف يمكن لهـذا أن يـزعجني. أنـا نفـسي كنـت في لندن، ولا أستطيع الادعاء أنني عشت في صومعة.

فانفصلت عنه ثم التفتت باتجاه النافـذة الزجاجيـة، متأملـة الليـل الساكن والسيارات التي تعبر بهم، فمد ذراعه ممسكاً بيـدها، إلا أنهـا سحبتها.

ـ روبن، هل تبحث عن إيلامي؟

ـ كلا (وبدا صادقاً تماماً) ليس أكثر مما تبحثين عن غمي.

ـ لكنني صديقتك الخاصة، أليس كذلك؟

ـ بلا أدنى شك، (ودائماً هذه الابتـسامة اللعينـة) لكـنني لم أقـل أبداً إنني أريد أن أقودك من خطمك.

ـ هل تريد أن تقول إنه سواء لديك إن خرجت معـه أم لم أخـرج وإنه سيظل سواء لديك أن استمر بالخروج معه أم لا؟

ـ تماماً.

ـ وحتى إن نمت معه؟

ـ هذا شأنك.

ـ لكن ألا يساوي عندك أي شيء؟

ـ إذا ما قلته لي ـ نعم؟ فإنه سيترك في نفسي شيئاً ما.

ـ إذن، أنت تفضل ألا أقوله لك أبداً؟

ـ حسناً، أماندا هل نمت معه؟

ـ كلا، لكنه طلب إلي أن أنام معه. بل إنه يتكلم عن الزواج أيضاً.

ـ لك أن تري..

ـ روبن، قل للسائق أن يقف عند منزلي أولاً.

ـ لماذا؟

ـ أريد أن أعود... وحيدة.

فأخذها بين ذراعيه.

ـ عزيزتي، لقد قطعت كل الطريق إلى إدلولد لكي تلاقيني، فما الذي دهاك؟

ـ روبن أنت لا تفهم إذن، أنني...

وبقبلة، وضع روبن حداً لشروحها وتفسيراتها.

قضت أماندا وروبن ليلتهما معاً يحتضن واحدهما الآخر، ولم يرد ذكر كرستي لين فيما بعد. بل سار كل شيء وكأن روبن لم يسافر أبداً، وكما في بداية علاقتهما، وككل مرة يجدان فيها نفسيهما وحيدين معاً في السرير كان روبن: متحرقاً، متحمساً حاراً، رقيقاً.

وفي وقت متأخر من الليل، حين كانا يستريحان ويدخنان في حميمية هادئة قالت أماندا: ـ من هي هذه البارونة؟

لقد أفلت منها السؤال إفلاتاً وندمت عليه في الحال.

وبدون أن يضطرب أجاب:

ـ عاهرة ما.

ـ لا، روبن، لقد قرأت الجرائد، إنها بارونة.

ـ أوه، اللقب صحيح، لكن هذا لا يمنع أبداً أن تكون عاهرة.

ـ روبن، كن جدياً.

ـ إنني أتكلم بكل جدية. هل تعرفين آيك ريان؟ (هذا الاسم يعني بالنسبة لها شيئاً ما، وتذكرت فجأة: إنه منتج الأفلام الأمريكية الذي يعيش في إيطاليا وفرنسا ويثير كثيراً من اللغط حوله).

ـ ما له، آيك ريان هذا؟

ـ هو الذي عرفني بها.. وهو نموذج مدهش... سيقيم دار إنتاج خاصة في لوس أنجيلوس وسيبعث الحيوية في المدينة...

ـ بماذا؟

ـ بأفلامه. إنه لاعب بوكر ولديه الكثير من المعرفة. بالإضافة إلى أنه غلام جميل تعبده النساء.

ـ إنني أجده منفّراً.

ـ لماذا؟

ـ لأنه... لأنه... ولم تكمل.

فضحك.

ـ وأنا، هل أثير اشمئزازك؟

ـ كلا، فأنت تتصرف تصرف غلام صغير أحمق يظن نفسه متحرراً جداً. لكن هذا الآيك ريان الذي يفتش عن الرذالات...

ـ عزيزتي، لا عليك ... لا عليك...

ـ وهل تريدني أن أقابل نماذج من الناس كنموذجك هذا؟ هل تريدني أن أظهر بصحبته؟ فالتفت نحوها ونظر إليها محدقاً بكثير من الجدية:

ـ كلا، أماندا، أعدك بهذا، أنا لن ألزمك بالخروج مع آيك ريان أبداً.

ـ بعدئذ نهض، وأخذ منوماً مع كأس بيرة:

ـ ما أزال أسير على الساعة الأوروبية، وأشعر أنني منهك. هل تريدين كأساً؟

ـ كلا، فعلي أن أستيقظ في الساعة العاشرة.

ثم عادا إلى السرير وأخذها بين ذراعيه:

ـ أماندا يا ساحرتي الجميلة، شيء جميل أن أكون معك، لا توقظيني عندما تنهضين، فسيكون لدي عصر مثقل بالأعمال ـ البريد الذي ينتظرني والمقابلات... وأنا بحاجة للنوم.

جاء الصباح فارتدت أماندا ثيابها وغادرت الشقة دون تأخر. لقد كانت مرهقة وعملها أكثر إرهاقاً. كان شعرها قد استمر بالتساقط فخابرت نيك طالبةً منه عنوان اختصاصي بأمراض الجلد، فأجابها ضاحكاً:

ـ هل تفقدين ريشك يا صغيرتي! إنها الأعصاب.

فأجابته: ـ هذا ممكن، روبن عاد.

ـ خابري طبيبك، واطلبي منه ابر ب 12 أو فتيامينات أخرى، لكن قبل كل شيء، وبحق السماء، لا تقضي كل لياليك في ممارسة الحب.

ـ لكن ليس لي طبيب (قالت ضاحكة) لم أحتج له أبداً من قبل، لا بد أنك تعرف هذا حسناً.

ـ أماندا يا كنزي، أنت فتية جداً وصحيحة إلى حد مشجع تماماً. أما أنا فلي ستة أطباء: طبيب للحنجرة والأذن، وآخر للبروستات، وثالث للعمود الفقري المنزلق. تريدين نصيحة: تجنبي كل الأطباء. نامي حسناً هذه الليلة وعندما يظهر هذا المقال الشهير في «اللايف» ستزول كل همومك.

ربما كان على حق. في الساعة الثالثة انتهى عملها فعادت إلى شقتها كي تنام. قفز سلجر على السرير وحشر نفسه بين ذراعيها فوضعت قبلة على رأسه الأصهب.

ـ لم يأت الليل يا عزيزي الصغير، وأريد أن أرتاح وحيدة. (فخرخر صوته باقتناع) إنك الذكر الوحيد الجدير بالثقة يا سلاجي، لكن روبن عاد. وهذا المساء، عندما يكون هنا، لا تنزعج كثيراً إذا ما حبستك في الصالون.

كان لديها شعور بأنها قد أغفت وفجأة وجدت نفسها تنتصب. كان قد خيم الظلام ففتشت عن جهة توجه نفسها نحوها من الضياع الذي شعرت به. أي يوم هذا اليوم يا ترى؟ وفجأة عاد لها كل شيء، فأشعلت النور. كانت الساعة التاسعة. وقفز سلجر من السرير وهو يموء طالباً عشاءه. الساعة التاسعة وروبن لم يأت بعد! أدارت رقمه، لا أحد. عشر دقات ولا من جواب. ولم يكن باستطاعتها أن تغمض لها عين طوال الليل.

في اليوم التالي، انتظرت حتى الساعة العاشرة ثم خابرته. ربما كان مريضاً فرد: إنه على ما يرام. ببساطة كان عليه أن يصفي كل ما تراكم في غيابه. وكان سيخابرها في اليوم التالي.

في الصباح التالي، وجدت، وهي تقلب الجرائد، اسمه.

آيك ريان وروبن ستون كانا مساء في الموروكو بصحبة ممثلتين إيطاليتين ساحرتين لهما اسمان معقدان كثيراً إلى حد نسيهما محررنا، لكنه أبداً لن ينسى وجهيهما ولا.. جاذبيتهما.

فألقت الجريدة على الأرض. لقد تركها لأنه يعلم أن آيك ريان سوف يصل قريباً، لماذا قالت له إنها لا تريد أن يراها أحد بصحبته؟

ذلك المساء نفسه خرجت مع كرستي إلى مطعم داني. كانت هادئة جداً بينما كان كرستي يزمجر لأنهم وضعوه على طاولة صغيرة بمحاذاة الجدار. واحدة من الطاولتين الأولين كانت مشغولة من قبل شخصيات من هوليود والأخرى فارغة إنما مع لوحة كرتونية كتب عليها، «محجوزة». «هذه أيضاً لا شك أنها محجوزة لهؤلاء المضحكين من

هوليود» همهم كرستي وهو يحدق إلى الطاولة بعيني حاسد. هؤلاء المنحطون! إني بالتأكيد معروف أكثر بكثير من غالبية نجوم هوليود. وحاولت أن تهدئه. فليس معقولاً أن يكونا كلاهما في حالة سأم وضيق.

ـ كرستي، هذه الطاولة على ما يرام. إنني أفضلها هنا على أن تكون في الوسط. فمن هنا يستطيع المرء أن يرى كل الناس.

ـ ليس المهم المكان، بل المهم أن لي الحق بأفضل طاولة.

ـ لكنها تصبح أفضل طاولة آلياً، منذ اللحظة التي تجلس إليها.

فتأملها بعينين محملقتين:

ـ أتفكرين بذلك حقاً؟

ـ المهم، هو أن تفكر به أنت نفسك!

فابتسم ثم طلب العشاء وبسرعة استعاد مزاجه الرائق، ثم أعلن لها:

ـ مقالة اللايف سوف تظهر قريباً. (وتأملها بكثير من الهوى) ماندي، الآن هنالك شيء أرغب فيه أكثر بكثير من هذه المقالة. كيف أبرهن لك عنه؟ إنني أحبك. وكما هو شأن التلميذ الأخرق أود أن أبقى بجانبك ممسكاً بيدك لقد فكرت بالأمر، كيف يمكن لك أن تحبيني إن لم تنامي معي؟ لا، ليس هنالك إلا طريق واحد. لقد أراد إدي أن يجعلني أعتقد أنك مهووسة بروبن ستون. لكنني قرأت الجريدة هذا الصباح...

ـ كريس، باعتبارك فتحت هذا الموضوع فعلي أن أقول لك...

وتوقفت، مسمرة العينين على القادمين الأربعة الجدد الذين وضعوهم على الطاولة الأولى. داني شخصياً كان دليلهم. فتاتان ساحرتان ورجلان: أحدهما روبن ستون.

فشعرت بشيء من الدوار. كما لو أنها تلقت ضربة على الرأس. قدم روبن شعلة لإحدى الفتاتين مبتسماً لها ابتسامته المتميزة للغاية. أما الرجل الآخر فلا بد أنه كان آيك ريان.

ـ قلت لي ماذا، يا دميتي؟

كان كرستي يتأملها، وكانت تعلم أن عليها أن تجيبه، لكنها لم تستطع أن ترفع ناظريها عن روبن الذي رأته ينحني، يقبل الفتاة على طرف أنفها ثم يضحك.

ـ أوه! انظري لمن أعطوا طاولتي، قال كريس، إحدى الأمسيات، ألقيت نظرة على برنامجه. كنت أريد أن أراه. وأقول لك بصراحة: لم أستطع تحمل رؤيته أكثر من عشر دقائق. فقد كان يهذر حول كوبا وكل تلك السفاسف التي هي رأيه. أنت تتكلمين عن نجاحه. هل تعلمين ما هي الدرجة التي حصل عليها في التقرير الذي بين يديه؟

ـ إنه بين الخمسة والعشرين الأوائل، وهذا شيء ممتاز بالنسبة لبرنامج نشاطات.

ثم تساءلت بينها وبين نفسها لماذا أخذت جانب الدفاع عنه.

ـ أما أنا فسرعان ما سأكون رقم 1 سترين. كل الناس يعاملونني على هذا الأساس ما عداك.

ـ أنا... أنا أحبك كثيراً.

ـ إذن برهني على ذلك أو اخرسي.

ـ أريد أن أعود.

وأحست أنها مريضة فعلاً. فقد كان روبن يشرق كلمات الفتاة ووجهه مائل إليها.

ـ اسمعي يا دميتي، نحن لن نتخاصم. أنا أحبك لكن يجب أن ننام معاً.

ـ أعدني إلى البيت.

فتأملها بنظرة غريبة:

ـ إن أعدتك إلى البيت ستكون المرة الأخيرة. إنني أعرف متى أطلب حسابي!

راقبته أماندا وهو يوقع الحساب ثم راح يتوقف عند كل طاولة، وهما خارجان، كي يحيي أصحابها بكثير من الضجيج. كان عليهما أن يمرا أمام طاولة روبن فعرفت أن روبن سيراها. وحين وصلا إلى محاذاة طاولته نهض واقفاً، دون أن يبدو عليه أي انزعاج، بل بدا عليه نوع من الرضى لدى رؤيتها، ثم هنأ كريس على برنامجه وقام بتقديم أصحابه لهما. كانت الفتاتان كلتاهما تدعيان شيئاً مثل فرانسيسكا كذا... إنهما نجمتان إيطاليتان وكان الرجل هو آيك ريان تماماً. لقد دهشت عندما وقف آيك. إذ كان طوله يبلغ متراً وثمانين ستاً وكان شعره أسود وعيناه زرقاوين. لكنه بلونه البرونزي وهيئته الرجولية وقسماته الجميلة، لم يكن يتطابق البتة مع تصورها له.

ـ هذه هي إذن أمانا الشهيرة؟ (والتفت نحو الفتاتين الإيطاليتين ثم تكلم معهما بالإيطالية، فهزتا رأسيهما وابتسمتا للقادمة الجديدة) لقد شرحت لهما أية شخصية مهمة أنت يا أماندا.

ـ حدثهم عني، تدخل كرستي.

فقهقه آيك:

ـ لا حاجة، فهما تعرفانك، لاسيما أنهما لم تنفصلا عن التلفزيون منذ وصولهما.

بدا هذا كله وكأنه استمر قرناً كاملاً لكنهما استأذنا أخيراً وسارا. وللمرة الأخيرة التفتت أماندا إلى روبن على أمل أن ترى علامة ما في نظرته إلا أنه كان قد استأنف محادثته مع الفتاة. وكانت هذه تبتسم. كان واضحاً أنها لا تعرف من الإنكليزية إلا قليلاً.

هتف كرستي، بهيئة متجهمة منادياً تاكسي، وفجأة أمسكت أماندا بذراعه.

ـ لنذهب إلى شقتك، يا كرستي.

في صباح اليوم التالي خابرها روبن، ولم ينبس ببنت شفة عن الإيطاليتين. كان مسافراً في ذلك العصر نفسه إلى لوس انجليوس بصحبة آيك ريان كي يعد حلقة من برنامج «من الأعماق» عنه، فالبرنامج سيكون أكثر إثارة حين تلتقط صوره في الخارج، في مكتب آيك نفسه وفوق الهضبة. ومن هناك سيطير إلى لندن عبر خط القطب ولا يعلم متى يعود. وخلال المكالمة امتنعت أماندا عن التطرق لذكر البارونة أو النجمة الإيطالية كما امتنعت عن التلفظ باسم كرستي لين.

الفصل الحادي عشر

صباح الأول من أيار، فتحت أماندا عينيها قبل ربع ساعة من رنة ساعة الاستيقاظ. ففي اليوم التالي ستكون مجلة «اللايف» في أكشاك البيع جميعاً. لكن باستطاعة المرء عادة أن يجد «التايم» «واللايف» قبل يوم واحد في فندق بلازا. ارتدت ثيابها بسرعة. فمنذ ستة أسابيع كانت تتأرجح بين حب الاستطلاع والخشية. الناس كلهم ينتظرون هذه المقالة. كرستي يعتقد أنها ستكرس له شهرة عالمية. ونيك لونجوورث على استعداد لان يرفع أجرة ساعتها في التصوير إلى مائة دولار.

أخذت تاكسي وأسرعت إلى قاعة البلازا. وعلى طاولة الصحف صدم نظرها الغلاف الأحمر الشهير. وضعت عدة قطع نقدية ثمناً للصحيفة ومضت مسرعة تجلس في مقعد مريح قرب ساعة بالمير.

كانت المقالة عشر صفحات وكان العنوان بأحرف كبيرة «كرستي لين الظاهرة» كانت أماندا تظهر في أربع صور بجانب كرستي لين بالإضافة إلى صورة كانت تظهر فيها وحيدة في موقف في السنترال بارك لابسة ثوباً من الموسلين. لم تكن مروحة، تلك التي كانت تحرك ثوبها: فهي لن تنسى أبداً البرد الذي ذاقته ذلك اليوم.وقد دهشت من شدة سرورها بالمقالة كما شعرت بأن المحرر ذو حساسية غير عادية. فقد وصف بإخلاص شديد الشكل الذي كان عليها أن تواجه فيه ريح آذار القارسة دون أن ترتعش، «مهنة العارضة تتطلب شجاعة أكيدة»، كتب المحرر. وكل ما يتعلق بها في المقالة كان يحمل اللهجة التقريظية نفسها. أما بقية المقالة، فقد وصفت كرستي باعتباره رجلاً

شعبياً، وأشارت بذكاء إلى أخطائه النحوية، تبجحه، والاهتمام المفرط الذي كان يكنه لمجده الوليد، (حتى هنا كان كل شيء يسير على ما يرام، فكرت أماندا) ثم تابعت قراءتها.

ولكي يتمم صورته المتميزة، فقد اختار كرستي لين رفيقة جديرة بمقاسمته شهرته كنجم. فتاة غلاف ساحرة ـ أماندا. فهي ليست فقط الفتاة التي يحب، بل هي رمز. البرهان على أن صفحة علب الليل من الدرجة الثانية قد انقلبت بشكل نهائي. فسحر أماندا لا ينازع. وبرؤيتهما معاً لا يمكن للمرء أن يفكر أنهما زوج غير لائق كثيراً فكرستي لين يقدر سحر رفيقته الشهية. وأماندا الساحرة تقدر في كرستي جانبه الحقيقي. فعندما تقف في العراء القارس البرد وليس عليها سوى ثوب من الموسلين وعلى شفتيها ابتسامة ساحرة فإن المرء يحس أكثر وأكثر بحقيقة رجل مثل كرستي لين. من يعلم إن كانت أماندا لا ترغب بأن تهرب من عالم الأزياء المصطنع الذي تعيشه صيفاً شتاء كي تدخل العالم الحقيقي إلى جانب هذا الرجل ودونما أية التفاتة؟

أطبقت أماندا المجلة، هذه العبارة الأخيرة! كيف سيتلقاها روبن؟ ثم خرجت وسارت تحت الشمس. كانت قد خرجت مع كرستي كثيراً وكانت تشاركه فراشه من وقت لآخر لكنها لم تكن تعرف شيئاً عنه. فهما لا ينفردان معاً سوى تلك الساعات المرهقة التي تقضيها في «الأستور». كان كرستي يكرس ليلتين في الأسبوع لمؤلفيه، كما كان يشترك في مختلف الاحتفالات، ويجري المقابلات وهذا الذي يلتهم وقته ويشكل جزءاً من التزاماته كنجم. مع ذلك، فقد كان يخطط للزواج منها عندما يذهبان إلى لاس فيجاس! وقد تركته يقول ما يشاء... فالصيف كان يبدو بعيداً جداً، لكن ها نحن أصبحنا في أيار.

عليها أن تقطع علاقتها بكرستي! فهي لم تستمر برؤيته إلا لأنها كانت وحيدة تتحسر على روبن. لن يكون باستطاعتها أن تحب رجلاً آخر سوى روبن. لكنها على الأقل كان تسعد كرستي...

مقالة «اللايف» كان لها دوي عظيم. وعرفت أماندا ساعات من المجد، ولاسيما في نهاية البرنامج عندما ازدحم صياد التوقيعات لدى مدخل الفنانين وراحوا ينادونها بالاسم. لكن روبن لم يبد إشارة واحدة على أنه على قيد الحياة حتى يوم الأحد قبل «عيد الزينة». كانت قد أغلقت لتوها الخط في وجه كرستي، الذي كان يريد أن يشترك في احتفال يجري في جرو سنجر مقابل مبلغ خيالي، وقد طلب إليها أن تذهب معه لكنها رفضت.

ـ هيا تعالي، كان قد توسل إليها، فالمرء يسر هناك تماماً. حتى آجي تخلت عن الحي اللاتيني.

ـ لا، لا أستطيع أن أسمح لنفسي بخسارة المال وتضييعه. كذلك، أنا لست آجي... ولست كلبة يقودها المرء حيثما يذهب.

ـ ما هذا الذي تقولين؟ نحن سنتزوج هذا الصيف.

ـ إذا تزوجنا، وحينذاك فقط، سأذهب معك إلى كل مكان تمثل فيه. أما في الوقت الحاضر فسأظل في نيويورك حيث أعمل كعارضة أزياء. ثم أنني لست جزءاً من قافلتك.

ـ أوه! أوه! أوه منك ومن أفكارك عظمتك هذه! لا بد أنني وقعت في غرام أميرة.

فعلقت السماعة، قلقة لكن غير منزعجة.

وبعد أن أراحت السماعة فحصت الوضع، لماذا لا تقول له بكل بساطة «لن أتزوجك أبداً»؟ لأنها خائفة مما يمكن أن يجري إذا جاء يوم اختفى فيه روبن كلية. إن هذا سيقلبها رأساً على عقب. لقد حاولت في

إحدى المرات أن تقطع علاقتها بكرستي وأعلنت له أنها لن تراه بعد. واستمرت القطيعة خمسة أيام.... لقد كان يمنعها، على الأقل، من أن تصبح مجنونة. فهو إما في حفلة تدشين لعلبة من علب الليل أو في احتفال ومن الأفضل، لا شك، أن تخرج معه على أن تبقى وحيدة في شقتها.

رن الهاتف، فرفعت السماعة دونما عجالة، مفكرة أنه كرستي، يطلبها ثانية لكي يرجوها لآخر مرة. إلا أن الصوت ذا الرنة الواضحة جعلها تترنح من الدهشة.

ـ صباح الخير، أيتها النجمة الكبيرة.

ـ روبن! أوه! روبن، أين أنت؟

ـ حططت على التو. فقد كنت مسافراً لأعد برنامجاً حول عملية إيمان. في الطائرة قرأت المقالة التي تتحدث عنك. كنت أقلب الأعداد الأخيرة من «اللايف» فوجدتك! انظري كيف وقعت عليك!

ـ وماذا فكرت بالأمر؟

قالت هذا جاهدة لأن تكسب صوتها لهجة اللامبالاة.

ـ شيء رائع، قال بحماسة، فهذا يقدمك شهية تماماً كما أنت.

وشعرت بغصة في حلقها ـ لكنها تابعت بصوت هامس:

ـ يمكن القول أنني افتقدتك.

ـ وأنا كذلك...

ولم تسمع إلا بالكاد. فقد كانت ترتب سهرتهما. الساعة الخامسة. وقت متأخر جداً على غسيل الشعر بالشامبو. بإمكانها أن تضع باروكة. وكلها أمل في أن يبقيا في المنزل. الحمد لله، إنه يوم الأحد. جيري في الريف ولن يغامر بالظهور في نيويورك. وكانت لديها شرحات في البراد لكن تنقصها الفودكا.

ـ أما تزالين حلوة كالعادة؟

ـ تعال واحكم.

ـ فكرة جيدة. لنلتق غداً في اللانسر الساعة السابعة. وأصيبت بخيبة أمل إلى حد ظللت معه صامتة.

فصمت هو الآخر دقيقة أو أكثر ثم قال بلهجة هازلة:

ـ هل انتزع كرستي لين مكانيَ؟

ـ كلا، بل طلب يدي رسمياً للزواج.

ـ هو ليس شريكاً سيئاً، وبرنامجه قد يستمر سنوات.

ـ ترى هل يزعجك يا روبن أن أتزوج كرستي لين؟

ـ بالتأكيد، فإنني أكره أن أخسرك. لكن إذا كان الأمر يتعلق بالزواج، فليس باستطاعتي أن أزاحم.

ـ لم لا؟

ـ اسمعي يا حلوتي. المبرر الوحيد للزواج هو الأطفال وأنا لا أريد أطفالاً.

ـ لماذا؟

ـ إنها مسؤولية ضخمة جداً.

ـ بأي معنى؟

ـ اسمعي يا أماندا، أنا بحاجة لأن أبقى حراً، لأن ألتقط حقيبتي وأولي. مع صديقة، هذا ممكن، مع زوجة شيء صعب، لكن مع وجود أطفال يغدو الأمر مستحيلاً. فأنا سأكون أباً غير معقول. فارتعشت ـ الزواج هو الموضوع الذي رفض دائماً مقاربته أو فتحه. وهاهما يتجادلان حوله.

ـ أوه! روبن! أنا أعتقد أنك ستكون أباً رائعاً.

ـ الأب يجب أن يبقى قرب أبنائه.

ـ وهل تخلى أبوك عنك؟

ـ كلا، بل كان يعمل ثماني ساعات في اليوم. وكانت كيتي أماً ممتازة: كما كان لدينا مربية وطباخة ومع ذلك كانت تظل معنا دائماً.

ـ إذن، أنا لا أفهم ـ من جعلك تعتقد أنك ستولي الأدبار؟

ـ عملي يا عزيزتي، أجابها بشدة، وبما أن هذا لم يحصل لي فإنني أعرف أنني لو كنت طفلاً ولم يكن والدي موجوداً فإنني سأموت ـ إنني أعرف هذا. لا تسأليني لماذا فالأمر هكذا.

ـ روبن ما من شيء يجبرنا على أن ننجب أطفالاً مباشرة.

ـ إذن، لماذا الزواج؟

ـ لكي نكون معاً.

ـ إننا معاً، ما عدا الوقت الذي أحتاج فيه لأن أكون وحيداً. مثلاً هذا المساء، سيكون مكتبي غارقاً تحت أكوام البريد. إن بودي أن أضع كل شيء في سلة المهملات. لكن يظل من واجبي أن أنهيه (ومرت لحظة من الصمت..) هذه حقيقة. لقد أرسلوا لي فواتير مضاعفة ولا أظن أنهم سيقطعون الكهرباء بسبب تأخر شهر.

ـ تمام. بعد أن ينجز البريد هل يمكن أن أراك هذا المساء؟

ـ أماندا إنني لهذا السبب لا أريد أن أتزوج. فهذا المساء أرغب في أن أكون وحيداً، (وفجأة صار صوته أكثر لطفاً) هل تفهمينني الآن يا أماندا؟ فأنا لم أخلق للزواج. إنني أحب الشكل الذي أعيش عليه.

ـ والحفلات الصغيرة التي يقيمها آيك ريان أيضاً.

ـ آيك ريان؟.. ماذا تـودين القـول؟ أنـا لم أره منـذ قـرون. آيـك هذا، بل لقد نسيته تماماً.

ـ والبارونة؟ ألن تقول لي إنك نسيت اسمها أيضاً؟

كانت تعلم أنها شطت بعيداً لكنها لم تستطع كبح جماح نفسها.

ـ عزيزتي أماندا، هذا هو الأمر الذي لا يمكن تحمله في الـزواج. إنه التفسيرات، تلك التي لا يتوجب علـي شـيء منـها وكـذلك أنـت. والآن إلى الغد. فهل أنت حرة؟

ـ سأجعل نفسي حرة، قالت بلهجة مبتسرة.

ـ مرحى.

ـ وهل ستبقى بعـض الوقـت أم سـتأخذ الطـائرة مـن جديـد إلى حيث لا يعلم إلا الله؟

ـ صغيرتي، إنني متعب كثيراً من السفر لدرجة أكـره معهـا كلمـة السفر لذا لن أتحرك من هنا قبل فصل الخريف.

ـ رائع (وكانت كآبتها قد تبخرت) البرنامج يتوقف خلال خمـسة عشر يوماً.

ـ لحظة، هذا يذكرني أن جيري موس دعاني لقضاء عطلة الرابـع من تموز في غرينتش. لديه هناك، منزل كبير مع حوض سـباحة. فهـل يسرك أن تأتي معي؟

ـ إنه يسحرني يا روبن.

ـ تمام. فإلى مساء الغد.

ولبرهة طويلة بقيت أماندا دونما حراك، بل لم تـستطع تقريبـاً أن تطفئ النواسة.

صباح اليوم التالي، هتفت لجيري موس الساعة التاسعة.

ـ جيري، يجب أن أتحدث إليك، إنه أمر ضروري.

ـ لنلتق في اللانسر فلدي هناك موعد مع روبن الساعة الخامسة.

ـ لن أكون هناك قبل السابعة، لكنني بحاجة لأن أراك بمفردك. الأمر مهم للغاية.

ـ على الغداء؟

ـ كلا، لدي جلسة تصوير ظهراً. هل أستطيع أن آتي إلى مكتبك الساعة العاشرة مثلاً؟

ـ موافق! لكن لن يكون لدي سوى فنجان قهوة أقدمه لك.

جلست أماندا في مواجهة جيري على الجانب الآخر من المكتب ثم رشفت قهوتها رشفات صغيرة. وتحدثت إليه عن علاقتها مع كريس مصورة الأشياء وكأنه لم يحدث شيء بينهما. بشكل من الأشكال لم يكن في هذا أي افتراء إذ لم تكن هناك أية حميمية حقيقية بينهما. بل كل ما في الأمر أنها كانت تتمدد، تكز على أسنانها مخضعة نفسها مستسلمة لمتعته هو. بعدئذ أضافت:

ـ من أجل هذا كان يتوجب علي أن أراك، فأنت الوحيد الذي يستطيع مساعدتي.

وبدا مندهشاً.

ـ أنا؟

ـ إذا ما ذهبت إلى لاس فيجاس مع كريس فسيكون علي أن أتزوجه، وإذا رفضت الذهاب معه فسأخسره. فهز جيري رأسه قائلاً:

ـ الاختيار بسيط. عصفور باليد خير من عشرة على الشجرة.

ـ لكنني أريد أن أجرب حظي للمرة الأخيرة. روبن سيكون هنا الصيف كلّه وقد دعاني لقضاء عطلة الرابع من تموز عندكم.

بقي جيري صامتاً ثم قال أخيراً:

ـ اذهبي إلى لاس فيجاس يا عزيزتي... وتزوجي كريس. لقد أضعت كثيراً من الوقت بسبب روبن أصلاً.

ـ لماذا؟ هل قال لك أشياء أجهلها؟

ـ كلا، لكن اسمعي... هل سمعته يتحدث عن آيك ريان؟

ـ إنني أعرف القصة كلها. لكن روبن توقف عن التردد عليه والمشاركة في هذا النوع من الأشياء.

فابتسم جيري ثم أردف:

ـ لي صديق، طبيب نفسي، حين روى لي روبن ما يفعلانه هو وآيك، نقلت ذلك إلى هذا الصديق فكان رأيه أن روبن يكره النساء.

ـ هذا مضحك! هتفت أماندا، فصديقك هذا لا يعرف روبن، إذن كيف يمكنه أن يؤكد شيئاً كهذا؟

ـ بل قابله.

ـ هل تريد أن تجعلني أعتقد أن روبن لوطي؟ (وهذه المرة بدت ساخطة فعلاً).

ـ لا، بل أريد أن أقول إن روبن ككثير من الرجال يحب الرجال. إنه بالتأكيد يتعامل مع النساء لكن فقط من أجل ممارسة الجنس ـ لكن الحقيقة أنه لا يحبهن، بل يحمل عداء حقيقياً لهن.

ـ وأنت نفسك هل تعتقد أن هذا صحيح؟

ـ نعم، لكنني أعتقد أن روبن يحمل لك عاطفة ما ضمن مجال قدرته على حمل عاطفة لأية امرأة وهذا لا يمنعه من أن يدفعك إلى النقطة التي تصبحين فيها أنت نفسك مضطرة لفسخ العلاقة.

ـ جيري... (أصبحت عيناها متوسلتين) ساعدني!

ـ كيف؟

ـ امنعني من الذهاب إلى لاس فيجاس مع كرستي. قل له إنني مرتبطة بعقد من أجل برامج الصيف وإن علي أن أبقى هنا كي أقدم اللقطات الدعائية مباشرة.

فتأمل وجهها ملياً ثم قال:

ـ سافري إلى لاس فيجاس يا أماندا. كرستي لين يعرض عليك مستقبلاً، حياة منتظمة، أطفالاً، كل ما يرغبه الإنسان.

ـ جيري، توسلت إليه بإلحاح، دعني أجرب حظي مرة أخيرة مع روبن.

ـ كنت أظنك أكثر تعقلاً يا أماندا. فالمرء لا يستطيع أن يمسك بطيختين في يد واحدة... إنك تقامرين بكل شيء. تتخلين عن كرستي وتتمسكين بروبن، هذا يعني أنك تفوتين آخر فرصة لك في الحصول على زواج مناسب يحقق لك الأمان. ستبلغين الخامسة والثلاثين ولن يكون لك الحق في دخول مغامرة كهذه. فأنت شابة ويتوجب عليك أن تكسبي المال.

ـ لا أستطيع.

فهز جيري كتفيه.

ـ كفي عن تدمير نفسك لدى كبار الخياطين.. يا للعنة!! ماري تشتري في غرينتش ثياباً بخمسة وأربعين دولاراً.

ـ ماري لا تكسب مائة دولار في الساعة. ثم لا تنس أنني، من أجل البرنامج، أحضر صواني وأن اللباس الحسن جزء لا يتجزأ من مهنتي. لكن لتعلم أنني أعاني من خوف أسود هو أن أجد نفسي ذات يوم فقيرة محتاجة لا أملك فلساً واحداً.

ـ في بلادي، الفتاة التي لها عاشقان لا تغامر بالبقاء عازبة، والفتاة التي تكسب مائة دولار في الساعة لا تخشى الفقر.

فعصرت كفيها وفركتهما:

ـ جيري، هل جربت الفقر في حياتك؟ أقصد الفقر الحقيقي. أنا. نعم. لقد عرفت البؤس وكل مرة يحدثني فيها كرستي عن ميامي، عن المسارح الرخيصة التي عمل فيها، عن الفنادق الكبيرة التي أقسم فيها أنه في يوم من الأيام سيقود ركباً كبيراً، كل مرة يحدثني فيها أشعر بالمرض. لقد ولدت في ميامي، في بيت للإحسان. كانت أمي فلندية وكانت تعمل خادماً في واحد من هذه الفنادق. لا بد أنها كانت جميلة. أما أنا فلا أتذكرها إلا نحيفة. واحد من زبونات هذا الفندق الأغنياء استحلاها ولا بد. أنا لم أعرف أبي أبداً. ما أعرفه فقط هو أنه كان واحداً من هؤلاء الأغنياء الذين يملكون الوسائل التي تمكنّهم من قضاء الشتاء في ميامي وتحبيل خادمة في فندق. بعد ولادتي، ذهبنا للعيش في «الحي الأسود» ذلك أن الإنسانة الوحيدة التي تصرفت تصرفاً سوياً مع أمي كانت امرأة سوداء تشتغل في الفندق نفسه. وكانت تسكن في كوخ مطلي بالزفت ـ يمر المرء أمامه وهو ذاهب إلى المطار. هذه المرأة نفسها، وتدعى روز وهي التي نقلت أمي إلى مستوصف عندما جئت إلى الدنيا. بعدئذ، عشنا معها وكنت أدعوها خالتي روز، وهي أفضل امرأة عرفتها في حياتي. فيما بعد، وعندما كانت أمي تعمل في الليل، كانت الخالة روز ترجع إلى المنزل لتحضر لي العشاء، تسألني إن كنت عاقلة في المدرسة، وتجعلني أتمتم صلاتي. لقد توفيت أمي عندما بلغت السادسة. فدفعت الخالة روز تكاليف الدفن وربتني وكأنني ابنتها تماماً. لقد أشتغلت من أجلي، من أجل أن تكسوني وتدفع مصاريف دراستي. بعدئذ اركبتني باص نيويورك وزدتني بخمسين دولاراً في جيبي، كانت كل ما وفرته».

توقفت أماندا عن الكلام وقد انهمرت الدموع من عينيها.

ـ أنا متأكدة أنك أعدتها إليها، قال جيري.

ـ في البداية، كنت أبعث لها خمسين دولاراً في الأسبوع. لكنني لن أستطيع أبداً تعويضها عن حبها لي. منذ سنة ونصف أصيبت الخالة روز بمرض من الأمراض فأسرعت من فلوريدا ـ وكان هذا قبل لقائي بروبن ـ وأدخلتها المستشفى. لم يكن هذا سهلاً فالناس هناك لم يتحمسوا كثيراً لإدخال مريضة سوداء إلى المستشفى. لكنني صادفت طبيباً إنسانياً ساعدني على أن أحصل لها على غرفة خاصة. طبعاً، لم يكن مرضها خطيراً لا شيء من هذا أبداً. فقد بقيت ستة أسابيع كلفتني أربعة آلاف دولار بين العلاج والتمريض. حاولت أن أشرح هذا للمدير «هل هي قريبة، شخص تعيلينه» سألني. وقد قدروا أن باستطاعتها أن تعيش بالمائة والخمسة عشر دولاراً الخاصة بالضمان الاجتماعي وتذهب إلى مأوى العجزة ـ إذ لم يكن بيننا أية رابطة قانونية ـ لكنني لم أوافق. وعندما كان هؤلاء الموظفون الخالون من الضمير يرونني أدخل كانوا يقولون: عارضة أزياء تكسب مائة دولار في الساعة، وتربح في اليوم أكثر مما أربحه في الأسبوع بكامله.

ـ وأين هي الآن؟

ـ سآتي على ذلك. فعند خروجها من المستشفى، لم يكن بإمكاني أن أتركها وحيدة. بحثت عمن يعتني بها لكنني لم أجد. حينذاك أحضرتها إلى هنا ثم وضعتها في دار راحة في «الجزيرة الطويلة» بكلفة مائة دولار في الأسبوع. وسارت الأمور على ما يرام فقد كنت أذهب لرؤيتها كل أسبوع. لكن منذ ثمانية أشهر صارت النوبات القلبية تشتد عليها، فتوجب علي أن أنقلها إلى مستشفى كي تبقى تحت إشراف طبي دائم. والآن، إنني أدفع مائتين وخمسين دولاراً أسبوعياً.

ـ وهل تذهبين إلى هناك أسبوعياً؟.

ـ فهزت رأسها بالنفي:

ـ بات الأمر مضنياً للغاية. لم تعد تميزني. لذا فإنني أذهب لرؤيتها مرة واحدة في الشهر ومرة في رأس السنة. في المرات الأولى، بعد وصولي إلى نيويورك كنت أهتف لها دائماً في سهرة آخر السنة. إحدى المرات لم أستطع أن أفعل ذلك، فقد كانت الخطوط مشغولة جداً واعتقدت أنني سأصاب بالهستريا. حينئذ قالت لي «بنيتي، من اليوم فصاعداً، خابريني يوم رأس السنة، فأنا لا أريدك أن تزعجي نفسك مساء في الحصول على خط». (وانتصبت أماندا في مقعدها) منذ طفولتي يا جيري وأنا أعرف سلطة المال. فالمال هو الذي سمح لوالدي المجهول أن يعود إلى منزله ويتابع حياته دون أن يعرفني، والعوز هو الذي منع أمي من أن تدافع عن نفسها. والشيء الوحيد الذي يمكن أن يعطي للخالة روز شيئاً من الهناء إنما هو المال. هل تفهمني يا جيري؟ لا، أنا لا أستطيع أن أتحمل المغامرة بكل شيء أو لا شيء فأنا بحاجة لأن أضمن آخرتي. لكن لي الحق كلّه في أن أحاول أن أحقق سعادتي مع الرجل الوحيد الذي أحبه في هذا العالم. وطالما بقيت لي فرصة واحدة مع روبن لن يكون باستطاعتي أن أتزوج كرستي.

كان جيري قد أقام باراً صغيراً في مكتبه. فذهب إليه وأحضر كأسي وسكي ثم قدم لها واحداً:

ـ أماندا، هذا الصيف نود أن نأخذ صوراً دعائية مباشرة. لذا أكلفك بأن تبقي في المدينة. (ودق كأسه بكأسها) بإمكانك أن تعتمدي علي. لنشرب نخب الرابع من تموز ونخب صيف طويل رائع. فعلى المرء أن يستفيد من وقته ويستمتع به.

فابتسمت ابتسامة شاحبة:

ـ آمل ذلك... ففي الخريف سيكون علي أن أقرر.

* * *

بلغ الصيف نهايته. وكانت أماندا قد أمضت لياليه كلّها مع روبن. كما كانا قد قضيا بعض العطل في الهامتبون. وتجولا في الطرق الفرعية لقرية غرينتش. وكانا يجلسان أحياناً ساعات وساعات في مقهى من مقاهي شارع كورنيليا.

الآن كان الوقت تشرين الأول. وكان الموسم قد بدأ من جديد وعاد معه «عرض كرستي لين» كما دخل برنامج «من الأعماق» عامه الثاني. عاد كرستي يضغط عليها من جديد لتحديد موعد لزواجهما بينما بدأ روبن واحدة من رحلاته المشتتة، كما لو أنه لم يكن موجوداً في الصيف. وبالرغم من قراراتها الطبية فقد كانت تعلم أن عليها أن تتحمل كرستي طالما استمرت آمالها بروبن. لقد خسرت الكيلوغرامات القليلة التي كسبتها في الصيف. فعندما يكون روبن موجوداً تغدو صحتها جيدة. ولم تستطع قط أن تصل إلى قرار. فانتظرت. ولغرابة الصدف، فإن المساهمين هم الذين أجبروها على اتخاذ قرار، ذلك أن الويسو، واعتباراً من 15 كانون الثاني كانت ستنقل البرنامج إلى كالفورنيا لتغطية بقية الموسم.

(سنصل إلى هناك كزوج وزوجة) كان كرستي يردد دون توقف.

ـ لا، لن أتزوج أبداً وأنا على سفر. إذا ذهبت إلى كالفورنيا فسأتزوج هناك.

أجابته أماندا

نَقْلُ البرنامج إلى كالفورنيا قرار اتخذ في الأسبوع السابق لعيد الميلاد. وكان روبن في لندن. وفي سهرة عيد الميلاد كانت أماندا تشرب كأساً في اللانسر مع جيري الذي كان في غاية السعادة لذهابه إلى كالفورنيا، فهو غياب طويل بعذر... لكن، كلاهما كان ينظر إلى المشرب بأسى وحزن، وإلى شجيرة الميلاد الصغيرة، والثلج

الاصطناعي، وأغصان «شرابة الراعي» الملصقة على المرآة، وتقاطعت نظراتهما فرفعت كأسها.

ـ عيد ميلاد سعيد يا جيري.

ـ تبدين متعبة يا أماندا.

ـ متعبة وممزقة.

فأمسك بيدها:

ـ اسمعي يا عزيزتي. ليس باستطاعتك الاستمرار في هذه اللعبة. اطرحي السؤال على روبن في رأس السنة.

ـ ولماذا هذا اليوم بالذات؟ ثم كيف تعلم إن كنت سأراه في رأس السنة؟

ـ هل كريس مدعو إلى حفل استقبال السيدة أوستن؟

فلم تستطع أن تمنع نفسها من التبسم.

ـ غريب!! إنه لا يتكلم إلا عن هذه الدعوة، حتى ليعتقد المرء أنه مدعو إلى احتفال رسمي في قصر باكنجهام.

ـ بشكل من الأشكال، هذا غريب فعلاً. فمن النادر أن تدعو جوديث أوستن العاملين في الآي بي سي، أما هذا العام فيبدو أن هناك استثناء. دانتون ملر دهش كثيراً حين رأى اسم روبن ستون على القائمة. ربما سيعود في 31 كانون الأول. فقد قال لي إنه سيحتفل مرتين بعيد رأس السنة بسبب اختلاف التوقيت. روبن سيحضر حفلة مدام أوستن فهو لا يجرؤ على إحداث مثل هذه الصدمة لها بتغيبه.

ـ وأنا، ماذا أفعل؟ سألته أماندا، أتقدم إليه مباشرة قائلة: الآن أو أبداً يا روبن!!

ـ لا شيء من هذا القبيل.

ـ لا أستطيع، ولن أذهب إلى هذا الحفل.

ـ لماذا؟ ألم يطلب إليك كرستي المجيء؟

ـ بالتأكيد طلب ذلك. لكنني أكرس دائماً أول كانون الثاني للخالة روز ولم أقل هذا لكريس ولا يعرف شيئاً عنها. سأحتج بالصداع.

ـ لكنك قلت إنها لم تعد تعرفك يا أماندا.

ـ أعرف، لكنني أجلس بجانبها، أطعمها. ثم إن رأس السنة هو عيدنا الخاص.

ـ كيف يمكنها أن تعرف إن كان هو الأول من كانون الثاني أو الثاني منه؟

أنا أعرفه.

ـ اسمعي، اذهبي إلى الاحتفال يا أماندا. واطرحي السؤال على روبن واطلبي إليه أن يجيبك بوضوح، نعم أو لا. فإذا كان الجواب لا، سيكون بإمكانك أن تشطبيه نهائياً. سنتا انتظار، مدة كافية حتى بالنسبة لرجل مثل روبن وستذهبين لرؤية الخالة روز في اليوم التالي.

وبدت تفكر ثم هزت رأسها بعد لأي

ـ سمعاً وطاعة، سأفعل ما تقول. (وقاطعت أصابعها) نخب عام 1962. فإما أن أخسر وأما أن أنتزع قراراً. هيه. هذا شعر! لنأخذ كأس فودكا مارتيني يا جيري كما يحبه روبن. وحيثما كان، لنتمن ميلاداً سعيداً لهذا الإنسان الزنيم!

الفصل الثاني عشر

كانت البطاقة لحفل رأس السنة عند آل أوستن تحمل: «كوكتيل من الرابعة حتى السابعة» وقد أراد كريس أن يأتي لأخذ أماندا الساعة الثالثة والنصف، إلا أنها أصرت على أن يؤخرا موعدهما ساعة.

ـ لكن... لماذا؟ الدعوة في الساعة الرابعة.

ـ هذا يعني أنه لن يأتي أحد قبل الخامسة، والناس المهمون لن يصلوا قبل السادسة.

فاستسلم متذمراً:

ـ هل تعرفين أن الأمور لدى الطبقات العليا تجري على هذا النحو؟ إنني بحاجة لامرأة مثلك فعلاً. في الساعة الثالثة كانت قد جربت ست بذلات مختلفة. ويدا ثوبها الأسود يزيدها قيمة. بإمكانها أن تلبسه مع صف من اللؤلؤ وساعة الذهب التي أهداها إياها روبن. شيء غريب، فالجميع يعجبون بهذه الساعة، ربما لأنها دقيقة الحجم، بل لقد ادعى نيك لونجورث بأنها تساوي حدقتي العينين. كريس قدم لها بمناسبة عيد الميلاد سواراً ذا سلاسل من الذهب الخالص. وكانت عليها أن تلبسه لكنها تكرهه كثيراً. فقد جعلهم ينقشون عليه: «أماندا كرستي» كما أنه أثقل من حمار ميت ويخشخش مع كل حركة، ومن المستحيل أن يتناسب مع الثوب الأسود.

ثم أخرجت طقم الشانيل. نسخة طبق الأصل عن أورباخ. حتى القماش كان من عند شانيل. لكن جوديث أوستن لا يمكن أن تغش به. فربما كانت تملك الأصل. على أنها ليست ذاهبة إلى آل أوستن

كي تطغى على السيدة أوستن وقد كان جيري محقاً. ففي جريدة التلفزيون المصورة للساعة الثانية عشرة، نقلوا لقطة لروبن وهو يهبط من الطائرة في الساعة العاشرة من الصباح نفسه. كانت خطتها جاهزة، فهي لن تجد كثيراً من العناء في التخلص من كرستي خلال الحفلة ثم تذهب مباشرة إلى روبن وتقول له: «أريد أن أتحدث إليك وهو أمر عاجل». فقد قررت أن تحاول إيجاده في وقت متأخر وعندما تكون قد أفلتت من كرستي. بعدئذ سيترتب كل شيء بنفسه، بشكل أو بآخر. كان كرستي يظنها جاهزة للذهاب معه إلى الشاطئ الغربي. إلا أن جيري كان قد أعد لها عقداً ليست ملزمة بتوقيعه قبل نهاية الأسبوع. كان عليها أن تنجح! فخلال الأسابيع الماضية كانت الفكرة التي تحملها عن كرستي قد تطورت. فهو ليس أحمق من الدرجة الممتازة وحسب، بل يعرف أحياناً أن يكون شكاكاً، لاسيما فيما يخص المسائل المادية. ففي آخر مساء لهما كانت عيناه، عينا السمكة المقلية، قد صارتا بلون الفولاذ حين قال لها:

ـ أنت لا تضيعين اتجاهك أبداً يا دميتي، هذا ما صرح لي به لوجولد برغ، ترتيب جيد تدل عليه تردداتك الصغيرة تجاه تحديد موعد الزواج.

ـ لا أفهم قصدك.

ـ أنت تريدين أن نتزوج في كالفورنيا، لأن الزواج هناك يتم وفق نظام المشاركة أي إذا تم طلاق بيننا ستسلخين جلدي بنصف ما أملك.

وبما أن الفكرة لم تخطر في ذهنها أبداً فإن وجهها عبر عن دهشة حقيقية:

ـ إذا تزوجتك فإنني أتزوجك إلى الأبد.

ـ مهلاً، مهلاً، إنني أقدر هذا، (ثم ابتسم) وكل ما أملكه سيكون لك منذ أن ننجب ولداً.

كان لوجولد برغ قد جاء إلى نيويورك لقضاء الأعياد، وكان ستينياً ساحراً. ولقد حاولت أن تكون لطيفة معه لكنها بطبعها لم تكن هزلية كثيراً ولم يكن ثمة شيء يخفى على عيني لوجولد الثاقبتين، لا أسلوبها المتنازل «دعي كريس يمسك بيدك» ولا انعدام العفوية من إمارات العاطفة التي تبديها له.

إنه اليوم الذي عليها أن تقضيه مع الخالة روز، فعيد رأس السنة هو اليوم الذي يزور فيه المستشفى الكثير من الناس. وربما سينسون أن يطعموا الخالة روز لظنهم أنها موجودة عندها لإطعامها. وهكذا قررت أن تتصل بها من منزل أوستن للاطمئنان عليها.

كان حوالي عشرين شخصاً قد وصلوا إلى منزل أوستن عندما وصلا إليه. روعة الأثاث ونعومته المتميزة تؤثر في النفس. نادل خاص أخذ معطفيهما وأرشدهما إلى الصالون الواسع. هناك استطاعت أماندا أن تتعرف إلى عضو مجلس شيوخ، عدة شخصيات عالمية، بضعة ممثلي سينما ونجمة كبيرة من السي بي إس (يقال إن الآي بي سي هي التي صنعتها) كما رأت أيضاً دانتون ملر وفي إحدى زوايا القاعة، لحظت آيك ريان وهو غارق في الحديث مع مدام أوستن. لقد عرفته أماندا على التو. فمنذ بضعة أشهر كان آيك ريان يشع لألاء خاصاً في هوليود. المجلات لم تكن تنقطع عن ذكر مآثره. إنتاجه الأول الرائع كان سيظهر قريباً. وقد بدأ الناس يتكلمون عنه عندما ارتبط بأجمل ممثلات هوليوود كي تؤدي الدور الرئيسي في الفيلم. وفجأة، تركت النجمة الجميلة زوجها كي تلقي بنفسها كلية بين ذراعي آيك. لكن ما إن انتهى الفيلم حتى تركها وعلق بنجمة صغيرة وعدها بأن يعطيها

دوراً رئيسياً في أحد أفلامه. إلا أن النجمة المهجورة تناولت أقراصاً منومة ولم ينقذها من الموت المحتم إلا رنة هاتف لزوجها المذهول في الوقت المناسب. بعد بضعة أسابيع حاولت النجمة الصغيرة الانتحار هي الأخرى. وفي آخر ثانية خابرت آيك الذي خلصها من الورطة. فاسم آيك كان مادة أخبار جيدة باعتباره زير نساء كبيراً ومنتجاً كبيراً.

إنه غلام جميل همام أمه يهودية وأبوه ملاكم أرلندي متواضع. كان آيك قد تكلم عن هذا في مقابلاته مدعياً أنه ورث عن كل منهما أفضل ما فيه. أعطته أماندا سن الأربعين. فقد كان لونه بلون البرونز وشعره الأسود بدأ يشيب عند الصدغين. أنفه، القصير الأفطس، أعطى هيئة طفولية لوجهه ذي الفكين المربعين. كانت جوديث تبدو كأنها معلقة بشفتيه. ودهشت أماندا لهذا، فقد كانت جوديث تمثل كل ما ترغب أماندا بأن تكونه:أنيقة رشيقة، شعرها طويل مفضض مرفوع كالفطر على رأسها، وثوبها من المخمل، كانت أماندا قد رأته في مجلة الأزياء، وعرفت أنه يكلف /1200/ دولار. وقد لاحظت أن السيدة أوستن تتزين بالقليل من الحلي: لؤلؤة في كل إذن ولا شيء آخر، إلا أن ما جذب انتباهها وثبت نظرها عليه هو تلك الماسة الضخمة المقطوعة على شكل خوخة والتي كان خاتمها يحيط بها إصبعها.

فهي لا تزن أقل من ثلاثين قيراطاً.

وقفت أماندا وكرستي منزرعين في الصالة وحيدين وسط الناس جميعاً. رآهما دانتون ملر فجاء بكل لطف كي يقول لهما بضع كلمات. ألصق كرستي نفسه به وراح الاثنان على التو يتحدثان إلى أن غرقا في مناقشة قضايا العمل.

أجالت أماندا نظرها في الصالة. كان المنزل مدهشاً. كم تسر الخالة روز حين تراها في مثل هذا المكان. هذه الفكرة جعلتها تفكر من جديد بالمستشفى. فاعتذرت من رفيقها وسألت رئيس الخدم عن مكان الهاتف. قادها هذا إلى المكتبة وأغلق عليها الباب. فنظرت حولها شاعرة بشيء من الخوف من منظر المكتبة ذي السحر الطاغي. ثم اقتربت من المكتب ولامسته متحسسة إياه بطرف أصابعها: قطعة أثاث فرنسية على الأغلب. الجهاز التلفوني كله عبارة عن سلسلة أزرار لكن الإطار حيث يكون الرقم مسجلاً عادة كان فارغاً. وهناك كانت صورة جوديث في إطار من الفضة. تفحصتها أماندا عن قرب أكثر، فوجدتها مذيلة بكلمة «ونسويلو» وبخط مشوّش كذاك الذي يميز كتابة نساء الطبقة الراقية. كان من الواضح أن هذه الصورة لأختها التوأم: الأميرة.

أدارت أماندا رقم المستشفى، فوجدته مشغولاً. جلست وفتحت علبة فضة موضوعة على المكتب ثم أشعلت سيجارة. إطار آخر من الفضة كان يحوي صورتين لأميرتين صغيرتين في حوالي العاشرة والثانية عشرة من العمر. لا بد أنهما الآن فتاتان شابتان، مراهقتان ساحرتان لم تعرفا أبداً طعم الهم. وأدارت من جديد رقم المستشفى: دائماً مشغول.

فتح الباب وظهر آيك ريان فابتسم لها.

ـ رأيتك تنسلين خارجاً. ومنذ اللحظة التي استطعت التخلص فيها انطلقت أفتش عنك، أنا آيك ريان وقد تقابلنا في مطعم داني السنة الماضية. اتخذت أماندا هيئة اللامبالاة كي توحي له بأنها لا تحمل عنه أية ذكرى أو معرفة. بعدئذ قالت بلهجة مجردة:

ـ جئت هنا لكي أهتف، لكن رقمي مشغول.

فأتى بإشارة.

ـ مثلي تماماً. هل تسمحين؟ (ودون أن ينتظر جوابها رفع الآلة بيده وبدأ يطلب الرقم، لكنه توقف بين رقمين والتفت إليها سائلاً: هل أنت حرة فيما بعد؟ وحين هزت رأسها بالنفي، عاد إلى إطار الهاتف) إذن سوف أجري هذه المخابرة. يا للوغد الذي يصاحبك!! يبدو أن لك هيئة جدية. لقد كنت بصحبته أيضاً عندما تقابلنا في داني.

ـ إنني أعمل في لقطات التصوير الدعائية في «عرض كرستي لين».

وتساءلت في نفسها إن كان روبن قد حدثه عنها.

بعد لحظة رد الرقم الذي طلبه آيك:

ـ جوي، مرحبا يا حمامتي. هل نتعشى معاً الساعة التاسعة؟ سأرسل لك سيارتي. لدينا خيار بين ثلاث حفلات استقبال وبين مطعم «شاركو» في الشارع السادس. سنرى، وفق المزاج. ماذا؟ بالتأكيد... لا لن أتوقف لأناقش أعمالاً معك على الهاتف. اتفقنا، يا ملاكي! (وعلق السماعة ثم التفت إلى أماندا) هل رأيت ما أضعته؟ (فاغتصبت ابتسامة وهو ينظر إليها مباشرة في عينيها) إنك تعجبينني، والمرأة اللعوب تنتصر علي عادة.

ـ أنا لست لعوباً. إن لي عقداً يقضي علي الذهاب إلى كالفورنيا لتصوير لقطات دعائية و«الوغد» الذي يصحبني مغرم بي الغرام كلّه.

فابتسم:

ـ أين ستنزلين هناك؟

ـ في بفرلي هلز، إذا ذهبت.

ـ إذا ذهبت؟ اعتقدت أنك متعاقدة للذهاب.

ـ صحيح، إلا أنني لم أوقع العقد بعد.

ـ ما هو إلا إفشر

ـ إفشر؟

فابتسم

هذه كلمة يدشيه كانت أمي تستعملها دائماً. إنها غير قابلة للترجمة لكنني سأحاول أن أعطيك مثالاً. لننظر، مثلاً: كانت أختي بشعة قبل أن أجري لها عملية تجميل لأنفها، مما سمح لها بأن تؤمن زوجاً. حتى ذلك الحين، كانت تشتغل بالمطرزات. في أحد الأيام سافرت مع جماعة من رفيقاتها كلهن عوانس مثلها، لقضاء عطلة ـ أنت ترين النوع:؟ لا، ألا يبدو أنك تستطيعين ذلك. العذارى اليهوديات يسرحن شعورهن على طراز سانت كاترين. شيء هستيري مجنون!! حالات يائسة. ولدى أختي الكثير منها. إذن في ذلك اليوم رأيت أختي منهمكة بإملاء حقائبها بالكنزات ومضارب التنس وثياب السباحة. فقالت لها أمي: «ماذا، بلا ثياب جميلة»؟ فأجابتها أختي اسمعي يا أمي، لقد ذهبت من قبل في رحلات كهذه وليس هناك من رجل أعزب قط. إذن هذه المرة، سأريح نفسي، سألعب تنس، وسأذهب لأتمدد على شاطئ البحر دون مطاردة لأحد. حينذاك ذهبت أمي إلى الخزانة، انتزعت أجمل ثياب أختي ثم وضعتها في حقيبتها قائلة «خذي هذا، فدائماً هناك إفشر».

فضحكت أماندا وبدأت تجد أن آيك لطيف يثير التعاطف.

ـ مفهوم؟ استأنف آيك، إفشر إذن تعني «احتمالاً، إمكانية، أملاً غامضاً. ما هو «إفشرك يا ملاكي؟ (بعدئذ وكما لو أنه أحس بتغير موقفها أردف) اسمعي هل تريدين أن تعيدي التفكير فيما يخص هذا المساء؟ باستطاعتي دائماً أن ألغي الموعد الذي أكون قد أعطيته من وقت قريب».

ـ أنا لا ألغي أبداً مواعيدي.

ـ وأنا أيضاً عندما تهمني وأكون متمسكاً بها، (وتأملها بانتباه شديد ثم ابتسم) تعالي إلى الشاطئ يا ملاكي. باعتقادي أن لنا مستقبلاً مشتركاً. بعد مغادرته شعرت أماندا فجأة بأن الغرفة خاوية كل الخواء. وتحققت أن الساعة باتت أكثر من السادسة. لا شك أن روبن وصل. وبسرعة طلبت رقم المستشفى من جديد. دائماً مشغول. فتفحصت زينتها ثانية قبل أن تترك الغرفة محاولة، بشكل أو بآخر، التأخر قليلاً.

كانت الصالة الكبيرة قد امتلأت بالمدعوين حتى فاضوا إلى الصالة الصغيرة وغرفة الطعام. وأسرعت أماندا تمر من صالون إلى آخر وتحدق إلى كل وجه، وتتفحص كل مدعو، إلا أن روبن لم يكن هناك، بينما وجدت كرستي مزروعاً في المكان نفسه يتحدث حديث العمل نفسه مع دانتون ملر. فخيل إليها وكأن دانتون قد تنفس الصعداء حين رآها إذ سرعان ما تخلص من كرستي.

ـ يالله! أين كنت مختفية؟ سألها كريس حين أصبحا وحيدين.

ـ أعدت النظر في تسريحتي، أجابته ببرود.

ـ لقد اختفيت 20 دقيقة. وقد ضحى دانتون ملر بنفسه لكي يبقى معي.

ـ حسناً، أيها النجم العظيم، فأين المعجبون إذن؟

تأمل كريس الحاضرين جميعاً، ثم تأوه.

ـ شيء مضحك. إنني أعرف كل من أراهم هنا، لكنني لا أرى صديقاً واحداً بينهم. هيا بنا يا دجاجتي. فهذا الوسط ليس وسطنا.

ـ أوه، كريس، لنتظاهر على الأقل بأنك تسلي نفسك.

ـ لماذا؟ هل ثمة قانون يلزم المرء بأن يجد هذا مسلياً. هم دعونا ـ لكن «آيدي فن» دعانا أيضاً إلى سهرة في جناحه في الأديسونز هنالك سنجد أناساً من الكوبا. ولقد نظم هذا الحفل من أجل آجي لأنها تخلت عن «الحي اللاتيني» كي تلحق بإيدي إلى الشاطئ الغربي. على الأقل هذا سيكون نوع الاحتفالات الذي يستحق من المرء الاهتمام به.

والتفتت باتجاه الباب إذ بدأ قلبها يدق. كلا، ربما كان هناك شخص عظيم لكن ليس هو كريستي بالتأكيد. في الساعة الثامنة والربع مدت أماندا ذراعها لكريستي سامحة له أن يأخذها إلى بيت إدي حيث كانت فتيات الكوبا و«الحي اللاتيني» قد غادرن لتأدية برامجهن. فجلست أماندا على أريكة مريحة وبدأت تشرب الويسكي.

لقد وجد كريستي راحته هنا، فهو يحب هذا النوع من اللقاءات الحبّ كلّه.

ـ هيا يا دجاجتي قال لها وقد عاد: شطائر عدة من البسطرما. امسكي، فهذا أفضل من ادعاء التسلية لدى أوستن. لكنها رفضت الشطائر وسكبت لنفسها كأساً أخرى من الويسكي.

ـ الأفضل لك أن تسمني قليلاً، قال لها كريس وهو يقدم الشطيرة، هذه هي شطيرتي الثالثة وما تزال لدي رغبة في العشاء.

ـ لست جائعة.

فانضمت إليها آني وجلست بجانبها على الأريكة.

ـ هكذا إذن انتن العارضات، تحافظن على رشاقتكن! أنت مخطئة، فشطيرة لحم البقر ممتازة.

ـ لست جائعة، وهذا كل شيء، أجابتها أماندا.

وبتأثير الوسكي شعرت فجأة بالخدر ثم شرعت تتثاءب. لحظتها آني فراحت ترقبها بتعاطف:

ـ هل سهرت كثيراً الليلة الماضية؟.

ـ لا، ليس كثيراً. فكريس أمضاها على نحو جذاب وقد كانت ليلة هادئة، طبعاً إذا استطاع الإنسان أن يسمي صالة الاحتفالات الكبرى في والدورف هادئة.

ـ السنة الماضية، كنت أنا وإدي وكريس في الفونتابلو. أوه! هل تريدين أن أقول لك شيئاً؟ أنا وإدي سنتزوج قبل لقائنا في التلفزيون. أخيراً ـ هناك الناس يتقولون، ماذا؟ الأعياد؟ يجب أن تكون الأمور هكذا.

ـ أنا لا أحب البربارة ولا العيد. قالت أماندا.

في الساعة الحادية عشرة كانت أماندا قد ثملت تماماً. وكان كريس يريد أن يذهب لتناول فنجان قهوة في مكان ما إلا أنه وافق أخيراً على أخذها إلى منزلها.

ترك التاكسي تنتظره ريثما أوصلها إلى شقتها، فقد انتهت أخيراً إلى الحصول على هذا الشرف منه لكنه كان ما يزال يجد هذا الشيء مضحكاً.

ـ عليك أن تمسكي قدمك قليلاً كي تسمعي عداد التكسي وهو يدور.

ـ آيك ريان يملك سيارة وسائقاً.

ـ بالأجرة، همهم كريس.

ـ هذا يوفر عليه تاكسيات.

ـ لن يأتي اليوم الذي أدفع فيه ثمانية دولارات في الساعة لسائق يسوق بي السيارة ويستمع للراديو. (وقبلها على عجل، فالعداد يدور) لا تنسي، عندما أبلغ الستين سأكون قد بلغت ذروة الثراء أما شخص كآيك ريان فستجدينه يتمرغ في الفاقة.

ما إن دخلت أماندا شقتها حتى شعرت بقواها تخور وبقلبها يضطرب فريسة آلام في الرأس فأخذت الهاتف. رسالة واحدة، من المستشفى. لا شك إنهم انتظروها هناك، لا شك أن الممرضات قلقن على الدولارات العشرين إكراميتهنّ المعتادة.

لكن لا شيء من روبن. لعله سافر. أكثر من... ما هي هذه الكلمة؟ أجل أكثر من إفشر. فهي ستذهب إلى كالفورنيا. وستتزوج كريس وفجأة تصلب جسدها: دليل جديد صدمها، ضربة تركتها بدون قوى.. كالفورنيا! من سيذهب لرؤية الخالة روز؟

كانت تذهب إلى هناك كل شهر لكنها كل مرة تذهب في يوم وساعة مختلفين، وعلى نحو يمكّنها من الإشراف على الخدمة. أو إذا غادرت نيويورك فإنهم سيهملون الخالة روز. كيف تراها لم تفكر بالأمر؟ لعلها حتى هذه اللحظة لم تصدق أنها ستغادر أبداً. بل لم تفكر بإمكانية تأجير شقتها. فقد كانت تأمل دائماً بروبن.

وفكرت برهة من الزمن. بعدئذ، وقد استسلمت لدافع ما طلبت جيري من منزله. جاء صوت زوجته على الطرف الثاني من الخط، فاعتذرت أماندا عن المخابرة المتأخرة لكنها قالت لماري إن الأمر ضروري.

ـ جيري، لن أستطيع الذهاب إلى كالفورنيا.

فتهلل:

ـ إذن سارت الأمور على ما يرام، أليس كذلك؟ لقد قلت لك إن عليك أن تهاجميه بشكل مباشر، تماماً.

ـ لكنه لم يأت، قالت أماندا بتمهل.

ـ إذن لماذا لا تستطيعين الذهاب إلى كالفورنيا؟

ـ لسبب لا علاقة له البتة برؤية روبن، قالت بصوت متعب، جيري لقد فكرت بالأمر، في السابق كنت مشغولة كثيراً بمشاكل ربون وكريس إلى حد نسيت معه الخالة روز. أنا لا أستطيع السفر. فمن سيراها إن سافرت؟

ـ من المؤكد أن هنالك مستشفيات جيدة على الشاطئ الغربي.

ـ لكن كيف أنقلها؟

ـ اطلبي من كريس أن يستأجر لك طائرة خاصة وخذي ممرضة معك.

ـ أنا لم أكلمه كلمة واحدة عن الخالة روز، بل لا أدري ماذا سيكون رد فعله؟

ـ اسمعي، أماندا، لقد بدأ كريس بدايات صعبة وهو سيحترمك على عنايتك بالخالة روز أكثر وسيسره كثيرا أن يستطيع خدمتك في هذا المجال.

ـ أوه جيري! إذا فعل كريس هذا فسأجبر نفسي على حبه، سأكون لطيفة للغاية معه بل سأجعله سعيداً. إذن أهتف على الفور.

ـ إلا أن هاتف كريس لم يرد. لا شك أنه في ملهى «الكوبا»، أو في «المشهد» أو في لندي.... فحاولت إيجاده في هذه الأمكنة جميعاً. أخيراً وجدته في توتز شور.

ـ كريس، هل تستطيع المجيء؟ أريد أن أحدثك.

ـ دجاجتي. أنا في التوتز وقد جاء روني وولف إلى طاولتنا منذ لحظة، وأنا أريده أن يتحدث عني في كتابه التاريخي.

ـ لكن ينبغي أن أراك.

ـ يالله! كل الناس هنا. المحيط كله ممتاز. اقفزي إلى تاكسي وتعالي أنت.

ـ كريس. أنا لا أريد التحدث إليك وسط أولئك الناس جميعاً. الأمر مهم. إنه يتعلق بنا، بمستقبلنا.

ـ يالله! لقد كنا معاً طوال السهرة. وفي منزل آل أوستن كنت مثل الحطبة. كان باستطاعتك أن تتحدثي إليّ في تلك اللحظة وقد كنا معاً وحيدين طوال الوقت. فالمدعوون ظلوا على بعد ثلاثة كيلومترات منا.

ـ كريس هل تأتي؟

ـ آتي، لكن، لنقل بعد نصف ساعة يا دميتي.

ـ كلا، (وكان الويسكي قد فعل فعله فشعرت بنفسها تنطلق) مباشرة وقبل أن أتصدع. هنا الأمر مهم جداً. تعال فوراً.

ـ طيب، هنا. الأمر مهم جداً. تعال فوراً.

ـ طيب، موافق.

ـ انطلق، هيا.

ـ هل تسمحين لي بلحظة واحدة فقط كي أبول؟

بعد ذاك ألقت السماعة ثم خلعت ثيابها. لا شك أنه سيرغب في النوم معها. حسناً، إذا ما وافق على نقل الخالة روز إلى إحدى المستشفيات الجيدة في لوس أنجلوس فسيكون بإمكانه أن ينام معها الليالي كلها بل ستحاول أن تكون أكثر حرارة معه.

بعدئذ لبست ثوب المخدع، ومرت بالمشط على شعرها، ثم رتبت زينتها ووضعت مانع الحمل. أخيراً وصل كريس، فخلع سترته وأخذها بين ذراعيه ثم بدأ يقبلها.

ـ فيما بعد يا كريس، أريد أن أحدثك.

ـ طيب، لنتكلم، لكن فيما بعد... وسحبها إلى المقعد حيث فتح مقدمة ثوبها إلا أنه لم يمضِ أبعد من ذلك. «حسناً» لقد ربحت. فأنا لن أمارس الحب على قطعة من الخشب.

وهكذا أعادت إغلاق ثوبها ثم تقدمت إلى المقعد الآخر اجلس ـ كريس، فلدي الكثير مما أقوله لك.

ولم يتحرك من مقعده حتى انتهت من سرد قصتها. لقد روت له كل شيء، دون أن تحذف كلمة واحدة. وكان طوال الوقت يطرف بعينه بالتتالي. أخيراً هز رأسه بهيئة الرثاء.

ـ فتاة مسكينة! لقد عانيت كثيراً مثلي.

فاغرورقت عينا أماندا بالدموع.

ـ إذن ستساعدني يا كريس؟

ـ لا أدري ما أستطيع فعله لك يا دميتي.

ـ تنقل لي الخالة روز إلى كاليفورنيا.

ـ هل تهذرين؟ أتعلمين كم يكلف هذا؟ نقل عجوز حطام بالطائرة؟

ـ لا تعامل الخالة روز كعجوز حطام.

ـ حسناً، حسناً! حتى لو كانت بيضاء كالثلج فلن يسمحوا لنا بنقل شخص مصاب بمرض القلب على الطائرة.

ـ بإمكانك أن تستأجر طائرة خاصة.

ـ هكذا!!! مقابل عدة آلاف من الدولارات!!

ـ ولم لا؟ لديك الإمكانات.

فحدق إليها بتركيز شديد ثم نهض وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً. أخيراً انفتل على عقبيه موجهاً إصبعه إليها:

ـ أنت حمقاء تماماً. فقد كان لي ابن عم، ابن عم حقيقي، وفي أحد الأيام أراد أن يستدين مني ألف دولار يشتري بها بضاعة، فطردته على الفور. هل تعلمين لماذا؟ لأنني مثلك تماماً. ما من أحد أبداً ساعد كريس الصغير سليل الفقر والعوز. لقد كان والدي بحاراً.

وقد خدع أمي. وهي خدعته. ففسخا علاقتهما ثم عادا وتزوجا ثانية. لا أحد كان راغباً بي. في الثانية عشرة كان علي أن أتدبر أمري بنفسي. إن لي نصف أخ وأنا لا أعطيه ريشة واحدة وأؤمن لو أنه كان مكاني لفعل الشيء نفسه أيضاً.

ـ إذن، أنت ترفض؟

ـ مهلاً، المرة القادمة ستطلبين مني أن أنقلها إلى منزلنا بعد أن نكون قد تزوجنا؟

ـ ولم لا إذا ما تحسنت صحتها؟

ـ عجيب!! إذا كنت قد رفضت أن تبتزني عائلتي ذاتها... فهل ألقي بمالي من أجل عجوز لم أرها في حياتي؟ إنها قد تكلفني عشرة آلاف دولار، هذه العملية؟

ـ بالفعل، قالت أماندا بصوت متجلد.

ـ أنت تعلمين كم أعاني كي أكسب عشرة آلاف دولار.

ـ وهذا الذي تأخذه كمكافأة، كل أسبوع؟

فضاقت حدقتا عينيه:

ـ من أين نبشت هذا؟

ـ كل الناس يعلمون أن المساهمين يصبون عليك عشرة آلاف دولار كمكافأة، وقد جعلت هذا ينتشر في الجرائد جميعاً.

ـ طيب، لكن الحكومة تحسم سبعين بالمائة كضرائب، وأنت ترين ما أود قوله تماماً، فلكي أصرف عشرة آلاف دولار يجب أولاً أن أكون صاحب ثروة.

ـ حسناً جداً يا كريس. اذهب، أرجوك.

فاجتاز الغرفة وأمسكها من كتفيها.

ـ أماندا عزيزتي، أنا أحبك، ولست رجلاً رديئاً. انتبهي. من أجل طفلنا، وحين تدق الساعة، سأنفق عشرة آلاف دولار على الأخصائي. بل كل ما أملكه سيكون لك وللطفل. لكن ليس للعائلة، فكيف بعجوز ليست حتى من العائلة؟

ـ إنني أعتبر الخالة روز بمثابة أمي.

ـ يا إلهي!! وانفجر كريس صائحاً: هل ينبغي أن يحصل لي هذا الشيء؟ كنت أعتقد أنني حصلت على فتاة من أكثر الفتيات تميزاً في العالم. فانظروا، كيف أخرج بلا شيء؟ ثم أنت تنكبينني بزنجية تدخلينها في عائلتي ـ ليست بذات صحة جيدة، ولا أمل لها بالتحسن. رباه!! عندما قلت لي إنك تريدين مناقشتي لم تكن كذبة إذن!!

ـ اخرج، كريس؟ اذهب.

ـ سأذهب، لكن لا تعتبري نفسك إلهة. ولا يخطرن ببالك أنني أحبك بعد الآن. إنني أعبدك وقد كانت لدي أفكار رائعة عنك. لقد كنت أتصور أنك من عائلة طيبة. إنني أخجل من أصلي، وبكل برود تعلنين لي أنك بنت زنا وأن خادمة سوداء هي التي ربتك لكنني أغض النظر بكل تسام! إنني أحبك بل أريد أن أتزوجك، لكنني لن أتخلص من قذارات عائلتي لكي ألتزم بقذارات عائلتك. عندما نتزوج ستتكلف بالإنفاق على ابننا. كلمة أخرى يا مندي (وتوقف) يالله! حتى هذا الاسم يبدو لي الآن كريهاً. ترى أليس في ذهنك أن تسمي ابننا راستوس؟ لا اعتباراً من الآن ما من شخص ينبغي أن يدعوك ماندي. اسمك أماندا، والخالة روز هي التي ألصقت بك هذا الاسم، أليس كذلك؟

ـ كلا، أجابته بهدوء، اسمي الحقيقي هو روز إلا أن نيك لونجوورث أعاد تسميتي عندما بدأت التصوير. فاسم روز جونز ليس بذي إشعاع كاف. أماندا يشبه أن يكون اسماً انجليزياً ـ أسلوب نويل كوارد وكل ما يتبع ذلك.

ـ لقد كان كل شيء على ما يرام إلى أن سمعت عن الخالة روز، العجوز العزيزة. اسمعي يا دجاجتي لقد شاركت أناساً ملونين سكني، وهم معذبون. لكن ربما تغيرت الأمور في المستقبل، وإنني لآمل ذلك أما أنا فليس لدي الكتفان العريضتان كي أتحمل المسؤولية وحدي. وعندما يبدأ الآخرون فسأتبعهم. لقد أشتغلت في المسارح البائسة في الأرض. كثيرون من الناس فعلوا الشيء نفسه لكنهم لم يخرجوا بطائل.. أما أنا فنعم. هذا النجاح الذي حصلت عليه أعرضه عليك! عليك وحدك! ليس على خالتك أو ابن عمي أو نصف أخي ـ لا أحد سوانا (وأمسك سترته ثم اتجه نحو الباب) اسحبي الطلب، وسأعتبر هذه المحادثة لم تكن أبداً. بالنسبة لي الخالة روز لم توجد على الإطلاق. أماندا نجمة عارضات الأزياء هي وحدها من أريد كي ننطلق من جديد معاً.

صفق الباب خلفه. بعد ذهابه ظلت أماندا منكبة على وجهها بضع دقائق، بعد ذلك نهضت ثم صبت لنفسها كأساً من الشراب. لقد عجزت عن رد الحجر لكرستي. لكن الأمر كله لم يبرهن إلا على شيء واحد. لا وجود للحب في هذا العالم. ما من أحد يهتم بالحب فعلاً. فالناس لا هدف لهم إلا شيء واحد: نجاحهم الخاص. وعليها ألا تهتم بعد الآن لا بكرستي لين ولا بروبن. ستترك البرنامج. وستطلب من نيك أن يجد لها مزيداً من الجلسات مجازفة حتى بتخفيض سعرها. ولن تشعر بعد الآن بأي توبيخ ضمير إذا ما تواجدت وجهاً لوجه مع كرستي. لسوف تشتغل وتعتني بالخالة روز وتتزوج أول طارق كي تنجب طفلاً يمكن أن يرعى شيخوختها. بعد ذاك أخذت منوماً، ثم صعدت إلى السرير.

في الساعة التاسعة دوى رنين الهاتف. وكان رأسها يوجعها، فرفعت السماعة راغبة في أن تعرف الطالب لكنها غيرت رأيها وعلقتها من جديد. إن كان ثمة رسائل فلا شك أنها رسائل مزعجة.

أخذت أماندا سيارة وذهبت إلى «كونيز» حيث كانت قاعة المستشفى الصغيرة نصف فارغة. بضع عجائز في مقاعد متحركة كن يراقبن التلفزيون. وكانت ثمة امرأة تلعب ألعوبة أطفال، بينما كانت أخرى جالسة تنظر في الفراغ.

أخذت المصعد وضغطت على زر الطابق الثالث، دون أن تعلن عن نفسها أبداً. فمن الأفضل أن تصل بغتة. فتحت باب الغرفة فوجدت الفراش مطوياً على السرير.

في هذه اللحظة وصلت المشرفة الآنسة ستفنسون التي بدت متضايقة:

ـ لقد خابرناك مساء أمس.

ـ أنا نفسي حاولت الاتصال بكم أيضاً، إلا أن الخط كان مشغولاً دائماً. لماذا نقلتم الخالة روز؟ (واستولت عليها فجأة حالة من الرعب) هل هي أكثر سوءاً؟.

ـ لقد ماتت. فأطلقت أماندا صرخة، بعدئذ ألقت بنفسها على الممرضة متعلقة بها صارخة:

ـ ماذا جرى؟ كيف حصل هذا؟

ـ في الساعة السادسة جاؤوا لها بالعشاء فجلست بكل رشاقة، وعيناها تشعان، ثم قالت: أين صغيرتي روزي؟ أجبناها أنك آتية فعادت تنام وهي تبتسم: «سآكل مع صغيرتي روزي. أنا لا أحب الأكل بمفردي. عندما تعود من المدرسة سنتعشى معاً..»

فشرعت أماندا تبكي:

ـ كانت تظن أننا ما نزال كأيام زمان، لكنها كانت ستميزني. فهزت الآنسة ستفنسون كتفيها:

ـ عندما رأينا أنك لم تأت حاولنا إطعامها، لكنها كانت تردد دائماً: «إنني انتظر طفلتي» وعدنا في الساعة الثامنة كانت جالسة تماماً كما تركناها، إنما ميتة. ولقد طلبناك...

ـ أين هي؟

ـ في المشرحة.

ـ في المشرحة؟!

ـ ليس بالإمكان إبقاؤها هنا (وجرت أماندا نحو المصعد، وفي إثرها الآنسة ستفنسون) سأعطيك العنوان. يمكنك اتخاذ الترتيبات من أجل الجنازة.

وهكذا أمرت أماندا بإجراء قداس عن روحها ثم عادت إلى المنزل حيث قطعت خط الهاتف وأسلمت نفسها للنوم.

عندما طلبها جيري صباح اليوم التالي، روت له أماندا كل ما حصل، فأجهد جيري نفسه كي يخفي العزاء الذي شعر به والذي تخلل مسام صوته، لكنه أكد لها أن كل شيء يسير نحو الأفضل.

ـ الآن باستطاعتك أن تسافري مطمئنة النفس.

ـ أجل، جيري، الآن باستطاعتي أن أسافر إلى كالفورنيا.

ذلك المساء شربت أماندا زجاجة وسكي كاملة. بعدئذ تأملت نفسها في المرآة.

هكذا إذن! الآن لا تمتين لأحد. ما من أحد يهتم بك. يا لهذا العالم الفاسد! وألقت بنفسها على السرير ثم راحت تنشج: «أوه روبن، روبن أين أنت يا ترى؟ أي صنف من الرجال أنت؟ في حفل الاستقبال ذاك كنت أنتظرك، بينما الخالة روز كانت تنتظرني. مكاني كان بجانبها. وكانت ستميزني وستموت بين ذراعي وهي تعلم أن هناك من يحبها».

أخيراً دفنت رأسها في الوسادة. «إنني أكرهك يا روبن ستون! لقد كنت أنتظرك بينما كانت الخالة روز تموت، فأين كنت يا إلهي؟ أين كنت؟. »

لقد كان يحضر مباراة، وقد عاد إلى منزله في الساعة السابعة صباحاً ثم استلقى على سريره واستغرق في سبات عميق استمر حتى الثانية عشرة. حين استيقظ، أخذ بيضتين نيئتين وعلبة بيرة ثم ذهب إلى غرفة الجلوس، حيث أشعل التلفزيون وتمدد على المقعد. بعدئذ حرك زر التلفزيون باحثاً عن المحطات المختلفة المنظورة. أخيراً ثبت على محطة الآي بي سي. فهذه هي الساعة التي يعرض فيها العرض السابق لمباراة كرة القدم. هنالك كانت اللازمة الموسيقية المعتادة، فالعجلات فالمقابلة مع «ملكة زهور البرتقال» أو شيء من هذا القبيل.

فهؤلاء الفتيات كن جميعاً متماثلات: أطراف نحيفة، لون برونزي، لكأنهن فطمن على عصير البرتقال المضاعف. بل إن هذه الفتاة تبدو وكأنها رضعت عصير البرتقال من ثدي أمها: أسنان بيضاء، شعر مرتب، ابتسامة لطيفة. هاهي ذي سيكون هذا اليوم يوم المجد عندها، أسبوعها للشعبية المحلية، وثلاث صفحات تقص من الجرائد لتوضع في ألبوم تريه فيما بعد لأطفالها.

نظر إلى الفتاة دون أن يوليها كثير اهتمام. كانت تقول إنها تحلم بأن يكون لها دزينة من الأطفال. يالله! كم سيكون رائعاً أن يجيء يوم تقول فيه إحداهن: «أوه، أنا! إنني أريد الجنس فقط». وتذمر من الفتاة المسكينة التي كانت تقابلها إذ لم يكن يبدو منها سوى ظهرها، إنما كان لها صوت عذب. وتأمل لحظة من الزمن جانب وجهها عندما أعلنت:

ـ هاهنا ماجي ستوارت التي قدمت لكم دودى كاس «ملكة زهور البرتقال لعام 962» والآن إليكم أندي بارينو.

أعلن أندي أنه سيقدم نجماً قديماً من نجوم كرة القدم. فحول روبن التلفزيون إلى محط السي بي إس كي يرى المباراة ثم على محطة الآن بي إس. لقد كان مضطرباً عصبياً. بعدئذ وضعه على القناة 11، ثم شاهد فلماً قديماً وأغفى. عندما استيقظ أطفأ الجهاز. شرع يدير رقم أماندا لكنه توقف بين رقمين ثم أغلق الخط. لعلها خرجت، وشعر بشكل ما أنه يرغب في إنهاء علاقتهما. لقد كان متعباً... جو لندن شيء مروّع، بل لهذه المدينة الإنكليزية جو غريب. خاصة إذا ما التقى فيها مع البارونة أو أية فتاة إنكليزية. كانت أماندا ستظل متميزة عنده وهو لا يريد أن يجرحها. في البداية، كان يشعر أنه على ما يرام معها. لكن في الأيام الأخيرة هذه بات يشعر بقليل من الرغبة في أن يسحب الخيط. إذ من الأفضل أن يقطع علاقته بها. ولقد أعطاها ألف سبب لفعل هذا، فهو دائماً يفضل أن تكون شريكته نفسها من تقطع العلاقة: على الأقل ستظل تشعر بأن كرامتها أنقذت. ربما، ستوصلها هذه العلاقة مع كرستي لين إلى الهدف المنشود. رفع سماعة الهاتف وطلب الشبكة الداخلية لـلآي بي سي حيث تكلم مع أندي في الإدارة وتمنى له سنة طيبة، ثم سأله:

ـ كيف هي، «ملكة زهور البرتقال؟»

ـ صدر دجاجة وركبتا أقفد أصدف؟

ـ لكنها تبدو بالغة الحسن على الشاشة.

ـ بفضل ماجي.

ـ ماجي؟

ـ ماجي ستيوارت. ربما لم تر إلا طرف قذالها. إنها هائلة!

فابتسم روبن:

ـ أليس من شيء بينكما أنتما الإثنين؟

ـ بالحقيقة كنت أود كثيراً أن أعرفك إليها. لماذا لا تأتي هنا بضعة أيام؟ فالعطل ليست شيئاً سيئاً، وهنا ملعب جولف رائع.

ـ أنا لست بحاجة لعطلة. بل آخذ الأشياء كما تأتي. لقد عدت من أوروبا بتحقيقات ممتازة. والآن أرغب أن أصنع شيئاً مباشراً. اسمع أيها العجوز، لا تتزوج هذه المرأة قبل أن أحزمها.

ـ إنني على استعداد للزواج بها غداً، لو توافق.

ـ أندي، أراهنك أن كل ما تريده هو أن تكون واحدة أخرى من نوع: ماري ـ نامي ـ هنا.

وفجأة نشف صوت أندي.

ـ روبن لا تحط من قدر ماجي.

ـ ليلة طيبة، أيها الأحمق المسكين، قال له روبن وأغلق الخط. ثم أشعل سيجارة وراح يستعيد في ذاكرته تلك الليالي التي كان هو وأندي يذرعان فيها الأرصفة جيئة وذهاباً في الطريق رقم 79 متوقفين عند كل مشرب لاصطياد الفتيات.

ـ أخيراً، ارتدى معطفه وخرج. كان الليل بارداً نقياً، فانحدر إلى الشارع الثالث واجتازه. وصل إلى الطريق رقم 42 ثم عبر المدينة متجهاً نحو برودوي حيث كانت دور السينما والملاهي تتألق أمام ناظريه.

حين بلغ أول سينما قطع تذكرة ودخل. أحد المشاهدين ترك الصف المجاور ثم جاء يجلس بجانبه. بعد بضع دقائق شعر أن معطفاً وضع بإهمال على رجله ثم شعر بيد تتسلل إلى فخذه، فنهض مغيراً مكانه.

بعد خمس دقائق، جاءت فتاة زنجية، تضع شعراً مستعاراً أشقر ألصقت نفسها به:

ـ هل تود قضاء لحظة ممتعة يا عزيزي؟

ومرة ثانية غير مكانه، لكنه وجد نفسه مرة أخرى بين فتاتين، وبغير انتظار غمغمت واحدة منهما في أذنه:

ـ أعطني عشرة دولارات!

فنظر إليها محدقاً كما لو أنها مجنونة: لم تكن سنها تزيد على الخمسة عشر عاماً، وهكذا كانت رفيقتها. فتصرف كما لو انه لم يسمع شيئاً.

ـ أعطني عشرة دولارات أو أملأ الصالة كلها صراخاً قائلة إنك تشاكسني. إنني قاصر وسيجلب لك هذا الكثير من المتاعب فنهض وغادر القاعة مسرعاً. في الخارج سار قليلاً، ثم دخل كافتريا من ذلك النوع الذي يفتح الليل بطوله لتناول فنجان قهوة. وضع يده في جيبه، يا يسوع!! لقد اختفت محفظته! من أخذها؟ اللوطي ذو المعطف؟ العاهرة؟ الموسان الصغيرتان؟ وأخيراً تحامل على نفسه ثم عاد إلى المنزل.

الفصل الثالث عشر

شرع زبائن مشرب «بولو» في فندق بفرلي هلز يتفرقون لكن المكان كان ما يزال صاخباً بالنسبة لمكالمة هاتفية من مدينة أخرى. فاعتزل جيري بنفسه راغباً في أن يهتف من غرفته. الإله وحده يعلم كم كان يكره هذه المدينة. لكن البرنامج كان قد احتل المكان الثاني في ملحق المستمعين. فكرة بثه من الشاطئ الغربي، خلال النصف الثاني من الموسم، كانت قد رفعت من مكانته. لكنه كان قد ظلّ ثلاثة أشهر يتنقل في طول البلاد وعرضها، طوال هذا الصيف الأبدي، على الشواطئ، ومع الوحدة...

ما إن وصل غرفته حتى طلب رقم ماري. لحسن الحظ، كان عليه أن يهتم ببرنامج الصيف وكان عليه أن يعود كي يعجل باتخاذ بعض القرارات. أسبوع كامل في نيويورك! سيجد نفسه في غاية السرور حين يستقل قطاره إلى الضاحية.

عادت عاملة المقسم وطلبته، خطوط غرينتش مشغولة. فألغى المخابرة. كان لديه موعد مع أماندا وكرستي في شاس. فهذا المساء، وبشكل استثنائي، كانت أماندا قد وافقت على الخروج. إنها متعبة دائماً في الأيام الأخيرة هذه. غرفتها في نهاية الممر وفي الساعة الثامنة والنصف من كل مساء، كانت لافتة «الرجاء عدم الإزعاج» تظهر على بابها.

الحقيقة أنها تشتغل كثيراً: لقد أصبحت العارضة الأكثر شهرة. أما كرستي لين فكان يكره كالفورنيا ويشمئز منها، مدعياً أن كل شيء في كالفورنيا يموت في العاشرة والنصف مساء لذا يقضي لياليه وهو

يلعب الورق مع إدي وكني في الفيلا الكبيرة التي استأجروها. كان كرستي قد مرض بضعة أسابيع حين رفضت أماندا أن تتزوجه يوم القديس فالنتان مدعية أنها لا تريد زواجاً مستعجلاً بين يومي عمل، بل تريد شهر عسل حقيقي. وانتهى كرستي، مضطراً، لأن يوافق. إنهما يخططان الآن ليعقدا قرانهما غداة آخر حلقة من برنامج الموسم.

كان سلوك أماندا قد خدع جيري. فقد كانت تكرس لكرستي الأمسية التي تلي البرنامج وربما أمسية أو أمسيتين أخريين في الأسبوع. لكنها كانت ترفض الظهور في هوليود ولم تكن تريد الذهاب إلى «كولونت جروف» أو إلى أي محل من محلات الدرجة الأولى تلك التي كان يغرم بها كرستي. وبذلك اضطر كرستي لأن يرتاد هوليود بصحبة كني وإدى وراقصته. كانوا كل مساء يميلون إلى صيدلية في بفرلي ولشير على أمل أن يجدوا هناك فنانين أو منفيين نيويوركيين يثرثرون معهم قليلاً عن نيويورك وأحوالها. وقد أعلن كرستي أن تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي يضع فيها قدمه في كالفورنيا. سوف ينهي البرنامج هنا لكنه سيشترط على المساهمين ألا ينتجوا في العالم القادم برنامجاً خارج نيويورك. ولسوف يدعمه جيري فهو أيضاً يحس بالضيق شأنه شأن كرستي.

لكن أماندا لم تبدِ أي أسى على نيويورك. كما أنها لم تكن في يوم من الأيام أكثر جاذبية وإغراء مما هي عليه هنا وقد بدأ السينمائيون يدورون حولها. شكلها كان قد تغير كما لو أن الطقس الكالفورني قام بعملية تغيير كيميائية على شخصيتها. كانت تبتسم دائماً من قلبها لكن جيري اكتشف أن علاقاتهما لم تعد كما كانت في السابق. بل يمكن لكل ناظر أن يقول إنهما ليسا إلا غريبين أو شبه غريبين واحدهما عن الآخر. كان قد تخلى عن دعوتها إلى العشاء فقد كانت تجيبه دائماً: «هذا يسرني كثيراً يا جيري، لكنني متعبة. وفي

الغد، لدي يوم مشحون بالأعمال». ربما كانت قد طردته من قلبها في الوقت نفسه الذي طردت فيه روبن، فهي لم تكن تلفظ اسمه أبداً ولم تكن تسأل عن أخباره.

نظر جيري إلى ساعته. التاسعة إلا ربعاً. لا بد أن أماندا وكرستي قد غضبا الآن. طلب مطعم شاس، فجاء كرستي إلى الهاتف حالاً:

ـ يا إلهي! ماذا أخرك؟

ـ إنني أنتظر مكالمة من نيويورك، ولسوف أتأخر قليلاً.

ـ إذن، لنلغِ العشاء. فأنا سأقوم بدورة في شواب (وبدا كرستي ساخطاً للغاية).

ـ إيه، لكنك لست بمفردك، أماندا معك؟ أليس كذلك؟

ـ لا، لقد تركتني.

ـ كيف هذا؟

ـ لقد اشترطت أن تأتي لساعة واحدة وحدثت مشاجرة بيننا ثم أخذت قرصاً منوماً ونامت. وأنا مزروع هنا وحدي. يالله أي إزعاج! الناس لا يخرجون هنا إلا يوم السبت، وإذا لم تكن من السينما فالناس يعاملونك كما لو أنك غير موجود. إيه! هاهو ألفي وزمرته قد دخلوا.

ـ ألفي

ـ أنت لست على الخط يا جيري، ألفريد نايت.

ـ أوه! الممثل الإنكليزي؟.

ـ يالله! إن المرء ليحلف أنه ملك إسبانيا وهو يرى كل هذه الانحناءات التي يؤديها الناس له. إنه شيء يستحق التفرج. لقد حجزت طاولة. هل تعلم أين وضعوني؟ في الزاوية. لكن هذا الغلام ألفريد الذي لم يظهر إلا الآن، أعطوه الطاولة الكبرى الأمامية، طاولة

الشرف. إنه لأشبه بقهوة هذا المكان! ولست أكره كالفورنيا فحسب بل أكره كل سكانها.

ـ لا تزعج نفسك، كرستي. حزيران سيأتي بأسرع مما تتصور.

ـ لقد انزعجت وانتهى الأمر.

علق جيري السماعة، ثم جلس على السرير وأشعل سيجارة أخرى. ربما ستقبل أماندا أن تتعشى معه، إذا ما جعلهم يقدمون الخدمة في غرفتها، فطلبها، وبأدب جم رفضت دعوته.

ـ ليس بوسعي أن أبلع شيئاً يا جيري. بلعومي يوجعني بل أشعر بعقدة صلبة في رقبتي. علي أن أحضن شيئاً ما واستكين. فالبرنامج خلال يومين وعلي أن أحافظ على شكلي. كارثة إذا ما اضطررت للغياب عنه.

فعلق السماعة، مبلبل الذهن قلقاً على نحو لم يستطع تفسيره.

وفجأة شعر بشيء من الوحدانية والعزلة، ففتح النافذة المطلة على الحديقة المتصلة بغرفته. كانت أماندا مغرمة بحديقتها، وكان شيئاً رائعاً بالنسبة لها أن تتمدد طوال السهرة وتتأمل النجوم. خطوة تقدم جيري أو خطوتين على رصيفه، وفي صمت الليل بدا صرير الجنادب أكثر قوة وشدة. كانت نافذة أماندا بعد ثلاث نوافذ. وفجأة أصبحت وحدته شيئاً لا يطاق. يجب أن يتكلم مع شخص ما. ربما لم تكن أماندا قد نامت وهو لن يذهب ويدق بابها. إنه يغامر بمفاجأتها، لكن المنومات لا تفعل فعلها دائماً، فهو يعرف هذا بالخبرة. وذهب إلى طرف حديقتها ليرى إن كان ما يزال في غرفتها أثر من ضوء. لسوء الحظ، كانت كل حديقة من هذه الحدائق الصغيرة محاطة بسياج عال، فحاول فتح الباب الواقع أسفل السياج: قاوم هذا قليلاً، لكنه انفتح أخيراً، ثم سلك الممر الذي يقود إلى غرفتها.

فجأة سمع أحداً يفتح باباً آخر. وبقفزة سريعة، اختفى خلف نخلة كبيرة إنها أماندا. اجتازت عتبة الباب ثم نظرت بحذر في كافة الاتجاهات. كانت ترتدي بنطالاً وكنزة رقيقة. واتجهت باتجاه البيوت ذات الطابق الواحد. وبدافع حب الاستطلاع لحق بها جيري. عندما وصلت أمام أحد البيوت توقفت ثم ألقت نظرة حولها. كان جيري يعرف أنه مختف في الظلام محجوب عنها بكثافة النباتات. دقت الباب ففتح، وكان آيك ريان.

ـ يالله، يا كنزي! ما كنت تصنعين؟

ـ لقد انتظرت من باب الاحتياط، إذ ربما يعود كرستي ويخابرني.

ـ ومتى تقررين أن تطردي هذا الأحمق؟

ـ عندما ينتهي البرنامج. عسى أن ينتهي الموسم من غير قصص أو روايات. ثم انغلق الباب، ومن خلال النافذة رآهما جيري يتعانقان في الظلام.

عاد إلى الفندق ثم طلب من النادل أن يحضر له الطعام إلى غرفته بعدئذ حاول أن يتفرج على التلفزيون. لكن أفكاره كانت في مكان آخر: في البيت الموجود على الجانب الآخر من الطريق. في الساعة الثانية صباحاً سمع باب حديقته يصر. ليس عجيباً إذن أن تكون أشد تعباً دائماً من أن تستطيع الخروج... عقدة!!؟ الغدة الصلبة كانت حقيقية فعلاً، بل لاحظها آيك نفسه.ولدى عودتها إلى غرفتها، فحصت أماندا نفسها أمام المرآة. لقد فسدت زينتها ورغم أن آيك لم يكن أكثر العشاق إرضاء إلا أنه يهتم بها على الأقل، بل يدفعها لفسخ علاقتها مع كرستي. وحين شرحت له أن البرنامج هو المصدر الرئيسي لدخولها أجاب:

ـ اسمعي يا ملاكي، لن تكوني بحاجة للمال أبداً ما دمت معي.

لكن هذا لم يكن طلباً فعلياً للـزواج. إذن سـتترك الأمـور تجـري هكذا حتى حزيران ثم تضع المسألة بكل صـراحة أمامـه. إذا رفـض أن يتزوجها فسوف تتزوج كرستي، وليس هنالك كـبير أهميـة في الأمـر: فكلاهما سـواء! وفجـأة شـعرت بتعـب شـديد: يملأهـا شعور بأنهـا أفرغت من دمها كلياً. لقد كانت تأخذ فيتامينات مقوية. وبالتأكيـد فـإن هذه الفيتامينات تؤثر على الشهية لكنها كانت تجبر نفسها على الطعام. هذا المساء لم تلامس عشاءها إلا بالكاد. تـشققات صـغيرة كانـت قـد ظهرت على لثتها وحلقها. ربما كانت بحاجة لإبرة أو ليلـة جيـدة مـن النوم، فتمددت على السرير.

صباح اليوم التالي شعرت أن حالتها أسوأ. عندما دلكـت أسـنانها بالفرشاة بـدأت لثـتها تـنزف دمـاً، فخافـت. لا بـد أن هـذا نـوع مـن العدوى، فطلبت جيري. أجل، لقد كـان يعـرف طبيبـاً. لكـن حـسب أقوالها يبدو هذا المرض أشبه بإعياء عام. ربما كـان مـرض الـسيلان، أضاف أخيراً.

ـ يا إلهي يا جيري، وأنى له أن يأتيني؟

ـ من الصعب أن أعرف، قال ببرود، باعتبـارك لا تخـرجين مـن غرفتك طيلة الليالي. ولاحظت أماندا شيئاً من التهكم في صوته.

ـ أعتقد أن من الأفضل أن أرى طبيباً.

ـ انتظري حتى الغد، بعد البرنامج، وحتى ذلك الحين تغرغـري بمـاء الأوكـسجين المحلـول بالمـاء. لقـد حـصل لي هـذا في إحـدى المرات. الأمر ليس خطيراً على كل حال ثم أغلق الهاتف.

أخذت أماندا قرصي منبه قبـل الـذهاب إلى العمـل. فـشعرت أن الدواء لسعها لسع السوط لكن قلبـها كـان يـدق كالعـادة. قـاد المـور سيارته إلى ماليبو. هناك انتظرت وهي بالمايوه حتى اسـتقر كـل شـيء.

كانت الشمس تطرق رأسها كالمطرقة، لكنها لبست الزلاجتين البحريتين في قدميها وأجبرت نفسها على الإمساك بالمقبض. التقطت الصور منذ المحاولة الأولى، لكن من قبيل الاحتياط طلب المصور أن يصورها مرة ثانية. وعندما عادت تلبس الزلاجتين ملكها إحساس بأنها تسير على قطن. بدأ الزورق بالحركة، بينما انطلق المصور في زورقه وراءها. طوت ركبتيها، وتمسكت بالحبل ثم عادت تنتصب عندما بدأ الزورق يسرع. وفجأة بدا لها كل شيء يهتز - لقد غاصت الشمس في البحر والظلمة بينما بدأت هي تشعر بعذوبة الماء اللذيذة تنطبق عليها.

عندما فتحت عينيها، وجدت نفسها على الشاطئ الرملي، ملفوفة بغطاء، والناس جميعاً ملتفون حولها.

- لقد أصبت بدوار، قالت لهم.

ثم أمضت بقية النهار والليل في فراشها. وعندما استيقظت صباح اليوم التالي، شعرت أنها أفضل لكن ساقيها بدتا مبقعتين بالأسود والأزرق. لقد آذت نفسها حين سقطت، ولا شك أن الزلاجتين آذتا ساقيها في الماء. حمداً لله!! باستطاعتها أن ترتدي ثوباً طويلاً لتصوير البرنامج.

في اليوم التالي، شعرت أماندا بحالتها تسوء أكثر وأكثر. فبثور الفم عادت للظهور لكن آثار الخدوش في ساقيها هي التي أقلقتها بشكل خاص. لقد تحولت هذه الآثار إلى شبكة مخيفة من البقع البنفسجية التي كانت تغطي الرجلين من الكعب إلى الفخذ. وعندما خابرها كرستي حدثته عن الأمر:

- يا عجوزي؛ إنك أنت من تتمسكين بمهنة الحمقاوات هذه!

أجابها كرستي، بشكل موضوعي أتكلم معك، من ستين كان يجب أن تموتي بالتهاب القصبات. تقفين للتصوير بثوب صيفي في عز البرد. أنت مجنونة. ولا بد من أن تصابي ببقع زرقاء بعد تلك السقطة التي سقطتها.

ـ كريس، جد لي طبيباً.

ـ انظري يا دجاجتي. لدي موعد مع مؤلفي بعد عشر دقائق. بعد ذاك أعقد مؤتمري الصحفي ثم أحضر لك طبيب فندقك الأنيق. لكن طبيب الفندق كان قد غادر لزيارة أحد المرضى وكانت أماندا قد أصبحت في أسوأ حالاتها فألغت مواعيد ما بعد الظهر. إذ كان عليها أن تقف للتصوير بثياب التنس. ولم يكن باستطاعة الزينة إخفاء بقع رجليها. لذا كانت غافية عندما هتف لها آيك. في البداية حاولت أن تتهرب، لكنها في النهاية أخبرته الحقيقة.

ـ لا تتحركي يا أرنبتي. سأصل مع أفضل طبيب في لوس أنجلوس. وخلال أقل من عشرين دقيقة، دخل آيك يتبعه رجل كهل مزود بالعدة المعتادة.

ـ هذا هو الدكتور آرونسون، سأتركك معه. لكنني أنتظر في الممر على بعد خطوتين من هنا. إذا ما تجاوز الحد، اصرخي لي! ويرهنت غمزة العين التي غمزها للطبيب على أنهما صديقان حميمان. فحصها الطبيب آرونسون بذلك التجرد البارد لرجال المهنة. أنصت لدقات قلبها. قاس نبضها، وانتهى بهزة من رأسه. لقد اطمأنت. فهدوء الطبيب أقنعها بأن حالتها لا تستوجب القلق. بعدئذ، وبمصباح ضوئي، تفحص الطبيب داخل فمها.

ـ منذ متى هذه التشققات؟

ـ منذ بضعة أيام، لكن ساقي هما اللتان تقلقانني.

بعدئذ تحسس عنقها ثم هز رأسه. ولم تتغير تعابير وجهه عندما رأى رجليها ببقعهما البنفسجية.

لقد سردت له قصة سقوطها من الزلاجتين البحريتين.

ـ هل تعتقد أن هذه البقع جاءت بسببها؟ سألت أماندا الطبيب.

ـ من الصعب أن أجيبك على سؤالك. فهذه الاضطرابات ليست كلها من المصدر ذاته لكن بودي أن أضعك في المستشفى تحت المراقبة لبضعة أيام...ترى... متى قمت بآخر تحليل دموي لك؟

ـ لم أحلل دمي أبداً، (وشعرت بالخوف فجأة) دكتور هل الأمر خطير حقاً؟ فابتسم:

ـ لا أظن. ربما ليس إلا حالة من حالات فقر الدم المعروفة. فأنتن الفتيات اللواتي تشغلكن رشاقتكن غالباً ما تنقصكن الكريات الحمر. لكنني أود التأكد من بعض الاحتمالات.

ـ ماذا، مثلاً؟

ـ حسناً، وحيدات النوى مثلاً. إنه مرض كثير الانتشار هنا. ولديك بعض أعراضه: التعب، النزف، صداع الرأس.

ـ ألا يمكن إجراء هذه الفحوص في عيادتك؟ إنني أخشى المستشفى.

ـ حسناً. سأعطي العنوان لآيك وسوف نرتب الأمر لإجراء الفحوص غداً. تبعته أماندا بعينيها حتى الباب. وإذ شعرت أنها في حالة أفضل، ذهبت إلى غرفة الحمام كي تسرح شعرها.

كم تغدو بشعة حين تخاف!! آيك سيكون هنا بين ثانية وأخرى. وهكذا وضعت قليلاً من أحمر الشفاه على شفتيها وقليلاً من الكحل ثم عادت إلى سريرها. حين دخل آيك إلى غرفتها كان يبتسم ابتسامة عريضة.

ـ أعدي حقيبتك واحشيها بأجمل قمصان نومك وكوني جاهزة لدى عودتي. سأهبط إلى المكتبة كي أشتري لك آخر ما صدر من كتب رائجة.

ـ أين ستأخذني؟

ـ إلى المستشفى، ودون مناقشة. اسمعي يا أرنبتي، الطبيب يشك بإمكانية إصابتك بنقص وحيدات النوى. وإذا صح هذا فإنك تغامرين، إن بقيت هنا، بأن تصيبي بالعدوى كل من في الفندق ـ بل هم لن يخدموك أبداً في غرفتك. عدا عن أنه يصف لك الراحة الكاملة، ونقل بعض الدم قبل أن تعودي إلى الحركة من جديد.

ـ لكن الذهاب إلى المستشفى، يا آيك أنا لست مريضة أبداً.

ـ أنت لست مريضة، لكن هوليود هكذا، يا كنزي. الناس يضخمون كل شيء. وإذا كنت الصديقة الحقيقية لآيك ريان فإنك لن تجري نفسك إلى عيادة طبيب لإجراء تحاليل. بل تنامين مثل ملكة. لقد حجزت لك أكبر وأفضل غرفة في المستشفى. اسمعي، اتركي نفسك لرعايتي. أياماً عدة فقط. أنا سأدفع الحساب، ولتحرق يدي في النار إن كانت فتاة مثلك مصابة بمرض خطير.

ـ كلا، لقد كنت دائماً على خير ما يرام.

ـ تمام. كوني جاهزة عندما أعود. وستتركين كلمة تقولين فيها إنك مسافرة إلى فرانسيسكو في مهمة وإنك ستعودين في الوقت المحدد للبرنامج. كان جيري ينتظر في اللانسر، رغم أنه كان عليه في تلك اللحظة أن يكون في لوس أنجلوس لحضور عملية إخراج برنامج كرستي لين إلا أنه قرر أن يبقى في نيويورك عشرة أيام بدلاً من أسبوع. في لوس أنجلوس كانت الساعة الثانية بعد الظهر، فرشف قدح مارتيني وأرسل إشارة لروبن الذي دخل في تلك اللحظة مع كأس مارتينيه الثاني وعرف أن قطاره سيفوته. وكان روبن يحدثه عن مجلة نشاطات جديدة كان يفكر بإخراجها عندما جاء النادل لإعلامه أنه مطلوب على الهاتف، فدهش:

ـ أنا؟ لكني لم أقل لأحد أنني هنا.

فابتسم روبن:

ـ لعل زوجتك تتبعت أثرك.

لكنه كان كرستي لين.

ـ جيري، لقد طلبتك في مكتبك فلم أجدك طلبت البيت فقالت لي زوجتك الطيبة أن أحاول البحث عنك هنا. يالله! كم أنا مسرور لأنني وجدتك. أماندا لا تنفذ البرنامج هذا المساء، وهم مضطرون لاستبدالها بعارضة تستطيع تأدية الدور. فكرت بإطلاعك على الأمر.

ـ أين هي؟

ـ لا أعرف عنها شيئاً منذ ذلك اليوم الذي اختفت فيه تاركة ورقة تقول إنها ذاهبة إلى فرانسيسكو في عمل لكنها اتصلت بنا هذا الصباح كي تعلن بكل هدوء أنها لن تشترك في البرنامج. ومتى؟ في الساعة التاسعة من الصباح الذي ينفذ فيه البرنامج. وهل تعرف أين هي؟ في المستشفى.

ـ في المستشفى؟

ـ لا تقلق، الأمر ليس خطيراً، فقد ارتديت ترانشكوتاً على عجل وأسرعت، فوجدتها مقيمة في غرفة كبيرة مشمسة، مع أزهار في كل مكان، بكامل زينتها، وبهيئة رائعة. هي تدعي أنها تعاني من فقر الدم وأنها ستخرج من المستشفى عندما تشفى كلياً.

ـ انتبه، إذا كانت موجودة في المستشفى فهذا يعني أنها بحاجة لذلك يا كرستي فهم لا يدخلون الناس إلى المستشفيات بلا سبب.

ـ في هوليود؟ أنت تهذر! فنصف الناس في هذه المدينة يذهبون إلى المستشفيات بحجة الانهيار العصبي. والحقيقة أن كل ما يبتغونه هو.. المحافظة على أنفسهم كمخلوقات جميلة. لقد رأيت ماندي... أبداً لم أرها أفضل مما هي الآن.

ـ سأكون هناك في نهاية الأسبوع يا كرستي. لكن لا تقلق بشأن أماندا أنا متأكد من أن الأمر ليس خطراً.

ـ أنا لست قلقاً بل أكاد أجن غضباً. لو أنها تعمل في اللقطات الدعائية فقط لكان الأمر سهلاً، لكنها الآن تشكل جزءاً أساسياً من المشهد. والناس لا يتركون عملاً ينهار لأنهم بحاجة للراحة. هذه لعبة قديمة وأنا أعلم ذلك. لقد ارتقيت في إحدى المرات خشبة المسرح ودرجة حرارتي /40 ولقد غنيت مرات كثيرة وأنا أعاني من التهاب البلعوم. إنني أقر بأن الناس لا يعطون هذه المهنة ما تستحق، أما أنا فإنني أحب هذه المهنة. إنها تمثل كل حياتي، على أماندا أن تحترمها. أما إن كانت تتصور أن بإمكان المرء أن يلغي برنامجاً كما تلغي هي جلسة تصوير فإن زواجنا معرض لكثير من الأخطار. هل ترى ما أود قوله؟

ـ سأحدثها بذلك حين عودتي.

وأغلق الهاتف ثم عاد إلى المشرب حيث روى القضية برمتها لروبن الذي راح يصغي باهتمام.

ـ أماندا ليست من النوع الذي يذهب إلى المستشفى لسبب تافه، لاحظ روبن،

ـ هنالك شخص يدعى آيك، همهم جيري.

ـ آيك؟ وما شأنه بالأمر؟

وبدون تفكير، روى له جيري كل ما يعرفه عن زيارات أماندا السرية إلى منزل آيك ريان، ثم استأنف.

ـ وإن توافق على رأيي، فإن التهاب البلعوم ليس إلا حجة. إنني أراهنك بكل ما تريد، على أن آيك جعلها تحمل وأنها ذهبت إلى المستشفى لإجراء عملية إجهاض فما رأيك؟

فعقد روبن حاجبيه:

ـ رأيي أنك جاسوس حقير.

وألقى ورقة مالية على الطاولة ثم خرج.

لدى عودة جيري إلى الشاطئ كانت أماندا ما تزال في المستشفى، مستندة بكل ارتياح إلى وسائدها، متبرجة جيداً، محافظة على أروع هيئة لها، لكن جيري فوجئ بمنظر زجاجة الدم والإبرة المغروسة في ذراعها. ولاحظت أماندا مفاجأته فابتسمت:

ـ لا تخف! أنا أمتص فقط جرايتي من عصير البندورة.

ـ لماذا نقل الدم؟ سألها وهو يجلس على حافة كرسي.

ـ كي أقف على قدمي بسرعة أكثر وأنفذ البرنامج.

فتح الباب فجأة ودخل آيك إلى الغرفة.

ـ مرحبا يا أرنبتي. ها أنا أقدم لك رسائلك وكتاباً جديداً. وحدق إلى جيري بنوع من حب الاستطلاع بينما راحت أماندا تقوم بإجراءات التعارف. بعدئذ مد له يده.

ـ سمعت بك كثيراً، وقد حكت لي أماندا أنك كنت دائماً في غاية اللطف معها.

ـ إنني أعرفها منذ زمن طويل، غمغم جيري بعد أن كانت حيوية الرجل الآخر قد طغت عليه. بعدئذ استأنف باذلاً جهده للسيطرة على نفسه. «هذا كله شيء جميل وأنا أعلم أن أماندا تقدر الناس الذين يهتمون بها، لكنها مدينة لي ببعض الالتزامات ولاسيما أن عليها أن تنفذ البرنامج، (والتفت نحوها) متى تظنين أن باستطاعتك الخروج من هنا؟»

ـ الطبيب يقول: في نهاية الأسبوع... إلا أن آيك قاطعها قائلاً:

ـ ستخرج عندما تتحسن تماماً.

فنهض جيري قائلاً:

ـ في هذه الحالة يتوجب علينا أن نستبدلها لما بقي من الموسم (يالله!! كان يفضل الموت على التصرف هكذا).

ـ لا، توسلت إليه أماندا، جيري أرجوك. سأعود الأسبوع القادم، بل ربما هذا الأسبوع وألقت نظرة متوسلة على آيك، فهز هذا كتفيه قائلاً:

ـ كما تريدين يا أرنبتي. اسمعي، لدي مكالمات عدة علي أن أجريها لذا سأنزل إلى القاعة. تحية أيها الصديق! (وتطلع إلى جيري بهيئة متجلدة) حين أصبحا وحيدين تغيرت هيئة جيري تغيراً كلياً، بل أصبح صوته صافياً ودياً:

ـ اسمعي يا أماندا، ربما كان عليك أن تتخلي عن البرنامج فهذا الإنسان يبدو مجنوناً بك.

ـ لكنه لم يطلب الزواج بي..

ـ هل عدت للعبتك القديمة؟ غمغم جيري.

فتصلبت قسمات أماندا برمتها:

ـ اسمع جيري، في الوقت الحاضر يهتم بي آيك لأنه يعلم أن كرستي يهتم بي أيضاً لكن إذا ما أصبحت بدون برنامج وبدون كرستي، فإنني اليوم أو غداً سأفقد كل جاذبية لديه.

ـ من أين تأتيك هذه الثقة وهذا الإيمان.؟

ـ هما لدي منذ الولادة، ردت عليه ببرود (بعدئذ رقت نظرتها وهي تستأنف) جيري تأكد أنني سأعود. أشعر أنني أصبحت على ما يرام. ولا بد أني كنت بحاجة لبعض الراحة. فمنذ ست سنوات وأنا أعيش حياة أشبه بالجحيم. ست سنوات لم أقضِ فيها عطلة أبداً.

فلامس جيري شعرها قائلاً:

ـ لا تقلقي يا حلوتي. هذا العمل لك مدى الحياة. سأتصل بك غداً.

ثم خرج من الغرفة، وفي القاعة كان آيك ريان بانتظاره.

ـ علي أن أعود إلى مكتبي.

ـ ليس قبل أن أقول لك كلمتين. إنك صديق شهير. فهل وجدت أنها ليست في ضيق وإزعاج كافيين حتى تأتي وتهددها تهديداتك هذه؟

ـ فقر دم، إذن فالأمر ليس مأساوياً.

ـ هي تعتقد أنه فقر دم، (وحدق آيك بثبات شديد إلى عينيه) لكنني سأصارحك. لا أحد يعرف شيئاً، ما عداي أنا والطبيب. وينبغي ألا يعرف أحد شيئاً ولاسيما أماندا. إنها تعاني من سرطان الدم.

فألقى جيري بنفسه على المقعد. وحين رغب في سحب سيجارة شعر أن يديه ترتعشان. بعدئذ رفع رأسه وكأنه يبحث عن أمل:

ـ يقال إن بعض المصابين بسرطان الدم يمكنهم العيش طويلاً.

ـ ليس في المجال الذي تعيش هي فيه.

ـ كم من الوقت بقي لها؟

ـ ربما بضع دقائق، وربما ستة أشهر.

فأدار جيري وجهه، لكنه كان عاجزاً عن كبح جماح نفسه. كان خجلاً إلا أنه انفجر باكياً فجلس آيك بجانبه ووضع يده على كتفه:

ـ اسمع، إنهم يجربون معها علاجاً جديداً أحضرته بالطائرة. كل إبرة منه تكلف ألف دولار. لقد بدؤوا العلاج منذ يومين وقد ارتفع تعداد كرياتها الدموية لكن ما يزال باكراً جداً على الأمل، أما إن سارت الأمور....

ـ هل تريد القول إنه ما يزال ثمة فرصة...

ـ فرصة الخروج من هنا على رجلين غير رجليها السابقتين، فرصة ربما لستة أشهر ـ ومن يدري فرصة خلال هذه الأشهر الستة سيكون قد اخترع دواء ما أو اكتشف علاج عجائبي.

ـ ماذا يمكنني فعله؟ سأل جيري.

ـ أولاً، كتمان الأمر. بعدئذ منع كرستي لين من تصديع رأسها بترديده المستمر «البرنامج أولاً» وأخيراً القول لها إن مكانها ينتظرها.

ـ سمعاً وطاعة.

فهز آيك رأسه ثم تابع:

ـ ما يخيف أكثر، أن تأثير العلاج سيكون مؤقتاً، كما يقول الطبيب. ربما ستتمكن من الخروج والسير على قدميها أسبوعاً أو بعض أسبوع، لكن ما من أحد يعلم كم من الوقت ستعيش. لماذا يجب، بحق السماء، أن تبقى في العمل، طالما أن أيامها معدودات؟

ـ لأنها تتصور أنك قد تتزوجها ـ إن ظلت في العمل أو بقيت مستقلة.

ـ أوه! يا يسوع!! (ونهض آيك متجهاً إلى النافذة). فاتجه جيري نحو الباب:

ـ لكن بما أنها، حسب قولك، لن تعيش أكثر من ستة أشهر، فلا تزعج نفسك بالأمر. دعها تعمل، وستبدو قصة فقر الدم هذه أكثر معقولية. التفت إليه ريان ثم صافح واحدهما الآخر بكل رزانة، بعدئذ قال آيك مهدداً:

ـ إن ذكرت هذا لأي كائن فسأدق عنقك.

فوعده جيري وهو يعرف كامل المعرفة أنه سيحنث بوعده. فعليه أن يخبر روبن. لقد بقي القليل من الزمن لأماندا. وروبن هو الكائن الوحيد الذي تهتم به فعلاً. إنها تحب آيك، هذا واضح، لكنها لن

تنظر إليه أبداً كما تنظر إلى روبن. ولا بد من بضعة أيام مع ذلك، لمعرفة فعالية الدواء الجديد. عاد آيك إلى غرفة أماندا بخطا بطيئة. وحين اقترب من الباب نصب قامته وتصنع ابتسامة ثم دفعه ودخل فوجد ممرضة تغير جهاز نقل الدم.

ـ هذا المساء، سأحمل لك شمبانيا وكتباً جديدة، لكن الآن علي أن أعود إلى العمل (وعلى العتبة التفت ثانية) بالمناسبة يا حمامتي، ثمة أمر أود أن أسألك عنه دائماً ودائماً أنسى: هل تقبلين الزواج بي؟ أنت لست ملزمة بإجابتي قبل عشر دقائق كاملة. سأتكلم معك من مكتبي.

لقد أفادت المعالجة الجديدة. وبأقل من أسبوع كان تعداد الكريات عند أماندا قد عاد إلى حده الطبيعي. كما بدت وكأنها تتخلص من الأعراض، فجن آيك سروراً وبدأ يهذر إلا أن الطبيب نبهه:

ـ إن كانت حالتها قد تحسنت فهي لم تشف نهائياً. فسأله آيك:

ـ لكنها في الوقت الحاضر تستطيع العيش بصورة عادية، أليس كذلك؟

ـ أجل باستطاعتها أن تفعل ما تشاء. لكن الله وحده يعلم إلى متى يستمر هذا التحسن، أجاب الطبيب، لكن عليها المرور أسبوعياً بعيادتي لإجراء تحليل دموي لها. علينا الاستمرار في مراقبة عدد الكريات.

ـ أسبوعياً؟ ستشك بالأمر حينذاك.

ـ كلا، فمعنوياتها عالية وليس لديها أية فكرة عن خطورة مرضها.
وجاء آيك يبحث عنها في المستشفى.

ـ لقد استأجرت قصراً في كانيون درايف، وقد انتقلت إليه بالأمس. قصراً فيه كل شيء، حتى طباخ ورئيس خدم. فهل تريدين أن تتزوج يا كنزي؟

ـ عندما ننهي البرنامج.

ـ أنت تمزحين؟ فهو لن ينتهي قبل ستة أسابيع.

ـ إذا عرف كرستي بالأمر ستغدو علاقاتنا أسوأ من أن تطاق.

ـ من يجبرك على العمل معه. اتركي هذا البرنامج السخيف.

ـ لن يكون هذا حسناً بالنسبة لي. لقد أعطاني البرنامج عندما كنت بحاجة إليه. وقد أخفقت جميع الفتيات اللواتي حاولن الاستيلاء عليه في غيابي، والجميع يرغبون في أن أستعيد مكاني غداً.

ـ مازلت أعتقد أن عليك الانتظار أسبوعاً آخر على الأقل.

ـ آيك. لقد تعطلت حتى الآن ثلاثة أسابيع، أشعر أنني في حالة طيبة (واختفى الفرح فجأة من عينيها) لكن الطبيب يريدني أن أمر بعيادته كل أسبوع بغية تحليل دمي، فلماذا؟

فهز آيك كتفيه.

ـ كي يتأكد من أنك لا تخسرين هذه الصحة الجميلة.

ـ حسناً، سآكل كبدة كل يوم. سآكل كل ما يمكن أن يفيد الدم، كل ما يبقيني على ما يرام، وهذا يكفي.

ـ لا تبدئي باللعب على الطبيب منذ الآن.

وأمسك آيك بذراعها بينما حمل السائق لها حقيبتها.

ـ آيك، أشعر بالكثير من العزاء باستطاعتي الآن الاعتراف بذلك. لقد كنت في غاية الخوف، ذلك لأنني لم أمرض قط، وما إن رأيت نفسي في الفراش حتى فكرت: أية تعاسة أن يترك الإنسان هذا كله... أن يموت دون أن يكون له حتى طفل. إنني مسرورة جداً لتحسن صحتي فأنا أعلم ماذا يعني أن يكون المرء تعيساً... أن يعاني، وهذا هو السبب الذي يجعلني أرغب بالعودة إلى عملي.

وضعها آيك في فندقها وعندما وصل إلى مكتبه طلب جيري على الهاتف:

ـ جيري، حاول أن تجعلها تترك هذا البرنامج. إنها تتصور أن عليها أن تنهي الموسم. لقد بقي لها القليل من الزمن على قيد الحياة ولا أريد أن تضيع ساعة واحدة من هذا القليل فكيف بستة أسابيع؟ وإن كنت أنا من سيجبرها على ترك البرنامج فسوف تشك بشيء ما. جد حلا.

تأمل جيري طبقة الضباب التي كانت تغلف السماء، والشمس الشاحبة التي كانت تحاول النفاذ منها. لم يكن هذا يشبه في شيء الشمس التي تشع في صيف غرينتش، ولا الأشعة اللاهبة لشمس خريفه البرتقالية. لن ترى أماندا هذه الشموس بعد الآن ولا أشعة الشتاء الباردة، وفي الحال امتلأت عيناه بالدموع.

رفع السماعة، فأجابت سكرتيرة روبن بعد قليل أن السيد ستون في الاجتماع.

ـ قولي للسكرتيرة أن تحضره من الاجتماع، صرخ جيري بعاملة المقسم، الأمر ضروري. وبعد بضع دقائق، جاء صوت روبن من الطرف الثاني للخط.

ـ ماذا هناك يا جيري؟

ـ اسمع يا روبن.

ـ هيا أسرع، لدي عشرة أشخاص ينتظرونني في قاعة الاجتماع.

ـ أماندا مصابة بسرطان الدم.

وساد صمت رهيب، بعدئذ قال روبن:

ـ هل تعرف هي ذلك؟

ـ ثلاثة فقط يعرفون: الطبيب، آيك، أنا وأنت الرابع. إنها تريد الاشتراك في برنامج الغد، رغم أنهم لا يعطونها أكثر من ستة أشهر وقد فكرت أن من الواجب اطلاعك على ذلك.

ـ شكراً يا جيري. وأغلق الهاتف.

ـ أمضت أماندا يومها الأول بارتياح في الفندق. لقد كانت شقتها مليئة بالأزهار، باقات وورود بالعشرات أرسلها آيك، باقات مقدمة من الفندق نفسه، غرسة في أصيص من زملاء العمل، وعدة أزهار من نوع جيد مرسلة من قبل كرستي، وقد كتب على بطاقته: إنني أحضر التصوير ـ سأخبرك الساعة السادسة، مع الحب كلّه ـ كرستي.

في الساعة الرابعة، قدم لها أحد الغلمان حبة بطاطا، محشوة بالكافيار ومغطاة بطبقة من الكريم الطازج، مصحوبة بكلمة: «كي تتماسكي إلى أن أعود للعشاء، مع حبي، آيك» وأكلت حبة البطاطا وقد سحرها هذا البذخ، لكنها قالت في سرها أن عليها أن تحافظ على وزنها.

كانت قد ازدادت حوالي ثلاثة كيلو غرامات في المستشفى. في الساعة السادسة رن الهاتف فرفعت السماعة ودونما حماسة، لا شك أنه كرستي.

ـ مرحباً أيتها النجمة، كيف حالك؟ (كان الصوت يحتدم في الطرف الآخر للخط) وللحظة من الزمن شعرت أن أنفاسها قد انقطعت. إنه روبن. هكذا، دونما أي شرح أو تفسير لغيابه الطويل. وأخيراً وجدت صوتها:

ـ لقد خرجت للتو من المستشفى.

ـ ما هو مرضك؟

ـ إنه فقر الدم. والآن أنا على ما يرام. ألم يقل لك جيري شيئاً؟

جيري ليس عندي ولم أره. اسمعي يا عزيزتي، لدي عمل في لوس انجلوس. سأستقل الطائرة يوم الأحد. وسأكون هناك حوالي الساعة الخامسة. هل تعتقدين أن بإمكانك أن تضحي بسهرة واحدة من أجل صديق قديم؟

ـ سيسرني ذلك كثيراً يا روبن.

ـ تمام، إذن سنتعشى فإلى يوم الأحد.

أغلقت الهاتف وأرخت نفسها على وسادتها. من غير المفيد أن تتحمس. فربما لن يبقى هنا أكثر من بضعة أيام. إنه يتصور أن أماندا الطيبة القديمة تلك ما تزال في انتظاره. لهذا السبب خابرها. ولم لا؟ إنها مضمونة بالنسبة له، وذلك خير من التفتيش عن صاحبة في الهاتف يميناً وشمالاً، لا شك، هوليود ليست منطقة نفوذه. إنه لا يعرف الكثير من الناس هنا. وهو لا شك غير راغب بإضاعة ليلة من لياليه. حسناً، ستراه... بإمكانه أن يعتمد على هذا ـ لكنها ستريه ما يعانيه المرء عندما يكون الشخص الآخر هو الذي يسجل النقاط. ترى ماذا تفعل؟ هل تروغ منه؟ هل تجعله ينتظر وحيداً في الشاش؟

فكرت في الأمر لأكثر من ساعة. وفجأة أدركت ما عليها أن تفعل ـ سيكون ذلك رائعاً، لكن عليه أن ينتظر حتى يوم الأحد!

الفصل الرابع عشر

قدم روبن نفسه في مكتب الاستقبال في فندق بفرلي هلز في الساعة الخامسة. فقدم له المستخدم مغلفاً وجد في داخله كلمة كتبتها أماندا كيفما اتفق على جناح السرعة: عزيزي روبن.

إنه عيد ميلادي. أنا وآيك ريان نستقبل بعض الأصدقاء. علي أن أكون هناك باكراً، فأنا ضيفة الشرف ولا أستطيع انتظارك.

وعندما استقر في شقته قرأ من جديد رسالة أماندا التي كانت تحمل أيضاً رقم هاتف وعنواناً في كانيون درايف. أول شيء فكر به هو أن يخابرها ليقول لها إنه ينتظرها في الفندق. فقد كان يسيطر عليه رعب قاتل من حفلات الكوكتيل، لكنه غير رأيه بسرعة. فاعتباراً من الآن سيفعل كل ما ترغبه أماندا. وفتش في جيبه باحثاً عن المحبس الذهبي الصغير متلمساً إياه. إذا ما استطاعا أن يتركا هذا اللقاء باكراً فإنهما سيطيران باتجاه تجوانا ليتزوجا هناك وخابر البواب طالباً تاكسي.

كان طريق كانيون متاهة حقيقية من السيارات المتوقفة. دفع أجرة السائق وصعد الممر. بيوت هوليود لها مظهر خداع. فالواجهات تبدو دائماً متواضعة ـ لكن عندما يدخلها المرء يجد خلف الواجهة تفجراً للروعة لا يصدق. ومنزل آيك ليس الاستثناء لهذه القاعدة. كانت الصالة، المكسوة بالرخام، مكتظة، وفي صالة الجلوس الضخمة، حول المشرب الكبير، كان المدعوون مزدحمين على ثلاثة صفوف. أبواب من الزجاج كانت تنفتح على فسحة واسعة حيث تمتد حلبة رقص ذات أبعاد نموذجية (أولمبية)، بل لقد كان هناك ملعب تنس.

أحس روبن أنه يفقد اتجاهه قليلاً. فهو لم يكن مستعداً لمشهد من نوع هائل كهذا المشهد الذي وقع عليه وكانت ترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة. هاهي ذي فكرة آيك عن إقامة حفل استقبال صغير. استطاع روبن أن يميز بعض الوجوه المألوفة وبعض مشاهير الشاشة الكبيرة. فقد كان في الحفل عدد من هؤلاء يكفي لسد حاجة بلاد صغيرة: مؤلفون، منتجون، مدراء فنيون، مخرجون، وحتى كتاب السيناريو الأكثر شهرة والطاقم المعتاد من الفتيات الجميلات.

فجأة، عبرت أماندا الصالة لاستقباله، هو الذي كان قد نسي تماماً كم هي ساحرة، ولم يكن الموت قد استطاع الحلول في هذا الجسم الرشيق الرائع بعد.

روبن (وتعلقت بعنقه، ففوجئ بهذا العرض العلني لعاطفتها) روبن! أنت هنا! إنني سعيدة جداً برؤيتك، أوه! لكنك لا تعرف الكثير من الناس هنا. (ثم أنهت عناقها له وأمسكت بيده هاتفة): هي..! سكوت، جميعاً (وساد الصمت في الحال) أقدم لكم روبن ستو لقد جاء مباشرة من نيويورك. إنكم لا تجهلون روبن ستون (وقالت هذا بشيء من التهكم) فهو نجم برنامج «من الأعماق» (ونظرت نظرة بريئة) لا أحد هنا يتأثر به على ما يبدو لكن روبن شخص بالغ الأهمية في نيويورك.

اتخذ بضعة أشخاص هيئة من عرفه بهزة خفيفة من الرأس، لكنهم سرعان ما عادوا لمتابعة حديثهم. أما وجه روبن الخالي من التعبير فقد كان يخفي المفاجأة التي سببها له هذا السلوك الغريب فاكتفت أماندا بهز كتفيها:

ـ انظر كيف تستقبلك هوليود، قالت بصوت خفيف، إنهم يرفضون حتى الاعتراف بوجود التلفزيون. أما بالنسبة للأخبار فإنهم

لا يسمعونها إلا في سيارتهم وهم يعودون إلى الاستديو، أو عندما يرتاحون هنيهة من الزمن وسط برنامج منوعات. إذن، اغفر لهم، يا ملاكي. إنهم لا يعرفونك ولا يسجدون أمامك. فبول نيومان، غريغوري بك، إليزابيت تايلور هذه هي كلمات التعارف الوحيدة في هذه المدينة. وقادته إلى المشرب. هناك استقبله آيك ريان بحرارة، ثم اجتاز الصالة لتحية مخرج كان قد دخل. ومدت أماندا الكأس إلى روبن.

ـ مشروبك المفضل مع الماء المثلج، مضمون المصدر...

ويسرعة خيم الصمت، ثم بدأت همهمة وكبرت لدى ظهور شاب وسيم.

ـ أوه! انظر! هتفت أماندا، لقد نجح آيك في إحضار ديبر الكبير شخصياً. (ولمعت عيناها وهي ترى آيك يقود الشاب البرونزي الجذاب إلى المشرب).

ـ هل تعرفين هذا الولد الجميل؟ سأل آيك ببسمة ساخرة.

فابتسمت أماندا، مرتعدة:

ـ أوه آيك، العالم كله يعرف ديب نلسون! إنني فخورة جداً برؤيتك هنا يا سيد نلسون. لقد جعلني آيك أشاهد فلمك الأخير عندما كنت في المستشفى.

بدا آيك منزعجاً قليلاً، فقد كان روبن هناك أيضاً. وتساءل في نفسه عما سيطرأ على أماندا، التي استأنفت.

ـ ديب أقدم لك روبن ستون، إنه صديق قديم، يحل تقريباً محل عائلتي، أليس كذلك يا روبن؟ فشد ديب على يد روبن ثم تجمعت بعض السيدات حوله وحمل مكرها من طرف الصالة إلى الطرف الآخر.

ـ مسكين ديب مع كل هؤلاء السيدات، لن يجد فرصة حتى للخروج، قالت أماندا، فابتسم آيك:

ـ ديب الكبير يعرف كيف يدافع عن نفسه وحيداً. ليس بالموهبة، بل بالفعل، بالغمازات وبالإغراء. في رأسه مكتب بريد في هذه اللحظة وما من شيء يحسب حسابه سوى هذا.

لكزته أماندا بمرفقها قائلة:

ـ عزيزي، بمناسبة صندوق البريد... انظر من دخل!

وتابع روبن بعينيه أماندا وآيك اللذين تقدما باتجاه رجل رشيق جذاب ـ ألفريد نايت، الممثل الإنكليزي الذي كان قد وضع هوليود في جيبه. فتش روبن بنظرته بين الجمهور باحثاً عن كرستي لين، فرآه في الطرف الآخر من الصالة، في زاوية من الزوايا، كريس المسكين الذي كانت هيئته أكثر من هيئة شريد، كريس الذي كان يعتبر نفسه دائماً خطيب أماندا. أنهى روبن كأس فودكا. ثم صب كأساً أخرى وبقي عند المشرب. فالسهرة بدت مسلية جداً.

شرع الندل المرسلون من قبل المشرف على الاحتفال بوضع الطاولات حول المسبح، وعلى التو خطر في بال روبن أن عيد ميلاد أماندا يجب أن يكون في كانون الثاني، أو شباط، فقط تذكر أنهما احتفلا به في إحدى المرات تحت عاصفة ثلجية.

كان قد انقض على كأس فودكاه الرابعة عندما علا صوت دف مدو، ونهضت أماندا واقفة وسط الصالة قائلة: «سماع، جميعاً! أنا ... بل أنا وآيك لدينا خبر نود أن نعلنه لكم جميعاً. (ومدت يدها فبدت ماسة كبيرة تزين إصبعها) هذه الماسة قدمها لي آيك هذا اليوم وهي ليست هدية عيد ميلادي بل نحن بالحقيقة لا نحتفل بعيد ميلادي البتة، إنما هو أسلوب أردنا أن نعلن لكم بواسطته خطبتنا».

وشرع الحضور جميعاً بالكلام في الوقت نفسه. كرستي لين اكتسى فوراً هيئة حيوان طعن من خلف فقد وقف دون أن يفوه بكلمة، جامد النظرة تماماً!! أحد المدعوين جرى إلى البيانو وعزف مقطوعة الزواج الموسيقية لـ (لهونجرن). شيئاً فشيئاً راحت المجموعات تتشكل من جديد وراحت كل مجموعة تستأنف حديثها وشرابها. خلال لحظة، ومن طرف الصالة إلى طرفها الآخر، قابلت عينا أماندا عيني روبن. تطلع أحدهما إلى الآخر طويلاً. ضياء عميق من أشعة النصر كان يلمع في عيني أماندا. فرفع روبن كأسه وأشار لها بنخب صامت. بعدئذ دارت على نفسها وتركت الفريد يسحبها إلى الزاوية الأخرى من الصالة. ورأى روبن آيك يتجه نحو غرفة التدخين، فوضع كأسه وتبعه. ابتسم آيك عندما رأى روبن يقترب منه:

ـ حسناً، هل تريد أن تعترف بأنني أملك القدرة على المفاجأة؟ وإنني لا أنضب؟

ـ أريد أن أقول لك كلمتين أيها العجوز.

ـ ماذا؟ ألا تبارك لي؟

ـ أين يمكننا أن نذهب؟ فهذا لن يأخذ وقتاً طويلاً.

فأشار آيك إلى أحد الندل كي يحمل لهما الشراب ثم مضيا قريباً من المسبح الذي كان ما يزال خالياً:

ـ هيا، اجلس! ما الذي تراه على غير ما يرام؟

ـ أماندا.

ـ هذا صحيح، في السابق كان هنالك شيء بينكما. (وجرع آيك كأس الويسكي السادة ثم نظر إلى كأس روبن المليئة) ألا تريد أن تشرب نخب خطوبتنا؟

ـ إنني مطلع على وضع أماندا، قال روبن بهدوء.

فعقد آيك حاجبيه:

ـ أي وضع؟

ـ جيري موس صديق من أصدقائي.

ـ سأقتل هذا القاذورة اللعين. لقد نبهته أن يسد بوزه.

ـ لا تكن عنيفاً. فقد اعتقد جيري أنه فعل خيراً. ولقد جئت هنا كي أطلب يد أماندا للزواج.

ـ ليست بحاجة لشفقتك، صرخ آيك.

ـ هل هذا ما تقدمه لها؟

ـ أنت من يقول ذلك، لا أنا.

ـ آيك، لقد ارتكبنا معاً الرذالات نفسها وأنا لا أنكر ذلك. بل إنني أحبها أيضاً، إلا أن أماندا لن تدخل «دورة» عندك، هي لا تستطيع، ولاسيما الآن.

فابتسم آيك ابتسامة متجلدة:

ـ لو لم أكن أحبه كثيراً لكسرت لك بوزك، فأي نوع من الأنذال تعتبرني؟

ـ أنا نفسي نذل، لكن أنت ابن حرام، ولا أريدك أن تعذب أماندا. فتطلع إليه آيك باستغراب:

ـ أنت تحبها إذن؟

ـ إنني مرتبط بها، مرتبط بأن أجعلها سعيدة طوال الوقت الذي تبقى لها على قيد الحياة. فهز آيك رأسه:

ـ إذن كلانا في الصف نفسه.

ـ هل تعتقد ذلك؟

فانحنى آيك على الطاولة:

ـ اسمع، ليس هذا وقت المزاح. إنه وقت الجد. هل تحبها فعلاً؟ إذا قلت لي إنك تحبها فسأترك لها الحرية وسأعطيك فرصتك، والأفضل منا يربح. لكن إن كنت قد جئت هنا لكي تقوم بعمل من أعمال الإحسان فدع عنك ذلك، هي لن تقبل إحسانك ـ وعندما تأتي اللحظة أعتقد أن وضعي سيكون خيراً من وضعك كي أقدم لها ما تحتاجه.

ـ حسناً يا عجوزي. بما أنك تود الدخول في لعبة الجد (وأصبح وجه روبن قاسياً) فسأسألك بدوري، هل تحبها أنت؟ إذ يبدو لي أنك لم تجاوب على هذا السؤال. فنهض آيك ونظر إلى الماء المعتم:

ـ بالتأكيد أنا لا أحبها، قال بصوت منخفض، لكن أنت لا تحبها مطلقا.

ـ هذا بالضبط ما فكرت فيه منذ البداية، إذن لماذا تتزوجها؟

ـ ولماذا لا أتزوجها؟

ـ إذا أردت رأيي، فإنها سوف تقيدك، سوف تعيقك عن فعل ما يرضيك فابتسم آيك:

ـ بل يمكنها أن تزيد من شعبيتي.

ـ لا أظن ذلك.

ـ ربما لم تقرأ الجرائد. في الشهر الماضي انتحرت زوجتي السابقة ـ الزوجة التي طلقتها منذ خمس سنوات، والحمد لله أنها فعلت هذا في وسكنسون، حيث كانت قد ذهبت لرؤية ابننا في عطلة الفصح، إنه يدرس هناك. لقد تناولت زجاجة كاملة من الأقراص المنومة تاركة كلمة تقول فيها إنها لن تستطيع العيش بدوني. لحسن الحظ أن جيري كان يشبهني تماماً، فقد أخذ الورقة وطلبني على الهاتف. بقليل من المال وملاطفات أخرى استطعنا أن نجعلهما يعتبرون موتها قضاء وقدراً.

(وتأوه آيك). لقد مضت خمس سنوات لم أر فيها هذه المرأة ـ وأنا لم أحبها أبداً ـ لقد كنا معاً في المدرسة وقد أسلمتني نفسها في السنة الأخيرة، وتزوجنا إنما لم تستطع أن تجاريني في التطور. لقد كانت تقرع رأسي دائما كي أبيع ربطات عنق لدى عمها. وقد ظللت معها حتى بلغ جيري الثانية عشرة بعدئذ تخليت. كنت أرسل لها كل المال الذي يمكن أن تحتاجه امرأة طيبة. يالله! لقد قبلت أن يبقى معاشها التقاعدي هذا حتى بعد أن تتزوج ثانية فانظر كيف كانت تقضي وقتها مجترة ذكريات ماضيها، وانظر كيف قررت في أحد الأيام أن تعود إلي بقتل نفسها. لو رأيت هذه الرسالة ـ إنها تعتبرني أسوأ خنزير وجد على ظهر الأرض. وقد حرقناها أنا وجيري لكن الضجة كانت قد ظهرت هنا وكانت إشاعة انتحارها قد انتشرت. وفي الحال كانت هناك امرأتان مصابتان بالهيستريا حاولتا أن تفعلا مثلها. أنا لا أعلم ماذا فعلتا بأقراصهما المنومة. فأنا لست عشيقاً خارقاً للعادة. لكن فجأة نشرت إحدى مجلات الفضائح: «من أجل آيك ريان، النساء ينتحرن». عيب هذه المهنة في العواهر: فلا يوجد رجال هنا. إنهن يرمين أنفسهن على زر الباب إذا كان يرتدي بنطالاً. هذا المساء نصف النجمات الكبيرات كن مع حلاقهن الصغير التافه. في الحالات كلها، شهرتي لا تصنع مني شخصاً شفوقاً، والصحافة يمكن أن تخدمني لكن عندما تغيب أماندا فإن الناس سيرونني بشكل مختلف. سيرون أنني أسعدت امرأة محكوماً عليها بالهلاك في أشهرها الأخيرة وإنني جعلتها تعيش بغاية السعادة. روبن، اعلم أنني سأقيم لها أكبر مجموعة من الاحتفالات يمكن لامرأة أن تحلم بها. وعندما يطبقون النعش على جسدها الصغير الجميل فستكون قد مضت وهي جميلة على الأقل.

كان روين قد صمت، مندهشاً، لكنه قال أخيراً بلحن غاضب:

ـ تريدها أن تخدمك أيها السافل! تريدها أن تخدمك!

ـ لنقل إنني بحاجة إليها، لكن حاجتها إلي أشد بمرتين. (وتقدم آيك نحوه متصلب القسمات) اسمع لقد رأيتك تتصرف، إن في شرايينك ماء مثلجاً، إذن لا تنصب من نفسك قاضياً على أفعالي. هي تعجبني ويودي أن أسعدها، سأستأجر لها طائرات وسأتجول بها حول العالم. سأغطيها بالماس، فماذا باستطاعتك أن تفعل لها؟ أن تضاجعها؟ هذا، باستطاعتي أيضاً أن أفعله، حسناً، الإله وحده يعلم حتماً ستبقى لديها قوة الاستمرار لكن هل تستطيع أن تضمن لها أن ترحل وهي جميلة كما أستطيع أنا ضمان ذلك. إنني أعرف ماضيها وأفكر أنها الآن تستحق العيش وهي في ذروة مجدها. فهل تستطيع أن تقدم لها أفضل مما أقدم أيها الصحافي؟

فنهض روين متصلب العينين كما كان آيك تماماً، وتقابل الرجلان وجهاً لوجه.

ـ كلا ليست لدي الإمكانات. لكن تمسك ببرنامجك وانتبه إلى أن هذا لن يكون كلاماً في الهواء. فعندما ألتقي بك ثانية ـ وحيثما تكون ـ سأسوي حسابي معك. وعبر الصمت المشحون بالتهديد، تقاطعت نظراتهما لحظة طويلة من الزمن. بعدئذ مد آيك يده قائلاً:

انتهت الصفقة.

ثم دار نصف دورة وعاد إلى المنزل. لقد رفض روين أن يصافحه وحين ابتعد آيك ترك نفسه يسقط على كرسي طويل ثم شرب كأسه راشفاً إياه رشفات صغيرة. كان يشعر بنفسه ممزقاً، خاوياً، فآيك لم يكن يهتم بأماندا بل يهتم بشهرته. لكن ما هو الفرق: وحدها النتيجة هي المهمة. تطلع روين إلى ساعته. كان الوقت ما يزال باكراً، وبإمكانه أن يأخذ طائرة منتصف الليل.

ـ الوقت متأخر جداً على حمام شمس.

رفع عينيه فرأى ديب نلسون أمامه ثم ابتسم ابتسامة ساخرة.

ـ إنني بحاجة ماسة لشعاع من أشعة الشمس.

فأشعل ديب سيجارة:

ـ هل أتيت من نيويورك؟ (فوافق روبن بهزة من رأسه) هذا ما كنت أفكر فيه. هل أنت من الجماعة؟

ـ كلا، والحمد لله.

فتفحص روبن بنظرة متسائلة:

ـ دعني أقدر: قريب الخطيبة؟

ـ قريب بعيد. (بعدئذ أضاف روبن) بشكل إضافي، يمكنك اعتباري واحداً من معجبيك. لقد رأيت بعض أفلامك وأنك لفارس ممتاز.

فتأمله ديب بتمعن:

ـ هل تسخر مني؟

ـ أبداً.

ـ إذن، ما معنى هذه الملاحظة؟ ما رأيك بتمثيلي؟

ـ مقبول نوعاً ما، قال روبن وهو يبتسم. ولمدة ثانية، تأرجح ديب بين الغضب والضرب، بعدئذ انفجر ضاحكاً ثم مد يده:

ـ على الأقل أنت لا تعلك كلماتك.

ـ لا أعتقد أن التمثيل يهم كثيراً، بل حضور الممثل هو المهم. وإذا حكمنا من خلال الاستقبال الذي استقبلوك به هنا فإنك تحققه تماماً إنه أمر لا جدال فيه.

فهز ديب كتفيه:

ـ كما قلت، لقد قمت بحركات فروسية سنين عديدة في أفلام متتالية لرعاة البقر ثم فجأة، أصبحت هذه الأفلام ذائعة الصيت وأصبحت أنا نجماً. لكن فلمي الجديد هو الذي يثير اهتمام الناس بي. إنه يعرض في نيويورك الأسبوع القادم. أما أنا فأمثل فيه نوعاً من دور البطل المضاد أمام أديسون افينيو. ربطة صغيرة، طقم رمادي غامق، تماماً مثل طقمك، قل إذن، هل هذه هي جماعتك؟

ـ بشكل ما، نعم.

ـ أوه! أوه! هاهي بيبي ترجع، لننسحب من هنا.

ـ من هي، بيبي هذه؟

ـ زوجة منتج كبير. تعال، فأنت ترغب في الهروب من هذا الحفل أليس كذلك؟

ـ الحقيقة أنك تقرأ أفكاري.

ـ اتبعني.

واتجه ديب نحو الحجرات... ثم انسلا عبر الممر الممتد في الظلمة.

ـ انتبه، لا تتحرك. فهي مشحونة إلى حد يمكنها معه أن تأتي حتى إلى هنا. وبقيا جامدين في الظل الصامت، بينما كانت زوجة المنتج المترنحة تدور حول المسبح وهي تنادي: ديب.. ديب. أخيراً تخلت عن بحثها وعادت إلى المنزل.

فلامس ديب رقبة روبن عابثاً:

ـ يا عجوزي، ليس هنالك أسوا من امرأة متصابية في سن اليأس. اسمع، ينبغي على الشهرة ألا تمنع المرء من إبقاء قدميه على

الأرض. أنا رجل يحب المرأة الواحدة. صحيح أنه قد يحدث لي أن أضاجع امرأة من أجل دور ما، لكن يستحيل علي أن أركض خلف امرأة كبيبي مثلما يفعل بعض الأوغاد هنا. (وارتعش) فليس هنالك أسوأ من أربعينية وابن عشرين إذا ما وضعا في سرير واحد: هنالك سترى التجمد. المرء يغوص في كل ما قد يلمسه: فخذين، مترهلتين، بطن مترهل، ثديين مترهلين.

ـ حين يسمعك المرء يعتقد جازماً أنك تتكلم عن خبرة.

ـ بالطبع، فقد كانت حياتي كلها إما امتطاء خيول أو امتطاء كلير هول طوال الفلم. لقد امتطيت كلير فأصبحت نجماً. حسناً الخط خال. بإمكان المرء أن يخرج على رؤوس أصابعه (وقاد روبن إلى أطولَ كاديلك رآها في حياته) هل تعجبك؟ سأله ديب بكثير من الافتخار.

ـ إنها ساحرة.

ـ بخدمتك، إنها السيارة الوحيدة المؤطرة بالذهب في البلاد. وهو ليس ذهباً زائفاً فالدهان من عيار 22 قيراطاً والجلد هو جلد الجدي المذهب. إنها جزء من الصورة التي أريد أن أوجدها. رجل من الذهب الخالص: شعر من ذهب، سيارة من ذهب، الجلد وحده كلفني عشرة آلاف دولار.

وتباطأت السيارة في نهاية الممر، ثم انحدر ديب باتجاه شارع «غروب الشمس».

ـ هل لديك شيء خاص تود أن تفعله؟

ـ فقط ركوب طائرة منتصف الليل والعودة إلى نيويورك.

ـ رجل مثلك يشعر ولا شك بأنه غريب في مدينة كهذه.

ـ بالتأكيد.

ـ المسألة هي أن تكون رابحاً أم لا، فالرابح يكون في أمان حتى ولو كان في بومبي، هذا ما علمتني إياه عجوزي التي ماتت في دار عجزة السينما.

ـ شيء محزن.

فربت عليه ديب قائلاً:

ـ أنت تعرف، هي لم تعش حياة جميلة تماماً، إذ لم أكن قد «وصلت» بعد. وحينذاك لم يكن لدي خيار. لقد كان لهم بيوتهم الريفية الخاصة، وكانوا يجلسون خارجها ويتكلمون عن أيام زمان، وقد كانت شخصية من الدرجة الثانية. أما عجوزي فقد كان يشبه فريد تومسون وتوم فكس: ممثل مقامر بنار الإله. هذا كان قبل أو أولد، وقد علمني ركوب الخيل قبل أن تدق عنقه في سباق كبير فتوجب على أمي أن تتحمل مسؤولية تربيتي. هي لم تكن شابة حينذاك، بينما كنت أنا ولداً غير مستقر. يقال إن أيام الصبا هي دائماً الأيام الأكثر إشراقاً. لكن لن تصدقني إن قلت لك: إنني لم أذهب أبداً إلى مدرسة.

ـ إذن، لا بد من أنك تلاقي بعض المشقة في حياتك!

ـ أحياناً أنزعج عندما لا أكون واثقاً من كلماتي. في الحوار السينمائي يمشي الحال، إنه مكتوب... لكن هذه المقابلات اللعينة!!!. إنني أعلم أنني أصنع مجازر في اللغة الإنكليزية، وفي كثير من المرات، يعتقد الصحفيون أنني أسخر منهم فيطلبون إليّ التوقف عن تمثيل أدوار رعاة البقر.

ـ هل تسمح بأن تدور في التقاطع القادم وتوصلني إلى بفرلي هلز، هذا إن لم يكن في ذلك إزعاج لك.

ـ ماذا يدعوك للعجلة؟ الساعة ما تزال السابعة. ترى ألا يوجد لديك أي مشروع؟

ـ كلا، إنما لديك أنت ما تفعله ولا بد. إنني متأكد من ذلك.

فابتسم ديب:

ـ أصبت كبد الحقيقة، فأنا ذاهب للبحث عن صاحبتي. إنها تغني في علبة ليل في «الستريب» ستذهب لتراها: إنها في التاسعة عشرة من عمرها لكنها امرأة من رأسها حتى أخمص قدميها.

ـ ألن أفسد عليك مخططاتك؟

ـ لا، ثم إنني أرغب كثيراً في أن تتذكر ليلتك الوحيدة في هوليود. إنني أعرف ما عانيته في هذا الحفل. فقد حدث لي مرة أن كنت في وضع كوضعك، ولم يأت أحد لمساعدتي وكان هذا مؤلماً إلى حد جعلني أتكلم مع عازفة البيانو. لقد بقيت طويلاً هناك واقفاً بجانبها إلى أن جاء أحدهم طالباً مني أن أغني. فقد اعتقدوا جميعاً إنني كنت واحداً من الجوقة الموسيقية. وعندما رأيتك هذا المساء فكرت في نفسي: هذا هو شخص ضائع وعلي أنا، ديب نلسون، السيد الكبير أن أتحرك. لتحل علي اللعنة إن كنت قد جئت إلى هذا الحفل من أجل تلك القذرة أماندا بل كان علي أن أجيء من أجل آيك ريان. وهكذا ظهرت واختفيت. لكنني على الأقل سأعرض عليك نزهة رائعة.

ـ لقد فعلت حتى الآن أكثر من واجبك. فليس هنالك من سبب يدعوك لتسليتي طوال السهرة. إنه أكثر مما يجب.

ـ أوه! ما هذا الذي تقوله؟ على كل حال، سيكون علي أن أنتظر وحيداً بينما تؤدي بولي وصلتها الغنائية. إنها تقدم في هذه الليلة أغنيات تقليدية إلا أن غناءها أفضل من غناء غارلان أو أية مغنية أخرى. إنها ستصل، وسترى. علي أولاً أن أعطيها قليلاً من الاعتبار. إنها فتاة طبيعية جداً. لقد كانت عذراء حين قابلتها أول مرة. وليس هناك سواي في حياتها لكنني لن أستطيع الزواج قبل أن أضمن ثلاثة نجاحات كبيرة في جيبي. إنني شخصية الوقت الحاضر لكن بفلم

واحد. والفلمان التاليان سيحسمان كل شيء. فإذا ما كانا سيئين سأتزوج بولي. ما من استديو سيتمكن من منعي من ذلك. وبانتظار ذلك يمكنني البدء بصقلها. لا تظن أنني أبحث مسبقاً عن أعذار لها فهي بالتأكيد ممتلئة مواهب، ولها بالتأكيد قلب من ذهب. سترى بولي، لا شك، ستعجبك. (وأوقف السيارة قرب مطعم صغير) إنها لا تكسب إلا خمسة وعشرين دولاراً في الأسبوع لكنهم على الأقل يتركونها تغني ما تريد وهي ليست مضطرة لأن تنزل لتسلية الزبائن.

استقبل مدير المحل ديب بحرارة بالغة ثم قاده مع روبن إلى طاولة ذات مقاعد مستندة على طول الجدار ولم تكن الصالة مليئة بأكثر من النصف. كان الرجل في ثياب السهرة ومعظم النساء في البنطال، وحوالي عشرين شخصاً على نضد البار يشربون البيرة.

ـ ستبدأ خلال أقل من اثنتي عشرة دقيقة، بعدئذ ستنضم إلينا. (وإذ رأى روبن ينظر إلى ساعته) هل أنت متأكد من أنه ليس لديك أي موعد هذا المساء؟

ـ كلا، إنما علي فقط أن أرتب موضوع الفندق.

ـ سأنقلك إلى المطار.

ـ أوه! ليس هذا ضرورياً.

فابتسم ديب ابتسامة هاشة.

ـ عندما أقول شيئاً يا صديقي فإنني أفعله حتى النهاية. قل، ماذا تفعل في نيويورك ـ لقد تكلمت عن وكالة إعلانات، أليس كذلك؟

ـ كلا، إنني أعمل في الآي بي سي.

ـ إن ما أشاهده في التلفزيون هو الأفلام. فأنا أتصور أنها يمكن دائماً أن تعلمني شيئاً ما. ماذا تعمل في الآي بي سي؟

ـ في الأخبار.

ـ هل أنت محرر أخبار أم شيء من هذا القبيل؟ هل تكتب؟

ـ أحياناً.

ـ أراهن أنك ذهبت إلى المدرسة.

فابتسم روبن:

ـ هل يبدو علي ذلك؟

ـ أجل. فأنت تجيد الدفاع عن نفسك. لكن في المدرسة، يضيع المرء وقته إلا إذا أراد أن يكون محامياً أو طبيباً. أنا، أريد أن أكون معبود السينما. يالله كم أريد أن أصل إلى هذه النقطة وكم أفكر فيها ليل نهار. كم أود أن أتمكن من القول لكل الناس أن يذهبوا إلى الجحيم.

ـ حتى بولي؟

ـ لا، نحن سنبقى سوية، يا عجوزي. وإذا ما أرادت أن تشغل نفسها بعد الزواج بأمور المنزل وأن تتخلى عن العمل فلن أعارضها. إنها تتفجر موهبة، لكن ليس لديها سوى فكرة واحدة: أن تتزوجني وتملأ البيت أطفالاً. لكن أنت، أظن أنك متزوج ولديك أطفال؟

ـ كلا.

ـ إذن زوجة فقط تعيش معها؟

ـ حتى ولا هذا.

فتفحصه ديب فجأة:

ـ كيف هذا؟ أنت لست لوطياً إذن؟ إيه، أحيانا؟

فقهقه روبن ضاحكاً:

ـ إنني أعبد النساء.

ـ إذن ما يمنعك من الزواج، في سنك، يجب أن يكون المرء متزوجاً وله أطفال. أنا على سبيل المثال، ليس لي من العمر إلا ست وعشرون.. (فأوقفته ابتسامة روبن الساخرة) طيب... إحدى وثلاثون، لكن ربما أبدو في السادسة والعشرين، كلا؟

ـ تحت الأضواء.

ـ حسناً، ما هو عمرك؟

ـ أربعون، في شهر آب.

ـ ولم تتزوج أبداً؟

ـ كلا.

ـ ولا صاحبة مرتبطة بك؟

ـ كان لي واحدة، إلا أنها خطبت الليلة.

فهز ديب كتفيه مشفقاً:

ـ وهذا سدد لك ضربة، أراهن على ذلك، فمن الصعب أن تحصل على امرأة حقيقية ـ خاصة هنا. إنهن لا يفكرن إلا بالحصول على صاحب الحظوة الكبيرة.

ـ ألست أنت منهم؟

فبدا ديب وكأنه جرح:

ـ أنت مصيب تماماً. أنا كذلك، لكن هل أتباهى عليك بعمل وحيد؟ إنني أؤدي هذا الدور عندما أكون مع أناس من مهنتي، لكن عندما أكون مع أناس أحبهم تماماً فإنني أنسحق.

ـ وهل تحبني تماماً؟

ـ أجل. أظن ذلك. لكن بالحقيقة، أنا لا أعرف حتى اسمك.

ـ روبن ستون.

فتأمله ديب بنظرة مرتابة:

ـ أنت متأكد أنك لست لوطياً؟ إن كنت كذلك فإن بولي ستكشفك خلال ثانية، إنها تكشف اللوطيين عن بعد كيلو متر كامل. (وفجأة لكز روبن بذراعه) انظر هاهي ذي. سترى هذه الموهبة إنها نار حقيقية.

وانحنى روبن إلى الأمام بينما كانت الفتاة النحيفة تضع نفسها تحت أضواء النوارات. كان شعرها أحمر أفتل، وفكر، وهو يرى النمش على كتفيها، إن هذا وحده ينبغي أن يكون طبيعياً. كان أنفها قصيراً أقب على نحو ساخر، والفم كبيراً، والعينين كثيفتين بزرقة البراءة. لكن ما إن بدأت تغني حتى شعر بخيبة أمل. كان الصوت مضبوطاً، إنما عادياً، تقليداً باهتاً لصوت غازلان ولينا. كان قد سمع كثيراً من الفتيات كبولي يغنين بالإضافة إلى أنهن كن أجمل منها. ولم تثر انتباهه إلا عندما قلدت كارول شاننغ. فهنا أظهرت كثيراً من الحيوية ـ لقد كانت تملك حساً هزلياً حقيقياً. وانتهت نمرتها مع هتاف الاستحسان والتصفيق المهيأ قليلاً، وصفرات ديب الحماسية، الذي لكز روبن في ظهره لكزة هائلة:

ـ هيا أجبني: أليست جميلة؟ أية درجة تأخذ؟ لا بد أنها ستصنع ضجة في ولدورف عندما تظهر على الحلبة. ونهض الرجلان عندما اقتربت منهما بولي:

ـ هذه خطيبتي بولي. بولي، أقدم لك روبن.

فابتسمت ابتسامة مختصرة وجلست. بعدئذ تفحصت روبن بشيء من حب الاستطلاع.

ـ لقد جاء من نيويورك، جاهد ديب مضيفاً.

ـ ديب، لقد طلب مني ملحقك الصحفي أن أبلغك بضرورة الاتصال به عندما تصل. قالت بولي دون أن تسمعه.

فنهض ديب:

ـ سأترككما تناقشان الأمر. روبن يشتغل في الآي بي سي.

وغادر الطاولة فتبعته بولي بنظرها. بعدئذ التفتت نحو روبن.

ـ ماذا تصنع مع ديب؟

ـ لقد تقابلنا في سهرة.

فعقدت حاجبيها:

ـ ماذا يمكن لشخص يعمل في الميكانيك أن يكون له شأن بديب؟

ـ ميكانيك؟

ـ ألم يقل إنك تعمل في الآي بي إم؟

ـ آي. بي . سي. إذاعة دولية.

ـ أوه. قل إذن ألا تستطيع أن تجعلني أشارك في برنامج كريس لين؟ بشكل حاسم ونهائي لم تكن قد أعجبته، لكنه كان مديناً بالفضل لديب:

ـ أجل يمكنني أن أرتب هذا.

فلمعت عيناها:

ـ بدون خداع... هل تستطيع؟ (بعدئذ متشككة) ماذا تعمل في الآي بي سي؟.

ـ في الأخبار.

ـ مثل هنتلي وبرنكلي؟

ـ بشكل ما.

ـ كيف إذن لم أسمع بك؟ إنني غالباً ما أشاهد برنامج الفعاليات، الساعة السابعة. وأعرف من هو والتركرونكيت، لكن، أنت لا أعرفك.

فابتسم:

ـ أنت تشككينني بشهرتي.

ـ وماذا ستفعل لإدخالي في برنامج كرستي لين؟

ـ أستطيع أن أطلب إليه ذلك.

فتفحصته دون كبير ثقة. بعدئذ، وكأنما قدرت أن ما يقوله قد يكون الحقيقة، رأى الكثافة في عينيها ترق وهي تقول:

ـ تطلب إليه!!! إذن، إن تمكنت من ترتيب هذا، أقسم إنني أفعل لك أي شيء.

ـ أي شيء؟ قال روبن وهو يبتسم داعماً نظرته:

ودون أن تطرف عيناها أجابت:

ـ أجل، إن كان هذا ما تريد.

ـ وأنت ماذا تريدين؟

ـ أن أخلص من هذه الخمارة النتنة.

ـ بإمكان ديب أن يفعل هذا.

فهزت كتفيها:

ـ اسمع، أنت لم تقابله إلا هذه الليلة. فأنتما لستما صديقين حميمين طالما إنني لم أسمعه يتحدث عنك من قبل.

ـ أحسنت التقدير!

ـ حسناً، بيني وبينك ـ وخفضت صوتها ـ ديب لورنس أوليفييه. صحيح أنه جميل ـ لكنه لا يملك أية موهبة. كل موهبته أنه شجاع ونشيط.

ـ حسب ما رواه لي ديب فقد فهمت أن طموحك الوحيد هو أن تتزوجيه وتنجبي أولاداً له. فأبعدت هذه الفكرة بحركة اشمئزاز من يدها:

ـ هل من فتاة عاقلة تبقى هنا لتغني ثلاث مرات في الليلة من أجل هذه التفاهات لو لم يكن في نيتها أن تصبح شيئاً ما؟ أنا أعلم، إنني أملك ما يتيح لي الوصول.

ـ وديب، ما يفعل هنا؟

ـ أنا مغرمة به. هذا صحيح، لقد كان أول رجل في حياتي، أقسم بشرفي. فقد كنت عذراء عندما التقيت به. لكنني أعرف ديب. فهو لا يعيش ولا يتنفس إلا من خلال عمله ولا يمكنه أن يظل دقيقتين اثنتين مع فتاة تفكر بشق طريقها. إنه يبتغي أن يكون القائد في كل مكان. إذن، أنا أتركه يعتقد أنني لا شيء. وأغلب الأحيان، أجلس وأصغي إليه وهو يحكي كيف يسير كل شيء لديه على نحو رائع. لكنني أتحرق في داخلي، لأنني أعرف أنني أنا من ينبغي أن تكون شيئاً ما. أما هو فإنه يصعد بسبب شكله، فهذا كل ما يملك، أما داخل جمجمته فلا شيء!

ـ هو يريد أن يساعدك، لقد قال لي ذلك.

ـ بالتأكيد، إنه يناقش، يناقش. لكن الكلمات لا تكلف شيئاً. إذن بالنسبة لبرنامج كرستي لين، هل يمكنك أن ترتب هذا؟

ـ إذا رتبته، هل تكافئينني؟

ـ سيد... أنت متزوج بلا شك؟

ـ ربما.

ـ حسناً. أنت تدخلني في البرنامج، وعندما تريد وحيثما تريد، ليس عليك إلا أن تشير بإصبعك وأنا ألبي. إنني سأفي بديني إن لدي إحساساً عظيماً بالشرف (وأخذ سيجارة، فأمسكت بعلبة الكبريت وأشعلت له سيجارته) إذن اتفقنا؟

فابتسم:

ـ هل تعرفين أيتها القذرة الصغيرة، قال روبن دون أن يرفع صوته، أن هذا سيكون رداً حسناً على جميل ديب؟

ـ أنا لا أفهم.

وبابتسامة هادئة، استأنف بالنغم نفسه:

ـ في نقطة واحدة، أنت على حق: فليس في جمجمة ديب أي شيء، وإلا لكان قادراً على رؤيتك على حقيقتك. إنه يعتبرك ملاكاً وأنت لست سوى عاهرة، بل أحقر من عاهرة خالية من الضمير والموهبة. ثم نهض، والبسمة على شفتيه فبدأ جمود وجهه وخلوه من التعابير يغيظها:

ـ إن كنت تعتقد أنني أخشى أن تشي بي لديب فأنت مخطئ. افتح فمك القذر وسأقول له إنك راودتني عن نفسي.

ـ ستقولين لديب إن أحدهم طلبني على الهاتف.

ووضع على الطاولة عشرة دولارات، فسألته:

ـ لم وضعت هذه؟

ـ أعتقد أن تسعيرة بنات الهاتف مائة دولار. خذي هذه كعربون صغير، فأنا أعتقد أنك سائرة على طريقهن.

ثم غادر الملهى.

ماجي

الفصل الخامس عشر

كان روبن ينوي المجيء وقد قال لتينا نجمة أفلام «القرن» الجديدة أن تجهز نفسها الساعة الثامنة، بل إنه طلب سيارة. وكان مسروراً أن يحضر حفل افتتاح هذا الفيلم، الأسبوع السابق. بشكل عام، كان روبن يتهرب من هذا النوع من المظاهر، لكنه كان قد استأنف العمل في كتابه وراح يعمل فيه كل ليلة منذ بضعة أسابيع. وكان مزاجه يميل إلى أن يأخذ قسطاً من الراحة. ولقد ساق القدر إليه تينا سانت كلير لهذا الهدف بالذات. فهي حسناء معتوهة لا تملك شيئاً من المخ، جاءت إلى نيويورك لحضور عرض فلمها. لم تكن قد أدت في الفيلم إلا دوراً صغيراً لكن النجوم الأساسيين لم يكونوا في متناول اليد. أما تينا سانت كلير، نجمة جورجيا ذات العطاءات الواعدة، فقد قبلت أن تقوم بالسخرة أي حضور حفلات الفيلم الافتتاحية في كل من سان فرانسيسكو، هوستن، دالاس، سان لويس، فلادلفيا، وأخيراً نيويورك. كانت دار الإنتاج السينمائية قد ألحقت بها ملحقاً صحفياً، صوان ملابس من الأستوديو، وشقة في سان ريجيس. بالكاد كان لديها الوقت لتراها. خلال ثلاثة أيام، شوهدت سبع مرات في التلفزيون وشاركت في عشرة برامج إذاعية وأجرى أربعة صحفيين مقابلات معها، وانتدبت إلى مخزن كبير لكي تقدم أسطوانة الفيلم. (هذا الذي خفض لها معنوياتها كثيراً: لقد بقيت ساعتين وما من أحد جاء يطلب منها توقيعها على أوتوغرافه) كل هذا لكي تصل إلى العرض الأول وحفل التدشين الذي تبعه حيث أعاد لها الملحق الصحفي تذكرة العودة (درجة سياحية) إلى لوس أنجلوس، قائلاً إن عليها أن تترك الفندق في اليوم التالي:

لقد شعرت بأن قلبها يتحطم، وبعد كأسي وسكي بالكولا كانت قد تعرفت إلى روبن وروت له بأساءها:

ـ أجل لم تكن لدي دقيقة واحدة أرتاح فيها والآن علي أن أعود كالطبل المثقوب. لأعمل ماذا؟ لأنتظر فيلماً آخر تافهاً يعرض، إنها المرة الأولى التي أجيء بها إلى نيويورك وأقسم لك إنني لم أر فيها شيئاً مطلقاً.

ـ ابقي، اقترح عليها روبن، وسأجعلك تزورينها.

ـ كيف؟ ليس بوسعي أن أدفع أجرة هذا الفندق، لا أملك إلا عشرة دولارات في جيبي وتذكرة السفر. أنا أكسب مائة وخمسة وعشرين دولاراً في الأسبوع. أنت لا تصدقني. أختي التي تعمل خادمة في شيكاغو تكسب أكثر مني.

كأسان أخريان من الويسكي ثم تركت السانت ريجيس لتستقر عنده. وخلال أسبوع عاش روبن بين الكحل والخضاب والمساحيق. أبداً لم يكن يعتقد أن فتاة تبدو طبيعية وفتية جداً يمكن أن تضع من الأشياء على وجهها كما كانت تضع تينا. كانت تستخدم من أدوات التزيين أكثر مما يستخدم رسام. وقد اضطر روبن أن يحمل مخطوطته إلى المكتب. فقد ادعت تينا أن على طاولته الخاصة يتوفر ضوء لها لكي تضع أجفانها الاصطناعية وانتهى إلى أن يكشف أنه يحب العمل في المكتب. فراح يقطع الهاتف من الخامسة إلى السابعة وينخرط في العمل.

أخرج روبن الورقة من الآلة الكاتبة وتطلع إلى ساعته. السابعة والربع، كان ما يزال لديه الوقت ليستعد. تينا ستغادر خلال أربعة أيام وسيتمكن من معاودة العمل مساء في بيته.

كانت تينا فتاة هائلة لكنه لم يكن آسفاً على أن إقامتها قد قاربت نهايتها. فهي تماثله في كل الأمور: لا تشبع في السرير، لا تطرح أسئلة، لا تطلب أي شيء.

رتب روبن مخطوطته وأشعل سيجارة فشعر أنه غير راغب في الذهاب إلى والدورف. لكنه كان يوم الإحسان لدى السيدة أوستن وكان عليه أن يظهر على الأقل، ثم يمكنه أن يجذب ذراع تينا وينسل بعد الخطب. لقد وعدها أن يأخذها إلى «الموروكو» ورغم أن هذا المطعم لم يكن مكانه المفضل إلا أنه كان ملزماً بهذا أمام حوريته الصغيرة. كان عليه أن يحلق في مكتبه لأن تينا تقوم بترتيب زينتها في غرفة الحمام. فهناك وضعت مساحيقها الليلية وحقيبة زينتها. وصل آلة حلاقته بالتيار الكهربائي وأشعل التلفزيون ليشاهد أخبار الساعة السابعة.

كان قد انتهى من الحلاقة عندما ظهر أندي بارينو وتكلم بحماسة عن صحن طائر شاهده بعض الناس. راح روبن يستمع دون اهتمام كبير حتى اللحظة التي عرضت فيها صور الصحن الطائر، لقد كانت مصطنعة، لكنها ويا للعجب، تبدو وكأنها حقيقية. اقترب من الجهاز ـ وكان بإمكان المرء أن يقسم إنه يرى نوافذ هذه الآلة العجيبة.

«يؤكد البنتاغون أن هذا مجرد منطاد سبر (واصطبغ صوت آندي بشيء من السخرية) لكن إن كان هذا صحيحاً فلماذا يرسل إلى مكان بعثة «مشروع الكتاب الأزرق» بمهمة تحقيق؟ هل يحق لنا أن نزهو بالاعتقاد بأن كوكبنا، في الكون الواسع كله، هو الكوكب الوحيد المسكون. فحتى شمسنا ليس لها قوة الشموس الأخرى. إنها كوكب متبدل، نجمة دنيا من نجوم المجرة. ولماذا لا يمكن لكوكب من نظام شمسي آخر أن يحتوي على حياة بشرية متقدمة علينا بعشرين مليون عام؟ لقد حان وقت الانخراط في البحث الجدي والكشف بكل صراحة عن نتائج هذا البحث للناس.

فسحر روبن. عليه أن يتكلم مع أندي.

كان الوقت قد تأخر، لكن مهما ساءت الأمور فإنهما سيصلان إلى والد ورف الساعة الثامنة والنصف. على الخط الداخلي تمكن من الاتصال بآندي فهنأه على صورة الصحن.

بعدئذ طلب تفاصيل أكثر.

ـ تماماً كما حكيت على الشاشة، قال آندي.

ـ نصك ممتاز للغاية يا عزيزي، من كتبه؟

فصمت آندي برهة من الزمن، ثم أجاب:

ـ ماجي ستيورات (وبما أن روبن بقي صامتاً، أضاف) أنت تتذكر، فقد كلمتك عنها.

ـ يبدو لي إنها فتاة جيدة تماماً.

ـ لم أستطع حملها على الزواج بي.

ـ هذا ما أقوله. إنها فتاة جيدة. كيف الطقس عندكم؟

ـ درجة الحرارة إحدى وعشرون، ولا غيمة!

ـ إنها أقل هنا ويقال إنها ستمطر.

لو كنت في مكانك، مدير قسم أخبار يا روبن فإنني سأذهب للتفتيش عن الأخبار في الأمكنة الحارة في الشتاء، وفي الأمكنة الباردة في الصيف.

ـ لو أستطيع ذلك!

ـ حسبنا، علي أن أذهب، فماجي تنتظرني على الشاطئ الذهبي. إنه مشرب يطل مباشرة على الخليج، حيث ترى كل اليخوت تتحرك. عجوزي، إنه لرائع أن تجلس قرب النافذة وتتأمل القمر وهو ينعكس على صفحة الماء.

ـ أمورك على ما يرام. (وتخللت صوت روبن لمسة من حسد) فعلي أن ارتدي ربطة سوداء وأذهب إلى «والدورف».

ـ أنت أحمق. المرء لا يعيش إلا مرة واحدة. فلماذا لا تأتي وتقضي بضعة أيام هنا؟

ـ أود ذلك من قلبي.

ـ حسناً، إنني أتركك، فالفتى الذي رأى الصحن الطائر سيتعشى معنا. وهذا ليس رجلاً ماجناً إنه يدرِّس الرياضيات في الكلية، وقد استطاع أن يعطينا السرعة التقريبية. ومن الممكن أن يصنع هذا برنامجاً مثيراً، لعصر يوم من الآحاد.

ـ انتظر، قال روبن هذا سيصنع حلقة رائعة من برنامج «من الأعماق». إن أمكن جمع أستاذ الرياضيات، صاحبك، وشهود موثوقين آخرين آتين من أنحاء أخرى من البلاد، مع صور، بل يمكن دعوة أشخاص من البنتاغون وتوجيه أسئلة لهم.

ـ هل تريد أن أبعث لك العناصر كلها؟

ـ كلا، سأنزل بنفسي، فأنا أريد أن أتحدث مع هذا الأستاذ.

ـ متى ستصل هنا؟

ـ هذا المساء.

وساد الصمت لحظة من الزمان ثم هتف آندي متعجباً:

ـ هذا المساء؟

فبدأ روبن يضحك:

ـ لقد أخذت بنصيحتك. إنني بحاجة لعدة أيام من الشمس.

ـ تمام، إذن سأحجز لك شقة في «الدبلومات» إنه قريب مني ويوجد فيه ملعب تنس رائع.

وسأرسل لك سيارة لاستقبالك.

ـ إذن، إلى الثانية عشرة والنصف.

ـ كلا، روبن، سأبعث سيارة ليموزين سوداء لاستقبالك، لقد قلت لك إن لي موعداً مع ماجي. فقهقه روبن ضاحكاً:

ـ أيها اللعين، هل تقيمان معاً؟

ـ عندما ترى ماجي لن يخطر في بالك أن تسألني سؤالاً كهذا.

ـ طيب، آندي، إذن إلى صباح الغد.

كانت الساعة الثامنة والربع عندما دخل روبن إلى شقته حيث كانت تينا تنتظره بثوب سهرة، وشعر طويل أصهب مسرح على الطريقة اليونانية.

ـ عزيزي (ورقصت حوله) لن تتصور أبداً هذا. لقد أخبروني من الأستوديو أنهم موافقون على تأخير عودتي أسبوعاً آخر. أليس هذا جميلاً؟ لكن الوقت تأخر يا كنزي. لقد جهزت لك طقمك السموكن على السرير والسيارة بالانتظار.

فذهب إلى الغرفة تتبعه تينا حيث أخذ حقيبته ثم قال:

ـ علي أن أذهب إلى ميامي.

ـ متى؟

ـ هذا المساء، هل تأتين معي؟

يا كنزي، قالت بشيء من العبوس، إنني أعيش في لوس أنجلوس، ولوس أنجلوس هي ميامي مع شيء من الضباب. (وتطلعت إليه مندهشة وهو يذهب إلى الهاتف ويحجز مكاناً له في الطائرة). روبن ليس بوسعك أن تسافر هكذا، ثمة حفل عشاء كبير يقيمه معلمك، فماذا تفعل به؟

ـ سأبعث برقية غداً مع اعتذار لائق.

ثم أمسك بحقيبته وأخذ معطفه واتجه إلى الباب ملقياً بضع أوراق نقدية على الطاولة:

ـ خذي، هذه مئة دولار.

ـ ومتى ستعود؟

ـ خلال أربعة أو خمسة أيام.

فابتسمت:

ـ إذن سأكون هنا.

ـ من الأفضل أن لا تكوني.

فتأملته مندهشة:

ـ كنت أظن أنك تحبني تماماً.

ـ عزيزتي، لتتصور أننا التقينا خلال رحلة في البحر الكاريبي وأننا سنصل إلى أول مرفأ ونفترق.

ـ وماذا تفعل إن قررت البقاء على السفينة؟

ـ سألقي بك من فوقها.

ـ لن تفعل هذا!

فابتسم بسخرية:

ـ بلى، وبكل تأكيد، إنها سفينتي. (ثم قبلها على جبينها) أربعة أيام، ثم خارجاً. وعندما ترك الشقة، كانت ما تزال تتطلع إليه بعينين جاحظتين.

كانت السيارة تنتظره في المطار، وكانت الشقة في الفندق محجوزة. بل كان هناك كأس وزجاجة من الفودكا، مع كلمة تقول: «اتصل بي غداً صباحاً، نم جيداً. آندي».

طلب روبن جرائد ميامي ثم خلع ثيابه وسكب لنفسه مشروباً خفيفاً، واستلقى بارتياح على سريره.

صورة فتاة تبتسم على الصفحة الثانية جذبت انتباهه ـ أماندا! إنها إحدى صورها الحديثة، رأسها فيها ملقى إلى الوراء مبعثر الشعر بسبب المروحة، مع عنوان يقول: «ملكة الجمال مريضة» قرأ المقال بسرعة واتصل بآيك ريان على الفور في لوس أنجلوس:

ـ أهو خطير؟ استفهم روبن من آيك عندما رد عليه من الطرف الآخر:

ـ بالنسبة لها، كل ثانية من الزمن لعينة وخطيرة. كل دقيقة من عمرها زيادة منذ أيار الماضي.

ـ لكن أود أن أقول.... وقطع روبن كلامه.

ـ كلا، هذه ليست لانهاية. أنت ترى، لقد تعلمت أن أعيش مع الموت. فأنا أموت قليلاً كل يوم. أنت تعرف ما أعانيه يا روبن وأنا أرى فتاة رائعة الجمال ـ هذا المرض الشيطاني يجعلها أكثر جمالاً حتى. فبشرتها شفافة ناعمة كالرخام. إنني أراقبها، أرى متى تكون مرهقة ـ وتدعي أنها ليست كذلك. بل إنني أستطيع أن أقرأ كذلك نوعاً من العذاب في عينيها. هي تعلم أنه ليس أمراً طبيعياً أن تكون مستنفدة الطاقة حتى هذا الحد، فأكذب عليها وأقول: إنني أيضاً منهك، مرهق، وأضع اللوم على جو كالفورنيا، وتغير الهواء، والضباب وكل شيء.. أوه! أي جحيم! الحمد لله، أنها تستعيد قواها. لقد نقلوا لها لتراً من الدم. وغداً سيجربون معها عقاراً جديداً. الطبيب يظن أنه سيؤثر، وبقليل من الحظ قد تتمكن من العيش بضعة أشهر أخرى.

ـ آيك، لقد تماسكت بعد الضربة التي أصابتها في نيسان، أي ثمانية أشهر زيادة عما تنبأوا لها في البداية.

ـ أعرف هذا ولذلك أقول إنه قد تتوفر لديها فرصة أخرى. لكن هذه الخلايا اللعينة لسرطان الدم تتحصن ضد العلاج. وهكذا سيأتي اليوم الذي تفشل فيه كل التجارب عليها ويفشل أي علاج في التأثير وبذلك تكون النهاية.

ـ آيك، هي لا تشك بشيء، أليس كذلك؟

ـ نعم ولا، إذ يوجد لديها بعض الشكوك. بل ستكون حمقاء إن لم تشك مع كل تحليلات الدم الأسبوعية هذه، وبزل مخ العظم كل شهر. لقد أجروا لها هذا أمامي في إحدى المرات فاعتقدت أنه سيغمى علي. لقد غرزوا إبرة في داخل العظم ومع ذلك لم تقطب حاجبيها حتى. لقد سألتها بعدئذ إن كان هذا مؤلماً. حسناً، هل تصدقني؟ لقد اكتفت بالابتسام وهز الرأس لكن عندما تسألني لماذا يجب أن يجروا لها فحوصاً كل أسبوع، أحاول أن أتهرب وأقول: أريد زوجة قوية البنية.. يجب ألا نترك أي شيء للمصادفة. لكنها تطرح أسئلة من هنا ومن هناك كما فاجأتها تقرأ في إحدى المرات مقالات طبية في المجلات. هي تعلم في قرارة نفسها أن هنالك شيئاً على غير ما يرام لكنها لا تريد تصديقه وهي دائماً تبتسم، وتقلق من أجلي. لكن سأقول لك شيئاً يا روبن: هذه الفتاة علمتني الكثير، فلديها من الشجاعة أكثر من أي كائن. قبل أن ألتقي بها لم أكن أعلم ما أريد. إنها تموت خوفاً ولا يظهر شيء من ذلك عليها. هل تعرف ما قالته لي هذا المساء؟ لقد تطلعت إلي ثم قالت: «أوه يا آيكي المسكين. كم أنا عبء عليك. أنت تود الذهاب إلى بالم سبرنج لكنك لا تستطيع (وتقطع صوت آيك) إنني أحبها يا روبن، رغم أنني لم أكن كذلك عندما بدأت هذه القصة، بل تصرفت بدوافع شخصية أنانية بشعة. لقد ظننت أنها ستعيش ستة أشهر ثم تستلقي بهدوء وتموت، وقد خططت لأن أجعلها تعيش حياة رائعة طالما بقيت في

هذا العالم ومن ثم أدفنها بكل جلال وأحصل بعدئذ على كل الأماديح والتقريظات. كنت أرى هذا أشبه بمسرحية ستستمر لفترة معينة من الزمن. ألا يجعلك هذا تشعر بالرغبة في القيء؟ يا صديقي، كل أولئك النساء اللواتي جرجرتهن خلفي لا بد أنهن يضحكن مني في الوقت الحاضر فللمرة الأولى في حياتي أرى نفسي عاشقاً فعلاً يا روبن. إنني على استعداد لأن أعطي آخر قرش معي كي أشفيها. (وراح آيك ينتحب بشدة).

ـ آيك، هل بوسعي فعل شيء؟ (وشعر روبن أنه يفقد السيطرة على نفسه وهو يسمع رجلاً كآيك يبكي. ولم يجد ما يقوله).

ـ يالله. أنا لم أبك مذ توفيت والدتي. اعذرني لتركي الحبل على الغارب معك. إنها المرة الأولى التي أستطيع التحدث فيها عن أماندا. فما من أحد مطلع على الحقيقة سواك أنت، وأنا وجيري والطبيب. وعلي أن أمثل المسرحية من أجل أماندا. إن في قلبي الكثير والكثير فاعذرني.

ـ آيك، أنا في فندق الدبلومات في خليج ميامي، وباستطاعتك أن تتصل بي كل مساء كي نتكلم.

لا، هذا المساء واساني، وهو كاف. باستطاعتي أن أتحمل كل شيء ما عدا طلبها. أن تُنجب مني طفلاً. أوه كم تشتهي نفسها أن تنجب طفلاً. لو تراها مع هذا الهر. إنها تتحدث معه وتلاطفه كما تلاطف الأم رضيعها.

ـ إنه هو ممتاز، قال روبن، وخيم الصمت قليلاً، ثم استأنف آيك كلامه بصوت رزين:

ـ روبن، قل لي شيئاً واحداً. لقد تعرفت إلى عدد كبير ممن أراهن أنهن سيعشن حتى المائة. أما هذه الفتاة التي ليست أمامها أي فرصة ولم تسيء لأحد، فلماذا تموت؟

ـ إنها لعبة نرد على ما أظن، أجاب روبن بتمهل، فالجائع الذي لا يستطيع تأمين قوته قد يأتيه دوشيش بينما تأتي أسوأ رمية لثري كبير.

ـ لا، لا بد أن هنالك شيئاً آخر. أنا لم أؤمن بعد لكن هذه الأشهر الثمانية جعلتني أعيد التفكير. أنا لا أريد القول إنني سأسرع إلى أول كنيسة أو كنيس لكن لا يمكن للمرء إلا أن يتنابه حس بوجود القضاء والقدر. فهي لا تبلغ من العمر إلا خمسة وعشرين عاماً يا روبن، خمسة وعشرين عاماً! إنني أزيدها بعشرين عاماً، فماذا فعلت في حياتي. كي أستحق العيش ضعف عمرها؟ لا.. لا أستطيع أن أتصور قط أنها من هنا حتى سنة ستكون قد رحلت دون أن تترك خلفها أي شيء سوى مكان من 18×24 ليدل على وجودها. لماذا يجب أن تذهب عندما يتوفر لها الكثير من الجمال والكثير من الحياة التي لا تطلب إلا أن تنفتح لها، والكثير من الحب لتعطيه؟

ـ ربما كان ما فعلته خلال هذه الأشهر الأخيرة مسوّغاً كافياً لوجودها. فهنالك الكثير من الناس الذين يمرون في هذه الحياة دون أن يتركوا أي أثر.

ـ على كل حال، أنا أعرف شيئاً واحداً. سأصنع لها أجمل عيد ميلاد عرفته في حياتها. روبن أود لو تأتي. بل يجب أن تأتي. فبودي أن أعمل عيد ميلاد يفوق كل تصور.

لكن روبن ظل صامتاً، كان يتملكه رعب حقيقي تجاه المرض... أن يرى أماندا وهو يعلم... لاحظ آيك تردده فقال:

ـ ربما كنت أنانياً في طلبي هذا، وأنت لعلك تبتغي أن تقضي عيد الميلاد بين أهلك. ما أردته هو أن أقدم لها المسرات الممكنة، كي تعيش سعيدة كل ثانية متبقية لها.

فوعده روبن قائلاً:

ـ سأكون هناك..

الفصل السادس عشر

في الساعة الثانية صباحاً كانت ماجي ما تزال مستيقظة هي الأخرى. لقد قضت على علبة سجائر كاملة، وهي تذهب وتجيء طوال ثلاث ساعات من غرفة الجلوس إلى الرصيف الصغير المطل على الخليج. كان المحيط يبدو ضخماً، فارغاً، إلا أن الخليج كان يعج بالحياة بتلك اليخوت الكبيرة التي كانت تقترب منه وتبتعد بأنوارها المرتعشة المسلطة على صفحة الماء السوداء وهي تنعكس انعكاسات واسعة.

لقد كانت تحسد أولئك الذين يغطون بالنوم في تلك اليخوت وكأنهم في مهود كبيرة تلعق الأمواج جوانبها. وشدت بقوة وعنف على حافة الرصيف التي كانت مفاصلها قد أصبحت بيضاء.

روبن ستون هنا! في هذه المدينة. غداً سيتقابلان وجهاً لوجه، ماذا يمكنها أن تقول؟ ماذا سيقول هو الآخر؟ شيء غريب، هذه الأفكار قادتها إلى هدسون. للمرة الأولى منذ سنة ونصف تقريباً تركت عقلها يشرد. منذ زمن طويل، أو بالأحرى منذ اليوم التالي لزواجها من هدسون كانت قد تعلمت أن من الأفضل الادعاء بأنها تجهل التعاسة. عملية التفكير بها ستغذيها أكثر.

هذه الليلة، وللمرة الأولى، سمحت لصورة هدسون ستيورات أن تعود إلى السطح. كانت ترى صورته، تعبير البسمة على وجهه - البسمة التي تزداد مرارتها شيئاً فشيئاً حتى تصبح بالنهاية تكشيرة مرعبة. هذه التكشيرة المرعبة هي التي رأتها منه آخر مرة، قبل أن

تغرق في لجة العدم. ويبدا لها أن عهدها بالعيش في ذلك القصر العظيم حيث كانت فيه السيدة هدسون الثالث قد أصبح بعيداً جداً. لماذا يا ترى يسمح للرجال أن يفعلوا ما يشاؤون بينما يتوجب على النساء أن يتقيدن بالقواعد المحددة؟.

كانت قد تزوجت هدسون في سن الحادية والعشرين، وقد استمر زواجهما الرسمي ثلاثة أعوام. كان من الصعب أن تتذكر مشاعرها في البداية. ربما كانت ترغب في أن تصبح ممثلة. الحلم الذي كان قد ضرب جذوره فيها منذ الطفولة، منذ المرة الأولى التي شاهدت فيها على الشاشة ريتا هيوراث. وقد تبلور هذا الحلم يوم حضرت أول مرة مسرحية تعرض على مسرح فورت. فالممثلون على خشبة المسرح بلحمهم وعظمهم جعلوا كل ما يظهر على الشاشة يبدو شاحباً وغير حقيقي. هاهو ذا ما تريد أن تكون في يوم من الأيام. وما إن اتخذت قرارها هذا في سن الثانية عشرة حتى أعلنته على مائدة العشاء. فابتسم والداها وأهملا الأمر كله وكأنه نزوة مراهقة لا غير. لكنها انتسبت إلى مجموعة مسرح الهواة وهي تتابع دراستها وبدلاً من الذهاب إلى الرقص كانت تكرس عطلها الأسبوعية لدراسة تشيخوف. لكن العملية انفصمت أخيراً عندما أعلنت أنها لا تنوي دخول الجامعة بل تريد الذهاب إلى نيويورك كي تجرب حظها في المسرح. فانفجرت أمها بنوبات نشيج حادة وهي تئن:

ـ ماجي، لقد جاءك القبول من «فاسار» وإنك لتعلمين التضحيات التي قدمتها من أجلك كي أرسلك إلى هذه الجامعة.

ـ لا أريد أن أذهب إلى هناك. أريد أن أصبح ممثلة هزلية.

ـ الحياة غالية في نيويورك، ربما سيمر عام أو أكثر قبل أن تستطيعي الحصول على عمل. فماذا تفعلين كي تكسبي قوتك؟

ـ هذا المال الذي اخترته لي من أجل «فاسار»، أعطيني نصفه فقط.

ـ هذا محال! فأنا لن أعطيك قرشاً واحداً كي تذهبي إلى نيويورك وتنامي مع ممثلين قذرين ومخرجين عجائز مقرفين. ماجي، الفتيات المحترمات لا يذهبن إلى نيويورك.

ـ ها هي ذي كريس كيلي ذهبت إلى هناك ومع ذلك فهي سيدة محترمة.

إنما ظلت أمها لا تلين:

ـ استثناء واحد في المليون، كريس كيلي هذه. وقد كانت لديها ثروة. ماجي، أنا نفسي لم تتح لي فرصة دخول الجامعة، كما أنَّ والدك اضطر لأن يعمل كي يشق طريقه. وقد حلمنا بأن نرسل ابنتنا إلى أفضل مدرسة. أرجوك، اذهبي إلى فاسار وعندما تحصلين على شهادتك اذهبي إلى نيويورك إن ظللت تريدين الذهاب إلى هناك، حينذاك ستكونين في سن الحادية والعشرين.

هكذا كان الشكل الذي دخلت فيه فاسار وهناك قابلت هدسون في السنة الأخيرة. وقد وجدته جذاباً تماماً، لكن أمها كانت متحمسةً للغاية.

ـ أوه، ماجي! هو تماماً ما كنت أحلم به دائماً عائلة من أفضل عائلات فلادلفيا وثروة ضخمة... فقط لو كان آل ستيورت يريدوننا حقاً لكن رغم كل شيء، نحن أناس محترمون ووالدك طبيب.

ـ أمي، أنا لم أخرج معه إلا مرتين فقط، ثم لا تنسي أنني مازلت أود الذهاب إلى نيويورك.

ـ نيويورك! (واحتدت فجأة لهجة صوتها) اسمعي، يا صغيرتي. اطردي هذه الأفكار من رأسك فقد توجب علي أن أقتصد كي أرسلك إلى جامعة فاسار. وحين قلت لي إنك ستتقاسمين غرفتك مع لوسي

فتون، عرفت على التو أن كل شيء يسير على ما يرام. وبفضل لوسي لم تستطيعي أن تقابلي إلا الفتيان المناسبين.

ـ سأغادر إلى نيويورك.

ـ ومم تعيشين؟

ـ سأجد عملاً، ومن ثم أحاول العمل في المسرح.

ـ وأي نوع من العمل تألين أن تجدي أيتها الحمقاء؟ أنت لا تعرفين الضرب على الآلة الكاتبة، ولم تتلقي أي تدريب مهني. ما كان علي أبداً أن أتركك تشتركين في هذه الزمرة من هواة المسرح لكنني كنت أظن أنك ستتجاوزين هذه الفكرة. ثم لا تعتقدي أنني لم ألحظ هيئتك السعيدة أمام هذا الشاب، الغريب ربما.

ـ آدم مولود هنا، في فيلادلفيا.

ـ إذن هو بحاجة إلى حمام جيد وضربة مشط.

وأدهشها أن أمها تذكرت آدم، فهي لم تتكلم عنه أبداً. كان هو الآخر عضواً في مجموعة المسرح الشهيرة. وكان قد ذهب إلى نيويورك، وفي ذلك الفصل إياه عاد إلى فيلادلفيا بمسرحية من برودوي فرقة متجولة، طبعاً، ولم يكن هو إلا مساعد مخرج. لكنه كان قد نجح في أن يصبح محترفاً حقيقياً. لقد استمرت المسرحية على الخشبة ثلاثة أشهر وكانت ماجي تذهب لرؤيته كل عطلة أسبوعية. حتى لوسي كانت قد وجدته رائعاً. بعدئذ في سهرة الختام سألها آدم أن تعود معه إلى الفندق. وبعد لحظة تردد وضعت ذراعها في ذراعه قائلة:

ـ سأقضي الليل معك، بل إنني أود أن أقضي الحياة كلها بجانبك، لكنا لا نستطيع الزواج قبل نهاية دراستي. أمي ستمرض، وهي لم تصدق أبداً أنني سأذهب فعلاً إلى نيويورك كي أجرب حظي. علي، على الأقل، أن أحصل على شهادتي كي أُدخِل إلى قلبها المسرة.

فأمسك وجهها بين يديه:

ـ ماجي، إنني مغرم بك فعلاً. لكن اسمعي يا عزيزتي. في نيويورك، أنا أسكن في «القرية» مع ولدين آخرين. ولا أعيش نصف وقتي إلا بفضل بطالة شخص آخر. أنا لا أستطيع أن أؤمن حتى شقة مستقلة، أقل ما تحتاجه المرأة.

ـ إذن، هل تريد أن تنام معي ثم ترحل جرياً؟

فانفجر مقهقهاً:

ـ إنني أجري إلى دترويت ثم إلى كلفلاند، بعدئذ إلى سان لويس. أخيراً سأعود إلى نيويورك وآمل أن يكون وكيلي قد أمن لي عملاً لموسم الصيف. ترين! أنا أبتغي أن أصبح شخصاً متميزاً، مخرجاً عظيماً. ومن أجل هذا، علي أن أبدأ بمجموعات صغيرة، وبغير مال. ما تقولينه صحيح يا ماجي فعلي أن أغادر بأقصى سرعة. فالممثل لا يتوقف عن الجري، طوال الوقت. لكنني لا أسافر هرباً منك، وهذا هو الفرق. بإمكانك دائماً أن تعرفي أين أنا. بفضل وكيلي.

ـ ونحن؟ ماذا سيبقى لنا معاً؟ أقصد بشكل مشترك؟

ـ هذا الذي يجمع بين شخصين يكافحان لكي يجدا لهما مكاناً في المسرح. إنني أتعلق بك وربما حتى درجة الحب. لكن لا يمكن القيام بأي مشروع في هذه المهنة، فهي ليست مهنة نظامية ذات راتب مستقر وليس فيها من وقت للأطفال أو لحياة منزلية جميلة. لكن إذا أردت أن تأتي إلى نيويورك بعد أن تنهي الجامعة ـ فلا بأس. سأعلمك أن تشقي طريقك، وسآخذك إلى وكيلي، وربما ستتمكن من السكن معاً.

ـ والزواج؟

فمرر يده بخفة على شعرها:

ـ إن كنت تنظرين للأمور بهذه الطريقة فلا تتركي فيلادلفيا. ماجي، عليك أن تختاري: إما ممثلة وإما زوجة.

ـ ألا يمكن أن أكون كلتيهما معاً؟

ـ ليس مع مخرج يكافح من أجل الوصول. لا، هذا غير وارد. فالممثلون والممثلات لا يمتّون لأنفسهم إنهم يشقون بطن الجوع ـ إنهم يعملون ـ وإنهم يحلمون.

ـ وألا يحبون؟

ـ طوال الوقت. وعندما يحب بعضهم بعضاً فإنهم ينامون بعضهم مع البعض الآخر، لكن إذا اقتضت الحاجة فإنهم ينفصلون. هكذا الأمور. لكن الممثلة لا تشعر أنها وحيدة أبداً لأن هذا اللهب الداخلي الذي يستهلكها والذي يدعى الموهبة يجعلها تتقدم إلى الأمام.

ـ أريد أن أنام معك يا آدم.

فتوقف:

ـ هل نمت مع أحد قبلي؟

فتطلعت إليه بنظرة تحد:

ـ لم أصبح بعد واحدة من أولئك الممثلات اللواتي يشتعل فيهن لهيب داخلي. إن لي غرفة جميلة نظيفة خاصة بي تماماً.

ـ إذن لنبق هنا. وإذا ما جئت يوماً إلى نيويورك، اذهبي لرؤيتي.

انبثاق هدسون في وجودها في الوقت نفسه الذي حصلت فيه على شهادتها ملأ شهورهما الستة الأولى بنوع من الحماسة التي لم تُعطها الوقت الكافي لتحليل عواطفها. لقد حاولت أن تتملص من تأثير أمها القوي لكنها أخيراً تركت نفسها تنساق بعاصفة المتع التي

حملها هدسون إلى حياتها: نادي الريف، خروجها الأول إلى السباقات، عطلة خمسة عشر يوماً في مدينة المحيط حيث استقبلا من قبل السيد والسيدة ستيورات رقم 2.

في أيلول، أعلنا خطبتهما وقدم لها هدسون ماسة عيار 7 قيراط موضوعة في إطار من الزمرد. ظهرت صورتها في مجلة «السؤال والنشرة» كانت تشعر وكأنها تمثل في مسرحية، هدسون فيها هو الشريك الذي يلقنها الدور.

في نهاية الفصل الثالث، كانت الستارة ستسدل وكانت ستصغي لهتافات الاستحسان والتصفيق ثم تأتي النهاية.

لكنها، وهي ترى موعد الزواج يقترب، بدأت تقدر فجأة، أنه عندما تنسدل الستارة ستكون هي زوجة هدسون ستيورات الثالث. شيء غريب، لقد قبلت هذا وبروح هادئة حتى جاء ذلك الغداء مع لوسي، قبل أسبوع من الاحتفال.

كانتا تجلسان في دورويك، تناقشان الترتيبات التي اتخذت من أجل الزواج عندما قالت لوسي بالمصادفة:

ـ أليس لديك أية أخبار عن ذلك الممثل آدم؟ لقد رأيته ذلك اليوم في لقطة دعائية في التلفزيون لم يكن لديه أي نص كلامي، بل كان يحلق ذقنه. لكنني لن أنسى أبداً عينيه. إن فيه شيئاً مثيراً. يقال إن اليهود أشخاص عاطفيون.

ـ وهل هو يهودي؟ (فهي لم تفكر بذلك أبداً).

ـ آدم برجمان، هكذا يدعى، ذكرتها لوسي. وأنا أتذكر أنه تكلم عن ذلك في إحدى الليالي لكن ربما كنت أنت مسحورة إلى درجة لم تسمعي فيها شيئاً. لقد قال إن وكيله اقترح عليه أن يغير اسمه لأن

برجمان يبدو اسماً يهودياً صرفاً فأجابه آدم: (طيب، هل اسم اينجريد يبدو حسناً؟) (وبما أن ماجي لم تجب بشيء فقد أضافت لوسي): أظن أن هذه هي الحياة. فنحن نعشق دائماً الرجل غير المناسب، لكنه سيكون شيئاً حسناً أن نتزوج الرجل المناسب. المرأة بذلك تنتهي لأن ترتب حياتها وتنجب أطفالاً. وأنت بصورة خاصة ستستلمين مليون دولار لدى كل مرة تضعين فيها مولوداً. إن حماك المستقبل قد أعطى حتى الآن مليوني دولار لأخت هدسون. وهذا هو السبب الذي جعلها تحمل مرتين في سنتين متتاليتين. أما أنا وبود فعلينا أن ننتظر موت والدي.

ـ لكنك تحبين بود، أليس كذلك؟

ـ إنه ولد نبيل.

ـ نبيل؟ ولم تستطع ماجي أن تخفي دهشتها.

فابتسمت لوسي:

ـ أوه، ماجي، أنا ليس لي حظك الرائع، فليس هناك إلا اسم العائلة والكثير من المال.

ـ لكن يا لوسي، لديك... وتوقفت ماجي.

فتدخلت لوسي مبتسمة:

ـ لا، أنت لا تجرؤين على القول أن لدي «سحراً»، أو أنني ذكية جداً. هذا هو الواقع وليس بوسعي أن أفعل شيئاً لإصلاح شكلي فأنا لست بشعة تماماً. ولهذا السبب، اخترتك رفيقة وشريكة في غرفتي، وهذا ما يجعلني أقول لنفسي: إنني أساكن أجمل فتيات المدرسة، وأجد بعض العزاء في ذلك، لكن هذا وحده ما لفت الانتباه لشخصي. لقد قابلت هاري خلال هذا الصيف، وهو يعمل موظفاً في مكتب استقبال أحد فنادق نيوبورت. لكن هل تتصورين أن أمي تسمح

لي بالزواج من هاري ريلي الذي يسكن برونكس ويستقل المترو؟ وهاري لم يسألني أي شيء آخر. في الخريف قابلت بود وغرقت أمي في بحر من السعادة، كذلك أنا على ما أعتقد. إننا سنعيش حياة مريحة، لكنني على الأقل عشت شهرين رائعين مع هاري.

ـ هل تريدين أن تقولي إنك.... (وصمتت ماجي).

ـ بالتأكيد، لقد مضينا بعلاقتنا حتى النهاية، وأنت، ألم تفعلي ذلك مع آدم؟

فهزت ماجي رأسها بالنفي.

ـ لنر يا ماجي، هل أنت حمقاء أم ماذا؟ ماذا أمسك بك؟ إن على الفتاة أن تنام شهراً في حياتها على الأقل مع الرجل الذي تحب.

ـ لكن كيف ستشرحين لبود أنك لست عذراء....

ـ هذا شيء قديم! هل تريدين أن تحكي عن النزف وأشياء كهذه؟ يمكن اتخاذ الإجراءات بالنسبة لمانع الحمل. وسأقول لبود إن الطبيب فض بكارتي.

ـ لكن، ألن يلاحظ شيئاً؟

ـ باستطاعتي أن أخدعه.

لم يكن لدى ماجي أي شيء يجبرها على خداع هدسون، حتى الألم كان حقيقياً. فهدسون لم يحسن ترتيب أمره، إذ حاول أن يلج بها على الفور، فجرحها وجعلها تكره التجربة بكاملها. كذلك كان الأمر في الليلة الثانية والثالثة. لقد كانا على سفينة «الحرية» في طريقهما إلى باريس حيث كانا سيقضيان شهر العسل. وكانا يشغلان مقصورة فاخرة. لكن ماجي أخذت «بونامين» وشعرت بشيء من الخدر. هذا سيكون أفضل ولا شك، حين ينزلان إلى البر. لكن في

فندق جورج الخامس كان الأمر أسوأ أيضاً فقد كان هدسون يشرب كثيراً ويلقي نفسه عليها كل ليلة دون أقل بادرة من رقة أو عاطفة. وكان ينال متعته ثم يغرق على الفور في سبات عميق.

عندما عادا إلى فلادلفيا واستقرا في منزل جميل جداً قرب «باولي» أملت ماجي أن تتحسن الأمور أكثر. عاد هدسون إلى شغله أما هي فقد شغلت نفسها بإقامة حفلات عشاء والذهاب إلى النادي لأخذ دروس في الجولف والتردد على عدة لجان للإحسان. وظهرت صورها في الصفحات العالمية لكل الجرائد: فقد كانت المنعشة الجديدة الشابة لمجتمع فيلادلفيا الراقي. وقد كان هدسون يتصرف كفحل من فحول الخيل، آخذاً إياها كل ليلة إلى فراشه، إنما لم يكن يهتم بتقبيلها أو بمداعبة نهديها قط.

في البداية، حكمت أن عدم توصلها إلى الاستمتاع نتيجة نقص فيها، وأملت أن تعوض هذا النقص ذات يوم لكنها مع مرور الشهور فقدت كل أمل. لم تعد تتمنى أكثر من بضع إشارات تدل على العاطفة خلال طقسهما الليلي. وعندما حاولت أن تتلمس طريقها مع لوسي أجابتها هذه بهزة من كتفها قائلة:

ـ أحياناً تمشي الأمور بالنسبة لي، وأحياناً لا. لكنني أتأوه وأدعي أن هذا رائع في كل الحالات. كيف تمشي الأمور بينك وبين هدسون؟

ـ أوه، بشكل كامل، أجابت ماجي بسرعة، لكن كما تقولين أنا أيضاً لا أبلغ النشوة كل مرة.

ـ مثلاً ـ هذا لم يحدث لي منذ ثلاثة أشهر. إنني أستمتع ولا شك بالرغم من أني حامل في شهري الثاني، وهو برهان على أن هذا لا يمنع من صناعة الأطفال. لكن يجب أن تكبحي هدسون، فهو يشرب كثيراً. وهذا سيصيبه بالعجز مؤقتاً.

شعرت ماجي أن طفلاً يمكن أن يغير الجو بينها وبين هدسون. ظاهرياً كان كل شيء على ما يرام فقد كان مهذباً بين الناس، وكان يضمها عندما يرقصان معاً. لكن ما من شيء آخر يجري بينهما عندما يصبحان وحيدين.

لقد اكتشفت وجود «شيري» في نهاية عامهما الأول من الزواج. كان هدسون يذهب كثيراً إلى نيويورك في الشهرين الأخيرين. ذات مساء كانت في غرفتها تستعد لحفل عشاء، وكان هدسون ينتظر في الأسفل. رن الهاتف، وبما أنها كانت متأخرة فقد استمرت ترتب تسريحة شعرها، عارفة أن وصيفتها سترد إلا أن الرنين استمر، وبمصادفة من مصادفات القدر الغريبة تلك، أمسكت ماجي سماعة الهاتف في اللحظة نفسها التي أمسك هدسون بها في الطابق الأسفل. وكانت ستعيد السماعة إلى مكانها في اللحظة التي بلغت إذنها وشوشات صوت أنثوي جعلتها تنصت:

ـ هيدي؟ كان علي أن أتصل بك.

وشعرت ماجي بهدوء غريب يسيطر عليها وهي تستمع. لقد تكلم هدسون أيضاً بصوت تآمري.

ـ يالله يا شيري! لقد قلت لك ألا تتصلي بي أبداً في المنزل.

ـ هيدي، الأمر عاجل.

ـ ألا يمكن له أن ينتظر إلى الغد؟ اتصلي بي إلى المكتب.

ـ مستحيل. ففي ساعات العمل من الصعب تأمين مخابرة من مدينة ثانية وحتى لو استطعت فهناك دائماً فتيات يصغين. أما من أحد يسمع عندك؟ زوجتك قريبة منك؟

ـ لن تتأخر في المجيء. ماذا تريدين؟

ـ هيدي. لقد حصلت على نتيجة التحليل. إنني حبلى.

ـ يالله! مرة ثانية!

ـ أنت تعلم، ليس بوسعي أن أفعل شيئاً إذا انزلق مانع الحمل. وأنت لا تريد أبداً أن تتخذ أية احتياطات.

ـ هل الطبيب نفسه موجود في جرسي؟

ـ أجل، إلا أنه زاد تسعيرته. إنها ألف.

ـ أسوأ! لكن اعمليها.

ـ هيدي، أنه يريد الدفع نقداً. وقد أخذت موعداً يوم الاثنين القادم.

ـ طيب، سأذهب إلى نيويورك يوم الأحد وسأعطيك النقود. لا، من الأفضل أن أذهب إلى هناك خلال الأسبوع، فإذا ما ذهبت يوم الأحد، ستثار بعض الشكوك لدى ماجي. ليكن الخميس. سأكون عندك الساعة الثامنة. يالله! أود لو تكون زوجتي خصبة مثلك، فجنينك يكلفني ألف دولار لإسقاطه بينما يحمل جنينها لي مليوناً.

وأطبق السماعة بقوة، بينما انتظرت ماجي طقة السماعة في الطرف الآخر ثم أغلقت خطها. لقد كانت مذهولة. لم يخطر شيء من هذا القبيل في ذهنها أبداً. كانت تعلم من خلال قراءاتها أن هذا قد يحدث مع الآخرين ـ لكن معها، لم يكن هذا معقولاً.

الاصطدام المباشر سيبدو عملاً أحمق. فهي في الثاني والعشرين ودونما عمل. ومطلقة في فيلادلفيا حتى مع راتب معاشي، يمكن أن تعيش معزولة. لقد حشرت في الزاوية الضيقة ولم تكن تدري أين تذهب. حافظت ماجي على الصمت فيما يخص شيري، لكنها انتسبت لزمرة مسرحية. ولم يظهر هدسون أي اعتراض على ذلك، بل كان سعيداً جداً بهذا الفيض الذي توفر له من ليالي الحرية.

مدير برامج المحطة المحلية للآي بي سي دخل الرواق خلال المشهد الثاني للمسرحية التي كانت الزمرة تقدمها وعرض عليها العمل في التلفزيون كمقدمة برامج. للوهلة الأولى كانت تميل لرفض هذا العرض لكنها أدركت أنها تقبض به على عمل يومي.

حفظت سر هذا العرض في قلبها، وبدأت تشاهد التلفزيون، لاسيما برامج المحطة كما بدأت تذهب كل يوم إلى أستاذ للغة، محرزة كثيراً من التقدم. بعد ستة أشهر، بدأت العمل في برنامج تلفزيوني يومي لمدة نصف ساعة وقائم على مبادرتها الخاصة. كان عنوان البرنامج «ماجي عبر المدينة» وكانت في هذا البرنامج تقابل المشاهير المحليين والوطنيين وتسألهم عن كل المواضيع بدءاً من الأزياء وانتهاء بالسياسة. وفي برهة قليلة من الزمن أصبحت شخصية معروفة. فالرؤوس تلتفت عندما تدخل إلى مطعم أو مسرح مع هدسن الذي اتخذ تجاه نجاح زوجته هيئة اللامبالاة المزدرية.

لقد استبدل بشيري فتاة تدعى إرما كانت تعمل في مكتبه. ولم يتعب نفسه بالبحث عن أعذار وتبريرات لقضائه الليالي خارج المنزل. مع ذلك فقد كان يمارس معها الحب ثلاث مرات أسبوعياً وبشكل منتظم. وكانت تتحمل منه ذلك بصمت، وبدون أي تأثر، لكنها أكثر من أي وقت مضى كانت تتمنى طفلاً.

هكذا سارت حياتهما ثلاث سنوات تقريباً، ثلاث سنوات كئيبة، بلا حياة. لكنها أبداً لم تحمل رغم أن كل الفرص كانت تثبت قدرتها على الإنجاب. أحياناً كانت تتساءل في نفسها إن كانا سيستمران يدفعهما التيار هكذا وبلا إرادة. وكان لا بد من تدخل شيء ما كي يضع نهاية لهذا الزواج الذي لا هدف له.

وقد حدث هذا بشكل غير منتظر. منذ أشهر كانت هنا مساع لإقامة حفل عشاء تكريماً «الشخصية العام» وقد حدد موعد إقامة هذا الحفل في أول أحد من شهر آذار. ماجي التي تمت للجنة كانت مدعوة، ولأنها مشهورة على المستوى المحلي، فقد دعيت للجلوس على المنصة بجانب رئيس البلدية والقاضي أوكس الذي كان هو ضيف الشرف لكونه بلغ سن التقاعد. وقد دعي روبن ستون لإجراء الحديث.

كانت ماجي قد قرأت مقالات روبن ستون. ومن خلال تجربتها الشخصية في أعمال التحرير الصحافي في فلادلفيا كانت تعرف أن الناس نادراً ما يشابهون الصورة التي ترسمها لهم كتابتهم، لكن صورة روبن ستون كانت تطابق نغمة مقالاته: قوية، صارمة، مليئة بالرجولة، وكانت تتساءل في نفسها ترى كيف هو الرجل.

في الساعة السادسة، كانت جاهزة تنتظر. ولم يكن هدسون قد عاد. إذ كان يقضي معظم أيام الآحاد في «نادي الريف». فاتصلت هاتفياً بالنادي تسأل عنه إلا أنهم أجابوها بأن أحداً لم يره طوال النهار. وكان لا بد لها من أن تشك بأن هذه ليست إلا حجة مع خليلته الحالية.

حسناً، رغم كل شيء لن تتخلى عن حفلة الكوكتيل، فلعل هذه هي الفرصة الوحيدة لديها لمقابلة روبن ستون. بعد العشاء، سيختفي ضيوف الشرف بصورة عامة كي يستقلوا قطاراتهم، ونظرت إلى ساعتها. إن تذهب مباشرة ستتمكن من الوصول في الوقت المحدد وعلى هدسون أن يلتحق بها بوسائله الخاصة.

حين وصلت إلى الفندق اتجهت مباشرة إلى الصالة المذهبة، حيث كان روبن ستون محاطاً بالكثير من الناس وفي يده كأس مارتيني وعلى شفتيه ابتسامة مؤدبة.

تناولت ماجي كأس وسكي مخفف بالماء وجاء القاضي أوكس لمقابلتها.

ـ تعالي معي، سأقدمك إلى رجل المؤتمرات العظيم الذي تخلينا عن نسائنا له. وحين قام القاضي بإجراءات التعارف، ابتسم روبن:

ـ صحافية؟ هيا، إذن، إنك أجمل بكثير من أن تكوني دعية أدب. (بعدئذ وبدون مواربة جعلها تخرج من المجموعة ممسكاً بذراعها) ألا يوجد ثلج في هذا الذي تشربين؟

ـ إنه عفن! أجابت ماجي.

فابتلع بقية مارتينيه ثم قال:

ـ هذا كاف. (ووضع كأسه في يد القاضي) هل تتكرم بإمساك هذه الكأس لي؟ هيا، تعالي، أيتها الصحافية دعينا نبحث عن شيء مثلج (وقادها إلى الطرف الآخر من الصالة) لا تنظري خلفك. هل يتبعوننا؟

أشك بذلك، فلقد داخوا. وانفجرت ضاحكة.

ومضى خلف طاولة المشرب قائلاً للنادل:

ـ هل يزعجك أن أخدم نفسي بنفسي؟

دون أن ينتظر الجواب، سكب مكيالاً كبيراً من الفودكا في قدحه ثم تطلع إلى ماجي.

ـ هل تحبين أن تتابعي شرب الوسكي ـ أم تودين أن تجربي مشروب ستون الخاص؟

ووجدت نفسها غبية، فهي تكره المشروبات الممزوجة وقد قدرت أنها هي الأخرى باتت أيضاً متعلقة به، مثل أية معتوهة. (تمتعي بهذه اللحظة، فكرت ماجي، فغداً ستكونين مع هدسون في عالمك الكئيب ذاك، بينما سيكون روبن ستون في فندق آخر، ومدينة أخرى وفي طريقه لأن يصب لنفسه كأس مارتيني أخرى).

مد لها الكأس قائلاً:

ـ بصحتك، أيتها الصحفية!

ثم أمسك بذراعها واجتازا الصالة ثم جلسا على مقعد هناك.

كانت تعلم أنه ما من عين امرأة في الصالة إلا وهي مركزة عليها. لكنها أحست وربما لأول مرة بأنها تعيش شعوراً غريباً من الحرية الجديدة المفعمة باللامبالاة.

لينظروا إذن!

لكن كان عليها أن تقول شيئاً:

ـ قرأت أنك تخليت عن كتاباتك الافتتاحية وإنك تقوم بجولة مؤتمرات. الحقيقة أنني أفتقد مقالاتك الافتتاحية، (وخيل إليها أن ما قالته بدا متكلفاً نوعاً ما).

فهز كتفيه:

ـ لاشك أن مقالاتي تخضع للحذف والصقل في جرائدكم.

ـ لا، لقد قرأتها كاملة. لكنني أظن أنك تفضل ما تفعله في الوقت الحاضر. وأفرغ كأسه ثم مد يده وتناول كأس المارتيني، كأسها التي لم تلمسها.

ـ لا، أيتها الصحافية، أنا لا أفضله. إنما هو متميز من حيث عائداته المالية. (وقدم لها سيجارة كان قد أشعلها) وماذا تفعلين على الشاشة الصغيرة؟

ـ نشاطات اجتماعية، من وجهة نظر المرأة خاصة.

ـ أراهن أن الناس يشاهدونك ويستمعون إليك.

ـ وهل في هذا ما هو خارق للعادة؟

ـ أبداً، التلفزيون هكذا. رائعة هذه الشاشة الصغيرة، فقد خلقت جيلاً من الناس الجذابين.

ـ ألا تعتقد أن عملية مشاهدة الناس تجعل الأشياء شخصية أكثر وتسمح بفهمها على نحو أفضل؟

فهز كتفيه:

ـ هذا يخلق نماذج عبادة. فالعالم كله يعبد في الوقت الحاضر لويس، ادسوليغان، بوب هوب، لكن الناس يتقلبون. تذكرين كم كنت تعبدين العم ملتي! قولي لي أيتها الصحافية، من تحبين في التلفزيون؟

ـ أنت من يمكن أن أحب... «وتوقفت والرعب يملأ قلبها».

فابتسم ابتسامة ساخرة:

ـ أنت أفهم فتاة قابلتها في حياتي. إنك تقفزين مباشرة إلى الطعم.

ـ قصدت أن أقول إنني أحب طريقة تفكيرك، وجهات نظرك... فأنهى كأسه:

ـ لا حاجة للتفسيرات أو نسفت كل شيء. فالعالم مليء بالعاهرات المتسترات وأسلوبك يعجبني. هيا تعالي، بإمكاننا استئناف هذا.

وتبعته إلى حيث أعاد الكأسين الفارغتين إلى المشرب مندهشة من السهولة التي جرع بها كأسي المزيج. هناك أعد كأسين أيضاً ومد إحداهما إليها. في الجرعة الأولى، منعت نفسها من التكشير، فالشراب فودكا صافية تقريباً. هناك بدأ الناس ينضمون إليهما وبدأت معظم النساء تحكم الحصار حوله، وهكذا وجد نفسه ضمن دائرة مغلقة من جديد، حاول فيها أن يظهر جم أدبه مجيباً على كل الأسئلة التي طرحت عليه، لكنه لم يترك ذراعها أبداً وظل طول الوقت إلى جانبها. بطرف عينها، كانت تراقب الباب باستمرار، وفجأة تملكتها رغبة في ألا يأتي هدسون.

سمعت ضجة خفيفة. وصفق رئيس اللجنة بكفيه:

ـ أين ستجلسين أيتها الصحافية؟ سألها روبن.

ـ في الطرف الآخر على ما أعتقد (وسمعت نداء اسمها) هاهو اسمي! وانفصلت عنه ثم انطلقت بين الصفوف.

ربت روبن ذراع الرئيس الذي كان يقف بجانبه.

ـ هل توافق على تغيير مكانك مع الصحافية؟ أنت والقاضي ساحران، لكنني لم آت مسافة مائتي كيلو متر كي أجلس بينكما في حين تتوفر لي إمكانية الجلوس بجانب امرأة ساحرة.

وهكذا عندما دخلوا القاعة وجهها روبن إلى المكان المجاور لمكانه، على الطاولة. وأحست ماجي بأن أعين الحضور جميعاً تثقل على كاهلها. طلب روبن المارتيني من جديد. إن قدرته على عب الشراب غير محدودة على ما يبدو، فبعد ثلاث كؤوس كان هدسون ينطرح. أما روبن فقد بدا محافظاً على إشراقه كلّه.

لاحظت ماجي هدسون وهو يدخل ثم يحتل مكانه على الطرف الآخر من الطاولة. وحين جلس رأت جاره يشرح له التغيير غير المتوقع الذي حصل في الأمكنة. وأحست بالنشوة عبر جسدها الدائم الخضوع، للمفاجأة التي ظهرت على وجهه. أصغت ماجي للرئيس وهو يقدم روبن وقبل أن ينهض هذا مال نحوها ثم قال بصوت منخفض:

ـ اسمعي أيتها الصحافية، سأجمل لك الأمر بكلمتين. ثمة جناح تحت تصرفي، منظمتكم في فلادلفيا جعلت الأمور رائعة. إذا أردت أن تتملصي وتلتحقي بي إلى هناك فسأبقى. وإلا فلسوف آخذ قطار الساعة الحادية عشرة والنصف، أي في نهاية العشاء مباشرة. (ونهض، ثم انتظر نهاية التصفيق، بعدئذ انحنى نحو أذنها) إذن أيتها الصحافية، كلمتك النهائية.

ـ سأجيء.

ـ مرحى. جناح 17 ب. دعي بعض الوقت يمر ثم اصعدي في إثري.

بعدئذ ألقى كلمته ثم جاء أحدهم فقدم للقاضي أوكس مكافأته. ويدأ المدعوون يهنئون والصحافيون يسألونه أن يقف كي يصوروه مع روبن الذي كانت قد أحاطت به النساء. ثم وقع لوائح مدها له أحدهم وتطلع إلى ساعته قائلاً إنه ينتظر هاتفاً من الخارج. أخيراً صافح القاضي أوكس وأشار إشارة الوداع للحفل ثم ذهب.

كانت الساعة الحادية عشرة فجاء هدسون من مكانه حول الطاولة ثم جلس على الكرسي الذي شغر بذهاب روبن.

ـ إذن، هذا الكوكتيل رائع؟

ـ لقد تسليت تماماً.

ـ لنذهب من هنا.

وشعرت بنفسها تجفل فجأة كيف تراها وعدت روبن ستون؟ ماذا حل بها؟ ليس باستطاعتها اتهام المارتيني فهي لم تبلل شفتيها به. بعيدة عنها، نية الصعود إلى غرفته!

ـ إنه آخر عشاء أحضره، قال هدسون، وأنت، تتذمرين من عشاءات مساء السبت في «نادي الريف» لكن هناك، على الأقل، تتوفر لي فرصة الضحك. ونكون مع أناس من عالمنا.

ـ هذه الأمسيات جزء من عملي.

ـ عملك! تضاحك هدسون، صحيح هذا يذكرني لا بد من فعل شيء بالنسبة لهذا الموضوع. فكثير من الناس يتكلمون عنه. والدي يقول إن كثيراً من أصدقائه يقولون له إنهم لا يحبون مطلقاً أن يروك تقابلين كل هذه النماذج. فالكاتب الذي قابلته الأسبوع الماضي كان له هيئة رجل شيوعي.

ولم تجبه. كان هدسون يدق على هذا الوتر من حين لآخر، ثم ينسى الموضوع تماماً. ومن الأفضل أن تتركه يتكلم كما يشاء. بعدئذ أفرغ كأسه وملأها مجدداً.

ـ أنت تسخر مني على نحو فظيع يا هدسون، أليس كذلك؟

فسكب لنفسه كأساً أخرى وزفر آهة طويلة:

ـ أوه. ليس منك. بل منا... من عائلتنا. أحياناً يخيل إلي أنني أخذت الحثالة لكن اطمئني أنا لا ألومك. أين يمكن أن أذهب؟ لا أنت ولا أنا يمكننا أن نكون حرين فعلاً طالما أنك لم تحبلي مرات عدة. يالله! هذا أقل ما تستطيعين فعله.

فنهضت:

ـ هدسون، أنت تقززني.

ـ هذا كثير عليك! فيوم زواجنا، رأيت كم كانت أمك مبتهجة، ووالدك المشرق بسيجاره وقبضتي يديه، بمَ تراهما كانا مسرورين إذن؟ بالحب! يا عيني على الحب! كانا مسرورين لأنك ستتزوجين مال ستيورات. لكنك لا تحافظين على تعهداتك. فلقد حرمنا من الأطفال حتى الآن. (وحدق إليها ملياً) ربما علينا أن نعود إلى المنزل هذا المساء ونحاول ذلك.

ـ لو أنك لم تشرب كثيراً.

ـ علي أن أشرب كثيراً لكي تثيريني. أنا رجل، أم تحسبينني جماداً؟

وخرجت فتبعها هدسون بهيئة كئيبة. في مدخل الصالة التقيا ببود ولوسي التي كانت حبلى من جديد، فربتت خاصرتها بضربة صغيرة:

ـ سنذهب إلى «امباسي» هل تأتون؟

وألقى هدسون نظرة حسد على بطن لوسي:

ـ فكرة جيدة، لم لا؟

وأمسك ماجي بذراعها ثم حشروا أنفسهم في المصعد.

كان سائق بود ينتظر.

ـ اتركوا سيارتيكما هنا اقترحت لوسي، يمكن أخذهما فيما بعد. كان مطعم امباسي مليئاً. فجلسوا في غرفة التدخين منحشرين وراء طاولة صغيرة. وعلى الطاولة المجاورة، كان ثمة أعضاء من «نادي الريف» فقرروا أن يلصقوا الطاولتين معاً. وبدأ الرجال ينكتون. وضع أحد الندل زجاجة وسكي، ووجدت ماجي نفسها محشورة في الزاوية لكنها لم تستطع أن تبعد من ذهنها فكرة الجناح رقم 17 ب.

عليها أن تتصل به هاتفياً، وتقول له الحقيقة. ستقول إنها قبلت في لحظة طيش وأنها امرأة متزوجة. ليس من اللائق أن تترك روبن ينتظر: إنه يعمل عملاً شاقاً.

ونهضت فجأة:

ـ علي أن أصلح من زينتي. (وفكرت: لا بد من أن هناك جهاز هاتف).

ـ سأرافقك. قالت لوسي وهي تنهض بمشقة. إنني أموت شوقاً لمعرفة ما قال روبن ستون لك، فقد رأيته يميل إليك ويتكلم معك عدة مرات. هيا آندا! صرخت لوسي لفتاة أخرى.

اتجهت المجموعة الصغيرة نحو المغاسل. هناك رأت ماجي جهاز هاتف إنما دون حجرة. وبجانبه فتاة موكلة به. لم يكن ثمة أمل. فأعادت ماجي ترتيب زينتها بسرعة ثم أشارت بكلمات قليلة إلى موضوع روبن ستون. كانت تود أن تبقى في المؤخرة إلا أن لوسي وآندا انتظرتاها. حين عدن إلى الطاولة، لم يكن هناك أثر لهدسون.

بعدئذ، لحظته، على طاولة أخرى في طرف القاعة، جالساً إلى طاولة مع أناس آخرين، وذراعه ملتفة حول كتفي إحدى الفتيات. عرفتها: إنها منتسبة جديدة للنادي تزوجت حديثاً.

كانت ذراع هدسون تداعب ظهرها العاري، ولم يكن باستطاعة الزوج الذي جلس قبالتهما أن يرى شيئاً. وفجأة نهضت ماجي.

ـ اجلسي، صاحت لوسي، ماجي، أنت تعلمين أن هذا لا يعني شيئاً. فهدسون يرغب دائماً في أن يجرب سحره على المنتسبات الجديدات.

ـ إنني ذاهبة.

فاحتجزها بود من ذراعها:

ـ ليس لك الحق في أن تقلقي أبداً، إنها جين تولاند وهي تجن غراماً بزوجها.

لكنها تخلصت منه مسرعة. ولم تتوقف عن الجري إلا وقد أصبحت في الطريق. هناك سارت حتى أول تقاطع، وأشارت إلى تاكسي ثم قالت للسائق أن يأخذها إلى فندق ستراتفورد.

ـ رنت على الجناح 17 ب رنة قوية. إنما دون جواب. فنظرت إلى ساعتها: الثانية عشرة والربع ربما سافر أو ربما نام. فرنت مرة ثانية، ثم قامت بنصف دورة، وبدأت تعود أدراجها. فجأة فتح الباب على سعته. وظهر روبن وفي يده كأس.

ـ ادخلي أيتها الصحافية، كنت أتكلم على الهاتف.

ودخلت إلى الصالون، فأشار لها بإصبعه إلى زجاجة الفودكا ثم التفت إلى الهاتف. كان واضحا أنه يتكلم عن قضايا عمل: وبدا وكأنه يتكلم عن شروط عقد. سكبت لنفسها شراباً ثم نظرت إليه. كان قد خلع سترته. وبدا قميصه يلتصق بجسده كما رأت حرفي (ر . س)

على صدره. كان أيضاً قد حل عقدته وهو يتكلم على نحو جدي رزين. فلاحظت أن زجاجة الفودكا فارغة حتى النصف، ومرة ثانية تملكها العجب من قدرته على عب الشراب.

أخيراً أغلق الخط.

ـ عذراً لجعلي إياك تنتظرين، لكن أنت لم تضربي رقماً قياسياً في سرعة المجيء.

ـ أين ستذهب غداً؟ (وشعرت فجأة أنها خائرة القوى مستفزة الأعصاب).

ـ إلى نيويورك. فلن أعقد مؤتمرات بعد.

ـ لماذا يدعون هذه مؤتمرات؟ فهذا المساء كنت هائلاً. وقد تكلمت عن كل شيء. مغامراتك فيما وراء البحار، الناس...

ـ أظن أن هذه هي البداية التي يتنزه فيها المرء مع الرسوم الشفافة... بعدئذ يمكن للمرء أن يوازن نفسه. (ووضع كأسه ثم فتح ذراعيه) هيا يا صحفيتي فأنت لم تقبليني؟

وشعرت أنها عادت على الفور تلميذة مدرسة فقالت:

ـ اسمي ماجي ستيورات. ثم ارتمت بين ذراعيه.

تلك الليلة مارسا الحب ثلاث مرات. كان يشدها إليه ويهمس لها بكلمات رقيقة. ولقد داعبها كما لو أنها عذراء. وللمرة الأولى فهمت ما تحس به المرأة حين يمارس الحب معها رجل، هدفه الوحيد إسعادها. لقد بلغت النشوة في المرة الأولى، كما بلغتها في المرة الثانية. أما المرة الثالثة فقد انقلبت إلى الوراء مستنفدة القوى سابحة في بحر من النشوة تماماً. وكان قد ظل ممسكاً بها معانقاً إياها برقة. بعدئذ. وعندما عاد لمداعبتها، ابتعدت عنه فغمر وجهه في صدرها قائلاً:

ـ لقد اكتشفت هذه الليلة شيئاً مختلفاً. إنني ثمل للغاية: وربما لن أتذكر شيئاً غداً، لكنني أود أن تعلمي أن الأمر معك مختلف تماماً.

أما هي فبقيت مسترخية، هادئة. بشكل ما كانت تعلم أنه يقول الحقيقة. كانت تخشى أن تتحرك، تخشى أن يزول السحر. فروبن البارد، الرهيب بدا فجأة سهل التأثر، سريع الجرح. وفي الظلمة راحت تتأمل شكله على نهديها ـ فهي ترغب أن تتذكر كل ثانية، ولسوف تتذكر دائماً الكلمة التي صرخ بها حين بلغ ذروة النشوة.

فجأة تراجع عنها، قبلها ثم مد يده وأشعل سيجارتين مد لها إحداهما:

ـ إنها الثانية والنصف، (وأشار برأسه إلى الهاتف) إن كان عليك أن تنهضي في ساعة محددة فاطلبي إليهم ذلك، أما أنا فليس لدي ما أفعله غداً سوى أن أستقل قطاري إلى نيويورك. في أية ساعة عليك أن تكوني في عملك؟

ـ الحادية عشرة.

ـ ما رأيك بالساعة التاسعة والنصف؟ سأنهض معك في الوقت نفسه ثم نتناول إفطارنا معاً.

ـ لا.. علي أن أذهب الآن.

ـ كلا! (صرخ آمراً إلا أن عينيه كانتا تتوسلان) لا تتركيني.

ـ لابد من ذلك يا روبن.

وقفزت من السرير ثم جرت إلى الحمام وارتدت ثيابها على جناح السرعة وحين عادت إلى الغرفة كان يستند إلى الوسائد، مسيطراً تماماً على نفسه. فأشعل سيجارة وتأملها باستغراب:

ـ إلى من تهربين مني؟ إلى زوج أم عشيق؟

ـ زوج، أجابته وهي تحاول مواجهة نظرته بعينيه الزرقاوين الباردتين برودة مدهشة. سحب روبن نفساً طويلاً ثم نفث الدخان نحو السقف، قائلاً:

ـ إذن، فقد خاطرت كثيراً بالمجيء إلي هذا المساء؟

ـ فقط بحياتي العائلية.

ـ تعالي هنا أيتها الصحافية! (ومد لها يده فأسرعت إليه حيث راح يتأملها كما لو أنه يريد أن يخترق أفكارها) إذن يهمني أن تعلمي أنني لم أكن أعلم أنك امرأة متزوجة.

ـ لا عليك، ولا تبال بتوبيخ الضمير، قالت بكل رقة.

فقهقه قهقهة غريبة:

ـ توبيخ الضمير، يالله، هذا مضحك في الحقيقة. وداعاً أيتها الصحافية.

ـ إنني أدعى ماجي ستيورات.

ـ يا صغيرتي، ثمة اسم آخر للفتيات اللواتي هن من نوعك.

ومال يسحق سيجارته، بينما بقيت واقفة لحظة من الزمن قرب سريره.

ـ روبن، هذا المساء، كان الأمر جديداً علي كلياً أنا الأخرى. وهذا يعني الكثير وإنني لحريصة أن تعرف هذا.

فجأة ألقى ذراعيه حول قامتها وحشر رأسه في ثوبها. وبصوت منخفض مستكين، توسل:

ـ إذن لا تذهبي. أنت تقولين إنك تحبينني ومع ذلك تتركينني.

لم تكن قد قالت إنها تحبه. فتخلصت بلطف من ضمته ثم تأملته باندهاش.

لقد تقاطعت نظراتهما لكنه بدا وكأنه ينظر في مكان آخر، بعيداً جداً، كما لو أنه غارق في بحر من الغيبوبة. ففكرت: الفودكا تركت آثارها أخيراً، إذ لم يعد قادراً على معرفة ما يقول أو التفكير بما يقول.

ـ روبن، أنا مضطرة للذهاب ـ لكنني لن أنساك أبداً.

فطرف بعينيه قليلاً ثم تأملها، كما لو أنه يراها للمرة الأولى.

ـ أنا نعسان، تصبحين على خير، أيتها الصحافية!

بعدئذ أطفأ النور وانقلب على جانبه ونام في الحال. أما هي فقد تسمرت في مكانها عاجزة عن تصديق ذلك. فالرجل لم يكن ثملاً بل لقد نام فعلاً.

عادت إلى منزلها، طائرة بسيارتها، مشحونة بعواطف ومشاعر متضاربة. ففي كل هذا كان ثمة شيء شاذ. رجلان في شخصه، رجلان لا يلتقيان أبداً إلا حين يمارس الحب. وبعد، لقد قال هو نفسه ذلك، فغداً لن يتذكر شيئاً من قصتها معه ولن تكون بالنسبة له إلا فتاة قابلها بين محطتي قطار. لكن هل تراه يتصرف هكذا مع كل النساء؟ هذا قليل الأهمية. الشيء الوحيد المهم هو: هذه الليلة.

اتجهت ماجي دونما ضجة إلى المنزل ثم عبرته إلى غرفتها. كانت الساعة الرابعة صباحاً حين دخلت غرفة النوم الغارقة في الظلام، ورأت في الظلام، سرير هدسون الفارغ. لقد خدمها الحظ: إذ لم يكن قد عاد، وبسرعة كبيرة خلعت ثيابها. وما إن أطفأت النور حتى سمعت على طريق المرآب صرير الرمل تحت العجلات. فتظاهرت بالنوم حين انزلق داخل الغرفة، وراحت تضحك في نفسها على احتياطات الحذر التي اتخذها وهو يدخل وكذلك من الشكل الذي كان يتلمس فيه جدران الغرفة كي لا يوقظها وسرعان ما سمعته يشخر بعمق أكثر من شخير نومه عندما يكون ثملاً.

خلال الأسبوعين التاليين استغرقت ماجي في عملها وطردت روبن ستون من أفكارها، إلى أن بلغت اليوم الذي فتحت فيه مفكرتها للتحقق من دورتها الشهرية فأدهشها التاريخ: كان قد مضى عليه أربعة

أيام، ولم يكن هدسون قد قاربها منذ ثلاثة أسابيع، روبن ستون! إذ لم تكن قد اتخذت معه أية احتياطات. وكان هدسون قد توصل لإقناعها بأنها لا تستطيع الإنجاب، فخبأت وجهها بين يديها: لا لن تبحث عن التخلص منه. لقد حملت من روبن ستون في لحظة حب... وكان هدسون يريد ولداً أوه! لا، هذه فكرة سخيفة... لكن لم لا؟ ما الفائدة من قول الحقيقة لهدسون؟ سيعاني من الأمر، وسيعاني الطفل أيضاً، أخيراً نهضت وقد قررت فجأة: المحافظة عليه.

بعد أسبوع على فوات الميعاد، فكرت بضرورة جر هدسون لمضاجعتها، إذ لم يكن قد بقي بعيداً عنها مثل هذه المدة من قبل. لا بد أن عارضته تستنفده أو لعله وجد صاحبة جديدة. فهو حين يغرق في غبطة علاقة جديدة لا يقاربها أبداً في تلك الليلة، حشرت نفسها به في الفراش لكنه صدها.

فعضت على شفتيها في الظلمة:

ـ أريد طفلاً يا هدسون.

وأحاطته بذراعيها محاولة أن تقلبه لكنه أدار وجهه:

ـ طيب، لكن بلا زنى، إن كان الطفل هو ما تريدين فعلاً فلنزن.

قدمت ماجي نفسها للطبيب عندما جاء الشهر التالي ولم يأتها الميعاد. فاتصل بها في اليوم الثاني مهنئاً إياها. لقد كانت حاملاً منذ ستة أسابيع، وقررت أن تنتظر بضعة أسابيع أخرى قبل أن تعلن الخبر لزوجها.

بعد بضعة أيام، كانا يمضيان إحدى سهراتهما النادرة في المنزل، لقد كان هادئاً مسالماً طوال فترة العشاء، والتجهم الذي كان قد أصبح جزءاً من شخصيته، لم يظهر تلك السهرة وبكل هدوء وتفكير ونبل تقريباً اقترح عليها أن يذهبا إلى الصالون الصغير ليشربا

الكأس الأخيرة فجلس على الديوان متأملاً إياها وهي تسكب الكونياك. ثم أخذ كأسه وراح يرشف منها بتمهل وعناية أخيراً قال:

ـ هل تستطيعين أن تتخلي عن عملك الصغير في التلفزيون خلال ثلاثة أشهر تقريباً؟

ـ أستطيع أن أطلب إجازة ـ لماذا؟

ـ لقد قلت لوالدي إنك حامل.

فتطلعت إليه مندهشة. ثم فكرت. لعل الطبيب بلازر أخبره. لقد أسرت للطبيب بأنها تود المحافظة على سر حملها بسبب عملها، لكن لعله لم يفكر بأنها لن تخبر زوجها. من هنا إذن جاء مزاجه الجديد فابتسمت بشيء من العزاء النفسي. غريزتها لم تخدعها. فالطفل سيغير كل شيء.

ـ هدسون، أنا لست بحاجة للسفر، باستطاعتي أن أعمل تقريباً حتى اللحظة الأخيرة.

فتأملها مستغرباً:

ـ وكيف سنبرر لوالدي وللناس جميعاً وضع بطنك الضامر الصغير الجميل؟

ـ لكنني...

ـ الإنسان لا يستطيع أن يتصنع شيئاً كهذا. كل الناس ينبغي أن يصدقوه، حتى بود ولوسي. إن أقل تصرف خاطئ يجعل والدي يكتشف حقيقة الأمر. لقد أعددت كل شيء تماماً. قلت له إننا نود الذهاب في رحلة حول العالم ـ إنها الهدية التي أقدمها لك على حملك لكن في النهاية يمكننا القول إنه ولد في باريس قبل اكتمال نضجه.

ـ لكنني لا أفهم يا هدسون... فأنا أريد أن يأتي ابني إلى العالم وأنا هنا.

أخيراً تضاحك تضاحك الساخر:

ـ لا تستغرقي في اللعبة. ببساطة لقد قلت إنك حامل، لكنك لست حاملاً.

ونهض ثم سكب كأساً أخرى من الكونياك:

ـ لقد اتخذت كل ترتيباتي. بإمكاننا أن نحصل على طفل في باريس. فالطبيب الذي تحدثت معه بهذا الشأن يعمل في دار للتوليد هناك. وإنهم يضمنون حتى التشابه مع الأبوين. وهناك سيكون لديه ثلاثة أطفال للتبني.، سيولدون في الشهر السابع. ويكفي أن ندفع تكاليف المستشفى للأم التي تضع مولودها ضمن ترتيب مناسب. ثم تتخلى الأم عن الطفل فوراً ولا تراه بعد ذلك أبداً. لن تعرف إن كان صبياً أم بنتاً، لن تعرف من سيتبناه. لقد طلبت صبياً، كما أننا سنحصل على شهادة ميلاد تثبت أنه ابننا، فابن الزنى المحظوظ هذا لن يؤمن لنا مليون دولار بمجيئه وحسب، بل سيكون له الحق بجنسية مزدوجة إن أراد ذلك. ثم نعود منتصرين إلى أمريكا.

فضحكت، مطمئنة، ثم نهضت من الديوان وتقدمت نحوه:

ـ هدسون، الآن جاء دوري كي أفاجئك. نحن لسنا بحاجة لكل هذه المشاريع المعقدة.

ـ ماذا تودين القول.

ـ إنني حامل لحسن الحظ.

فبعق: ـ كرري ـ

ـ أنا حامل، ولم تحب الطريقة التي تطلع بها إليها. وفي الحال تحركت يده صافعة وجهها.

ـ أيتها القذرة، ممن؟

ـ إنه مني... منا.

وأحست بشفتها تنتفخ ويطعم الدم في فمها. اقترب منها أكثر وأكثر ثم أمسك بكتفيها وراح يهزها:

ـ قولي لي أيتها العاهرة.. ممن ابن الحرام هذا الذي تريدين إلصاقه بي؟ (ومن جديد صفعها) احكي. سأظل أضربك حتى الموت.

لكنها تخلصت منه وجرت خارج الغرفة. فاندفع خلفها ثم أمسك بها في غرفة المدخل.

ـ أجيبي، ممن هو ابن الحرام الذي تحملين؟

ـ ما الفرق بالنسبة إليك؟ لقد رتبت أمورك لتبني طفل امرأة أخرى في باريس. على الأقل، هذا ابني.

وفجأة اختفى الغضب من وجهه. وحلت شيئاً فشيئاً ابتسامة على شفتيه. فجعلها تعود إلى الصالون.

ـ هذا صحيح، أنت محقة تماماً. ستنجبينه، وستحتفظين به طوال السنوات العشر القادمة. بعدئذ، إن كنت تحسنين التصرف سأوافق على طلاقك مع معاش تقاعدي جيد.

ـ لا، (وجلست على المقعد ثم تطلعت إليه بهدوء لم تكن تعرفه في داخلها) هذا مستحيل، لن أربي طفلي في جو الكراهية الذي يسود بيننا. أريد الطلاق الآن.

ـ لكنني لن أعطيك قرشاً.

ـ لست بحاجة، قالت والتعب بادٍ عليها، سأذهب للعيش مع عائلتي وسأكسب ما يكفيني لتربية طفلي.

ـ ليس قبل أن أنتهي منك.

ـ وماذا تنتظر؟

ـ هذا الطفل يمثل لي مليون دولار، فإما أن تحصلي على هذا المبلغ وتعطيني إياه أو أمنعك من العمل بعد الآن، سأعمل على طردك من كل الجرائد والتلفزيون ولن تستطيع عائلتك أن تنظر في وجه واحد من المدينة كلها.

فأمسكت رأسها بين كفيها:

ـ أوه، هدسون! لماذا؟ لماذا تعالج الأمور بهذه الطريقة؟ لقد ارتكبت خطيئة ـ في ليلة ما، مع رجل ما ولم يحدث لي هذا من قبل، كما أنه لن يحدث أبداً. كان بودي أن نتمكن من التفاهم معاً لكنك تعاملني معاملة سيئة إلى حد أفقد معه الإحساس بأنني امرأة. لعلي أسأت التصرف لكنني لا أثير الكثير من الضجيج حول ما أعرفه عنك (وتضعضع صوتها) لقد اعتقدت أن لدينا فرصة أخيرة. كنت حمقاء ولا شك، لكنني فكرت أن إنجاب طفل سيسعدك. وأن هذا سيقربنا. كنت أعتقد أنه حين تمر التجربة بنجاح سننجب أطفالاً آخرين، أطفالاً منا نحن الاثنين.

ـ أيتها المعتوهة! أما آن لك أن تفهمي؟ أنا عقيم! (وصرخ) الأسبوع الماضي أجريت فحوصاً... أنا عقيم، محال أن أنجب طفلاً من صلبي.

ـ إذن ما هذه الإجهاضات التي كنت تدفع لها؟

ـ كيف عرفت بها؟

ـ عرفت.

فأجبرها على النهوض من المقعد:

ـ أنت تضعين مخبرين في أعقابي إذن؟ (وصفعها بعنف) حسناً، لقد تركت نفسي أفعل ذلك. كل تلك العاهرات اللواتي كنت أدفع لهن واللواتي كن يدعين أنني جعلتهن يحملن... كلهن ضحكن علي... كما حاولت أنت أن تفعلي قبل قليل. لكنني الآن أعرف: إنني عقيم.

فتخلصت منه مبتعدة. كانت الدموع تنحدر مدراراً على وجنتيها، وكانت شفتها قد تشققت، لكنها كانت تتألم من أجله. أرادت أن تخرج من الغرفة لكنه تشبث بها بخشونة بالغة.

ـ أين تذهبين؟

ـ لإعداد حقيبتي، قالت بنصف صوتها، فأنا لا أستطيع البقاء معك في هذا المنزل.

ـ لماذا؟ طرح سؤاله بخبث، كنت تستطيعين البقاء من قبل وكنت مرتاحة وأنت تعلمين أن لي علاقات. الآن نحن متساويان. اثنان من الفصيلة نفسها. لا، ستسير الأمور على نحو أفضل بهذه الطريقة. كل منا يخرج إلى شأنه... طالما لا يصل هذا إلى سمع والدي.

ـ لكنني لا أستطيع العيش هكذا.

ـ إذن، كيف ستفسرين وجود ابن الزنى الذي تحملينه في بطنك؟

ـ كنت مطلعة على العلاقات التي تقيمها مع فتياتك. ثم، قابلت شخصاً ما، لا أعرف كيف حصل هذا. بلا شك كنت بأمس الحاجة لأن أكون محبوبة، بأمس الحاجة لأن أعرف أن ثمة رجلاً يفكر بي، يهتم بوجودي... حتى لو كان هذا لبضع ساعات.

فصفعها من جديد:

ـ أهو هذا ما كنت بحاجة إليه؟

وحين سقطت كفه على وجهها انفتل رأسها من كتف إلى أخرى. وفجأة انتزعت نفسها منه بوثبة واحدة وخرجت راكضة من الغرفة. فاندفع خلفها.

ـ سأضربك حتى أجتث هذا الشيطان من جسدك. هذا ما تبحثين عنه أليس كذلك؟ كنت أجلد «شيري» بحزامي، وكانت تعبد هذا. وبدأ يفك حزامه فعلاً.

فأطلقت صرخات ثاقبة على أمل أن يسمعها الخدم، وانطلقت راكضة إلى غرفة المدخل فركض خلفها وحزامه بيده: الحزام المصنوع من جلد التمساح الذي كانت قد قدمته له هدية في عيد الميلاد. ضربها ضربة شديدة أصابتها على مرفقها، وقرأت الحقد والبغضاء في وجهه فتملكها رعب حقيقي. تراجعت أمامه وهي تصرخ. أين تراهم أولئك الخدم؟ لقد أصبح مجنوناً. ولطمها الحزام على وجهها وكاد يصيب عينها. قد يعميها هذا الرجل! فتراجعت إلى الوراء، يسيطر عليها الرعب، وأحست بنفسها تسقط منقلبة على الدرج.

خلال هذا الجزء من الثانية تمنت في نفسها أن تدق عنقها، وأن تموت فلا تضطر بعد ذلك لرؤية هذا الوجه. بعدئذ انزلقت متدحرجة حتى أسفل الدرج. فوقف هدسون مسمر العينين على ساقيها وشعرت بالتقلص الأول فأمسكت بطنها بكلتا يديها. ثم شعرت بألم الدم يسير على فخذيها، وأنه ما يزال يصفعها.

ـ أيتها القذرة! أنت في طريقك لإضاعة مليون دولار علي.

* * *

على الرصيف، شعرت ماجي بالبرد فجأة. فعادت إلى غرفة الجلوس وسكبت لنفسها كأس وسكي. كل هذه الأحداث بدت لها وكأنها وقعت في عالم آخر، مع أنها كلها تعود بتاريخها لأقل من سنتين. كانت تتذكر بشكل غامض صوت الإنذار الذي أطلقته سيارة الإسعاف، والأسبوع الذي أمضته في المستشفى والشكل الذي تجنبت فيه أسئلة المحقق حول الكدمات والجروح في وجهها ومرفقيها، والطبيب الذي تظاهر بتصديقه لقولهما إن الحادث نتج عن سقطة تعيسة، والمقاومة التي أبداها كل فرد من أهلها لقرارها بإجراء الطلاق على الفور. الكل، ما عدا هدسون. فأمها ظنت أنها تمر بأزمة

عصبية، وهذا ما يحدث غالباً بعد الإسقاط. حتى لوسي نفسها حاولت أن تضغط عليها كي تفكر بالأمر أكثر.

من أجل الطلاق، كانت قد اختارت ولاية فلوريدا. فالإجراءات تأخذ ثلاثة أشهر وقد كانت بحاجة للشمس والزمن كي تستعيد وضعها الصحيح. فمع الزمن يمكن أن يندمل الجرح الذي تعاني منه، بعدئذ قد تفكر بانطلاقة جديدة وحصلت على إجازة من التلفزيون.

وافق هدسون على دفع تكاليف الطلاق كلها بما في ذلك إقامتها في فلوريدا، لذا استأجرت شقة صغيرة وعاشت هناك بتقشف. في نهاية الشهر الثاني، كانت آثار الحادث قد زالت ـ دون أن يبقى إلا الفراغ. هدسون لم يعد موجوداً بالنسبة إليها، لكنها كانت ما تزال شابة. وكانت قواها قد عادت إليها كما بدأت البطالة تثقل عليها.

وهكذا تقدمت بطلب إلى المحطة المحلية لـلآي. بي سي فتعاقد معها آندي بارينو على الفور. لقد أعجبها آندي، هي التي كانت بحاجة إلى العاطفة، وتعلق الإنسان بشيء يعني وجوده. فارتبطا بعلاقة حب سهلة ومريحة. مع آندي كانت ماجي تشعر بأنها سعيدة تماماً لكونها امرأة. لكن هدسون كان قد دمر شيئاً ما فيها: قدرتها على أن تحب حقاً.

لكن بمرور عدة أشهر عادت إليها ثقتها بنفسها. فآندي يرعاها وشغلها يعجبها. ولقد حان الوقت لتحريك هذا الركود والسبات الذي كانت قد أغرقت نفسها فيه. حان الوقت لأن تجرب العاطفة الحقيقية ـ أن تحلم وأن تأمل. لقد حاولت من قبل، إنما دون نتيجة. فخيل إليها أن هدسون شل فيها كل عاطفة وإحساس، لذا حين تقدم آندي منها باقتراح الزواج رفضت اقتراحه.

لكن هذا المساء، وللمرة الأولى، كانت ماجي تحس بالحياة تولد من جديد فيها. سترى روبن ستون. وإنها لمتعجلة لأن ترى تعبير عينيه حين يقابل واحدهما الآخر...

الفصل السابع عشر

كانت ماجي جالسة في «الشاطئ الذهبي» تتساءل في نفسها إن كان نفاد صبرها يظهر على وجهها. فقد يمضي آندي النهار مع روبن في لعب الجولف. وقد قال روبن إنه عهد ببرنامج نشاطات الساعة السابعة لمذيع آخر طوال الأيام القادمة. تطلعت إلى ساعتها: سيكون هنا بين لحظة وأخرى. وأشعلت سيجارة ثم لاحظت أن سيجارتها في المنفضة وأنها لم تمس تقريباً. فسحقتها بسرعة كبيرة. وشعرت كأنها تلميذة مدرسة ستقابل وجهاً لوجه حبيبها الأول. كانت أعصابها متوترة. فبين دقيقة وأخرى يمكن لآندي أن يدخل مع روبن وأن يتقابلا. فسحقت السيجارة الثانية.

نظرت ماجي إلى نفسها في المرآة، أسفل البار، فرأت أن اللون البرونزي المثالي لبشرتها يتناسب تماماً مع ثوبها الحريري الطحيني. في فيلادلفيا، كانت بشرتها بيضاء، وحينذاك قال لها روبن وهو يداعب نهديها:

ـ أية بشرة بيضاء، بيضاء كبشرة أمي.

لكن البشرة المسمرة أكثر جاذبية. كانت تعرف أنها جميلة منذ الأزل، لكنها باتت تقدر الأمر من وجهة نظر تقريرية بحتة: كأن تقدر إن كنت طويلاً أم قصيراً، عادياً أم جميلاً. ولم تكن حتى الآن قد حصلت على أية متعة من جمالها، إن لم تكن قد حصلت على كوارث. لكنها هذا المساء، مقتنعة بجمالها راضية عنه فقد لبست بكل عناية الثوب الذي يتناسب مع لون بشرتها، الثوب الذي يبرز لون الخضرة في عينيها، عيني القطة فآندي يسميها «نمرته السوداء».

هذا المساء، تشعر فعلاً أنها نمرة: فهي متوترة، متجمعة على نفسها، جاهزة للوثوب.

لقد اختارت مكان اللقاء، لا لقاءات مرتبكة في عتمة السيارة. وكانت تريد أن تراهما يدخلان، كلاهما معاً. وأن ترى دهشة روبن. فهذه المرة ستقبض على الموقف بكلتا يديها.

عندما رشفت ثمالة كأسها رأت آندي يعبر الباب ـ وحيداً فظلت ساكنة لا تبدي حراكاً وتأثراً وهو يجيء وينضم إليها على المشرب ثم يطلب كأس وسكي ـ الأفضل به أن يتقطع أربع قطع من أن يطلب شيئاً ما لكن أين تراه روبن؟

ـ اعذرني لتأخري يا ماجي، قال آندي.

ـ لا بأس (وأخيراً لم تستطع ضبط نفسها) أين صديقك؟

ـ نجم التلفزيون الكبير؟

وأخذ آندي كأسه ثم جرع جرعة كبيرة.

ـ ألن يأتي إذن؟ (وكانت تتمنى لو تستطيع قتل آندي الذي أجبرها على أن تسحب كل كلمة منه)

ـ بل قد يأتي. آه، لو رأيت الإرباك الذي سببه مجيئه «للدبلومات»، جاري جرانت لم يسبب إرباكاً أشد. المرء يعتقد أن كل الناس يشاهدون برنامجه، أو على الأقل، كل أولئك الذين شاهدناهم في ملعب الجولف.

أشعلت ماجي سيجارة أخرى. فلم تكن قد سمحت لنفسها بمشاهدة برنامجه، إنه أحد شروط شفائها تماماً كامتناعها عن التفكير بهدسون أو بالماضي. من الواضح أن روبن أصبح مشهوراً في الوقت الحاضر، الأمر الذي لم يخطر في بالها من قبل.

في كل مكان، كان يجبر على التوقف «أوتوجراف»، تابع آندي (وتذكر أيضاً الجهود التي بذلها لإخفاء ضيقه عندما دعاه أحدهم لتوقيع الفواتير، في بلفو) وكان هذا شيئاً غير محتمل إلى أن تعلقت به تلك الفتاة الشقراء في الطابق السابع عشر.

فانتفضت كما لو أنها لدغت:

ـ من هي؟

فهز آندي كتفيه:

ـ إحدى نزيلات الفندق. في التاسعة عشرة أو العشرين على الأكثر، لقد تركت زملاءها الثلاثة الآخرين لتجيء إلينا وتطلب من روبن التوقيع على «أوتوجرافها» ولم تعد إليهم. بل مضت معنا حتى الطابق الثامن عشر، (وبدأ آندي يضحك) بيتي لو، هكذا تدعى. (ورفع كأسه) بصحة بيتي لو. لقد جعلتني أربح عشرين دولاراً (ورشف أيضاً رشفة كبيرة ثم استأنف) ما إن يرى جسماً جميلاً حتى يتحول روبن إلى رادار، والعزيزة بيتي لو الصغيرة جاءت كي تسجل نفسها على شاشته. هيا بنا إلى الداخل، أكاد أموت جوعاً.

كانا يستعدان للطلب، حين جاء أحد الندل طالباً آندي إلى الهاتف. وحين عاد كان يبتسم:

ـ العاشق الكبير في طريقه إلينا.

كانت الساعة حوالي التاسعة، حين رأته يدخل المطعم. فبدا طازجاً معافى. وعرفت ماجي، عندما رأت الشقراء الصغيرة، أنها مارست الحب مع روبن، فتسريحتها مضطربة، وزينتها على غير ما يرام.

نهض آندي قائلاً:

ـ مرحبا بيتي لو (وضمها بين ذراعيه كما لو أنه يعرفها منذ زمن طويل، بعدئذ التفت) هذه هي ماجي ستيورات، ماجي، هذا هو روبن ستون.

فتطلع إليها بابتسامة مجردة:

ـ قال لي آندي إنك تلعبين الجولف أيضاً. يجب أن تأتي معنا بعد الظهر.

ـ إنني بحاجة لتساهل مقداره خمس وعشرون نقطة. فأنا أخشى ألا أكون على المستوى.

ـ إنها مثلي، صاحت بيتي، بإمكاننا أن نشكل فريقاً من أربعة.

طلب روبن كأسي فودكا ـ مارتيني. وتصرفت «لو» كما لو أنها تعرف روبن ستون منذ الأزل. كان روبن يوليها انتباهه من حين لآخر.

وقد أشعل لها سيجارتها لكنه لم يكن يسمع كلمة واحدة مما ترويه، مع ذلك جعلها تشعر أنه مسرور بوجودها معه. ورأته ماجي يمسك بكف الفتاة من حين إلى آخر لكن حديثه كله كان موجهاً إلى آندي.

فجأة تساءلت ماجي متعجبة أليست بيتي لو حيلة اخترعها روبن لتسهيل عملية المواجهة؟ ألم يكن على آندي أن يحدثها عن علاقتهما مسبقاً. ولكي تبقى بيتي على قدم المساواة مع روبن فقد أخذت مثله كأس مارتيني آخر. الأول أثر فيها قليلاً أما الثاني فكان قاتلاً. وفي نهاية العشاء كان رأسها قد أصبح بين مرفقيها وشعرها في صحن المعكرونة.

كانت تتطلع إلى الناس جميعاً بعينين خاويتين، وفجأة لاحظ روبن حالتها:

ـ كثير من الشمس ولعب الجولف لا يتناسبان أبداً مع شرب الكحول.

ولاحظت ماجي طريقته في الدفاع عن فتاة لم يقابلها إلا منذ سويعات. ساعدوها في الخروج من المطعم ثم كوموها في سيارة روبن، وبعد أن وضعوها هناك أصر روبن على الذهاب لتناول كأس أخيرة في «الدبلومات».

هناك جلسوا إلى طاولة صغيرة، ثم رفع روبن كأسه:

ـ بصحتك، أيها الأخ العجوز، شكراً للعطلة الأولى التي آخذها منذ سنين. وبصحبة صديقتك الفاتنة. والتفت نحو ماجي. فتقابلت أعينهما، كانت تنظر إليه نظرة تحد إلا أن عيني روبن الزرقاوين ردتا ببراءة:

ـ أنا لم أسمع إلا مدائح تكال لك، وإنك لرائعة حقاً كما قال آندي. تقريرك عن الصحون الطائرة سحرني. وقد قرأته هذا اليوم. أين حصلت على دراستك، وكيف استطعت تأمين مثل هذه المعلومات عن الموضوع؟

ـ إنها مسألة كثيراً ما أثارت اهتمامي، أجابت ماجي.

ـ سنلتقي في مكتبك غداً صباحاً الساعة الحادية عشرة يا آندي، أنت والآنسة (ثم توقف متطلعاً إلى ماجي وبدا أن لديه تعطلاً في الذاكرة).

ـ ماجي، قال آندي بهدوء، ماجي ستيورات

فابتسم روبن:

ـ لدي ذاكرة سيئة فيما يتعلق بالأسماء. حسناً، إذن، نلتقي غداً ونتفحص القضية لنرى إن كانت هناك مادة صالحة للبرنامج.

ثم أنهوا كؤوسهم وودع بعضهم بعضاً عند المدخل، ثم رأت ماجي روبن وهو يتوجه بخطا كبيرة نحو المصعد.

وفي عتمة السيارة التي راحت تبتعد بقيت صامتة، حتى اسر لها آندي:

ـ اسمعي، لا يسئك أن روبن هذا نسي اسمك. فهو هكذا. طالما لم يلج المرأة ينسى حتى وجودها.

ـ خذني إلى منزلي، يا آندي.

فاتجه بلا كلمة إلى الممر ثم قال بلهجة باردة:

ـ الصداع أيضاً؟

ـ إنني متعبة.

وكان كئيباً حين توقف أمام شقتها لكنها لم تهتم حتى بإعطائه قبلة الوداع. بل قفزت من السيارة جرت إلى داخل البناية. لم تنتظر المصعد بل راحت تثب الدرج أربع أربع إلى أن بلغت شقتها في الطابق الثاني. حين أصبحت في الداخل صفقت الباب خلفها واستندت إلى المصراع، والدموع تسيل على وجنتيها. بعدئذ صعدت نوبات النشيج إلى حلقها. هو لم يتذكر اسمها وحسب، بل لم يتذكر أنهما التقيا من قبل.

كان على ماجي أن تجهد نفسها تماماً كي تدرس دورها، إذ لم تكن قد فتحت كتابها منذ وصول روبن. بالتأكيد لن يكون العرض الأول في «نادي الممثلين» قبل ثلاثة أسابيع لكنها تود أن تكون على المستوى المطلوب. بعد كل شيء، كانت المسرحية ليوجين أونيل وكان هاي ماندل آتياً من كالفورنيا كي يراها وهي تمثل. ربما لن يخرج شيء من الأمر كله. مخرج أفلام لمؤسسة سينمائية مستقلة كان قد رآها على الشاشة الصغيرة فسألها إن كانت التجربة على الشاشة الكبيرة تثير اهتمامها. فأجابت أنها تريد أن تصبح ممثلة ولا شك لكنها لا تملك المزاج المناسب للذهاب والقيام بالمحاولة. وبرنامجها لم يكن يترك لها الوقت حتى لركوب طائرة إلى كالفورنيا. لعل نقص الاهتمام هو الذي كان يمنعها من متابعة تنفيذ فكرتها. فاتصل بهاي مانديل أحد وكلاء هوليود الأكثر نشاطاً، وكلمه عنها بحماسة والآن سيجيء هذا الأخير لرؤيتها وهي تمثل ضمن فرقة ممثلين شبه محترفين.

حسناً إذن، اعتباراً من هذه الليلة سيكون لديها الوقت كلّه للتركيز على أونيل. كانت تلك هي الليلة الأخيرة التي سيقضيها روبن ستون في المدينة، ولم يكن قد رأى بيتي لو ثانية. في الليلة الثانية كان قد ظهر مع أستاذة، تدعى آنا، بعدئذ مع مطلقة اسمها بياتريس. أخيراً، استأجر قارباً لمدة ثلاثة أيام وذهب للصيد وحيداً كلياً، ثم عاد ذلك العصر نفسه. أعلمها آندي سيتعشون معاً، فتساءلت ماجي! ترى من سيصحب: بيتي لو، آنا، أم بياتريس؟

اتصل بها آندي في اللحظة التي أنهت بها زينتها وبدا أنه في حالة من النشوة:

ـ لقد انتهيت لتوي من حديث طويل مع روبن، قدري! هو لا يريد أن يعالج قصة الصحون الطائرة في برنامج «من الأعماق» بل سيعد برنامجاً خاصاً بها سيشركنا فيه. أي بالنسبة إلينا، إقامة في نيويورك جميع تكاليفها مدفوعة.

ـ آمل ألا يتعارض هذا مع عملي في مسرحية أونيل.

ـ ماجي، في سن السادسة والعشرين تكون الفتاة أكبر سناً من أن تغزو هوليود. اسمعي مني، مكانك هنا، معي أنا.

ـ آندي، أنا... (وكانت تود أن تخبره بأن كل شيء بينهما قد انتهى، وأنه لم يعد في عينيها شيئاً عظيماً قط) لكنه قاطعها:

ـ اسمعي ماجي، لا تقولي شيئاً لروبن حول موضوع أماندا.

ـ أماندا؟

ـ الفتاة التي أريتك صورتها في الجريدة أمس الأول.

ـ آه، تلك التي توفيت بسرطان الدم؟

ـ أجل، فقد كانت صديقة روبن. وقد أذيع الخبر حين كان في قارب الصيد، ربما لم يسمعه وهو لا يستطيع فعل شيء: فهم سيدفنونها اليوم. إذن لماذا نعكر له عطلته؟

ـ لكنها متزوجة من آيك ريان، قالت ماجي.

ـ أجل، وقبل ذلك كانت تربطها بروبن علاقة لمدة طويلة، قرابة العامين.

راحت ماجي تفكر بهذا وهي تنهي زينتها. إذن كانت أماندا صاحبته في تلك الليلة التي قضياها معاً في فندق بلفو. وقطبت حاجبها وهي تنظر إلى نفسها في المرآة.

أنت ترين أيتها المجنونة! تتصرفين تصرف الغرة الساذجة وأنت في السادسة والعشرين!! ترى كيف يمكنك أن تلعبي دوراً خاصاً في حياة روبن ستون؟

أوقفت ماجي سيارتها عند الدبلومات. وعندما اجتازت صالة الدخول لاحظت أن العديد من الرجال التفتوا لدى مرورها. هل يلتفت الرجال هكذا دائماً عند رؤيتها؟ هل عاشت في ضباب كامل كي لا تلاحظ هذا؟ وأحست أنها فريسة لعاطفة مفاجئة وهي تتغلغل في المشرب. نهض روبن، حين اقتربت منه، مبتسماً:

ـ سيعود آندي مباشرة، هاهو ذا وكيل سياحة قديم... لقد حجزت مكاني في طائرة ظهيرة الغد. لكنه يحاول أن يجعلني أؤجل سفري إلى ما بعد الظهر كي نلعب جولة جولف أخيرة. (وأشار بيده إلى الساقي) ماذا تأخذين؟ مشروبك المعتاد من الويسكي؟

فوافقت بإشارة من رأسها:

ـ وأنت من تصحب لنا معك هذا المساء؟ مطلقتك المعتادة؟

الانفعال الغريب الذي سيطر عليها من قبل أضفى على صوتها الخفة المرغوبة:

فابتسم:

ـ إنك أنت، موعدي هذا المساء. أنت وآندي. فليس لدي أي تطلع إلا أن أشرب وأستريح مع صديقين طيبين. وسأمضي ربما لدهن نفسي بالزبدة.

في تلك اللحظة عاد آندي إلى الطاولة وعلى وجهه ابتسامة منتصرة:

ـ رتب كل شيء. الساعة السادسة غداً. أنا، شخصياً، أظن أنك مجنون بسفرك هذا.

غيلي، مراسلي في جريدة «ناسيونال» يقول إنها ستكون أقل من الساعة السابعة في نيويورك وعيد الميلاد يقترب مع ذلك الصخب، وبابا نويل والمخازن التي تتزين بالأجراس وما من تاكسي...

وهز رأسه بشيء من الاشمئزاز:

نظر روبن إلى كأسه الفارغة مشيراً إلى رغبته في أخرى:

ـ أود كثيراً أن أبقى لكن ماذا أفعل ولدي موعد خاص في لوس أنجلوس، مساء عيد الميلاد. كان روبن قد عب أربعة أقداح مارتيني. حين كانت ماجي تشرب كأسها الثانية ومرة ثانية أدهشتها قدرته على تحمل الشراب. لكنه كان يبدو مشرقاً تمام الإشراق. تلك الليلة في فيلادلفيا، كان يبدو أنه ثمل، إلى حد لا يستطيع حتى تذكرها! بعدئذ ذهبوا إلى فونتان بلو حيث رأوا سامي دنس. هناك تناولت شرحات. أما روبن فلم يأكل شيئاً بل استمر يشرب الفودكا. وكان آندي يحاول اقتفاء خطاه.

أخيراً دخلوا مشرباً في الشارع التاسع والسبعين، مشبع الجو بالدخان. وهناك أيضاً وضع روبن زجاجة فودكا على الطاولة. بينما ظلت ماجي متمسكة بشراب الوسكي، كانت الضجة لا تسمح حتى بتبادل كلمتين. وراح روبن يشرب بصمت مقتفياً أثره آندي.

في الساعة الواحدة صباحاً، انهار آندي، فلاقت ماجي وروبن الكثير من العناء لنقله إلى السيارة.

هناك قال روبن:

ـ سنأخذه إلى منزله ثم أنقلك إلى منزلك.

ـ لكن سيارتي عند «الدبلومات»

ـ ليس هناك من ضربة لازب، فغدا يمكنك البحث عنها. ضعي هذا على فاتورة التكاليف وستقولين لآندي إنه أعطاك موافقته على ذلك قبل أن ينهار.

فاتجهت به إلى حيث سكن آندي. هناك حاول روبن إخراجه من السيارة، لكنه غمغم أخيراً:

ـ إنه أثقل من حمار ميت. تعالي ماجي، إني بحاجة لمساعدة.

ومن الجانبين حملا آندي ثم سحباه إلى شقته، حيث مدده روبن على سريره وحل له ربطة عنقه. فتطلعت إليه ماجي مذهولة إذ لم تكن قد رأت شخصاً هكذا ثملاً حتى الموت لكن ابتسامة روبن طمأنتها.

ـ لن تتمكن حتى صحونك الطائرة من إيقاظه الآن، غداً صباحاً سيشعر بشيء من الصداع ـ لكنه سيعيش.

وعادا إلى السيارة، فقالت ماجي:

ـ إنني أسكن بعد عدة بنايات: ذلك البناء الطويل هناك

ـ ألا ترغبين في تناول كأس أخيرة قبل ذلك؟

فاتجهت إلى مشرب صغير مجاور، كان صاحب المشرب يعرف روبن فوضع زجاجة فودكا على الطاولة وانخرط على الفور في مناقشة حول كرة القدم. راحت ماجي وهي جالسة أمام كأس الوسكي الممزوج بالماء تصغي لهما: هذا شيء لا يصدق. إذ لم يبد على روبن أن الكحول تشوشه أقل تشويش.

أغلق المشرب أبوابه فقادها إلى منزلها. وهناك في العتمة بقيا لحظة جالسين في السيارة.

ـ هل لديك فودكا، فوق؟ سألها.

ـ لا، وسكي فقط.

ـ خسارة! تصبحين على خير يا ماجي، لقد قضيت سهرة رائعة.

ـ تصبح على خير، يا روبن.

ودارت باتجاه الباب، بعدئذ وبتأثير دافع ما، التفتت نحوه وقبلته، ثم خرجت مسرعة من السيارة، وجرت حتى شقتها.

كانت تشعر بالانتعاش. فحين يبتغي رجل أن يقبل فتاة لن يكون أمامها من خيار سوى التنفيذ أما هذه المرة فهي التي أمسكت بالمبادرة. لقد تملكها انطباع بأنها ناضلت من أجل تحرير المرأة، وأنها خرقت قاعدة صلبة لكنها في المستقبل ستبذل ما في وسعها لتحطيم قواعد أخرى. راحت تغني وهي تخلع ثيابها ثم شرعت بارتداء قميص نومها لكنها عادت وتخلصت منه. من الآن فصاعداً ستنام عارية. كانت دائماً تتملكها هذه الرغبة لكنها لم تكن تجد ذلك لائقاً ففتحت درج طاولتها وأخرجت قمصانها الليلية الشفافة التي كانت قد وضعتها في حقيبة من ورق. غداً ستفرح الخادمة بها. ثم انزلقت في سريرها وأطفأت النور. فبدت لها طراوة الملاءات رائعة مدهشة وطغى عليها شعور بالحرية لم تشعر به أبداً. ثم أغمضت عينيها وهي لا تشعر بالنعاس قط.

شخص ما يدق الباب، فأشعلت النور ونظرت إلى ساعة الحائط. الرابعة والنصف فقط. لا بد أنها أغفت بعض الوقت، أصغت فسمعت طرقات ملحة. فألقت عليها المبذل وفتحت الباب، دون أن تفك سلسلة الأمان، فرأت روبن ستون واقفاً هناك مطوحاً بيده زجاجة فودكا:

ـ لقد جلبت شرابي، قال لها.

فتركته يدخل.

ـ لقد وجدت هذه الزجاجة في غرفتي، هدية الإدارة، لكنه لا يمتعني أن أشرب وحيداً.

ـ هل تريد ثلجاً؟

ـ لا، أشربها صافية.

فأعطته كأساً وجلست على المقعد: ثم راحت تتأمله وهو يشرب، وفجأة دار بنفسه نحوها.

ـ إن لي حسابي.

فافترت ابتسامة على ثغرها، وبدأ نبضها يدق بسرعة كما شعرت بحلقها ينشف:

ـ هل تشتهنني يا ملفوفتي؟ سألها.

فنهضت من الديوان ثم عبرت إلى الجانب الآخر من الغرفة:

ـ إنني أشتهيك، لكن ليس هذه الليلة، أجابت بتمهل.

ـ لكن يجب أن يكون في هذه الليلة، فغداً سأسافر.

ـ أجِّل سفرك يوماً.

ـ ولماذا غداً وليس اليوم؟

ـ أريد أن تتذكرني.

ـ إن كنت على المستوى يا عزيزتي فلن أنساك أبداً.

فالتفتت نحوه مواجهة إياه:

ـ اعذرني، لقد جربت من قبل.

فرأت نوعاً من الاستغراب اللطيف ينبثق في عينيه. وفجأة اقترب منها وبحركة سريعة فتح مبذلها فتمسكت به لكنه نزعه عنها. ثم تراجع خطوة إلى الوراء متفحصاً إياها باهتمام شديد، فسيطرت على انزعاجها وواجهته بنظرة تحدٍ.

ـ نهدان كبيران جميلان، قال روبن، لكنني أكره النهود الكبيرة.

بعدئذ وبصورة غير متوقعة أبداً، رفعها بين ذراعيه ثم حملها إلى غرفة النوم حيث ألقاها على السرير: وأكره السمراوات أيضاً.

وخلع سترته ثم حل عقدته، وشعرت بالخوف يسيطر عليها فجأة. فقد كان في عينيه تعبير غريب كما لو أنه ينظر إليها دون أن يراها. فانتصبت بوثبة واحدة إلا أنه دفعها من جديد على السرير.

ـ لن تتركيني، فلست طفلاً بعد.

وكان لقوله هذا رنين غريب فقد خيل إليها أنه يكلم نفسه. وأن في عينيه نظرة رجل أعمى. تطلعت إليه وهو يخلع ثيابه. كان بإمكانها أن تدافع عن نفسها، أن تطلب النجدة ـ لكن الاستغراب جعلها تتجمد تماماً. لعل الضحية تتصرف بالطريقة نفسها مع قاتلها: مشلولة، غير قادرة على المقاومة. وحين تخلص من ثيابه كلها جاء إليها ثم جلس على السرير وتطلع إليها بعينين غريبتين خاليتين من التعبير. لكنه حين انحنى عليها كي يقبلها بلطف، غابت فجأة جميع مخاوفها وردت عليه بحرارة. تمدد بجانبها، والتحم جسمه بجسمها، فشعرت أنه يتنهد وأن جسمه قد استرخى ثم بدأ فمه يبحث عن نهديها. فشدت جسمها إلى جسمه متخلية عن كل قراراتها. لقد أحست أنها تسبح في بحر من الهياج والإثارة وحين أخذها بلغت

رعشتها في الوقت نفسه الذي بلغها هو. ثم صاح وهو يلتصق بها بالكلمات الثلاث التي صاح بها تلك الليلة في فلادلفيا، الكلمات نفسها اللغة الألمانية نفسها: أمي، أمي، أمي!!

بعدئذ انسحب منها واستلقى إلى الوراء. وفي الظلمة رأت في عينيه النظرة الخاوية نفسها، ثم داعب وجنتها وتصنع ابتسامة:

ـ إنني زير نساء يا عزيزتي، لكن معك، الأمر مختلف، مختلف عن كل ما أفعله مع الأخريات.

ـ لقد قلت هذا من قبل، في فيلادلفيا.

ـ آه! نعم؟ أجاب إنما دون أي رد فعل.

ـ روبن، هل تجد هذا مختلفاً مع كثير من الفتيات؟

ـ لا... نعم.. لا أدري (وكان يتكلم بصوت النائم) لا تتركيني (وضمها بقوة إليه) عديني بذلك. عديني أنك لن تتركيني أبداً.

فالتصقت به أكثر في الظلمة «تمام. راحت تقول لنفسها. هذه هي فرصتك. ألقي به خارج السرير، قولي له وداعاً أيها الصحافي» لكنها أحست أنها غير قادرة على ذلك.

ـ لن أتركك أبداً يا روبن، أقسم لك.

وكان قد أصبح نصف نائم:

ـ إنه مجرد كلام.

ـ كلا فانا لم أقل هذا لأحد طوال حياتي. أعدك بذلك، أحبك.

ـ كلا، ستتركينني... كي تذهبي...

ـ أذهب إلى أين؟

لا بد أنه يعرف لكنه كان قد نام.

رأت الليل يشحب وهي ما تزال مستلقية، مفتوحة العينين تماماً. نظرت إلى وجهه الجميل كانت وجنته حارة وهي تستند إلى صدرها. هل هذا معقول؟ إنه هنا. وهو ينام بين ذراعيها إنه يحضنها. كانت قد سرت من نفسها لأنها حدثته عن فلادلفيا. والآن طلب منها ألا تتركه وقد تعهدت له ـ لعله أحس بالجرح فعلاً حين تركته تلك الليلة. وهذا ما يفسر اعتقاده هذه الليلة، إنها متزوجة ـ بالتأكيد لقد غمرتها السعادة.

وهكذا ظلت مسترخية، نصف نائمة. في كل دقيقتين تقريباً تفتح عينيها لتنظر إلى الرجل النائم بين ذراعيها وتتأكد مرة أخرى أنها لا تحلم. رأت خطوط الفجر فتعجبت من السرعة الهائلة التي استطاعت فيها الشمس أن تسيطر على السماء، ثم راحت طيور النورس تحلق في السماء داعية بعضها بعضاً معلنة عن قدوم نهار جديد. كذلك تسللت الشمس إلى الغرفة وبسرعة صبغت بأشعتها روبن الذي كان بين أحضانها. في الليلة السابقة كانت قد نسيت أن تسحب الستائر المزدوجة على النافذة. فانسلت من الفراش بهدوء بالغ واجتازت الغرفة على رؤوس أصابعها. وبعد لحظة كان الظل الناعم يغطي الغرفة من جديد. كانت الساعة التاسعة. وكانت تود أن تتركه يزيل بالنوم آثار الفودكا كلها. كم سيشعر بالتحسن عندما يستيقظ! وألقت نظرة سريعة على نفسها في المرآة. أوه! يا لله، الليلة الماضية لا بد أنها كانت ليلة من الفوضى التامة. لم تكن قد اعتنت بنزع «ماكياجها» ولحسن الحظ أنها استيقظت قبله. فمسحت وجهها ثم أخذت حماماً بارداً وأعادت ترتيب زينتها بكثير من الخفة. ثم ربطت شعرها «ذيل حصان» ولبست من جديد سترة وبنطالاً وذهبت إلى المطبخ. هل تراه يحب البيض؟ لحم الخنزير؟ ربما سيشمئز من الرائحة، بعد كل ما شربه من الفودكا. وصلت الفرن الكهربائي بالتيار ثم فتحت علبة من عصير البندورة. يقال إن هذا العصير يزيل آثار الشرب. ولم تقترب من المقلاة ـ إن كان يريد بيضاً فستصنع له بيضاً يا يسوع!! أي شيء، لا تفعله من أجله!

عند منتصف النهار تقريباً سمعته يتحرك فسكبت قليلاً من عصير البندورة وحملته إلى الغرفة، وفي العتمة راح يتلمس الكأس تلمساً ثم راقبته وهو يفرغها. بعدئذ فتحت الستائر. فأغرقت أشعة الشمس الغرفة، وطرف بعينيه مرتين أو ثلاثاً ثم تطلع حوله:

ـ يا إلهي! ماجي! (وألقى نظرة على السرير ثم عاد ببصره إليها) كيف حططت هنا؟

ـ بمحض إرادتك، في الساعة الرابعة والنصف صباحاً.

وكمن يسير في نومه، مد يده بالكأس ثم قال:

ـ وهل... أجل، أعتقد أننا فعلناها. (ثم ركز نظره على السرير، هازاً رأسه) أحياناً، عندما أكون ثملاً للغاية فإنني أغيب.. اعذريني، ماجي! (وفجأة، وبنظرة مسودة من الغضب:) لماذا تركتني أدخل؟

وبجهد شديد سيطرت على الرعب الذي أمسكها من بلعومها.

ـ أوه، يا إلهي (ومرر يده في شعره) لا أستطيع أن أتذكر نفسي، لا أستطيع أن أتذكر. وشعرت بالدموع تنساب على وجهها. لكن الغضب الذي شعرت به منعها من البكاء:

ـ إنها خدعة بالية، قديمة قدم العالم يا روبن! لكن استفد منها إن كنت تشعر بتحسن بعدها! حمام الماء البارد هنا!

وبكبرياء مرت في غرفة الجلوس ثم تناولت شيئاً من القهوة. فخف غضبها قليلاً. الذهول الذي كان يطل من عينيه بدا حقيقياً. وقد أدركت أنه يقول الحقيقة. لم يكن يتذكر.

بعدئذ دخل غرفة الجلوس وهو يربط عقدته، وعلى ذراعه سترته التي رماها على المقعد ثم أخذ فنجان القهوة الذي قدمته له.

ـ إن ترغب بالبيض أو بالخبز المجفف.... قالت.

ـ إنني مذهول مما حدث. ماجي، أنا في غاية الأسف لما فعلته بآندي. وآسف أكثر وأكثر من أجلك. أنت ترين ـ أنا ذاهب من هنا. أما أنت فلست مضطرة لأن تقولي شيئاً لأي، ولسوف أعوضه بشيء ما سأجد طريقة ما.

ـ وأنا، ما دوري في القصة؟

فتطلع إليها:

ـ أنت؟ كنت تعرفين ما تفعلينه، أما آندي فلا. وهو رجلك.

ـ أنا لست مغرمة به.

فابتسم ابتسامة ساخرة:

ـ إذن فأنت تجنين غراماً بي.

ـ هذا صحيح.

فضحك كما لو أنه سمع طرفة أليفة:

ـ لا بد أنني قمت بهذا العمل اللعين وأنا ثمل.

ـ هذا يحصل لك غالباً؟

ـ ليس غالباً. لكن هذا حصل لي من قبل. لنقل مرتين أو ثلاث مرات. وكل مرة، يرعبني هذا.

لكنها المرة الأولى التي أجد فيها الدليل، فأنا عادة أستيقظ وأدرك أن شيئاً ما حدث لي إنما لا أتذكره البتة. وهو يحدث لي عموماً بعد سكرة هائلة. لكنني الليلة الماضية كنت أحسبني في أمان، راسياً بصلابة بينك وبين آندي. ماذا حدث له يا ترى؟

ـ لقد انهار ككتلة من جليد.

ـ أجل، تذكرت، تذكرت. وأعتقد أن هذا آخر ما أحتفظ بذكره.

ـ ألا تتذكر شيئاً مما قلته لي؟

ـ هل قلت لك أشياء مرعبة؟

فطفرت الدموع إلى عينيها:

ـ لا، فما من أحد قال لي كلاماً ألطف مما قلت أبداً.

فوضع قهوته ونهض:

ـ ماجي، أنا آسف، آسف بكل جوارحي.

فتطلعت إليه:

ـ روبن، هل أشكل شيئاً بالنسبة لك؟

ـ إنني أحبك تماماً. وأنني أقول لك بكل صراحة: أنت فتاة جميلة باهرة، إنما لست نموذجي.

ـ أنا لست أوه ... (ولم تستطع أن تخرج الكلمة)

ـ ماجي، أنا لا أعلم ما دفعني للمجيء هنا، بل لا أعلم ما قلته وما فعلته.. آه يا إلهي! أرجو معذرتك. لقد جرحتك (واقترب منها يمسد شعرها بلطف بالغ لكنها تراجعت) اسمعي، ماجي، ابقي أنت وآندي كما لو أن شيئاً لم يحدث.

ـ اذهب من هنا، أرجوك! لقد أخبرتك أن كل ما بيننا أنا وآندي قد انتهى، تماماً قبل الليلة الماضية.

ـ هذا سيكون قاسياً عليه، إنه متعلق بك.

ـ أنا لست المرأة المناسبة له. ولا أريد أن أراه، أرجوك، اخرج!

ـ سأنقله إلى نيويورك، قال فجأة، فهو على كل حال لا يقوم بأي عمل مهم هنا. بالنسبة لك هل تريدين أن تأتي وتشتغلي في نيويورك؟

ـ أوه! بحق الله توقف عن تمثيل دور بابا نويل.

فحدق إلى عينيها طويلاً:

ـ الحقيقة، أود تعويضك عن هذه الليلة، فهذا لم يحدث لي منذ زمن طويل. المرة الأخيرة كانت في فيلادلفيا.

فحدقت إليه بقوة:

ـ هل تتذكر شيئاً منها؟

فهز رأسه:

ـ كانت قد غادرت حين استيقظت ولا أتذكر منها إلا شيئاً واحداً: أحمر شفاهها البرتقالي.

ـ أنا أستخدم أحمر شفاه برتقالي.

فجحظت عيناه غير مصدق، بعدئذ استأنفت بشيء من الأسى:

ـ هي ذي الحقيقة. لقد كنت أعمل هناك.

ـ يالله! أتلحقين بي على الأثر؟

فأحست بالغضب والمذلة يتملكانها. وبشكل غريزي، صفعته:

فابتسم ابتسامة حزينة:

ـ أعتقد أنني أستحقها. وعليك فعلاً أن تكرهيني يا ماجي ـ كل هذه المرات التي كنا فيها معاً ومع ذلك لا أتذكر شيئاً عنك أبداً.

ـ أنا لا أكرهك، قالت ببرود، بل أكره نفسي، أكره كل النساء اللواتي يتصرفن كمعتوهات عاطفياً ويفقدن السيطرة على أنفسهن، وإنني لآسفة على صفعك فلم تكن تستحق الصفع.

ـ لا تحاولي أن تكوني قاسية، فهذا ليس من طبيعتك.

ـ كيف تسنى لك أن تعرف طبيعتي؟ ماذا يمكنـك أن تعـرف مـن شأني؟ لقد مارست الحب معي خلال ليلتين ومع ذلك لا تتـذكر شـيئاً عن ذلك. فمن أنت كي تشرح للآخرين من هم؟ من أنت؟ ما أنت؟

ـ لا أدري، لا أدري فعلاً.

ودار على عقبيه ثم غادر الشقة.

الفصل الثامن عشر

عندما غادر روبن شقة ماجي، توقف في فندقه هنيهة ثم اتجه مباشرة إلى المطار. كان الجو في نيويورك صافياً رقيقاً، ودرجة الحرارة حوالي معدلها السنوي: أربع أو خمس درجات فوق الصفر. وكان مطار أدلود يبتلع مرة بعد مرة المسافرين السعداء بإجازاتهم.

استقل روبن سيارة أوصلته منزله قبل بدء الزحام الشديد، واعداً نفسه بأن يذهب دون تأخر إلى لوس أنجلوس وأن يبقى هناك حتى ليلة عيد الميلاد.

لم يكن هنالك بريد هام. كانت الشقة مرتبة، فشعر بالخيبة إلى حد غريب، ثم فتح علبة من علب عصير البندورة وطلب رقم آيك ريان. لا شك أن أماندا خرجت الآن من المستشفى:

ـ ما ضربك يا ترى؟ الآن فقط تتصل؟

كان آيك يتكلم بصوت رتيب لا مبال إلى حد الدهشة. فسأل روبن بصوت فرح:

ـ ماذا جرى؟

ـ آيك، ليس عليك إلا أن تدعوني بالهاتف إذا ما احتجتني، قال آيك بلهجة ساخرة. يا لليائس... أنا لم أفعل سوى الاتصال بك! يومان كاملان وأنا أتصل بك!

ـ كنت على ظهر سفينة، لماذا لم تترك لي رسالة؟

فتأوه آيك:

ـ وماذا تفيد؟ لقد حدث الدفن وانتهى.

فأمل روبن أن يكون قد أخطأ السمع:

ـ أي دفن؟

ـ الخبر نشر في جميع الجرائد. لا تقل إنك لم تقرأه. لا تقل إنك لا تعرف ما حدث.

ـ آيك.. وحق الله، لقد نزلت للتو في مطار نيويورك، فماذا جرى؟

وجاء صوت آيك ثقيلاً كالرصاص:

ـ لقد دفنت أماندا أول أمس.

ـ لكنك منذ أسبوع فقط قلت لي إن أمورها تتحسن.

ـ هذا ما ظنناه. بل يوم ماتت، حتى صباح ذلك اليوم، كانت ما تزال في أحسن هيئة لها. لقد وصلت إلى المستشفى في الساعة الحادية عشرة، فوجدتها في سريرها، متبرجة، في قميص نومها الرائع ترسل بطاقات معايدة. كان العلاج قد أعطى مفعوله وقدرت أنني سأخرجها إلى المنزل خلال بضعة أيام. وفجأة أرخت قلم الحبر من يدها وانقلبت عيناها. جريت إلى الباب. ناديت الممرضات والأطباء. وفي بضع ثوان امتلأت الغرفة بالناس. أعطاها الطبيب حقنة فاستلقت إلى الوراء نائمة. وانتظرت هناك ثلاث ساعات على أمل أن تفتح عينيها. وعندما فتحت عينيها ورأتني ابتسمت ابتسامة ضعيفة. فأخذتها بين ذراعي قائلاً كل شيء سيجري على ما يرام حينذاك رمقتني بنظرة من عينيها اللتين كانتا قد انقلبتا من جديد ثم قالت:

ـ آيك، إنني أعلم، إنني أعلم!

وقطع آيك كلامه. فسأل روبن:

ـ تعلم ماذا يا آيك؟

ـ أوه! ياالله!! كيف يمكن تقدير ذلك؟ أظنها تعلم أن ميتها قد حانت.

رننت الجرس، فجاءت الممرضة مع الإبرة لكن أماندا صدتها، وتعلقت بي كما لو أنها أدركت أنه لم يبق لها إلا القليل من الوقت، ثم تأملتني قائلة: «روبن، اعتن بسلجر، أرجوك يا روبن» بعدئذ غابت عن الوعي، فقالت لي الممرضة: «لم تعد تعلم ما تقول، لعلها تحسب نفسها في الماضي» ثم استعادت وعيها بعد ساعة، وابتسامتها الجميلة تلك تكسو وجهها. وأخذت يدي. أوه! روبن! إنني أرى من جديد تينك العينين المرتاعتين الكثيفتين، ثم قالت لي: «أحبك أنت» ثم أطبقت عينيها ولم تستعد وعيها بعد ذاك. فقد ماتت بعد ساعة:

ـ آيك، لقد كانت كلماتها الأخيرة لك. ولا بد أن هذا يخفف من ألمك.

ـ لو قالت لي «آيك، أحبك» فقط لكان هذا شيئاً كاملاً، لكنها لم تقل ذلك لي. لقد قالت «أحبك أنت، أحبك أنت» كما لو أنها تحاول إقناعي بأنني أنا من تحبه ولست أنت. وهذا يعطيك مثلاً آخر عن رقتها وشجاعتها. لقد أحست بالنهاية وأرادت أن تترك لي شيئاً إيجابياً أتعلق به.

ـ آيك، لا يغيظنك هذا. فهي لم تكن تعلم ما تقول.

ـ أجل... قل، أنت لا تشعر بالضيق لأنني احتفظت بالقط.

ـ القط؟

ـ إنه يعود لك بحق ملكيته. ثم، واعية أم غير واعية، لم توصني بالعناية بسلجر، وإنني أحترم رغباتها حتى النهاية. لكن بودي أن أحتفظ بالقط... إذ يخيل إلي كأن شيئاً منها بقي لي.

ـ أوه! عجباً! بالتأكيد إنه يخصك. القط هذا.

ـ إنني أنام معه كل ليلة. وهو يشعر أن ثمة خللاً ما بل نبدو كلانا وكأننا روحان ضائعتان.

ـ آيك، قدم صحن حليب للقط ونم مع شقراء.

ـ روبن، أنا حالياً أعمل في إخراج فيلم حربي. ولا يوجد فيه امرأة واحدة. لا أحد سوى عشرين رجلاً يشبهون جون واين جميعاً. أخيراً! ما حدث أمر لا مناص منه! عيد ميلاد سعيد يا روبن!.

ـ شكراً، عيد ميلاد سعيد يا آيك.

وعلق السماعة ثم ارتد في مقعده إلى الوراء. أماندا ماتت.... شيء لا يصدق... ولم تكن تحب آيك. يا للفتى المسكين، أي عيد ميلاد تعيس سيقضيه!.

حلول عيد الميلاد لم يكن، بالنسبة له هو الآخر، شيئاً ساراً. وفجأة، شعر برغبة شديدة في أن يقضي عيد الميلاد مع كائن يحبه. من كان لديه؟ أمه؟ أخته؟ كانت كيتي في روما. أما ليزا... فلم يرها منذ زمن سحيق. بل لم يكن يعرف شكل أطفالها. وطلب سان فرانسيسكو.

فبدت ليزا مندهشة بحق:

ـ روبن، أنا لا أصدق هذا! أنت! إن كنت أنت فعلاً فلا بد من أنك ستتزوج.

ـ عزيزتي ليزا، خلال أسبوع سيأتي عيد الميلاد والغريب أنني أصبحت أفكر بعائلتي. لاسيما في هذا الوقت من السنة. كيف العجوز الهمام «صاحب شعر الفرشاة».

ـ دائماً مسرح الشعر بالفرشاة لكنه أروع زوج في العالم. روبن، لقد كنت منزعجة منك. فقد جئت آلاف المرات إلى لوس أنجلوس

ومع ذلك لم تتصل بنا مرة واحدة رغم أنه لا يوجد إلا سفر ساعة بالطائرة. كات وديكي سيفتنان برؤيتك. ولقد أمسكتنا في اللحظة التي كنا سنغادر بها. خلال ساعة سنكون في طريقنا إلى بالم سبرنج. لقد أصبحنا مفتونين بالتنس، وسنذهب لقضاء العطلة هناك مع عائلة ديك. متى سنراك؟

ـ أول مرة أذهب إلى لوس أنجلسو، هذا وعد وأقسم عليه. (صم صمت لحظة) كيف حال كيتي الرائعة؟

فلم تجب على الفور، ثم قالت أخيراً:

ـ روبن، لماذا تدعوها دائماً هكذا؟

ـ لا أدري. ربما منذ مات العجوز.

ـ والدي، تقصد؟

ـ هيا، ليزا: كيف حال كيتي؟

وشرع يضحك:

ـ طيب. ماذا تصنع أمي في هذا الوقت؟ هل تحبين هذا الأسلوب أكثر؟

ـ لقد كانت أماً طيبة معك يا روبن.

ـ لم أقل العكس. وإنني لسعيد بأنها تقضي وقتاً طيباً الآن، ترى كيف حالها؟

ـ ليست حسنة تماماً، فهي تعاني مما يسمونه التضيق الإكليلي.. ومن نوبات قلبية صغيرة. لقد بقيت شهراً في المستشفى ثم تحسنت لكن الطبيب ينصحها بألا تزعج نفسها. وهي ولا بد تتحمل دائماً ضغوط ابنة الثلاثين. لقد انتهت منذ وقت قليل من تأثيث بيت كبير في روما. وبالطبع لديها صديق جديد عمره اثنان وعشرون سنة، وأظنه

لعنة حقيقية. هي تقول أنه يقوم بشؤون المطبخ ويعتني بها قليلاً وإنه يعبدها. وهي تنفق عليه مرتباً ضخماً، هل تقبل هذا، أنت؟.

ـ بل أجده رائعاً. فماذا ترغبين أنت؟ أن تأخذ معها عجوزاً مصاباً بمرض المفاصل يتذمر دون توقف؟ إنني مثل كيتي، أحب الشباب والجمال.

ـ أنت لا ترغب أبداً في أن يكون لك منزل وأولاد؟

ـ أوه! لا! وسوف أقول لك شيئاً، أعتقد أن كيتي الرائعة لم تكن هي الأخرى ترغب في ذلك. لقد أنجبتنا لأنها وجدت نفسها هكذا.

ـ لا تقل شيئاً كهذا، احتجت بلهجة شديدة.

ـ هيا إذن يا ليزا! لقد كان لدينا مربية دائماً، لديك أنت على الأقل، وإنني لأتذكر حتى اليوم كيف كانت ترتعش عندما كان يتوجب عليها أن تحملك. لكن لا أتذكر أنها حملتني بين ذراعيها وأنا صغير. كما أعتقد أننا جئنا، أنا وأنت، كجزء من الديكور: صبي وبنت يكملان المنزل.

ـ لقد كانت تعبد الأطفال، صرخت ليزا، وكانت ترغب في أن تملك الكثير منهم رغم أنها كانت قد يئست تقريباً عندما جئت أنا إلى هذا العالم.

ـ هذا يثبت صغر المكان الذي كانت فيه امرأة! قال روبن بصوت خفيف.

ـ كلا، إنك تخدع نفسك. فأنا أصغر منك ببضع سنوات. وكانت هي تريد بيتاً مليئاً بالأطفال وكادت تموت حين وضعتني، وبعدي، أسقطت ثلاث مرات.

ـ كيف حصل إذن أني لا أعرف شيئاً عن هذا كله؟

ـ أنا نفسي لم أكن أعرف شيئاً عنه. بعد موت الوالد بسنة جاءت تقضي بضعة أيام لدي. حينذاك كنت حاملاً بكات في الشهر الثالث. فقالت لي: لا تنجبي طفلاً واحداً يا ليزا بل ولا حتى اثنين. املئي بيتك بالأطفال. فلدي الكثير من المال أتركه لك، أنت وروبن كلاكما تستطيعان إنجاب الكثير من الأولاد فليس في الحياة ما يثير الاهتمام سواهم. بعد ذلك روت لي الكثير من الأشياء. لقد أردتها أن تقيم لدينا وتعيش معنا لكنها رفضت رفضاً له مسوّغاته. لقد قالت إن لي زوجي وحياتي الخاصة، وهي لا بد لها حياتها الخاصة. وكانت قد صممت على أن تعيش في أوروبا.

ـ أعتقد أن الفتيات أقرب دائماً إلى أمهاتهن، قال روبن بصوت منخفض.

ـ ليس لي هذا الرأي لكنني أعرف أن الأطفال شيء مهم في الحياة. أمي تعرف هذا، وأريدك أن تعرفه أنت أيضاً.

ـ حسناً، استمتعي تماماً بوقتك في بالم سبرنج، وعيد ميلاد سعيد.

ـ وأنت؟ أفترض أنك ستذهب للتنزه محاطاً بخلية من الشقراوات. أرح نفسك يا روبن وأرجو لك عيداً سعيداً.

ثم أغلقت الخط.

مرر روبن يده في شعره مرتبكاً حائراً. كان أمامه عطلة بكاملها. فكرة برنامج خاص حول الصحون الطائرة كانت قد تشكلت في ذهنه، لكنه كان يعلم أنه لا يستطيع تنفيذ شيء منها قبل أول كانون الثاني. وعليه أن يقضي عطلة عيد الميلاد. بإمكانه أن يذهب إلى لوس أنجلوس وأن يحاول إخراج آيك من محنته، لكن فكرة الجلوس لحل عقد الإحباط لدى آيك واجترار ذكريات أماندا جردته من كل شجاعته.

اتصل بعارضة أزياء كان قد أعطاها موعداً. إلا أنه لم يجدها، لقد رحلت لقضاء العطلة، جرب أن يجد مضيفة الطيران، فوجد أنها ستطير بعد ساعتين إلا أن زميلتها كانت حرة، وهكذا رتب معها موعداً بعد ساعتين يلتقيان في مطعم اللانسر. كانت فتاة صغيرة الجسم، غضة ساحرة أخذا عدة كؤوس معاً، مصراً هو على تناول البيرة، عارضاً عليها أن تتناول الشرحات.

وحين غادرا، كانت ترغب من كل قلبها أن تصحبه إلى شقته لكنه وضعها أمام منزلها، ثم سار مشواراً طويلاً على قدميه، حيث تفرج على برنامج من برامج علب الليل ثم نام. في الساعة الرابعة صباحاً استيقظ وهو يسبح بالعرق. عاجزاً عن تذكر أي شيء. انطباعه الوحيد أنه كان يعاني كابوساً أثناء النوم، فأشعل سيجارة. الساعة الرابعة صباحاً هنا، إنها العاشرة في روما. فطلب الرقم. كان الصوت الذي أجاب مذكراً وكان يتكلم إنكليزية متميزة تماماً.

ـ السيدة ستون من فضلك! طلب روبن.

ـ آسف، إنها نائمة. هل تريد أن تترك لها رسالة؟

ـ من أنت؟

ـ هل أستطيع بدوري أن أطرح عليك السؤال نفسه؟

ـ إنني ابنها روبن ستون. والآن هل يمكنك أن تقول لي من أنت؟

ـ أوه! (وأصبح الصوت دافئاً) لقد سمعت كلاماً كثيراً عنك. إنني سرجيو. الصديق الحميم للسيدة ستون.

ـ اسمع، أيها الصديق الحميم. إنني أطير في الطائرة الأولى إلى روما، وفي نيّتي أن أقضي عطلة عيد الميلاد مع أمي. فكيف ترى حالها؟

ـ إنها على ما يرام. لكنها ستكون على خير ما يرام حين تسمع بهذا الخبر.

فاحتفظ روبن بشيء من البرود في صوته. لقد كان لديه مثال عن السحر الذي يمكن لبائعي الهوى هؤلاء أن يبسطوه. لم العجب إذن أن كثيراً من النساء يتركن أنفسهن لهم؟ فهذا السحر يفعل فعلاً مباشرا حتى في الهاتف.

ـ اسمع، أيها الصديق الممتاز. بإمكانك أن توفر علي أجرة برقية، إذا ما حجزت لي غرفة في الإكسليور.

ـ أنا لا أفهم.

ـ في الإكسليور فندق «فيافينيتو» الكبير.

ـ أنا أعرف الفندق تماماً، لكن لماذا تذهب إلى هناك؟ أمك تعيش في قصر كبير مؤلف من عشر غرف، وسيؤذيها كثيراً أن تراك تنزل في فندق.

ـ عشر غرف!

ـ إنها فيللا جميلة، توفر لها الراحة تماماً.

وفكر روبن بأن يقول له «إنها فيللا حيث لدى سرجيو الشاب مطلق الحرية في استقبال رفاقه الصغار، وإنني لأراهن» لكنه صمت، فاستأنف سرجيو:

ـ إن حددت لنا برقياً ساعة وصولك فسأذهب لاستقبالك.

ـ هذا ليس ضرورياً.

ـ لكنني سأفعل ذلك بكل سرور.

ـ حسناً، يا صديقي. يبدو أنك لا تريد أن يكون المال الذي تكسبه حراماً.

ـ إنني أنتظر رؤيتك بفارغ الصبر.

حطت الطائرة في الساعة الحادية عشرة حسب توقيت روما. فجأة شعر روبن بالسعادة لفارق التوقيت فسيكون بإمكانه أن يقول لكيتي مساء الخير ثم يذهب ويستلقي في سريره حالاً. كان يفضل أن ينزل في الفندق فهو لا يحب أن يكون ضيفاً حتى في منزل أمه. لكن قصراً في روما مع سرجيو ليس له علاقة أبداً بذلك البناء من الحجر الأسمر غير المتماسك الذي كان هو وليزا يتقاسمانه مع كيتي في بوسطون كما كان متأكداً من أن سرجيو لا يشبه أباه في شيء.

رأى روبن الفتى الجميل الذي يرتدي بنطالاً من جلد الغزال منذ اللحظة التي خرج فيها من الطائرة وعندما اجتمعا عند البوابة، أسرع هذا إليه ثم وقف أمامه محاولاً أن يأخذ منه متاعه. لكن روبن صده:

ـ أيها الشاب، أنا لست هرماً بعد.

ـ أدعى سرجيو، فهل تسمح لي بمناداتك باسمك؟

ـ ولم لا؟

ثم سارا باتجاه مركز استلام المتاع. كان الفتى يتمتع بجمال استثنائي، وكانت هيئته أفضل حتى من هيئة كثير من نجوم السينما الأوائل. هيئة كانت لدنة خفيفة، ولم يكن يهز ردفيه. كما كان يتمتع، إضافة للجمال والنبرة، بسلوك مريح، حي ومليء بالحماسة، دون أن يشوبه شيء من الخسة. ابن الحرام هذا كان يتصرف كما لو أنه مسرور حقاً بالتعرف إليه.

وسرعان ما تدبر أمر المتاع كالشيطان. فما رطن به بالإيطالية جعله يتخلص فجأة وبسرعة كبيرة لقد ختم قسم الهجرة جواز سفره، وبينما كان المسافرون الآخرون يزحم بعضهم بعضاً كي يجدوا حقائبهم اكتفى سرجيو بعرض بضع ليرات وخلال أقل من دقيقة كان عتال معه مقوس الظهر قد حمل له متاعه وكدسه في سيارة جاكوار

حمراء طويلة. بقي روبن صامتاً طوال الفترة التي كانت السيارة تشق بها طريقها على طول شارع حديث باتجاه الفيلا، لكنه أخيراً قال:

ـ سيارة جميلة.

ـ إنها ملك أمك.

ـ إذن فأنا متأكد أنها تقود بسرعة كبيرة دائماً، مازحه روبن.

ـ لا، أنا من يقود. فقد كان لديها سيارة روليز كبيرة مع سائق، (ورفع سرجيو عينيه إلى السماء) كان بالأساس يعمل في محطات الخدمة، وقد نهب من أمك الكثير من المال. أما الآن فأنا من يعنى بالسيارة.

ـ وهل وجدت أنت محطة خدمة بسعر منخفض؟

ـ بسعر منخفض؟

ـ لننس! هذا يا سرجيو، كيف أمي؟

ـ أعتقد أنها أفضل صحياً مما كانت منذ زمن طويل. مجيئك يجعلها سعيدة حقاً. وقد خططنا لإقامة احتفال بمناسبة عيد الميلاد على شرفك. أمك تحب الاحتفالات وأظن أن هذا مناسب كثيراً فهو يجبرها على أن تلبس وفق آخر طراز، وعندما تلبس المرأة وتتجمل تشعر بأنها على ما يرام. أرخى روبن نفسه في مقعده وتأمل سرجيو وهو يمر بين السيارات الصغيرة الصاخبة عبر حركة المرور المزدحمة في قلب المدينة، وشيئاً فشيئاً بلغا منطقة أقل ازدحاماً فأخذا اتجاه شارع أبيا. دخل سرجيو في ممر مهيب محفوف بالأشجار، فأطلق روبن صفرة:

ـ هذا قصر نيرون الصيفي! كم تبلغ أجرة هذا المنزل؟

ـ ليس هناك من أجرة، قال سرجيو، لقد اشترته كيتي، إنه جميل، أليس كذلك؟

كانت كيتي تنتظره في المدخل المرمري فعانقها روبن بكل رقة. لقد بدت له أصغر مما كانت عليه في الماضي بل حتى وجهها كان أملس لا تجاعيد فيه ولعل المرء حين ينظر إليها النظرة الأولى وهي في منامتها المخملية الحمراء يخيل إليه أنها في الثلاثين. قادته أمه إلى صالون ضخم، كانت أرضه من رخام وردي والرسوم الجدارية ترتفع إلى علو كبير.

تملص سرجيو مبتعداً حين كانت كيتي تقود روبن إلى كنبته. أوه روبن أية سعادة أن أراك!

نظر إليها بلطف وفجأة أحس بسعادة غامرة لرؤية أمه. لاحظ روبن بقع الشيخوخة على كفيها اللتين كانتا تتنافران بشكل غير عادي مع الوجه الشاب الخالي من التجاعيد. ومع ذلك فقد بدت فجأة وهي جالسة معه، عجوزاً صغيرة. لقد ظهر أن حجمها قد تضاءل وحتى الوجه الأملس اتخذ هيئة شائخة. وما إن دخل سرجيو حتى أحدث دليلاً على تغير مدهش، فقد انتصبت كيتي وغدا جسمها نشطاً - كبرت بضعة سنتمترات وطغت على وجهها ابتسامة شابة - لقد عادت صبية وهي تأخذ كأس الشمبانيا التي قدمها لها سرجيو.

- هيأت لك كأس فودكا - مارتيني مثلجة. قال سرجيو، فقد قالت لي كيتي إن هذا هو شرابك المفضل. ترى هل أعددته بشكل صحيح؟

جرع روبن جرعة كبيرة. هذا شيء لا يصدق. ابن الزنى! لقد أعده على نحو أفضل من ساقي اللانسر نفسه. ومن جديد اختفى سرجيو وأمسكت كيتي بيدي روبن:

- أنا متعبة قليلاً، لكن غداً سنتكلم عن كل شيء. أوه! سرجيو كم أنت لطيف!

كان الفتى قد عاد بطبق من سرطان البحر البارد، فأخذ روبن قطعة منه بعد أن بللها بقليل من المرق. وفجأة قدر روبن أنه جائع وأن مواهب سرجيو لا تحصى، وراح يتفحص الفتى المنتصب القامة كرقم1، وهو قرب الموقد، متسائلاً عما يمكن أن يفكر به شاب صغير يجد كل ما يبتغيه في متناول يده. إن تكن القضية قضية مال فإن الشبّان الإيطاليين الوارثين الذين يمكن أن يتعلقوا بشخص جميل كهذا لا يعوزهم المال. إذن لماذا يربط نفسه بامرأة عجوز؟ السهولة. فأقل فضل وأصغره يمكن أن يمضي مباشرة إلى قلب امرأة عجوز. عرفانها بالجميل يمكن أن يصل إلى درجة تسمح له بأن يتخذ له صديقاً صغيراً مؤقتاً.

ـ لقد خابرت في الوقت الصحيح، قالت كيتي، إذ كنا قد حجزنا تذاكر الطائرة إلى سويسرا حيث وعدت سرجيو بقضاء عشرة أيام في التزلج.

فترك روبن شيئاً من الدهشة يظهر على وجهه.

ـ لماذا لم تخبرني بأني أفسد عليكم مشروعاً؟

فرفعت يدها:

ـ ليس لهذا أية أهمية بالنسبة لي. فالله يعلم أنني لا أتزلج، لكن سرجيو يستمتع بفكرة الذهاب في هذه الرحلة وهو من قرر التخلي عنها. ذلك أنني عندما استيقظت نقل لي نبأ قدومك وإلغاءه حجزنا لدى الوكالة.

نظر روبن إلى سرجيو فهز الشاب كتفيه.

ـ أعتقد أن الأوكسجين هناك ضئيل بالنسبة لكيتي. ولعل من الأفضل، وقلبها في حالته هذه، ألا تذهب إلى الألب.

ـ كلام أولاد. احتجت كيتي، فالطبيب وافق على ذهابي إلى هناك. لكن الأمور أفضل على هذه الحال. فها هنا يجتمع شملنا معاً ولسوف نقيم احتفالاً كبيراً في ليلة عيد الميلاد. إنني في طريقي لتهيئة لائحة المدعوين. كثيرون سيكونون متغيبين بمناسبة الأعياد لكن كل التعساء الذين سيبقون سوف يحضرون. روبن ستظل معنا حتى ما بعد رأس السنة. لقد تخلينا عن مشروع الذهاب للألب من أجلك ولا يعقل أن تهرب منا قبل رأس السنة.

ـ لكن إن أقم بضعة أيام فقط فسيكون بإمكانكما الذهاب إلى سويسرا.

ـ كلا، لن يكون بإمكاننا إيجاد أمكنة بعد. فمن يود الذهاب إلى هناك عليه أن يحجز قبل شهور.

ـ إذن أنت مجبر على البقاء.

ووضعت كيتي كأسها:

ـ إنها ساعة ذهابي للفراش (فنهض روبن لكنها حركت يدها) لا، لا، الوقت تأخر بالنسبة لي يا عزيزي أما أنت الذي ما تزال على التوقيت الأمريكي، فلن تستطيع النوم (وقبلته قبلة خفيفة. ثم اقترب منها سرجيو وأمسك بذراعها، فرمقته بنظرة عذبة)!

أي غلام رائع يا روبن! لقد جعلني سعيدة حقاً. كان من الممكن أن يكون ولدي (والتفتت نحوه فجأة) ما عمرك يا روبن؟

ـ لقد ضاعفت العشرين في آب الماضي.

ـ أربعون سنة! (وابتسمت) ومع ذلك تبدو شاباً تماماً. لكن بالنسبة لرجل لم يتزوج أبداً فهذه السن ليست زهرة الشباب (وسألته مستفسرة بنظرتها).

ـ لم يحدث أن وجدت من تملك مثل سحرك.

فهزت كتفيها: ـ لا تنتظر أطول! الأطفال، إنهم شيء مهم جداً.

ـ بالتأكيد، وافقها بشكل ماكر، وهذا هو السبب الذي يجعلك بحاجة لسرجيو. فقد كنا فعلاً مصدر راحة كبيرة لك، أنا وليزا.

ـ روبن، الأم لا تحب أبناءها حقاً إلا إن أحبتهم إلى حد يكفي لتركهم وشأنهم فأنا لم أنجب أطفالاً، كي يمنعوا عني العزلة في شيخوختي. بل هم جزء من شبابي، كنز رائع كنت أمتلكه مع أبيك. والآن يتوجب عليهم أن يكون لهم بدورهم شبابهم وأطفالهم. (وتنهدت) كل هاتيك السنوات، هي بالحقيقة سنوات الحياة السعيدة. وإنني أقدرها الآن أكثر وأكثر وأنا أنظر إلى الوراء، فلا تعبر بها عبوراً يا روبن.

بعدئذ تركت الغرفة برفقة سرجيو، وراقبها وهي تختفي صاعدة السلم.

فسكب لنفسه قدح فودكا يملؤه شعور بالتعب لكن دون أي شعور بالرغبة في النوم. ولم يكن لديه ما يقرأه... هذا الشعور الغريب والجديد بالعزلة يزداد في نفسه ويتراكم. تابعت نظرته لفّة الدرج اللولبية. هل كيتي وسيرجيو يمارسان الحب؟ وارتعش . كان الليل عذباً طلق الهواء، فسار بضع خطوات باتجاه المدخنة. ربما كانت هذه كلها من الرخام. وارتعش أيضاً.

ـ لقد أشعلت النار في موقد غرفتك.

ودار على نفسه فرأى سرجيو واقفاً عند أسفل السلم.

ـ لم أتوقعك، قال روبن، يبدو أنك تسير بأقدام من مخمل.

ـ إنني ألبس عن عمد نعلين من كاوتشوك، فغالباً ما تغفو كيتي ولا أريد أن أحدث ضجة تسبب لها أي إزعاج.

فدار روبن من جديد باتجاه المقعد. وجاء سرجيو يجلس بجانبه. ابتعد روبن عنه قليلاً وتأمله.

ـ اسمع سرجيو. لنتفاهم تماماً منذ البداية. استمتع ما طاب لك بأمي أو بأصدقائك لكن لا تحمل في رأسك أية أفكار فيما يتعلق بي.

ـ أربعون سنة؟ إنها سن متأخرة لئلا تكون متزوجاً.

فضحك روبن دون مرح:

ـ أرى أنك فكرت بالأمر، لكنك مخطئ. فأنا أحب الفتيات يا عجوزي. إنني أحبهن إلى حد لا أستطيع معه أن أقيم علاقة مع واحدة فقط. (وأقلقته النظرة اليقظة النذية لتينك العينين البنيتين الغارقتين) لماذا لست في السرير مع كيتي الرائعة؟ لقد دفعت لك لقاء هذا.

ـ إنني معها لأنني أحبها.

ـ إي.. وأنا أحبها أيضاً، لكنني تركتها عندما كنت في سنك رغم أنها كانت أكثر شباباً وأكثر جمالاً.

فابتسم سرجيو:

ـ لكنها ليست أمي. وهنالك حب بيننا لكن ليس ذاك الحب الذي تفكر به. فأمك ليست بحاجة لحب جسدي. إنها بحاجة للعاطفة، لأن ترى شخصاً ما بقربها. إنني أتعلق بها. وسأبقى دائماً طيباً معها.

ـ مفهوم، سرجي، وافق روبن بصوت دافئ.

وأعاد النظر بالرأي الذي كان قد شكله حول هذا الغلام. إذ شعر بنوع من العرفان بالجميل يتصاعد في نفسه تجاه سرجيو.

ـ حدثني عن شغلك في الولايات المتحدة، سأل هذا الأخير.

ـ لا يوجد ما يقال. إنني في قسم النشاطات المتلفزة.

ـ ألا تحب عملك؟

فهز روبن كتفيه: لا بأس، إنه عمل على أية حال.

وسكب روبن قليلاً من الفودكا. فهب الفتى على قدميه وقدم له سطل الثلج.

ـ كل الناس مضطرون لأن يعملوا، قال روبن أخيراً.

ـ إننا نعيش في بلاد كاثوليكية حيث لا يوجد طلاق. الفقراء ينجبون الكثير من الأطفال كما أنهم مجبرون على أن يجدوا أعمالاً إضافية يعملون بها وأن يشتغلوا بظروف صعبة حتى أنهم يمارسون أعمالاً تزعجهم. لكن هنا، ليس للرجل الغني عمل وحسب، بل إنه يعمل العمل الذي يختاره. وينتفع من الظروف المحيطة به فالمكاتب والحوانيت كلها تغلق يومياً من الثانية عشرة إلى الثالثة. وهاهنا، يستفيد الرجل الغني من الحياة. عند الغداء يذهب لرؤية عشيقته، وجبته تمتد، يشرب الخمر ويمارس الحب وفي المساء يعود إلى زوجته ويسترخي من جديد. أنتم، الأمريكيين تقومون بالأعمال التي لا تهمكم. قل لي، هل تشرب النبيذ عند الغداء فقط؟

فقهقه روبن ضاحكاً:

ـ لم تخطر لي الفكرة قط.

ـ لماذا؟ أمك ستترك لك ثروة محترمة. فأية حاجة بك لأن تعمل عملاً قاسياً إن كان هذا العمل لا يثيرك أو يهمك؟

ـ بالمناسبة أنا لا أعمل عملاً قاسياً، إنما هو عمل بالتأكيد. لكن سواء أكن عشيقاتنا أو أمهاتنا فإننا لا ننتظر النساء اللواتي يرعيننا.

وراقب روبن رد الفعل لدى سرجيو، لكن التلميح مر دون أن يبلغ هدفه، فلم يتغير التعبير على وجه سرجيو في أية لحظة.

ـ وهل ستعمل طوال حياتك في النشاطات المتلفزة هذه؟ (طرح سرجيو سؤاله باهتمام حقيقي).

ـ بالتأكيد لا. ففي يوم ما سأترك كي أكتب كتاباً.

فلمعت عينا سرجيو ببريق خاص:

ـ إنني أقرأ طوال النهار. كيتي تساعدني في تكملة تعلمي، أنا الذي لم أحصِّل منه إلا القليل. إنني أقرأ.. الوجه الجانبي للتاريخ لويلز ترى هل تكتب بأسلوب السيد ويلز نفسه؟

ـ إنني أكتب بأسلوبي الخاص ـ الشكل الوحيد الممكن بالنسبة لي ـ حسناً كان أم سيئاً. الضجر، هذا هو الذي أدين له بالعمل بين الساعات الضائعة.

ـ برأيي، عليك أن تترك عملك وتأتي كي تعيش معنا. هنا، بإمكانك أن تكتب، وسنكون سعداء تماماً نحن الثلاثة معاً. أرجوك، فهذا سيكون مصدر سرور كبير لكيتي ولي، بل سيسحرني ذلك.

فابتسم روبن:

ـ لقد تجاوزت السن التي أستطيع بها مشاركتك غرفتك يا صديقي.

قضت كيتي الأيام التالية غارقة في الاستعدادات المعقدة لعيد الميلاد، فقد كان لا بد من شراء المؤن والخمر وباقات الأزهار وشجرة عيد الميلاد. وفي كل يوم كانت تعطي روبن وسرجي قائمة وترسلهما كطفلين لشراء محتوياتها. لقد استسلم روبن بكل ارتياح لهذا النشاط. كان سرجيو يقود السيارة ويعرفه على الحوانيت الجيدة كلها. وغالباً ما كانا يضطران للتوقف وتناول الغداء على مهل، بانتظار أن تفتح الحوانيت أبوابها. ووجد روبن نفسه يستمتع بالفراغ الذي يعيشه بل حدث له أن شرب النبيذ. وعلاقاته مع سرجيو باتت مرتاحة. فالفتى عذب طيب. قد شرع يحس تجاهه بعاطفة مماثلة. طرح سرجيو عليه الكثير من الأسئلة حول الولايات المتحدة. كان مهتماً كثيراً بنيويورك، بشيكاغو، لكن هوليود هي التي كانت تسحره بالحقيقة.

لقد كان يعبد مجلات السينما، وكانت المنازل الواقعة على شاطئ البحر والأماكن المترفة تدهشه إلى أبعد حد.

- في روما لا يوجد إلا ثلاثة أو أربعة أشخاص يعيشون على هذا النحو من الروعة. أما في هوليود فكل شخص له مسبحه! وهذه حياة مدهشة. هنا، ليس لي أوهى حظ بالعمل في السينما إذ يوجد الكثير من الناس الذي يشبهونني، لكن في هوليود سيكون الأمر مختلفاً.

- هل تعرف التمثيل؟ سأله روبن.

- هل تظن أن هذا ضروري للعمل في السينما؟ (وكانت نظرته مشحونة بالبراءة) فقد سمعتهم يقولون إن هذا يجري على مراحل صغيرة وأن المخرج يشير عليك بما يتوجب عليك أن تفعله.

- حسناً، الأمر ليس بهذه البساطة تماماً، لكن بإمكانك أن تدرس الفن المسرحي. ولن ترى كيتي في ذلك ما يزعجها.

فهز سرجيو كتفيه:

- ليس هذا إلا حلماً. إنني سعيد مع كيتي يا روبن، وهذه الأيام بالذات هي أسعد أيام حياتي.

في سهرة عيد الميلاد، سحبه سرجيو إلى جواهري في شارع فياستيانا فطفق صاحب المحل، وهو رجل أصلع، يرتجف من التهيج لدى رؤيته سرجيو:

- سرجيو؟ ها أنت ذا قد عدت.

- أريد أن أرى المرآة، قال سرجيو ببرود.

- طبعاً، أيها الغلام الخبيث. لقد قلت إنها ستكون لك، إذا ما رغبت.

وأخذ علبة مجوهرات ثم أخرج منها مرآة فلورنسية صغيرة ساحرة راح سرجيو يتأملها ممتلئاً إعجاباً بها.

ـ بكم هذه؟ سأل روبن،

ـ لقد أعجبت بها كيتي، شرح سرجيو، عندما رأتها قبل شهر. إنها مرآة صالحة لحقيبتها، ولقد حاولت أن أوفر ثمنها لكن وا أسفاه أنا لا أملك إلا نصف المبلغ.

ـ سرجيو، تدخل الرجل مقاطعاً بصوت رقيق، لقد قلت لك، ادفع ما تستطيع أن تدفعه واعتبر البقية هدية أقدمها مني إليك.

إلا أن سرجيو لم يعره أي اهتمام. بل سحب من جيبه بضع أوراق نقدية مطوية:

ـ روبن ـ إنني بحاجة لـ ... لنر... عشرين دولاراً أمريكياً. ترى هل نستطيع أن نقدم سوية هذه الهدية لكيتي؟

فوافق روبن مقدماً المال لصاحب المحل. وبهزة من الكتفين تدل على نوع من الخيبة، اختفى الرجل في الداخل ليغلف الهدية. وجال روبن بنظره في المحل متفرجاً على الحلي المعروضة، فتبعه سرجيو.

ـ لديه أشياء جميلة جداً، إنه هاوي تحف.

ـ يبدو أنه لا يجمع إلا الحلي النفيسة.

فامتلأت عينا سرجيو بنوع من الحزن الساخر:

ـ إنه مشهور بهداياه للغلمان. فابتعد روبن بضع خطا وتبعه سرجيو.

ومتى ستترك كيتي من أجل صديق جديد؟ سأله روبن

ـ لن أتركها. فالأمر في غاية الصعوبة بالنسبة لي، لذا أفضل البقاء معها.

ـ ابق معها، يا سرجيو، وأعدك حين تموت أن أوقف لك معاشاً يؤمن لك حياتك.

فهز سرجيو كتفيه:

ـ ليس المال كل شيء بالنسبة لي (وتوقف) لكن، هل يمكن أن تقدم لي هدية بمناسبة عيد الميلاد هذا كي أحفظها ذكرى منك؟

ووجدا نفسيهما قرب صفيحة عرضت عليها أساور ساعات رجالية مزينة بالماس. وصعد بريق احتراز إلى عيني روبن.

ـ طيب يا صديقي، هل تعجبك هاتان العينان الكبيرتان السوداوان؟

ـ هناك (وقاد سرجيو روبن إلى واجهة عرضت فيها سلاسل عبيد ذهبية) منذ الأزل أرغب بواحدة من هذه السلاسل.

فمنع روبن نفسه من التبسم كانت الواحدة من تلك الأساور تكلف ثمانية عشر دولاراً على الأكثر فأشار له بيده قائلاً:

ـ اختر.

وتملكت الفتى حماسة صبيانية. وأخيراً اختار السوار الأقل ثمناً. سلسلة ذهبية ذات صفيحة صغيرة لتمييز الشخصية.

ـ هل أستطيع أن أنقش اسمي عليها؟ هذا يقتضي بعض التكلفة الإضافية.

فابتسم روبن.

ـ طالما أنت هنا، فامض حتى النهاية، افعل كل ما تريد.

فصفق سرجيو بكفيه. وبينما راح يتكلم مع صاحب المحل بلغة إيطالية سريعة، ذهب روبن إلى واجهة المحل الآخر. وفجأة جذب انتباهه نمر من المينا السوداء، عيناه من الحجر الأخضر تتطلعان خارج علبة المجوهرات، فأومأ بيده للبائع قائلاً:

ـ بكم؟

ـ أربعة آلاف.

ـ لير؟

ـ دولار

ـ من أجل هذا؟

وفي الحال وضع البائع الشاب التحفة على قطعة من المخمل الأبيض:

ـ إنها أجمل حلية موجودة في روما. أمر بصنعها أحد المهراجات عمرها ثلاثمائة عام. وزمردتا عينيها لا تقدران بثمن، ولن يتوجب عليك أن تدفع عليها رسوماً جمركية فهي تحفة أثرية.

تفحص روبن النمر. زمردتا عينيه الصغيرتان تماماً بلون.... ودار على نفسه. بعدئذ، وقد غير رأيه بسرعة كبيرة، قال للرجل أن يلفها له. يا للعجب! لم لا؟ فلا بد من تقدمة شيء حسن لماجي، بعد تلك الليلة إياها! وبينما كان يحرر صكاً من صكات المسافرين، بدا له أنه لم يدفع في حياته مبلغاً كهذا من أجل أي شيء. مع ذلك شعر بالكثير من الراحة ووضع العلبة في جيبه، ثم ذهب يفتش عن سرجيو الذي رفض مغادرة المحل قبل التأكد من أن كتابة النقش على السوار ستكون جاهزة في اليوم نفسه، في ساعة الإغلاق.

لم يكن بإمكان روبن أن يتذكر سهرة عيد ميلاد أكثر مسرة من تلك السهرة. كان الموقد محتدماً، والشجرة تصل السقف، بل إنهم فرقعوا بضع حبات من الذرة لكي يزخرفوا بها شرابة العيد وفي منتصف الليل فتحوا الهدايا. كانت كيتي قد هيأت هديتين للغلامين.، روبن وسرجيو، عبارة عن أزرار أكمام من الماس. وعلى الفور شعر روبن بانزعاج وضيق من مدالية القديس كرستوف الذهبية التي قدمها سرجيو له:

ـ إنها مباركة، شرح هذا له، وهي مناسبة لك نظراً لكثرة أسفارك.

كانت كيتي قد فتنت بهديتها. ورفعت كأسها المترعة بالشمبانيا نخب الاثنين كليهما. وطوال السهرة ظل سرجيو يتأمل السوار الجديد الذي كان يلمع على معصمه.

في اليوم التالي كانت الدار تغص بالضيوف. وقد شرب روبن كثيراً ثم أنهى ليلته في شقة تطل على حدائق قصر بورجيه مع يوغسلافية جميلة كان زوجها في إسبانيا مشغولاً بأعماله. ثم قضيا عصر اليوم التالي في ممارسة الحب بعدئذ عاد إلى قصر أمه مستنفداً إنما في غاية الارتياح.

مر الأسبوع سريعاً، وفي نهايته قاد سرجيو السيارة به إلى المطار.

ـ اتصل بي حين تراها على غير ما يرام، أصر روبن. دعها تجري تحاليل طبية دائماً. فهي لن تقول لك حين تشعر بالمرض، إنها تكره أن تتصرف معك كعجوز ـ لكن ادع الطبيب لدى أدنى شك.

ـ ضع ثقتك بي، يا روبن. (وتقدما باتجاه العارضة. فقد سجل متاع روبن وأعلن عن الرحلة) روبن، ربما عليك أنت أيضاً أن ترى طبيباً.

ـ أنا، إني قوي كثور.

ـ هنالك شيء آخر.

فتوقف روبن فجأة.

ـ أين تريد أن تصل؟

ـ شيء ما يضايقك. لليلتين متتاليتين كنت تصرخ في نومك، وفي الليلة الماضية جريت إلى غرفتك.

ـ ماذا كنت أقول؟

ـ كنت تتخبط في سريرك، ورغم أنك كنت نائماً فقد كان وجهك مكتسياً بتعبير يائس وكنت تمسك بالوسادة وتصرخ: لا تتركيني! أرجوك! أتوسل إليك!

ـ إنه الإفراط في الفودكا، قال روبن.

ثم شد على يد سرجيو وارتقى سلم الطائرة. لكنه ظل يفكر بالأمر طوال الرحلة وكان ما يزال يفكر به حين رأى موظف الجمارك الحلية ورأى أن عليه أن يدفع ضريبة خيالية. إن عاد ورأى ابن الحرام تاجر فياستيانا، ذاك الذي أكد له أن: لا رسوم جمركية! ثم استمر يفكر بالأمر في السيارة التي أوصلته إلى منزله. شيء ما كان يقرع جرس الإنذار في هذه القضية. في أفضل حالات علاقته مع أماندا لم يكن قد قدم لها هدية ثمينة كهذه. وهاهو ذا يجد نفسه مع لعبة صغيرة قيمتها أربعة آلاف دولار سيقدمها إلى فتاة لم تكن تجذبه إلا إذا كان سكران. ربما كان يعاني من الشعور بالإثم لكن أربعة آلاف دولار زائد الضريبة ثمن غال جداً لليلة واحدة، ليلة لا يستطيع حتى تذكرها.

الفصل التاسع عشر

استغرق روبن في العمل مذ عودته إلى نيويورك، واتصل بالقسم القانوني في الإدارة لكي يحرر عقد عمل لآندي بارينو، ثم أرسله إليه مع كلمة صغيرة مثبتاً له عرضه الذي قدمه له كي يشغله في نيويورك. كما أرسل إلى ماجي النمر ذا العينين الزمردتين مع بضع كلمات «عيد ميلاد سعيد متأخر... روبن». بعد ثلاثة أيام طلبه آندي على الهاتف لكي يعلمه بقبوله العرض بحماسة.

ـ هل أنت متأكد من أنك لا تأسف على شيء هناك؟

ـ متأكد وواثق. فالعلاقة بيني وبين ماجي قد صُفيت بشكل كامل.

ـ خسارة.

ـ كلا، فهذا ليس من نصيبنا ـ ... الحقيقة... أنها معقدة كثيراً بالنسبة لي. في هذا الوقت هي مشغولة بالتمثيل، ولا شيء في ذهنها إلا التمثيل. وكيل أعمال من هوليود يريد أن يتعاقد معها لتمثيل مسرحية. وأنا لا بد لي من فتاة أكون أكثر أهمية لديها من أوجين أونيل.

ـ حسن. إذن سألحقك بقسم الأخبار حيث تجد جيم بولت. وستتمكن من تحضير حلقة أو حلقتين من برنامج «من الأعماق» لكي تدخل في الجو. وخلال شهر أو شهرين ستحاول إخراج البرنامج بنفسك. وإنني لآمل أن تحرر هذا البرنامج للفصل القادم أما أنا فسأشغل نفسي بشيء جديد.

ـ لقد راجعت كل ما كتبته ودرسته، ولا أدري إن كان من السهل علي أن أقتفي أثرك.

ـ اعمل بوحي أفكارك.... تمشِ الأمور.

ـ شكراً لك على ثقتك.. سأبذل قصارى جهدي.

في نهاية الأسبوع حين كان روبن قد أنهى كل أعماله المتراكمة وأكمل الحلقة القادمة لبرنامج «من الأعماق» ألقى نظرة على دفتر مواعيده: لديه فراغ بعد الظهر. ففتح درج مكتبه المغلق بالمفتاح وسحب منه مخطوطته، هاهي ذي سنوات مرت، كما خيل له، ولم يمد يده لهذه المخطوطة. حسناً، إذن هذا المساء، سيحملها معه إلى المنزل، سيأخذ فودكا، ويشتغل هناك. فهوِ منذ عودته لم يذهب مرة واحدة إلى «اللانسر».

دخلت أمينة سره بعلبة كان عليه أن يوقع على استلامها. فارتجل توقيعاً كيفما اتفق وتأمل غلاف الورق الكستنائي والأختام العديدة فقدر أنها لا بد شيء ذو قيمة هامة. فتح الغلاف فوجد النمر المصنوع من المينا السوداء في علبته الإيطالية المصنوعة من الجلد. كما وجد معه وريقة مكتوبة على الآلة الكاتبة «أنا لا أقبل هدايا إلا من أصدقائي».

فمزق الوريقة ووضع العلبة في صندوق صغير داخل الحائط حيث كان يضع العقود ويحتفظ بأوراقه الشخصية. ثم أرجع المخطوطة إلى درجه وترك مكتبه. وعندما رأته كارمن، ساقية اللانسر هبت تستقبله بكثير من مظاهر المودة والألفة:

ـ سيد ستون! منذ دهور لم نرك! كالمعتاد؟

ـ بل الضعف كي أحتفل بعودتي، رد روبن.

وعبّ الكأس بسرعة ثم طلب كأساً أخرى. كانت الأمسية تبدو حسنة فقد بدأت الليالي تبدو مرعبة له. كان يحلم أثناء نومه وكان يعرف ذلك لكن دون أن يتذكر أحلامه أبداً. وفي حالات عدة كان

يستيقظ سابحاً بعرقه. لقد أقلقه بصورة خاصة أنه لم يستطع أن يتذكر شيئاً مما حلم به في روما. مع ذلك فقد قال سرجيو إنه سمعه يصرخ في نومه خلال ليلتين متتاليتين، شرب روبن كأسه الثانية ثم طلب الثالثة. فإعادة ماجي الحلية إليه كانت قد أوجعته. لكن لماذا يهتم بالأمر كثيراً؟ إنها لا تشكل شيئاً بالنسبة له. لكن لعل سرجيو كان على صواب حين قال له إنه ليس على ما يرام.

نزل روبن عن كرسيه العالي ثم اجتاز صالة الشرب، وفتح دليل الهاتف. لم لا؟ فلكي يضع نهاية لهذه الأحلام بإمكانه أن يقوم بزيارة للطبيب النفسي، وهكذا بدأ يقلب أوراق الدليل. طبعاً كان هنالك الكثير من أسماء «جولد» لكنه لم يكن يريد إلا أرشيبا لجولد. ووجده روبن أخيراً مع العنوان:

شارع الحديقة. فتردد ثانية ثم أغلق الدليل. ورد الطبيب أرشي جولد في الرنة الثانية: ـ روبن ستون على الخط.

ـ نعم

ـ أريد أن أراك.

ـ بشكل شخصي أم مهني؟

ساد الصمت ثم أجاب روبن:

ـ مهني، بدون شك.

ـ أيمكنك أن تطلبني الساعة السادسة؟ لدي زبون في العيادة.

فعلق روبن السماعة وعاد إلى المشرب أنهى كأسه الثالثة ثم عاد واتصل من جديد بآرشي في تمام الساعة السادسة.

ـ إذن دكتور؟ متى أستطيع أن أراك؟

وسمع حفيف أوراق تقلب فأدرك أن الطبيب يستشير دفتر مواعيده.

ـ لدي بضع ساعات فارغة. قال آرشي. عـدد مـن زبـائني ذهبـوا لقضاء الشتاء في الجنوب ما رأيـك بيـوم الاثـنين القـادم! بإمكـاني أن أستقبلك الساعة العاشرة، وسنبدأ بثلاث جلسات أسبوعياً.

فأطلق روبن ضحكة جوفاء:

ـ لست بحاجة لكثير من اللعـب، بـل إن مقابلـة واحـدة تكفـي. والحقيقة، أنني أريد أن أحدثك عن مشكلة محـددة جـداً. فتعـال إذن نتناول كأساً في اللانسر وسأدفع لك الشراب وأجـرة المقابلـة كمـا لـو أنني ذهبت إلى عيادتك.

ـ أنا لا أشتغل في الخمارات.

ـ لكنني أتحدث على نحو أفضل وأنا أشرب.

ـ أما أنا فإنني أستمع على نحو أفضل وأنا في عيادتي.

ـ إذن، هذا أسوأ بكثير، فانسني.

ـ آسف، وإن غيرت رأيك فإنك تعرف رقم هاتفي.

ـ أية ساعة، آخر موعد لديك هذا المساء؟

ـ آخر زبون لدي يجب أن يصل خلال ثانية.

ـ إذن ستكون فارغاً الساعة السابعة؟

ـ نعم، لكن لكي أعود إلى منزلي.

ـ آرشي... سأذهب إلى عيادتك إذا استقبلتني هذا المساء بالذات.

إلا أن لهجـة روبـن اللامباليـة لم تخـدع الطبيـب جولـد، إذ أن مكالمة هاتفية بسيطة من رجل مثل روبن كانت تـوازي إشـارة اسـتغاثة من مركب مهدد بالغرق.

ـ طيب، روبن. الساعة السابعة، هل لديك عنواني؟

ـ أجل لكن اسمع آرشي، كلمة واحدة عن هذه القضية تفلت منك لصديقك جيري وسأحطم رأسك ألف قطعة.

ـ أنا لا أتكلم أبداً عن زبائني، فهذا هو سر المهنة. وإذا كان لديك أدنى شك بالأمر فمن الأفضل أن ترى سواي. وبإمكاني أن أنصحك بعدة أطباء ممتازين.

ـ لا، آرشي. إنك أنت من احتاجه. سأكون لديك الساعة السابعة.

وها هوذا الآن جالس قبالة الطبيب آرشي. سخف الموقف صدمه. فهو لم يكن قد ائتمن أحداً على سره، إذن كيف يعترف بما يضايقه لهذا الغريب ذي الوجه الوديع؟

كان الطبيب معتاداً على هذا الصمت الأول فابتسم قائلاً:

ـ يبدو أحياناً أن من الأسهل على الإنسان أن يدخل في بحث المسائل الشخصية مع شخص لا يعرفه. وهذا هو السبب الذي يتيح للسقاة والساقيات في المشارب أن يتسارعوا مع الزبائن. من وجهات نظر عديدة، يلتقي الطبيب النفسي والساقي بكثير من المزايا. فنحن دائماً في مركز عملنا جاهزون تحت الطلب، عندما يرغب الزبون برؤيتنا فإنه يعرف أين يجدنا. وهو لا يقابلنا في كل لحظة من لحظات حياته اليومية.

ـ فهمت ما تريد قوله. أيده روبن. حسناً، لنبدأ إذن. إنها قضية بسيطة تماماً، تتعلق بامرأة (وصمت لحظة) أنا لا أستطيع الامتناع عن التفكير بها... رغم أنني لست مغرماً بها مطلقاً، وهنا وجه الغرابة.

ـ هل قولك أنك لست مغرماً بها يعني أنها تزعجك؟

ـ لا، بل هي تعجبني، وتعجبني كثيراً، لكن في السرير لا يحدث لي شيء معها.

ـ هل حاولت يا ترى؟

فهز روبن كتفيه:

ـ لقد كنت ثملاً إلى حد لم أتأكد معه من أي شيء، بل يبدو لي أنني في مرتين مختلفتين كنت على ما يرام.

ـ إذن، لماذا تقول إنه لم يحدث لك شيء معها؟

فأشغل روبن سيجارة ثم زفر دخانه بتمهل:

ـ حسناً، هذا هو الأمر. المرة الأولى كانت قد غادرت، عندما استيقظت في الصباح التالي ولم أتذكر شيئاً عنها: لا وجهها ولا حتى اسمها. ما كنت أعرفه فقط هو أنها سمراء ذات نهدين كبيرين، ولدى عودتي للتفكير بها أزعجني شيء ما. لم أكن أتذكر شيئاً كما قلت لك، لكن كان لدي انطباع بأنني فعلت أو قلت شيئاً لم يكن علي أن أفعله أو أقوله. ومما زاد الحالة سوءاً إنني وجدت نفسي بعد سنتين وجهاً لوجه مع الفتاة الجميلة إياها ووجدتني أتصرف معها دون أن أتذكر مطلقاً أنني قابلتها من قبل. في هذه المرة، كانت صاحبة أحد أصدقائي ووجدتها جميلة، رقيقة العاطفة، لكنها كانت معه. وهذا أراحني تماماً لأن هذه الفتاة كما قلت لك، لم تكن النموذج الذي أحبه. وخرجنا أنا وهي وصديقي معاً سهرات عدة، ثم ذهبت في رحلة لصيد السمك وحيداً كلياً. وفي اليوم الأخير، خرجنا نحن الثلاثة جميعاً، ومرت السهرة على نحو حسن. شربنا بها، بل شربنا كثيراً وسكرنا، زميلي نفسه سكر حتى فقد الوعي ووجدت نفسي وحيداً مع الفتاة. بعد ذلك لا أتذكر شيئاً عن تلك الليلة. لكنني في اليوم التالي استيقظت لأجد نفسي في سريرها. وكان علي أن أنسحب حفظاً لشرفي، إذ كانت وهي تعد الإفطار تغازلني بكلمات حب صغيرة.

ـ ما هي العاطفة التي أحسست بها تجاهها؟ سأله الطبيب جولد.

فارتعش روبن:

ـ تقريباً هكذا، لدى استيقاظي وجدت نفسي مع نموذج، مع امرأة.. شخص ما لم يكن يليق بي أن أنام معه. لكن لأنها كانت تعجبني فقد وضعتها في ضبابة عطر. (وسحق روبن سيجارته) ثم صارحتها قلت لها الحقيقة بكل صدق: فأنا أجدها ساحرة لكن فكرة ممارسة الحب معها توحي لي بالنفور، كما يخيل إلي أنني سأكون عاجزاً معها.

ـ هل النفور من مكانها؟

ـ لا، النفور من فكرة ممارسة الحب معها، كما لو كان ذلك شيئاً يدعو للاشمئزاز، نوعاً من ارتكاب المحرمات، بالرغم من أنها تعجبني. بل ربما تعجبني أكثر من كل الفتيات الأخريات اللواتي أعرفهن. لكنها جسدياً لا تجذبني.

ـ وهل يخطر في بالك أن تنام معها؟ أو لنقل بالأحرى هل ترغب في أن تخلص نفسك من هذه العقدة لتقيم علاقة عادية معها؟

ـ أنت مخطئ ثانية. فأنا لا أبالي إن لم أرها مرة ثانية قط، لكنني لا أحب المناطق المظلمة داخل نفسي. إنها جميلة، هذه الفتاة ـ إذن، لماذا تترك في نفسي هذا الأثر؟ عدا عن ذلك فقد حصل لي هذا في مناسبات عدة، لكن دائماً مع سمراوات. الفارق الوحيد أنهن لسن من طبقتها نفسها هي، وإنني لحسن الحظ لم أرهن ثانية أبداً. فمغامرتي مع ماجي لم تكن إلا صدفة وحينما كنت ثملاً تماماً.

ـ صدفة؟ هل شربت شيئاً استثنائياً، مشروباً، على سبيل المثال، غير معتاد عليه؟

ـ كلا، بل شربت فودكا وهي مشروبي الدائم.

ـ تلك الليلة، هل تحققت من أنك طلبت شراباً أكثر مما تطلب غالباً؟

ـ أظن نعم.

ـ لنعد إلى مقابلتك الأولى مع هذه الفتاة، قبل سنتين. هل كنت ثملاً في اللحظة التي قابلتها بها؟

ـ لا، بل كنت أشرب.

ـ وهل تابعت الشراب عن قصد؟

ـ عن قصد؟

فابتسم الطبيب جولد:

ـ يمكن القول أنك لست ممن يتجاوزون الحدود بشكل غير إرادي.

وبدا روبن تائه الأفكار، ثم قال:

ـ حسب رأيك. كنت أشتهي هذه الفتاة في اللاشعور وقد سكرت عن قصد كي أحقق أهدافي؟

لكن الطبيب جولد لم يجب فهز روبن رأسه:

ـ هذا ليس صحيحاً، فهذا النوع من النساء لا يثيرني. إذن لماذا أرغب في النوم معها؟ وسواء أكنت ثملاً أو صاحياً فهي ليست نموذجي من النساء.

ـ ما هو نموذجك؟

ـ الفتيات الرشيقات النحيلات الشقراوات. إنني أحب رائحة الشعر الأشقر. وماجي لا تشبه هذا في شيء بل تبدو حارة مثل قطة برية.

ـ هل عشقت من قبل؟

فهز روبن كتفيه:

- لقد ارتبطت بفتيات عدة، لا شك، لكنني كنت دائماً أتخلص بسهولة كبيرة. اسمع آرشي. أنا لست شاذاً أو لواطياً. وهناك الكثير مثلي: أناس جنسيون ببساطة. إنهم يحبون ما يجري في السرير لكن لا يقعون في الحب. لنأخذ أماندا على سبيل المثال. لقد كانت فتاة رائعة وكانت علاقتنا تبدو لي مدهشة مع ذلك فإنني بعد ما قاله لي جيري، أسأت لها كثيراً، إنما دون أن أهتم بالأمر. ولقد قطعت علاقتي بها لأنها حاولت التهامي. شيء آخر، الحقيقة أنني لم أقطع علاقتي بها كلياً، بل باعدت بين لقاءاتنا، لكن لم تكن لدي أية فكرة حول معاناتها الدائمة بسببي.

- حقاً لم تكن لديك فكرة؟

- أجل، فقد حدث لي مثلاً أن ذهبت إلى أوروبا كي أسجل برنامجاً هناك دون أن أكتب لها وبدا لي أنها كانت تفهمني وأنه لدى عودتي سيعود كل شيء كما كان وكان هذا في الحقيقة صحيحاً فعند عودتي لم تكن لدي إلا رغبة واحدة: أن أجد نفسي معها بين ملاءتين. وكان هذا رائعاً.

- مع ذلك، هل لديك شعور بأنك جعلت ماجي تعاني؟

- أجل، وافق روبن.

- لماذا لم تشعر أنك أسأت لأماندا التي كنت تشتهيها حقاً بينما يقلقك إلى حد كبير هذا الشعور تجاه ماجي التي لا تثير اهتمامك؟

- هذا بالضبط ما يقلقني، ومن أجل هذا جئت إليك. وعليك أنت أن تقول لي السر؟

- حدثني عن أمك. كيف كانت؟

ـ بحق الله، وفر علي زعبرات السيد فرويد. لقد عشت طفولة سعيدة وسليمة. فكيتي شقراء عذبة، جميلة... (وصمت)

ـ وأبوك؟

ـ نموذج معتبر تماماً، قوي كله عضل. كما كانت لي أخت صغيرة لطيفة. كل شيء كان فتيا وخالصاً في طفولتي. إننا نضيع وقتنا.

ـ طيب إذن... أم، أب، أخت، علاقات كلها عادية. إذن دعنا نبحث عن السمراء الغامضة. مربية؟ معلمة مدرسة؟

ـ معلمتي الأولى كانت حدباء. وشعوري نحوها شعور ابن نحو أمه، مربيتي... لا بد أنه كان لي مربية لكنني لا أذكر شيئاً عنها. لقد كان هنالك كثير من الخدم.. سائق كان يوصلني إلى المدرسة ويعود بي. وعندما ولدت أختي ليزا، جيء لنا بمربية إلى المنزل، عجوز ذات شعر أشيب.

ـ ألم تكن هناك منافسة بينك وبين أختك؟

ـ أبداً. فقد كنت الأخ الكبير الحامي. وهي نموذج مصغر عن أمي: شقراء بيضاء وردية.

ـ روبن، هل تشبه كيتي؟

فقطب روبن حاجبيه:

ـ لي عيناها الزرقاوان، لكن شعري أجعد كشعر أبي، وإن كان في طريقه لأن يشيب بسرعة مضحكة.

ـ لنعد كلياً إلى البداية، قبل ولادة ليزا. ما هي أبعد ذكرى لك؟

ـ ذكرى معلمة الحضانة.

ـ وقبلها؟

ـ لا شيء.

ـ لكن لا بد من أن تتذكر شيئاً ما. فالناس كلّهم يتذكرون شيئاً ما من طفولتهم المبكرة يحملون ذكرى فرح، كارثة، حيوان مفضل، رفيق لعب (فهز روبن رأسه) حديث، صلاة؟

فطقطق روبن أصابعه:

ـ أجل، أتذكر شيئاً ما. إنه حديث لكن لم يبق في ذهني منه إلا عبارة واحدة لا أعرف صاحبها: «الرجال لا يبكون. وإذا بكيت فأنت لست رجلاً بل طفل صغير». الإله وحده يعلم لماذا بقيت هذه العبارة منقوشة في ذهني. وإنني أؤمن بها إيماناً أصلب من الحديد. لقد كنت مقتنعاً دائماً بأنني إن لم أبك أحصل على ما أرغب. ولقد نسيت من قالها، لكنها أثرت بي إلى حد كبير ولا شك، فأنا، منذ ذلك الحين، لم أبك أبداً.

ـ لم تبك أبداً؟

ـ أبداً، بمقدار ما أتذكر (وابتسم). يحدث لي أحياناً أن أشعر بغصة في حلقي وأنا في السينما، لكن في حياتي الشخصية، أبداً.

فنظر الطبيب إلى ساعته.

ـ الساعة الثامنة إلا خمس دقائق. هل ترغب في أن تأخذ موعداً ليوم الاثنين القادم؟ خمسة وثلاثون دولاراً للساعة، هذه هي تسعيرتي.

فظهر على وجه روبن تعبير من عدم التصديق.

ـ لا بد أنك فاسد قليلاً. لقد قضيت قرابة الساعة في الحديث عن فتاة تستبد بي، ولم نخرج بأي قرار ثم تريدني أن أعود؟

ـ روبن، ليس أمراً عادياً ألا يتذكر المرء شيئاً عن طفولته المبكرة.

ـ لكن سن الخامسة ليست بالسن الكبيرة جداً.

ـ لا ، لكن يجب أن تكون قادراً على تذكر حادثة ما ، أية حادثة ، وقعت قبل ذلك التاريخ وإلا...

ـ وإلا ماذا؟

ـ وإلا كانت عملية نسيان إرادي.

فانحنى روبن فوق طاولة المكتب.

ـ آرشي أقسم لك إنني لم أخفِ عنك شيئاً. ربما كانت ذاكرتي سيئة ، أو ربما لم يحدث شيء يستحق التذكر؟

فهز آرشي رأسه:

ـ عندما يتلقى المرء صدمة عاطفية عنيفة غالباً ما يصاب المخ بفقدان ذاكرة جزئي ، إذ يتمزق تماماً كما يتمزق النسيج.

فتحرك روبن نحو الباب ثم دار على نفسه قبل أن يفتحه:

ـ اسمع ، لقد عشت في منزل ضخم جميل ، في كنف والدي اللطيفين ومع أختي الصغيرة الجميلة ، دونما هياكل عظمية في خزانتي ، ربما كان كل شيء في حياتي على ما يرام حتى دخلت الحضانة ، فكانت المعلمة الحدباء صدمة حياتي الأولى. وهذا هو ولا شك السبب في عدم تذكري أي شيء أبعد.

ـ من قال لك إن الرجل لا يبكي؟

ـ لا أعلم.

ـ هل كان هذا قبل مدرسة الحضانة؟

ـ يجب أن يكون قبل الحضانة لأنني لم أبك فيها أبداً ، في حين لم يكن الآخرون يمنعون أنفسهم من البكاء فقد كانوا جميعاً يخافون خوفاً أسود من المعلمة الحدباء ، تلك البائسة المسكينة.

ـ إذن ، من قالها لك؟

ـ آرشي، لا أعرف أي شيء، لكن كائناً من كان فإنني أباركه. فأنا لا أحب أن أرى رجلاً يبكي. بل إنني لا أحب بكاء النساء ولا بكاء الأولاد.

ـ روبن، بودي أن أجرب معك التنويم المغناطيسي.

ـ ألست مجنوناً قليلاً؟ اسمع، طيب، لقد شاركت في الحرب ودخلت عدداً غير قليل من المغامرات كان من الممكن أن أفقد رأسي فيها ومع ذلك فقد خرجت منها معافى سليماً. ولقد جئت إلى هنا كي أبحث مسألة محددة، لكنك لم تعطني جواباً على الإطلاق. تمام، إذن، كن ذا روح رياضية واعترف. لا تحاول أن تورط نفسك في البحث فيما إذا كنت في طفولتي الباكرة قد ضربت على قفاي من مربية تأديباً لي. فربما حدث هذا، وربما كان لها شعر أسود وعينان خضراوان ونهدان كبيران، موافق؟

ـ إنك تعرف أين تجدني إن قررت اتباع نصائحي، قال الطبيب جولد.

ـ شكراً، لكنني أعتقد أنه سيكون أسهل علي أن أبتعد إذا ما التقيت من جديد بسمراء ذات عينين خضراوين.

ثم أغلق الباب واختفى في الظلام. ففحص الطّبيب الملاحظات التي كان قد سجلها ووضعها في مصنف. لن يضيعها، فروبن ستون سيعود.

ألقى روبن نظرة على نتائج إحصائيات شباط. أخيراً، هاهي ذي دائرة الأخبار تزاحم بشكل جدي دوائر أخبار المحطات الأخرى. هذا الأسبوع كانت تأتي كترتيب في الصف الثاني. وبرنامج «من الأعماق» بقي فيما بين البرامج الخمسة والعشرين الأوائل. لقد أعطى لآندي فرصة إخراج حلقة منه الأسبوع السابق وهاهو ذا قد نجح في عمله تماماً. لقد درس تقديم مشروعه حول الصحون الطائرة. وكانت دائرة الوثائق قد قدمت له بضعة اقتراحات زادته حماسة، وقد تمسك بأن يخرج منه برنامجاً رائعاً.

في الغداة، ذهب روين لرؤية دانتون ملر وإخباره عن نيته في أن ينقل برنامج من الأعماق لآندي الذي سيكون مكلفاً به بشكل محدد في الموسم القادم. ورغم شدة غرابة الموضوع فإن دان لم يبد أي اعتراض عليه.

ـ إذن، لن تقدمه بنفسك بعد الآن، قال مبتسماً. هذا لن يرضي معجبيك.

ـ إنني أنوي أن أخرج برنامجاً إخبارياً خاصاً مرة واحدة في الشهر. شرح روبن، سأختار الموضوع الذي لا يمكن لأي شخص أن يقترب منه، سأتعمق به وأحلله، وهذا هو مشروعي الأول.

قال هذا ووضع أمامه مصنف الصحون الطائرة. فقرأه دان بتمهل ثم قال:

ـ هذا يناسب يوم الأحد، بعد الظهر. فالأولاد ينشدون إليه. لكن لا أظن أنه يناسب السهرة.

ـ لكنني أعتقد العكس. لماذا لا نجرب العملية في أيار أو حزيران، في ساعة رئيسية، خلال الفترة التي يعاد فيها بث البرامج الناجحة؟ فهذا سيكون عظيماً.

ـ إن أردت أضعه لك في برامج يوم الأحد من نيسان أو أيار لكن بعد الظهر وليس في المساء.

ـ لا، لن أوافقك على يوم الأحد بعد الظهر. إنك تعلم أنه سيخفق. فمباريات البيزبول سوف تطغى عليه. وإنني أبحث عن مساهمين للخريف.

ـ إن كنت ترغب بالتعاقد مع طاقم خاص لتسجيل هذه الخرافة العملية فأنت حر.

قال دان مبتسماً، لكن ليس لها مكان قط في إطار برامجي.

فمد روبن يده أمام دان ثم رفع السماعة وطلب من أمينة السر.

ـ أيمكنك أن تطلبي لي السيد غريغوري أوستن؟ قولي له إن روبن ستون ودانتون ملر يريدان رؤيته حين تتوفر له لحظة فراغ.

فشحب دانتون، لكنه تماسك أخياراً واغتصب ابتسامة ثم قال بهدوء:

ـ هذه حركة سيئة، إنك تقفز من فوق رأسي.

ـ إنما ليس من خلف ظهرك.

وللحظة من الزمن، تطلع واحدهما إلى الآخر دون أن يقولا شيئاً: فجأة دوت رنة الهاتف فبدت لهما أعلى بكثير مما هي عادة. رفع دان السماعة فقالت له أمينة السر إن السيد أوستن سيتقبلهما في الحال.

نهض روبن:

ـ هل تأتي أيها الصديق؟

فعقد دان حاجبيه:

ـ يبدو أنه لا خيار لي. (ثم ابتسم) إنني أتعجل أن أرى كيف سيكون رد فعل غريغوري عندما ستقترح له فكرتك وعندما يفهم أنني عارضتها، فغريغوري لا يحب أن يضيع وقته في لعب دور الحكم، وهذا هو بالضبط ما جعله يعينني مديراً للشبكة. ففي قضايا من هذا النوع، قراري لا راد له. لكن إن كنت تتمسك بحفر مكان مناسب لسقوطك فلا أرى في ذلك ما يقلقني.

بقي دان جالساً بكل راحة بينما كان روبن يعرض مشروعه حول الأطباق الطائرة لغريغوري. وحين انتهى التفت غريغوري إلى دان:

ـ إن كنت قد فهمت حسناً فأنت معارض.

فابتسم دان واصلاً أطراف أصابعه مباعداً ما بين الراحتين ثم قال:

ـ روبن يريدِ أن يقدم في الموسم القادم برنامجاً من هذا النوع مرة كل شهر وفي ساعة رئيسية. فتأمل غريغوري روبن بهيئة المستفسر:

ـ أطباق طائرة كل شهر؟

فانفجر روبن مقهقهاً.

ـ طبعاً لا! لقد فكرت ببرنامج تحقيقات على غرار تحقيقات مجلة «الحياة». كل برنامج سيكرس لموضوع نشاط معين: أطباق طائرة، سياسة، أي شيء مثير للاهتمام يمكن أن يقع عليه المرء. وبدلاً من تقديم شخصية لمدة نصف ساعة كما كنت أفعل في برنامج «من الأعماق» فإنني سأعالج موضوعاً ما خلال ساعة كاملة.

لنفترض على سبيل المثال أن أحدهم على وشك إخراج فيلم مهم، حينها يمكننا أن نذهب إليه، نتحدث مع النجوم، المخرج، المؤلف وسيكون بإمكاننا أن ندخل أيضاً في الحياة الخاصة لإحدى شخصيات التلفزيون.... ككرستي لين مثلاً. فالناس لا يكفون عن طلب معلومات عنه...

اسم كرستي لين بعث نوعاً من التعلق في عيني غريغوري الذي التفت إلى دان:

ـ هذا يذكرني بأن كرستي لم يتعاقد معنا إلا لهذا الموسم والموسم الذي يليه. فهل فكر أحد يا ترى بأن يجعله يوقع عقداً لفترة طويلة؟

ـ لقد باشرنا المباحثات، أجاب دان، إنه يريد أن يبدؤوا بتقديم نصوص مواده منذ نهاية نيسان، كي يذهب، وقد حشا بها جيوبه، إلى لاس فيجاس. كما تمسك أيضاً بالاحتفالات التي تحمل له عشرة آلاف لكل سهرة. في الوقت الحاضر، هو مستمر بإخراج برامجه بشكل

مباشر لكننا سنسجلها على أشرطة كي نتمكن من إعادة بثها في المستقبل. في الموسم القادم يريد أن نسجل كل شيء على الأشرطة الممغنطة. لقد بدأ يفرض شروطه. لكن هذا ليس مشكلة. المشكلة أن كليف دورن الذي تباحث معه يقول إنهما ما يزالان بعيدين جداً عن نقطة التفاهم حول المسألة المالية. فهناك بون شاسع بين ما يطلبه كرستي وما تفاهمنا عليه. لقد وافقنا على أن نزيد له المبلغ كثيراً لكنه يريد أن يزيد شلته الخاصة وأن يقاسمنا حقوق البرنامج. كما يطلب حق ملكية الأشرطة اعتباراً من البث الثاني. وهو سيبيعها لمراكز مستقلة علاوة على أنه يطلب فوائد أخرى.

فكرستي ليس كائناً سهلاً. وشبكة الآي سي والسي، بي، سي لا بد أنهما تلاحقانه.

انزلقت أمينة السر إلى داخل المكتب وأعلنت أن السيدة أوستن على الخط.

فنهض غريغوري قائلاً:

ـ سأجري المكالمة جانباً.

وتطلع إليه الآخران وهو يختفي في المكتب المجاور. كان دان أول من كسر جليد الصمت. فقد مال نحو روبن ونقره على ركبته قائلاً بصوت واطئ:

ـ حسناً، أرجو أن يفيدك هذا الدرس. فقد أتيحت لك فرصة إلقاء نظرة في الكواليس على كيفية إعداد البرامج، وهي أكثر تعقيداً من تأمين تقرير مصور عن محاضرات الجامعات الكبرى. لقد أزعجت غريغوري بقصتك السخيفة عن خرافة العلم، وتركتنا كلينا نضيع وقتنا: أنت مدير الأخبار وأنا مدير الشبكة. إنني أعمل بمفردي ولا أبحث عن شريك. فضحك روبن:

ـ لدى سماعك، يخيل للمرء أنه في حرب عصابات في شيكاغو، لك الحي الجنوبي، ولي الحي الشمالي.

ـ ما عدا أنني أغطي الاثنين معاً. أما أنت فلك قسم الأخبار وهذا كل ما في الأمر. لا تتدخل في أمور البرمجة. فأنا لست صحافياً صغيراً مثلك يتسلى بلعب دور الممثلين أحياناً والمديرين أحياناً أخرى. العمل بالنسبة لي، ليس مجرد شيء كمالي، إنه حياتي كلها ولا أدع أحداً يحشر نفسه في شؤوني.

ـ ثق أنه لا تراودني أدنى رغبة في مزاحمتك. لكن طالما أنني مدير لقسم الأخبار فإنني أصر على تقديم برنامج أخبار أراه جديراً بأن يقدم، وعليك أنت أن تؤمن لي وقت البث أما إن رفضت فعلي أن....

ـ عليك فقط أن تسكت. مفهوم؟ أن تسكت! وفي المرة القادمة التي أرفض فيها برنامجاً سيكون عليك أن تسكت تماماً بدلاً من إدخال غريغوري أوستن في الأمر.

فابتسم روبن بمنتهى الراحة:

ـ مهلاً أيها السيد المدير ولا تستبق الأمور كثيراً.

عاد غريغوري أوستن إلى المكتب قائلاً:

ـ المعذرة أيها السيدان. فالمسائل الشخصية تأتي دائماً بعد مسائل العمل لكن السيدة أوستن قضية حياتي الكبرى. ورقت تعابير وجهه عندما تكلم عن زوجته. بعدئذ تنحنح منظفاً بلعومه ثم استأنف المحادثة التي قطعت: لقد تحدثت مع السيدة أوستن عن مشروع صحونك الطائرة. هذا يثيرها، رغم أنني لم أتصور أبداً أن قصص الفضاء يمكن أن تكون خيالية إلى حد تثير اهتمام النساء. مبدئياً يا دان، وبالنسبة للأطباق الطائرة مررها في أيار بدلاً من إعادة بث برنامج كرستي وإذا وجدنا أن الناس يهتمون بها فسنعمل برنامجاً

شهرياً. بالنسبة لموضوع كرستي سأرى كليف دورن. لا شيء آخر فيما يتعلق بالعمل في الوقت الحاضر، أيها السيدان؟

فنهض دان:

ـ لا، هذا كل شيء.

وانتظر غريغوري إلى أن وصل محادثاه إلى الباب، ثم قال وكأنما تذكر شيئاً تفصيلياً صغيراً فجأة.

ـ لحظة روبن، يجب أن أتكلم معك قليلاً.

وهكذا غادر دان المكتب بينما عاد روبن إلى مقعده حيث جلس بارتياح، وانتظر غريغوري إلى أن أغلق الباب تماماً ثم ابتسم قائلاً:

ـ دان عنصر جيد. إنه طموح، ومن منا ليس طموحاً؟ إنه ذو قيمة لأنه طموح. وأنا لا ألومك على تقديم اقتراحات وتجديدات. بل على العكس، هذا يسرني. لكن من الآن فصاعداً، وبالنسبة لكل ما هو خارج دائرتك، توجه إلي مباشرة. أنا سأقدم اقتراحاتك لدان باعتبارها اقتراحاتي أنا، وعلى هذا الشكل تستطيع أسرتنا الصغيرة أن تعيش بسلام.

ـ أنا ما أزال غراً، اعترف روبن وهو يبتسم، وإنني لأجهل حيل الاتفاقات. ثم انتظر البقية، فقد أحس أن غريغوري احتجزه لسبب آخر.

وفجأة بدا غريغوري لطيفاً للغاية ثم قال:

ـ روبن، أعلم أن هذه إحدى التفاهات التي لا أهمية لها على الإطلاق ولا علاقة لها بوظيفتك في شبكتنا، لكن ماذا حدث لك في أول كانون الثاني؟

فقطب روبن حاجبيه.. أول كانون الثاني... إنه لا يتذكر إلا شيئاً واحداً: سرجيو يقود السيارة به إلى المطار.

وأشعل غريغوري سيجارة.

ـ لقد سمنت خمسة كيلوغرامات، أسر لـه بهيئـة المتـضايق. إذن بإمكاني أن أستأنف التـدخين كـي أتمكـن مـن إنقـاص وزني (بعدئـذ تصلب وهو يحدد) حفلة كوكتيلنا. (وبقـي روبـن دونمـا تعـبير فتطلـع غريغوري إلى المنفضة) دائماً في أول رأس الـسنة نـنظم أنـا وزوجـتي حفلة كوكتيل ولقد دعوناك لسنتين متتاليتين، لكنك لم تأت وحـسب، بل إنك لم ترسل كلمة اعتذار.

ـ يالله كم أنا فظ! هذه السنة، في أول كانون الثاني كنت في روما وفي السنة الماضية كنت.. (وعقد حاجبيه، محـاولاً أن يتـذكر) أعتقـد أنني كنت في أوروبا أجل، أجل. كنت هناك بشكل مؤكد وقـد عـدت في رأس السنة ووجدت كومة من الرسائل عندي. إنـني خجـل مـن أن أعترف لك بما فعلته بها خـلال المـرتين: لقـد ألقيتـها كلـها في سـلة المهملات دون أن ألقي عليها نظرة واحدة. بعد كل شيء، ما من أحد يتوقع أن تجيبه على تهاني عيد الميلاد. أما الفـواتير فـإنهم يجـددونها. إذن، لا بد من أن دعوة السيدة أوستن قد اختفت بين البقية، سـأكتب لها على التو.

ـ لقد شككت تمامـاً في أن الأمـر لا يتعـدى سـوء تفـاهم، قـال غريغوري مبتسماً. لكنك تعرف النساء. فقد تساءلت السيدة أوسـتن إن لم تكن قد تصرفت هكذا عن عمد. بـل ربمـا رأت في تـصرفك نوعـاً من الاحتقار.

ـ هذا آخر شيء أريدها أن تفكـر بـه. لا، إذن رسـالة لا تكفـي، ترى هل تسمح لي بأن أكلمها هاتفياً؟

ـ بالتأكيد، قال غريغوري ثم كتب له رقم الهاتف.

عاد روبن إلى مكتبه واتصل مباشرة بالسيدة أوستن.

ـ هيه، ما كنت لتتصل بي يا سيد ستون، لولا أن غريغوري تدخل على ما أظن.

ـ هي ذي الحقيقة وإنني أعترف له بحسن جميله. ففي كلتا المناسبتين كنت مسافراً في الخارج.

وراحت تضحك وهو يشرح لها ما فعله بالبريد في كلتا المناسبتين.

ـ هاهي ذي فكرة رائعة! هتفت متعجبة، بودي لو أملك الشجاعة كي أفعل مثلك؟ فهذا يجنبني الكثير من السهرات المملة.

ـ سيدة أوستن، أعدك بأن أقرأ في نهاية العام كل بطاقات المعايدة لكي لا أفوت علي دعوتك.

ـ أنت تمزح روبن! (وتوقفت لحظة من الزمن) اعذرني إن ناديتك باسمك هكذا! لكن لا يفوتني أي برنامج من برامجك ويبدو لي وكأنني أعرفك.

ـ سيدة أوستن أعدك بأن أذهب إلى منزلك في أول كانون الثاني من عام 1964 حيثما كنت في تلك اللحظة، إنه موعد غير قابل للتبديل.

فشرعت تضحك:

ـ آمل ألا تدعنا ننتظر طوال هذه المدة لكي نتعرف عليك.

ـ وأنا أيضاً آمل.

ـ اسمع روبن... (وسمع صوت تقليب أوراق) إنني أستقبل بضعة أصدقاء على العشاء في أول آذار حين نعود لتونا إلى بالم بيتش، الوقت الذي يمكن أن نكون فيه غير متأكدين من اتخاذ قرار نهائي بالبقاء في نيويورك. فهل تريد أن تأتي إلى هذا العشاء؟

أي وكر زنابير سيحشر نفسه فيه يا ترى؟ لكن كان مضطراً تماماً لأن يعتذر عن أيام رأس السنة اللعينة تلك.

ـ سيفتنني هذا، سيدة أوستن.

ـ أختي ستكون في نيويورك، وعلى شرفها سيكون الاستقبال. فالأمير، زوجها، لم يستطع أن يكون فارغ الأشغال في هذا الوقت، فهل تريد أن تكون فارسها أم تفضل ألا تأتي وحيداً؟

ـ الحقيقة، أفضل أن آخذ معي أية شابة صغيرة، تعجل روبن وأجاب.

ـ تمام، هذا تمام، قالت في الحال. أول آذار، الساعة الثامنة والنصف، ربطة عنق سوداء.

وعلق السماعة ثم تأمل الجهاز وهو غارق في التفكير. هكذا إذن عليه أن يجد فأرة ما على قد المقام.

الحقيقة أن لديه عشرة أيام بعد، وسيجد إحداهن بالتأكيد.

بعد ذلك لم يفكر بالسيدة أوستن طوال الأسبوع التالي. فقد أمضى يومين في واشنطن من أجل صحونه الطائرة. وكان مسبقاً قد اختار المنتج والمنفذ كما حدد موعد /15/ آذار لتسجيل البرنامج، كل شيء سيجري على ما يرام لولا أنه كان ينبغي أن يخابر شخصاً: ماجي ستيورات. الحقيقة، لم يكن مضطراً لأن يخابرها، لكن تعليقها حول مشاهدة الصحون الطائرة في فلوريدا هو الذي أثار اهتمامه بالموضوع. وآندي كان قد بدأ المشروع كما وعدها بأن تشارك في البرنامج، فطلبها. عندما صارت على الخط، لم يضع وقتاً في المجاملات بل عرض المشروع مباشرة عليها، ثم سألها فيما إذا كان يثير اهتمامها.

فأجابته بصوت مجرد كلياً:

ـ طبعاً، هذا البرنامج يهمني. متى تريدني أن أكون هناك؟

ـ عندما تتمكنين.

ـ إننا في 25 شباط. ما رأيك بالأول من آذار؟ بهذا ستكون المحطة قد وجدت بعض الوقت للاستفادة مني.

ـ أول آذار! تمام (ثم قلب صفحات دفتر مواعيده ورأى الموعد: عشاء عند آل أوستن فاستأنف قائلاً: إنني أعلم أنك لست مدينة لي بشيء، لكن بإمكانك أن تقدمي لي خدمة رائعة.

ـ ما هي؟

ـ أن تصلي في 28 شباط وتحملي معك ثوب سهرة.

ـ من أجل البرنامج؟

ـ لا، من أجل حفلة عشاء في الأول من آذار، أود أن ترافقيني إليها.

ـ آسفة، أنا ذاهبة للعمل فقط.

ـ هذا حقك بالتأكيد. لكنني أحب كثيراً أن تأتي معي، إنه عشاء عند آل أوستن، سهرة من نوعٍ ما..

وترددت ثم سألت:

ـ هل تتمسك بها فعلاً؟

ـ أجل، فعلاً.

فضحكت وقالت بصوت أقل جفافاً.

ـ أنا في الحقيقة أعبد ثياب السهرة وأموت شوقاً لارتداء واحد منها.

ـ شكراً، ماجي. ابرقي لي عن ساعة وصولك. سأرسل سيارة تنقلك من المطار، وسأحجز غرفة لك في فندق بلازا.

حين اتصل بالفندق كان ما يزال يفكر بحجز غرفة، لكنه غيّر فكرته فجأة وحجز جناحاً. هذا سيثير ضجة عند الحسابات لكن ماجي تستحقه. كل الناس يعيشون على حساب الشبكة، إذن لماذا لا تعيش هي؟

وصلت برقيتها صباح الثامن والعشرين من شباط: «مطار آيدلويلد الساعة الخامسة، الخطوط الشمالية الشرقية، رقم الرحلة 24، ماجي ستيورات».

وطلب سيارة. بعدئذ، وبدافع مفاجئ، طلب جيري موس.

ـ هل لديك فراغ في الساعة الرابعة؟ علي أن أذهب لاستقبال فتاة في آيدلويلد، ولدي سيارة.

ـ إذن؟

ـ لا أريد أن أكون وحيداً معها.

ـ منذ متى تحتاج مرافقاً؟

ـ جيري... لدي أسبابي.

ـ طيب، لنلتق أمام الآي بي سي، الساعة الرابعة.

كانت الساعة حوالي الحادية عشرة تقريباً، وكان روبن يشرب بتمهل وثبات. أفرغ جيري فنجان قهوته، فالسهرة كلها كانت ثقيلة. لم يكن قد رأى فتاة بجمال ماجي ستيوارت هذه، جمال من نوع يقطع الأنفاس. مع ذلك كانت قد حيت روبن ستون وكأنها لا تعرفه إلا لماماً. وعندما اقترح عليهما جيري أن يذهبوا لتناول كأس في اللانسر رفض روبن وماجي الاقتراح معاً بشكل متوافق. وهكذا بعد أن وضعاها في فندق البلازا، جر روبن جيري إلى مطعم لويس كي يتعشيا هناك. كان المطعم قد فرغ تقريباً من قبل، وكان روبن يلعب دائماً بكأسه، وقد مر جون نيبل بقرب طاولتهما ثم غادر ليقدم برنامجه الذي كان يستمر طوال الليل.

ـ إنني أسمعه عندما يتعذر علي النوم، قال روبن، لو لم يكن متعاقداً مع شبكة أخرى لاستفدت منه في قضية الأطباق الطائرة. إنه يعرف كل شيء عن الجاز.

طلب روبن كأساً أخرى وبقي صامتاً، فأحس جيري بمزاج رفيقه لكنه امتنع عن التدخل. ترى ما الذي قاله حول الاستماع لجون نييل؟ هذا يعني أنه لم يكن ينام حسناً؟ كما يعني أيضاً أنه لم تكن لديه امرأة في فراشه. فالمرء يسمع جون نيبل عندما يكون مفرداً أو عندما يخشى أن ينام. روبن يأرق؟ إنه شيء جديد وفجأة قرر أن يتكلم:

ـ أنا لا أعلم ما الذي يضايقك، لكن ماجي ستيوارت هذه شيء خاص حقاً. وإن كنت تفوت هذه الفرصة فهذا يعني أن أمورك ليست على ما يرام.

ـ أموري على ما يرام تماماً، أجاب روبن بسرعة وانفعال. لا تمضِ بعيداً بأفكارك فلا شيء مطلقاً بيني وبين ماجي. لقد استدعيتها للعمل في البرنامج وهذا كل شيء.

فنهض جيري قائلاً:

ـ إن ترد قضاء الليل كله بالشراب فأنت لست بحاجة إلي. لقد مكثت معك لأنني ظننت أنك بحاجة لرفقتي.

ـ لست بحاجة لأحد، اذهب إلى زوجتك.

فخطا جيري خطوتين ثم دار حول نفسه:

ـ اسمع يا روبن، أنا لا أريد أن تكون هكذا، إنني أشعر أن شيئاً ما يضايقك وأنك لست روبن ستون الذي أعرفه منذ إقامتك في فلوريدا. وسواء اعترفت أم لم تعترف فإن لهذا الأمر علاقة بهذه الفتاة، قال جيري هذا ومضى على الفور.

ظل روبن يشرب حتى أغلق المطعم أبوابه. بعدئذ عاد إلى شقته واستمع للمذياع. باستطاعة المرء أن ينام على نحو أفضل على صوت المذياع، فهو غير مضطر لأن يحدق بعينيه إلى التلفزيون طوال الوقت.

وسكب لنفسه قدحاً ملآن من الفودكا. إنها المرة الأولى التي يثمل بها منذ استشار آرشي. ثم استلقى على الفراش واستمع لجون نيبل، وكان على وشك النوم في اللحظة نفسها التي راح فيها هذا يتكلم عن شرب الماء. الماء، إنها فكرة لطيفة... التفكير في قارب، قال لنفسه، قارب على سطح الماء... مضجع حسن... نوم.... نوم... وكان قد صار فوق قارب، على مضجع... ثم تحول المضجع إلى سرير، وكانت ماجي تعانقه، تداعبه، وهي تقول له إن كل شيء سيجري على ما يرام. فأحس بنفسه سعيداً وصدقها. بعدئذ انزلقت خارج الفراش وكان جيري ينتظر في الغرفة المجاورة. هذا جيري يتعلق بها فوصل روبن كالإعصار.. وعادت تقوده إلى السرير حيث التصق بها قائلاً إنه رأى حلماً سيئاً. واستمرت تداعب رأسه.. فاسترخى.. كان جسمها دافئاً بقربه. بعدئذ سمعها تنزلق من السرير مرة ثانية. وتقهقه في الغرفة المجاورة. فذهب إلى هناك.. لكن جيري لم يكن هناك. كانت ماجي جالسة على الكنبة مع دانتون ملر الذي كان يحشر رأسه في صدرها.. ورفع دانتون رأسه ثم قال ضاحكاً: إنه غيور ولم تبتسم ماجي بل قالت له بقسوة: عد إلى الفراش وابق هناك. وكان هذا أمراً، ولسبب لم يفهمه، كان يعلم أن عليه أن ينفذ هذا الأمر.

واستيقظ، يالله! الساعة الرابعة صباحاً! وحلم آخر من تلك الأحلام اللعينة! كان جون نيبل ما يزال يهذر في المذياع فغيره إلى محطة أخرى كانت تبث موسيقى ثم نام من جديد.

مساء الأول من آذار، ذهب للقاء ماجي. فأدرك أنها كانت صادقة بشأن ثوب السهرة. إنها تقطع أنفاسك به! وشعر بالإثم. فالسهرة لدى آل أوستن ستكون رسمية، بائسة وكئيبة. الجميع كانوا مسرورين لكن الثرثرات الصغيرة العقيمة كانت ترهقه. لقد جلس إلى يسار السيدة أوستن ولم يركز انتباهه على الحديث إلا نادراً. مع ذلك كان بإمكانه من حين إلى آخر أن يطرح سؤالاً مناسباً وهي تتحدث عن حفلات البر التي كانت تقيمها وعن الوقت الذي كانت تقضيه في بالم بيتش. ومن حين لآخر كان يلقي نظرة على ماجي في طرف الطاولة الآخر. المسكينة، كانت قد انحشرت بين جراح عصبي واختصاصي بورصة. وحسدها على تهذيبها وحسن ذوقها لكنه تساءل في سره ما الحديث الذي يمكنها تداوله مع هذين الرجلين.

فيما بعد، رافقها روبن إلى الفندق، وفي الصالة توقف شاكراً إياها على تخليصه من مأزق. فلاحظ أن كل الرجال التفتوا إليها. ولم لا؟ لقد كانت أكثر إغراء من أية نجمة سينمائية.

ـ لو نأخذ كأساً؟ سألها فجأة، فأنت تستحقينه تماماً.

ـ اعتقدت أنك لم تعد تشرب. فقد لاحظت أنك لم تلمس شرابك لدى آل أوستن. هل تخشى حتى النبيذ عندما تكون معي؟ وحدقت إليه العينان الخضراوان بشيء من السخرية.

فأخذها من ذراعها وقادها إلى المشرب.

ـ كأس وسكي للسيدة، قال للساقي، وكأس فودكا مضاعفة لي.

ـ من العبث أن تقسر نفسك، قالت له، فأنا أعرف نقاط ضعفك.

ـ ليس الشراب واحداً منها، قال بشيء من التشديد.

ـ أوه، كنت أظن أنك فقدت تلك الموهبة أيضاً. فانتظر إلى أن قدم الساقي لهما الشراب ثم أمسك بيدها قائلاً:

ـ ماجي، أريد أن نكون أصدقاء.

فتركت يدها له ونظرت إليه فتقاطعت نظراتهما ثم قالت:

ـ لا يمكننا أن نكون أصدقاء أبداً يا روبن.

ـ أما زلت تكرهينني؟

ـ بودي لو كنت أكرهك. أوه!! يالله! بودي فقط لو كنت...

فسحب يده مسرعاً وأفرغ كأسه دفعة واحدة ثم أشار إلى النادل طالباً الحساب.

ـ لدي الكثير من الأعمال المتراكمة في المنزل، قال وهو يوقع الفاتورة.

ـ من العبث أن تكذب. فحتى اللحظة الحاضرة كنت صادقاً، إذن لماذا تغيرت الآن؟

ـ أنا لا أكذب، فأنا أسهر يا عزيزتي... إنني أكتب كتاباً وقد حددت لنفسي نظاماً: خمس صفحات كل مساء مهما تكن الساعة التي أعود فيها إلى المنزل.

فتأملته باستغراب ثم سألته:

ـ هل هذا هو طموحك السري؟

ـ على الأقل، أحاول أن أقنع نفسي به.

ـ ألست متأكداً منه؟

وفجأة بدا متعباً للغاية.

ـ ماجي، أنا لا أعرف ما أرغب ولا ما لا أرغب.

فرقت قسمات ماجي:

ـ هل أنت تعيس يا روبن؟

ـ من قال أنني تعيس؟

ـ من لا يعرف ما يريد هو ذاك الذي يخاف من معرفة ما يريد. هكذا الأمر ببساطة، إن لم يكن يخشى أفكاره الخفية.

ـ شكراً حكيمة. سأبعث لك بإشارة عندما أكون بحاجة لعيادتك.

ثم نهض وساعدها في ارتداء معطفها.

حين وصلت ماجي إلى غرفتها ألقت حقيبة يدها الصغيرة على السرير بحركة ساخطة. هل كان ينبغي أن يحدث هذا في اللحظة نفسها التي كانت تجري الأمور فيها على ما يرام. وشعرت بالدموع تطفر من عينيها. لماذا تخدع نفسها؟ كل شيء يسير في طريق مسدود. بل كل شيء يمضي للأسوأ إنها تعرف ذلك تماماً ومن الخير لها أن تطرد روبن هذا من فكرها. فهو لم يكن بحاجة إليها إلا كمرافقة للسهرة، لكن دعوته إياها إلى منزل أوستن أيقظت فيها آمالاً زائفة وشيئاً أكثر. حسناً، لقد كانت فارغة الأشغال طوال عطلة الأسبوع لكنها لن تعطيه فرصة أن يدعها تعاني من سأم الانتظار في غرفتها على أمل أن يهتف لها. لا، لن تنهض متأخرة جداً بل ستذهب إلى مسرحية صباحية وإلى السينما مساء. وإذا ما اتصل بها فلن تكون موجودة! الاثنين ستكون في الآي بي سي، وستتصرف كما لو أنها لا تعرفه إلا بالكاد. أخذت ماجي قرصاً منوماً وعلقت على باب جناحها لوحة صغيرة «الرجاء عدم الإزعاج» ثم هتفت لغرفة الاستعلامات طالبة منهم أن يوقظوها الساعة العاشرة صباحاً.

لقد بدا لها أنها لم تنم إلا بضع دقائق عندما أيقظها رنين الهاتف. حاولت أن تمد ذراعها لرفع السماعة لكن المنوم كان قد شل قدرتها على الحركة نصف شلل. ودوى الرنين من جديد، فوصلت بكثير من الجهد وأمسكت بالسماعة. إنه الصوت المجرد لعاملة المقسم:

ـ أعلم أنك تريدين ألا يزعجك أحد لكن هناك برقية لك وصلت للتو تحمل تنبيهاً يقول: عاجلة للغاية، تسلم في الحال.

فجلست على السرير وأشعلت الضوء. كانت الساعة لم تتجاوز السابعة والربع «ابعثي لي البرقية» غمغمت لعاملة المقسم، ثم نهضت وارتدت ثوباً: إنها تنام عارية دائماً، حتى في عز الشتاء.

وقعت ماجي على استلامها للبرقية، وعندما دارت عائدة إلى الغرفة، استولى عليها فجأة نوع من الرعب. فحتى ذلك الحين كانت أشد نعاساً من أن تستطيع التفكير. لكن من تراه أرسل لها هذه البرقية؟ هل أبوها مريض؟ أمها؟ ففتحت البرقية على عجل وقرأتها بسرعة وهي لا تصدق عينيها.

ستيلالي حامل. لا بد من استبدالها بأخرى على الفور. أقنعت شركة سينما القرن العشرين بأن تطلبك. حاولت الاتصال بك هاتفياً عبثاً. اتصلي بإدارة الشركة حين تستلمين هذه البرقية. هاي ماندل.

لكنها اتصلت بماندل دون أن تتصل بالإدارة. وليدفع روبن ستون والآي بي سي التكاليف ككل التكاليف الأخرى! كانت عاملة المقسم الداخلية ماتزال تحدثها حين سمعت صوت هاي.

مسكين هاي. فالساعة عنده لم تكن أكثر من الخامسة صباحاً لكنه هو الذي قال بأن تتصل به حالاً.

ـ ماجي! صرخ في الحال. وقد استيقظ كلياً، متى يمكنك الوصول هنا؟

ـ مهلاً! قالت بثقة، حدثني عن دوري، عن كل ما يمت له.

ـ الدور؟ إنه دور ستيلالي النجمة النسائية الكبرى مع الفريد نايت. فقد بدأوا منذ أسبوع مع ستيلا دونما أي تقدم. لقد كانت تتقيأ طوال الوقت وظنت أنها مصابة بداء الكبد. هذه البلهاء، لم تكن تعرف أنها حامل. اسمعي، لقد تأخرت الشركة كثيراً بإنتاج فيلمها فنجحت في أن أنزع منها عشرين ألف دولار لك بالإضافة إلى اختيارك بطلة فيلم آخر. سنناقش الشروط الأخرى فيما بعد. لكنهم إضافة لذلك سيدفعون لك أجرة شقة في بفرلي هيلز.

ـ لكن كيف أمنت هذا، هاي؟

ـ أقول لك الحقيقة. كنت قد فقدت كل أمل بسبب رفضك دخول تجربة سينمائية. ولقد تحدثت كثيراً عن نجاحك في مسرحية أونيل لكن ما من أحد كان يريد سماعي. وأمس حين علمت بما حصل لستيلا ذهبت أجرب حظي ثانية إنما دون أمل كبير بالنجاح. وهاهو ذا المخرج الذي كان قد هز رأسه نفياً من قبل يقتنع بأنك ستكونين ما يريد تماماً: وجهاً جديداً.

ـ من هو هذا المخرج؟ وكيف يعرف شكلي؟

ـ لقد نشرت صورك في كل مكان من هوليوود.

ـ يا عجوزي هاي... أرجو أن أكون على قد المقام.

ـ ستكونين. فأداؤك في مسرحية أونيل لم تشبه شائبة. أنت لست ممثلة عظيمة على المسرح، إنما لديك شيء ما، من الشخصية، من اللهيب.. وهذا هو بالضبط ما يصنع الممثلة. فليس ضرورياً دائماً أن تملك الممثلة موهبة خارقة، لكن من الضروري أن تملك ما ـ لست أعرف ـ اسمه بالضبط ـ ولا ماهيته. وأنت، تملكين هذا الشيء. إنني أتذكر تماماً عندما وصلت إيفا جاردنر إلى هنا. كانت ما تزال طفلة،

لكنها كانت بالفعل تمتلك هذا الشيء الذي لا أعرفه، هذا الأسلوب بالمشي. إنك تذكرينني بإيفا، وهذا ما قلته للمخرج.

ـ يا للمسيح! (وضحكت) لكن المسكين سيصدم.

ـ لا، ما من أحد يصدم عندما يراك. فالناس لا يتكلمون إلا عنه في هذه اللحظة. لقد انتهى لتوه من فيلم رائع وقد وضعت شركة سينتشري يدها عليه من أجل ألفي: إنه آدم برجمان.

ـ آدم!

ـ هل تعرفينه؟

ـ لقد مثلت معه منذ زمن طويل. مجموعة مسرحية صغيرة، هاي، أكاد أجن فرحاً.

ـ هل تستطيعين الوصول إلى هنا هذا المساء؟ سيكون لديك نهار الأحد بطوله لقراءة الحوار وتحضير نفسك. فهم يريدونك أن تكوني جاهزة يوم الاثنين من أجل التجارب والزينة. هل أحجز لك غرفة هنا؟

ـ أجل، أجل، باستطاعتي أن أغادر هذا اليوم بالذات.

ـ طيب. إذن عندما تحصلين على رقم الرحلة وساعة الوصول أرسلي إلي برقية وسأذهب لاستقبالك في المطار.

أغلقت ماجي الخط وهي تكاد تطير فرحاً، ثم حاولت جاهدة أن تجمع أفكارها. لقاء آدم! هذا الأمل المنظور كان يفتنها! لكنها كانت أكثر سعادة أيضاً لأنها ستكون قادرة على ترك روبن ستون.

عاد روبن إلى مكتبه بعد أن جعلهم يجهزون أشرطة برنامج الأطباق الطائرة. لكن بقدر ما كان يفكر بهذا البرنامج بقدر ما كان يتمنى أن يستطيع تأخيره حتى أيلول لكي يجعل منه الحلقة الأولى من مسلسله الجديد. إذ يمكن أن يكون حدثاً خطيراً، ظاهرة. ونهض ثم

راح يـذرع مكتبـه: ظـاهرة.. هـذا هـو العنـوان الـذي سـيطلقه علـى المسلسل إذا وافق عليه غريغوري. وفكر بكرستي لـين. بـأي انعكـاس غامض عجيب كان كرستي قد أصبح معبوداً وطنياً؟ لماذا كـان النـاس يحتقرونه قبل خمس سـنوات، عنـدما كـان يغـني الأغـاني نفـسها في الحانات؟ هاهو ذا موضـوع يمكـن أن يغطـي سـاعة كاملـة: الظـاهرة كرستي لين. إن بإمكان روبـن أن يقابـل أصـحاب علـب الليـل الـذين أشتغل كرستي لديهم في الماضـي وقبـل أن يـشتهر. يمكنـه أن يقابـل حاشيته، عائلته. فلا بد من أن تكون له عائلـة ـ إثيـل إيفـانز صـاحبته الفاسدة. بالتأكيد، عندما يقلب المرء في ماضيه، فلا بـد مـن أن يجـد شخصيات ذات بريق لامع.

وبدأ منذ صباح اليوم التالي يصعد إلى الطابق الأخير لكي يتلمس الأرض قرب السيد الكبير:

ـ روبن... دون أن تعلم وجدت الشيء الذي يناسبك تماماً. هتف غريغوري بصوت يرتعش حماسة.

فهذا الشيطان كرستي يعمل طرقاً وأساليب لا تنتهي كي لا يوقـع عقداً جديداً معنا. إنه يغامر في أن يغرقنا في بؤس جهنمي. لكن إذا مـا عرضـت عليـه أن تكـرس لـه سـاعة، يـا روبـن... فإنـه.. (وتوقـف غريغوري عاجزاً عن إيجاد صفات قوية بما يكفي) ما من كلمة تناسب تماماً. ولاسيما بالنسبة لذان. سأتكلم بنفسي مـع كرسـتي. ولا تنزعـج بتاتاً إن تظاهرت بأن الفكرة هي فكرتي. سأدعوه غـداً إلى الغـداء. بـل سأدعو مستشاريه القانونيين ومستشاري إلى قاعـة الطعـام الخاصـة بي وسأجعله يلاحظ أنه ما من شبكة أبداً تفعل ما نفعلـه نحـن لأي نجـم. والحقيقـة أن هـذا صـحيح وهـذا سـيكون «الظـاهرة» الأولى ثم تـأتي الأطباق الطائرة فيما بعد.

بعد ثلاثة أيام أعلنت الصحف الفنية أن كرستي لين وقع عقداً جديداً لمدة خمسة أعوام مع الآي بي سي. وفي صباح اليوم التالي استدعى غريغوري كلاً من روبن ودانتون ملر لكي يعرض عليهما فكرته.

أصغى دانتون بانتباه وتفحص روبن ردود فعله وهو متأكد من أن دان يتذكر أنه اقترح من قبل اسم كرستي لين عندما خطط مشروعه، لكن غريغوري تصرف كما لو أن الفكرة جاءته بإلهام خاص وبشكل عرضي قبل بضعة أيام. لكن دان لم يخدع بالأمر، وكان روبن يعرف ذلك. لكنه كان مضطراً لأن يكمل اللعبة. وبابتسامة صغيرة جانبية وبهزات من رأسه كان يوافق على أقوال غريغوري. بعدئذ أشارت عقدة حاجبي دان إلى أن خط أفكاره قد اصطدم بعقبة فقال:

- أرى أن هذه فكرة مشرقة جداً يا غريغوري، طالما يتعلق الأمر بكرستي. لكنني أتساءل إن كان روبن هو الشخص الصالح حقاً لتقديم هذا البرنامج. أرجو الا تأخذ هذا على محمل السوء يا روبن، لكن يبدو لي أن شخصيتك لا تتوافق تماماً مع برنامج يعتمد على شخص مثل كرستي فلا بد لنا من نجم شهير: شخص مثل داني توماس، ريد سكلتون، شخص يستطيع أن يعطيه قيمته.

بدا غريغوري متحيراً. ففي اعتراض دان الكثير من الصواب، وقد وجه هذا ابتسامة منتصرة إلى روبن الذي مال إلى الأمام خالي الوجه من التعبير ثم قال بصوت مجرد:

ـ أنا غير موافق.

ودون أن يكف عن الابتسامة، أجاب دان بهيئة متعالية جداً:

ـ اعذرني، لكنني كمدير للشبكة أعرف ما يعجب الجمهور أكثر من صحفي يقضي نصف عامه في أوروبا.

ـ إنني أعترف أنك تعلم فعلاً كل ما يتعلق بالبرمجة، أجاب روبن دون أن يبدو عليه التأثر، لكن حسب رأيي، أنت تجهل كل ما يتعلق بالطبيعة البشرية. فوجود نجم آخر في البرنامج لا يمكن أن يعطي لكرستي لين القيمة بل بالعكس يمكن أن يغطي عليه، وقد يغدو البرنامج عرضاً لتوماس أو ريد سكلتون. هكذا!! بينما ينبغي أن يكون هذا البرنامج عرضاً له هو، برنامجه هو بحيث لا يطغى عليه أحد.

فنهض غريغوري:

ـ روبن على حق تماماً، يا دان، إذا كان مقدم البرنامج نجماً فلن يكون ما قدمه أكثر من برنامج منوعات كبرامج المنوعات الموجودة لدينا، وحلقة كرستي «الظاهرة» هذه إنما هي عبارة عن أول حلقة من مسلسل أريد أن أعهد به إلى روبن.

فوافق دان بهيئة منقبضة ثم التفت صوب روبن قائلاً:

ـ لا تعتمد كثيراً على غرامياتهم.

ـ الجمهور يريد أن يعرف قصص حبهم، رد روبن.

ـ لكن قصصه لا تتحمل التدقيق الشديد.

ـ هذا يعطيها لوناً أكثر، أصر روبن.

ـ لا قصص غرامية، قال دان بجفاف. شيء آخر، الجمهور لا يهتم بالحياة الغرامية للسيد كرستي لين.

فتدخل غريغوري:

ـ أنت أيضاً مخطئ، يا دان، فلا بد من رفيقة لكرستي. إذ لا يمكن لرجل بلغ الأربعين دون أن يتزوج إلا أن يوحي لي أنا شخصياً بشكوك ما. وفيما يتعلق بكرستي، فإن هذا مفهوم: فهو دائماً يعيش حياة بوهيمية، إنما لا بد لنا من شخصية نسائية. بمن يرتبط؟ وما العيب فيها؟

ـ إنه يرتبط بإثيل إيفانز. فتاة كانت تعمل لدينا في قسم الدعاية. لو أنها لم تتجاوز الحد لكان كل شيء على ما يرام.

ـ ألا يمكن إيجاد أخرى؟ سأل غريغوري. استأجروا عارضات جميلات، اربطوه بعدة فتيات.

ـ إثيل لا تناسب أبداً، قال دان. وإذا أردت أن تقدم نساء في حياته، فلا بد أن تقدمها هي أيضاً، فالجمهور قرأ الكثير عنها.

ـ ماذا تعمل إثيل عدا النوم معه؟ سأل غريغوري.

فقهقه دان ضاحكاً:

ـ أنت لا تصدقني، لكنها بالحقيقة تعمل كملحقة صحفية له.

ـ تمام! تدخل روبن. إنها تمثل تماماً هذا الدور في برنامجنا. فكل نجم له امرأة خاصة تعمل له كل شيء.

فهز دان رأسه ببطء.

ـ هذه وجهة نظر.. ومن الواضح أنها ستطغى على كل شيء! إذ لا يمكننا تجاهلها وكثير من المجلات السينمائية صورتهما معاً.

فابتسم روبن.

ـ تمام. الآن لا بد من جعل كرستي لين يوافق على هذا.

الفصل العشرون

رأى روبن صورة ماجي في جريدة الصباح وهو يرتشف قهوته وتحتها التعليق التالي: ماجي ستوارت، نجمة أفلام شركة القرن الشابة في نيويورك هذه الأيام لإخراج المناظر الخارجية لفيلم «المرمى».

كانت زينتها أكثر قليلاً وكان شعرها أطول قليلاً لكنها بدت في هيئة رائعة وفجأة سيطرت عليه رغبة لا تقهر في رؤيتها فطلب فندق البلازا هاتفياً. كانت ماجي تنزل في الفندق فعلاً لكن غرفتها لم ترد النداء. فترك خبراً يشير إلى أنه اتصل بها.

كان روبن في قلب المؤتمر عندما دخلت أمينة سره بحذر إلى القاعة ثم وضعت أمامه ملاحظة تقول: «الآنسة ستيوارت على الخط» فأشار لها أن تبتعد متابعاً النقاش وفي الساعة الخامسة فقط استطاع أن يعيد الاتصال بماجي:

ـ مرحباً! قالت بصوت مرح لكنه بعيد.

ـ كيف أحوال نجمتنا السينمائية العظيمة؟

ـ مرهقة. إنني أمثل دور عارضة أزياء رفيعة المستوى، تتعرض حياتها للخطر. في المشهد الأول يحاول أحد الناس اغتيالي بينما أقدم نماذج في الحديقة المركزية. وبالطبع، حسب أسلوب هوليود، فإنهم يخرجون هذا المشهد في الختام. وهذا هو سبب وجودي هنا.

ـ الأمر مثير.

ـ أرجو ذلك. وحالما ينتهي هذا المشهد سيبدؤون المونتاج ثم يطرحون الفيلم في الأسواق.

ـ هل تعاقدت على أفلام أخرى؟

ـ لقد عرضوا علي أفلاماً عدة لكن وكيلي يريد أن أنتظر إلى أن يخرج هذا الفيلم. إنها مقامرة. إن نجح الفيلم ستعرض علي أدوار أحسن ومبالغ أفضل لكن إن أخفق سأخسر كل ما أستطيع التعاقد عليه الآن. فقال روبن:

ـ يبدو أنه قرار صعب.

ـ إنني أقامر وسأنتظر.

ـ فتاة رائعة، لكن كم ستبقين في المدينة؟

ـ ثلاثة أيام فقط.

ـ لو نستطيع تناول هامبرجر معاً في المدينة في البي جي اس؟ (وقدم هذه الدعوة دون أن يكون قد أعدها من قبل).

ـ لم لا؟ قالت ماجي. فهاهنا تطول الخدمة قروناً. اترك لي الوقت الكافي لإعداد زينتي فعلى جلدي ثماني طبقات من الصباغ.

ـ الساعة السابعة. ممكن؟

ـ طيب، سنلتقي هناك. وأغلقت الهاتف.

تأمل روبن الهاتف بهيئة المفكر. فماجي لم تترك له الوقت الكافي لكي يعرض عليها أن يذهب ويأخذها معه. هل كانت تعامله ببرودة عن قصد؟ إذن هذا يعني أن لديها أفكاراً ما.. فأسرع وطلب جيري موس.

في السابعة والنصف كان مايزال ينتظرها في البي جي إس.

ـ ربما عملت بي مقلباً، قال روبن وهو يبتسم.

فتأمله جيري بهيئة متعجبة:

ـ ترى أين أنت من هذه الفتاة؟

ـ لا أين مطلقاً. إنها زميلة لا أكثر. يمكن القول إننا صديقان قديمان.

ـ إذن لم تخشى أن تلتقي بها بمفردك؟

ـ أخشى؟

ـ المرة الأخيرة التي جاءت بها إلى نيويورك تمسكت بأن أكون معك عندما ذهبت لاستقبالها عند مدرج الطائرة.

فجرع روبن عدة جرعات من بيرته ثم قال:

ـ اسمع يا صديقي. كانت ماجي صديقة آندي بارينو. وقد أنهيا علاقتهما في لحظة وصولي وكان من المكن أن يظن أنني حشرت بنفسي لأكون وريثه، الشيء الذي أردت تجنبه. لكنني لا أتذكر أكثر من هذه القصة.

ـ لعل هذا يفسر كل شيء. والليلة، هل أنا موجود هنا كي أجنبك إزعاجات مع آدم برجمان؟

فبدا روبن مندهشاً:

ـ آدم برجمان؟

ـ المخرج الشاب الذي يثير السخط، شرح جيري. لقد أخرج المسرحية التي خطفت كل جوائز برودوي العام الماضي. مسرحية لا أتذكر عنوانها. لكنها تدور حول علاقة بين سحاقية ولواطي. وقد غادرتها أنا وماري في نهاية الفصل الأول. إنه شخص المسرحيات المشهور عالمياً (ولم يجب روبن) شيء مضجر، تابع جيري. ربما كنت رجلاً عتيقاً لكنني أحب المسرحيات ذوات الحبكة: بداية،

وسط، نهاية. هذه الأيام... وارتفعت همهمة في الصالة فصمت جيري. كانت كل النظرات تنصب على ماجي التي كانت تتجه صوبهم. نهض روبن. فادعت ماجي أنها تذكرت جيري لكنه كان متأكداً من أنها لم تتذكره. ولم تعتذر عن تأخرها بل طلبت طبق «شلي كون كورن» وفتشت في حقيبتها بحثاً عن سجائرها.

ـ كان بودي أن أقدم لك سيجارة. لكنني أقلعت عن التدخين. قال روبن.

ـ إذن لا بد من أن تطلب لي علبة فقد نسيت علبة سجائري.

وعاش جيري متعة خبيثة وهو يرى روبن ينحشر في الزحام قاصداً موزع الدخان الآلي ثم يعود ويفتح العلبة ويشعل النار للجميلة.

ـ متى أقلعت عن التدخين؟ سألت ماجي.

ـ منذ يومين.

ـ لماذا؟

ـ كي أبرهن لنفسي أنني قادر على تركه.

فهزت رأسها كما لو أنها أدركت ما يريد قوله.

ـ بإمكاني أن أشرب كأس بيرة واحدة فقط، قالت بعد أن أنهت وجبتها. وبعد هذا سأكون مضطرة للذهاب، لسوء الحظ، علي أن أستيقظ باكراً في صباح الغد.

فطلب روبن كأسي بيرة. كان الزبائن يشكلون رتلاً أمام الباب. فنهض روبن فجأة قائلاً:

ـ اعذروني، إنني أرى الأصدقاء.

وشاهداه يمضي إلى الباب حيث تبادل هناك بضع كلمات مع زوج في رتل الانتظار، وبعد لحظة عاد مع رجل وفتاة:

ـ ماجي ستوارت، جيري موس. أقدم لكم ديب نلسون وبولي.. (ودار باتجاه هذه الأخيرة) اعذريني بولي فإنني لا أتذكر كنيتك.

ـ إنها نلسون، منذ ذاك الحين.

ـ تهاني! (وأشار روبن إلى أحد الندل كي يحضر لهما كرسيين) وإن تضايقنا قليلاً فإن علينا أن نبقى على هذه الطاولة.

ـ إنني مستعجلة. أود أن آكل وأولي: قالت بولي وهي تجلس. لا أستطيع أكثر من ذلك فقد كنا نقوم بتجربة للتمثيلِية طوال النهار. وليس أمامنا إلا ثلاثة أسابيع لافتتاح العرض الأول.

ـ إننا نعد «سكيتشاً» سيقدم في علب الليل، شرح ديب، العرض الأول يجب أن يقدم في نادي بالتيمور الريفي. يومنا الكبير سيكون في الرابع من تموز في كونكورد. فالبطاقات المباعة ستبلغ خمسة آلاف بطاقة في تلك الليلة.

ـ احتفال عظيم! قال روبن

ـ أجل، لكن السكتش سيساوي بالنسبة لنا أكثر من خمسة وعشرين ألفاً.

ـ خمسة وعشرون ألفاً؟ صرخ روبن متعجباً، مندهشاً فعلاً.

ـ إذن لماذا تظننا نعمل ثماني ساعات يومياً في استوديوهات نولا؟ طرحت بولي السؤال، ثم نادت: أيها الغلام! اثنان «شلي كون كارن» سندويش جبنة وزجاجتا كازوز.

ـ أنت تفهم، إن على المرء الكثير من التكاليف وكلها تشكل جزءاً من المشهد، شرح ديب، فلا بد من القيام بصنع الديكور، ووضع الموسيقى، وكل ما هنالك من إرباكات. إن بولي ترقص بشكل رائع و«نمرتها» تخلصنا من رتابة دور الغناء. بعد الكونكورد

لدينا عقد لمدة /15/ يوماً في فيجاس. خمسة عشر ألفاً في الأسبوع. وهكذا نحن مطمئنان بالنسبة لتغطية النفقات. بعدئذ سيأتي العمل في رينو وفي أيلول في قاعة بالازا الفارسية. وهذا هو ما نحسب حسابه: أن نبقى في نيويورك كي يتحدث عنا النقاد.

ـ لماذا الكثير من النفقات من أجل اسكتش في علبة ليل؟

ـ هل رأيت فيلميَّ الأخيرين؟ رد ديب

ـ بالتأكيد

ـ إذن، أنت تعلم أنهما لم يكونا على المستوى المطلوب.

فابتسم روبن:

ـ لا، بل بإمكاني أن أقول إنهما مناسبان للتلفزيون. لكنني أذهب إلى السينما كي أرتاح.

ـ مع ذلك رأيت الانتقادات في مجلة «منوعات»؟ تدخلت بولي.

ـ أنا لا أقرأها أبداً.

ـ حسناً، بالنسبة لي، السينما هي دائرة اهتمامي. استأنف ديب، وربما لا أنتظر شيئاً آخر لكن عندما عرض علي وكيلي أن أصور مقابل مائة ألف دولار لمنتج صغير مستقل، قلت لنفسي: لقد حان الوقت لكي تحزم حقائبك.

ـ لكن بما جمعته من مال، لا قلق عليك في الوقت الحاضر (وكان روبن يود لو يستطيع تغيير الموضوع كي تتمكن ماجي وجيري من الاشتراك في الحديث.)

ـ أنت تهذر! تعجب ديب. لقد اشتريت منزلاً لوالدي بولي.

ـ كوخ أو ما يشبهه تقريباً، احتجت بولي، أخيراً كوخ صغير في لوس أنجلوس. لا تعتبر نفسك أنك قدمت لهما قصراً.

ـ لكنني اشتريت لهما شيئاً ودفعت ثمنه نقداً: تسعة وأربعين ألفاً من الدولارات. مبلغ ليس تافهاً! لكن مهما حصل لنا، سيكون لهما سقف يؤويهما. كما اشتريت منزلاً لنا أيضاً. ويجب أن ترى هذا. الأثاث والديكور فقط كلفاني حوالي مائة ألف دولار. بهيئة جميلة كاملة. لقد مرضت حين تركته. لكن لا بد من تركه قبل أنْ ينتهي تماماً فلوحتنا الغنائية ستضعنا من جديد على صهوة الحصان! بعد هذا، سينبطح منتجو هوليود العظام عند قدمي، وديب الكبير سيستعيد مكانه كنجم في هوليود.

ـ وبولي الصغيرة إلى جانبه، أكدت هي كلامه.

ـ أجل. صحيح. فعندما تزوجنا قلت: إننا نشكل طاقماً واحداً مدى الحياة.

ـ ويجب أن تعلم أنني لن أقبل القيام بأدوار ثانوية، أعلنت بولي في المناجاة.

ـ برافو! قالت ماجي التي لم تكن قد لفظت كلمة بعد.

فتأملتها بولي بنوع من الاستغراب:

ـ أنت أيضاً من المجموعة؟

ـ إنها تقوم بالدور الرئيسي في فيلم ألفريد نايت الجديد، شرح روبن.

ـ ليس معقولاً! تعجبت بولي وهي تتطلع إلى ماجي بانتباه أكثر. لكن، بلى إنني أعرفك فأنت صديقة آدم برجمان الجديدة!

ظل وجه ماجي خالياً من التعبير، لكن وجه ديب اكتسى بهيئة الرعب. ولدقيقة خيم صمت قلق على الطاولة. لم تكن بولي مهتمة إلا بساندويشة الجبنة الخاصة بها. فالتهمت اللقمة الأخيرة ثم التفتت إلى ديب قائلة:

ـ اطلب الحساب ودعنا نذهب. إنني أشعر بالنعاس. فلدينا ثماني ساعات من التمثيل غداً.

ابتسم روبن:

ـ لكنني أنا الذي دعاكما فتفضلا بمنحي هذه المسرة. ولا تنسيا أنه سيكون بإمكاني في المستقبل أن أقول إنني أعرف بولي نلسون قبل أن تشتهر.

فحدقت إليه بإمعان:

ـ أنا لا أعلق أية أهمية على سخافاتك. ثم، من أنت على أية حال؟ لقد جعلني ديب أشاهد برنامجك «من الأعماق» فلم أجد فيه ما يدعو للفخر. كما لاحظت أنهم قد ألقوا بك جانباً واستبدلوا بك شخصاً آخر يقدم البرنامج.

ـ بولي! (وأمسكها ديب من ذراعها) روبن اعذرها. أنت تعرف، أنني آسف كل الأسف على أنك فقدت برنامجك «من الأعماق»، ترى أليس لديك ما تعمله بعد؟

ـ بلى، أجاب روبن مبتسماً، لدي برنامج جديد سأخرجه في الخريف، وسيدعى: الظاهرة.

فبدا على وجه ديب عزاء حقيقي.

ـ هذا يسرني يا صديقي. فأنت، مثل ديب العظيم، لا يستطيعون الإطاحة بك. لكن الشبكة نفسها؟ (فهز روبن رأسه بالإيجاب) قل إذن. هل أنت على ما يرام، مع آندي بارينو؟

ـ على أحسن ما يرام.

ـ إذن باستطاعتك أن تساعدني، يا عجوزي. قال ديب واضعاً في ابتسامته أكثر ما يستطيع من سحر. قبل أن نبدأ في البلازا، أنا وبولي، ألا تستطيع أن ترتب الأمر بحيث نظهر في برنامج «من الأعماق»؟

ـ إن ترغب بذلك، اعتبر الأمر منتهياً.

ـ صحيح؟

ـ وعد شرف.

ـ إذن سأتصل بك لدى عودتنا إلى نيويورك.

وعندما غادر الاثنان المطعم أمسك روبن بذراع ماجي قائلاً:

ـ هيا، سنوصلك مشياً على الأقدام أنا وجيري.

ـ لكن ليس لدي رغبة في المشي.

ـ جيري، اذهب وأحضر سيارة للسيدة، أمر روبن.

ـ جيري، من العبث أن تحضر سيارة للسيدة، قالت ماجي باللهجة نفسها، ؟السيدة لديها سيارة. ولاحظوا حينذاك السيارة الفخمة التي كانت تقف أمام المطعم.

ـ شكراً لهذه المائدة الباذخة وهذا الحديث المؤثر أيضاً، قالت ماجي، وإن جئت إلى كاليفورنيا ذات يوم فسأبذل جهدي لاستقبالك بشكل حسن هكذا.

وظل جيري يراقب السيارة إلى أن اختفت في الشارع الثالث.

ـ لقد وخزت فعلاً، قال جيري بهدوء.

ـ تستأهل، رد روبن بجفاف.

ـ أبداً، فهي مغرمة بك، وأنا متأكد. لكنها ممثلة، وربما كانت موهوبة فهذا المساء مثلت دورها على نحو شيطاني.

ـ ماذا تعني؟

ـ ماجي لم تعد الفتاة نفسها التي شاهدتها في المطار في شباط. وما من شخص يستطيع أن يتغير إلى هذا الحد خلال ثلاثة أشهر.

ـ ربما كان آدم ـ لا أدري ـ من ـ قد غيرها.

ـ ربما.

ـ هيا نذهب إلى اللانسر لتأخذ قدحاً.

ـ كلا، أنا ماض مباشرة إلى المحطة. فما يزال لدي الوقت للحاق بآخر مطار.

ولو كنت مكانك لاتصلت بماجي ستوارت لأعرض عليها كأساً أخيرة في البلازا وجهاً لوجه.

ـ كلا، شكراً.

ـ قل لي يا روبن، هذه الفتاة، هل هي كالسجائر؟

ـ لم أفهم قصدك.

ـ ماذا تحاول أن تبرهن عليه بزهدك فيها؟

غادرت ماجي نيويورك وغرق روبن في لجة العمل كلياً. كل مساء كان يكتب أربع صفحات في كتابه. وعادت تينا سانت كلير إلى نيويورك لعرض فيلم جديد في دور العرض، فاستقبلها روبن في شقته وظل طوال الأسبوع سعيداً في أن يجدها في فراشه. لكن ما إن تركته حتى وجد نفسه مرة ثانية أكثر رضى في أن يبقى وحيداً. كان يعمل كثيراً في برامجه إلى حد فقد معه فكرة الزمن. تقويم مكتبه نبهه إلى أن الرابع من تموز يقترب وكان يقع في تلك السنة يوم الخميس مما يعني وجود عطلة أسبوعية طويلة. ولم يكن يرى أحداً يمكنه قضاء هذه الأيام العديدة معه. فشعر جيري موس بذروة السعادة عندما قبل روبن أن يقضي العطلة معه في غرينتش.

لقد أدرك روبن أن تلك العطلة تعني سلسلة لا تنتهي من الحفلات لكنه عزى نفسه بوجود حوض للسباحة حيث يستطيع أن يسبح ويلعب الجولف.

في الثاني من تموز استلم برقية من ماجي تقول:

أصل في الثالث من تموز لعرض فيلم في التلفزيون. ترى هل بدأت اليزابت تايلور هكذا حقاً؟ سأمكث بضعة أيام في المدينة. لعلك تستطيع مساعدتي في برنامجي؟ ماجي

فهتف روبن إلى جيري كي يلغي فكرة عطلة الأسبوع في غرينتش. يوم الأربعاء ترك مكتبه في الساعة الخامسة وحالما وصل إلى منزله هتف لفندق بلازا. كانت ماجي قد نزلت في الفندق فعلاً قبل ساعتين لكنها خرجت لتسجل «عرض جوني كارسون». أمضى روبن سهرة مشؤومة بائسة ولم تكن ليلته أفضل منها قط.

بعدئذ بدأت العطلة، وكان ما يزال أمامه أربعة أيام من الحرية، ولا شيء عاجل.

يوم الخميس اتصل بها لكنها كانت قد خرجت أيضاً. فترك لها رسالة وذهب يلعب الجولف.

يوم الجمعة ترك لها رسالتين. لكنه يوم السبت لم يتكلف عناء الاتصال بها. ويوم الأحد رن هاتفه الساعة التاسعة. لتذهب إلى الجحيم! دعها تقضي الأحد كله وحيدة. في الرنة الثالثة، أوقفت عاملة المقسم الاتصال. فأخذ حماماً بارداً ثم طلب المقسم. شخص ما يدعى جيري موس كان قد اتصل به من غرينتش.

لقد خدع نفسه أكثر مما يجب. ترى ما الذي يريده جيري موس كي يتصل في الساعة التاسعة من صباح الأحد؟ وطلبه.

ـ هل تستمتع جيداً تحت شمس نيويورك الحارة؟ سأله جيري.

ـ لا بأس.

ـ لقد فوت عليك حفلات رائعة. «ريك رسل» أقام مساء أمس مهرجاناً حقيقياً.

أنت تعلم من هو ريك هذا؟ إنه الممول الكبير الذي يبتلع الشركات الصغيرة. لديه حتى طائراته الخاصة.

ـ أستطيع أن أرى هذا كله. هواء طلق، طاولات على العشب، خيام، فوانيس هوائية، سكارى بعوض...

فبدأ جيري يضحك:

ـ كل هذا، بالإضافة إلى واحدة من صديقاتك هي ضيفة الشرف: ماجي ستيوارت

ـ ماذا تفعل هنا؟

ـ تشرب، ترقص، وتسحق بعوضاً ككل الناس. فريك رسل يحتفل بطلاقه الخامس. وهو ليس قبيحاً، خاصة عندما يفكر المرء بملايينه. لقد تعارفا على ما يبدو على متن الطائرة التي أقلتهما من لوس أنجلوس. ومنذ ذاك الحين وقع في غرامها. واليوم سيرسلها إلى شيكاغو في إحدى طائراته الشخصية.

ـ إني أحب أن تسافر السيدات محاطات بأبهة عظيمة. لكن بالمناسبة لماذا خابرتني؟

وبعد وقفة أجاب جيري:

ـ الحقيقة ـ ف... ف... فكرت أن أخبار ماجي تهمك.

ـ لماذا؟

ـ بالـ... بالحقيقة.. وبدا جيري مضطرباً.

ـ إن كنت تعتقد أنني مغرم بها فالدور الذي تلعبه قذر. أم تراك تريد أن تثبت أنني أحمق يا جيري؟

ـ لا، بالتأكيد، بل أعلم أنك لا تحب هذه الفتاة.

ـ إذن لماذا تضيع لي وقتي؟ وأغلق الخط.

بعد الظهر، ذهب روبن إلى السينما. وعندما خرج كان الظلام قد خيم والشوارع قد خلت. في الغداة ستبدأ حركة المرور ضوضاءها. لكن هذا المساء، كانت المدينة بكاملها ملكه. فأخذ طبق «هوت دوج» في مطعم من مطاعم الشارع الثالث. بعدئذ سار على غير هدى. وحين وصل إلى الشارع الخامس وجد نفسه أمام البلازا.

- ألا ترغب بقضاء وقت ممتع يا عزيزي؟

امرأة أمازونية كانت تنتصب أمامه. لها هيئة خبيثة وطول لا يقل عن /180/ سنتمتراً. شعرها الأسود الفاحم مسرّح على شكل صخرة ضخمة. وبرغم الحرارة فقد كانت تلبس ثوباً من الفيزون. كانت عيناها سوداوين مستديرتين وأنفها طويلاً دقيقاً. امرأة طويلة.. من النساء الهائلات... وفجأة شعر روبن بالدوار وامحت ابتسامته:

- خمسون دولاراً ولدي غرفة، أصرت الفتاة.

- لقد قدموا لي سعراً أفضل في الطرف الآخر من الشارع.

فهزت كتفيها:

- إلزي في طريقها لإدخال فتاة جديدة في هذا المجال، ولم توفق إلا بثلاث عمليات مذ جاءت هنا. وطبقاً لما سمعت فإنها في الوقت الحاضر لا تكسر الآجر. أما معي فإنك ستجد كل متعة فعلاً.

- ربما كان عليك أنت أن تدفعي لي.

- أربعون دولار، يمشي الحال؟

- لا، لا تخفيض لتسعيرتك. أين غرفتك؟

- اتبعني يا كنزي.

وزلقت ذراعها تحت ذراع روبن ثم مضيا باتجاه الشارع السابع.

أخذته المرأة إلى غرفة من بناية سيئة الإنارة في الشارع الثامن والخمسين. لكن حسب كل الدلائل لم تكن مكان إقامتها. فالعتمة التي تسود البناية تشير إلى أن غالبية غرفها مؤجرة لاستخدام مشابه. كان المدخل خاوياً فحملهما المصعد المغبر إلى الطابق الثاني، حيث المعبر رطب ودهان الباب متقشر.

ـ المكان ليس قصراً... لكنني أدعوه مشغلي.

ثم دخلوا مخدع النوم الصغير. كانت شاشة سوداء تحجب النافذة العارية من الستائر. وكان هنالك سرير ومغسلة، وحجرة صغيرة للاستحمام فيها مرشة ماء. وكان المصباح الكهربائي العاري يريق ضياء نارياً مدهشاً. ابتسمت الفتاة وراحت تخلع ثيابها بصورة منهجية.

وحين تدحرج روبن جانباً مستلقياً على ظهره قفزت المرأة بوثبة واحدة من السرير وأسرعت إلى المغسلة، ثم همهمت وهي تغسل نفسها:

ـ يالله، أنت فتى عنيف يا هذا!

فلم يجبها بل بقي دون حراك متمدداً على السرير وعيناه فارغتان مثبتتان على السقف. بينما وقفت هي أمام المغسلة، كتلة من العري الأبيض، تعيد وضع أحمر الشفاه على شفتيها وبعد أن انتهت دارت باتجاه السرير:

ـ هيا يا رجلي العزيز، حان الوقت لكي تأخذ قطارك. زوجتك تنتظرك ولا شك، وإنني لأراهن أنك لا تمارس عمليات كهذه معها، صحيح؟ لا شيء إلا المعاشرة المعتادة للإنجاب.

ـ لست متزوجاً، رد روبن بلطف.

ـ إذن، عد بسرعة إلى ماماك... وإنني لأراهن أنك تعيش معها ككل الفتيان الذين هم من نوعك.

وبقفزة واحدة أمسكها من شعرها.

ـ هي، أرجوك، مهلاً، يا كنزي! انتبه لتسريحتي أرجوك! أنا لم أنته من شغلي! وأنت ستذهب إلى أمك.

إلا أن قبضة روبن بدأت تضرب فك المرأة بكل وحشية. وقبل أن تشعر بالألم تأملته لأقل من ثانية وقد طغت عليها دهشة طفولية. بعدئذ، وقد شعرت بالألم، انفتحت شفتاها عن أنة مكتومة ثم أطلقت نفسها باتجاه المرشة لكن ذراعه منعتها من الذهاب.

ـ لا، أرجوك، أتوسل إليك، وانهمرت دموعها. أنت تعرف أنني لا أستطيع الصراخ فهذا يجذب الشرطة. أتوسل إليك، اتركني.

فأمسكها من نهديها الكبيرين وسد بهما فمها.

ـ لكنك تخنقني! غمغمت مكافحة في سبيل الخلاص ـ يكفي، يكفي. أنت تفعل هذا من أجل دولاراتك الخمسين! ثم انتفضت وبكل ما تملك من قوة وجهت ضربة من ركبتها إلى حالبه وأفلتت منه. فاقترب من جديد، مزمجراً. وبدا بريق من الخوف يلمع في عينيها ثم صرخت:

ـ اسمع يا فتاي. إني أعيد لك نقودك. عد إلى أمك. اذهب إليها وارضع ثدييها.

ـ ماذا قلت؟

وبشعور من أحست أنها لمست نقطة الضعف فيه لم تعد خائفة منه. فانتصبت بملء قامتها:

ـ إنني أعرفكم، فاذهبوا أيها الأب.... بناء إلى أم... مهاتكم، حزمة من الصغار يعاشرون النساء وهم يفكرون بأمهاتهم. أتراني أشبه أمك يا كناري؟ إيه، حسناً، اذهب وابحث عنها. أما أنا فإنني بحاجة للعمل.

ومن جديد سقطت قبضة روبن على فكها إنما لتستمر هذه المرة تلطم وتلطم حتى انبثق الدم من أنفها وشفتيها ثم رأى الجسم العاري يسقط على الأرض سمع طقطقة الفك لكنه استمر يضربها حتى شعر بالألم في قبضته. فنظر إليها مندهشاً. كانت المومس مكومة على الأرض. واستمر روبن يتطلع إليها ثم إلى قبضته كما لو أنها لا تمت إليه. لقد كانت مغطاة بالدم. ومن جديد تأمل المرأة الطويلة العارية الممددة ثم سار خطوتين باتجاه السرير وسقط مغشياً عليه...

حين فتح عينيه ثانية، رأى أول ما رأى مصباح السقف الكهربائي وقد التصقت به ثلاث فراشات شكلت ثلاث نقاط من الظل. بعدئذ رأى الدم على ملاءة السرير فجلس ونظر فيما حوله فرأى سلامياته المكشوطة. ثم لاحظ الكومة الخالية من الحراك للمرأة الممددة على الأرض.

يالله...! هذه المرة ليس مجرد كابوس، بل هو واقع حقيقي. فنزل من السرير ثم اقترب من جسد المرأة العاري الضخم.

كانت الشفتان متورمتين بطريقة غريبة وكان خيط الدم ينساب منهما. انحنى عليها فتأكد من أنها ما تزال على قيد الحياة. لكن ما تراه فعل؟.؟ يالله!

ارتدى ثيابه على عجل وفتش في جيوبه فلم يجد إلا ثلاثين دولاراً. هذا غير كاف لا بد من نقل هذه البائسة إلى المستشفى. لا يمكن تركها أبداً. وجرى بنظره في الغرفة. لا هاتف. ففتح الباب وألقى نظرة على الممر. لا أحد أيضاً. لا بد له من طبيب. وعلى أمل أن يجد في الخارج حجرة هاتف قريبة خرج من الغرفة.

كان مدخل البناية ما يزال خالياً كما كان لدى وصوله. فغاص في عتمة الشارع الثامن والخمسين ثم اتجه إلى صيدلية واقعة على مفرق الطرق. كان لا بد من أن يخابر طلباً للمساعدة.

ـ هيه... يا صديقي. ماذا تصنع هنا؟ إنه ديب نلسون في سيارة مفتوحة من الأعلى. فنزل روين من على الرصيف واقترب من السيارة:

ـ إنني في مأزق، قال بصوت كئيب.

ـ من ليس في مأزق؟ رد ديب ضاحكاً. مساء أمس قدمنا لوحتنا الغنائية في كونكورد، خيبة!

ـ ديب، هل معك مال في جيبك؟

ـ دائماً، عشر مئات وصك. لماذا؟

ـ أعطني الألف في الحال وسأحرر لك صكاً.

ـ اصعد، ستروي لي القصة.

دارا بالسيارة حول الحديقة، روين يروي وديب يصغي دونما كلمة. وعندما انتهى روبن قال له ديب:

ـ لنبدأ من البداية. أولاً، هل لديها فرصة للتعرف إليك، مع الافتراض بأنها قد تكون شاهدتك في التلفزيون؟

ـ إذن لقد انشويت! قال روبن هازا كتفيه.

فهز ديب رأسه دائخاً:

ـ إنني أتساءل يا صديقي كيف تعبر الشارع وحيداً كلياً؟ إن أردت أن تتخلص فلا تترك نفسك تنحشر في الزاوية الضيقة. اسمعني، هذه ستكون كلمتك ضد كلمتها.

ومن يمكن أن يصدق مومساً عندما تتهم مواطناً شريفاً؟ (وتطلع إلى الساعة في واجهة السيارة) إنها العاشرة والنصف، فمتى وقعت الحادثة؟

ومن جديد هز روبن كتفيه:

ـ أنا لا أحمل ساعة. لقد ذهبت إلى السينما، وكان الليل قد حل عندما خرجت منها.

ـ إذن لا بد أنها وقعت حوالي الثامنة والنصف، وربما التاسعة. ولا بد إذن من أن يبدأ تواجدك لدي منذ الساعة الثامنة كدفع للجريمة.

ـ دفع للجريمة؟

ـ أجل دفع للجريمة، إنني أنا، يا أبي الصغير، ديب الكبير هنا لكي يغطيك عند الحاجة. فبإمكاننا أن نحكي أنني ذهبت لرؤيتك في منزلك الساعة السابعة والنصف، حيث تحدثنا قليلاً حول العمل، بعدئذ قمنا بجولة في المدينة. وحين أعود إلى المرآب سأرتب أموري بحيث أجعل أحداً يشاهدنا معاً ونحن في السيارة.

ـ والمومس؟ إنها في حالة تعيسة جداً.

ـ المومسات لا يمتن أبداً. غداً ستكون على الرصيف، جديدة تماماً.

فهز روبن رأسه:

ـ لقد أنهكتها، ولا أستطيع تركها في هذه الحالة.

ـ لكن ما الذي ضربك كي تأخذ مومساً؟ لقد رأيتك مع أجمل فأرات العالم في مطعم بي جي إس.

ـ لا أدري. كل ما أتذكره أنها اقتربت مني في الشارع. ثم ضربني في جمجمتي شيء كالصاروخ، والبقية تبدو لي وكأنها حلم.

ـ اسمع.. هل تريد نصيحتي؟ اتركها حيث هي. مومس أكثر أو مومس أقل، هل هذا مهم يا ترى؟

وفجأة تشنج روبن على باب السيارة، فراقبه ديب باستغراب:

ـ ألا توافق على هذا يا عجوزي؟

ـ ديب، هل شعرت يوماً بإحساس غريب، إحساس بأنك مررت بشيء من قبل، بأنك سمعت الكلمات نفسها، بأن الأمر حدث لك من قبل تماماً؟

ـ بلى، بالتأكيد. وهنالك اسم لهذه القضية. إن هذا يجري بنفسه في الرأس، ثم يتحقق منه المرء بعد زمن متأخر. إنه يحصل لكل الناس. بل حتى هنالك أغنية تقول: أين ومتى؟

ـ ربما، قال روبن بتمهل.

ـ إذن، اترك الموضوع وتصرف كما لو أن شيئاً لم يحدث.

ـ كلا، لا أستطيع. إنها كائن إنساني. وربما كان لها طفل.

ـ لقد اعترفت لك أنها سحاقية، أليس كذلك؟

ـ بلى، هذا صحيح، إنك محق.

وجه ديب السيارة باتجاه الشارع السادس والخمسين أمام مرآب منار إنارة ساطعة فجاء الصانع مسرعاً يقول له:

ـ إذن كيف حال سيارتك يا سيد نلسون؟

ـ تسير بالقوة الإلهية. فلم يحدث لي أن انفصلت عنها بعد. فأنا وصديقي ندرج فيها معاً منذ السابعة والنصف. أنت تعرفه. إنه روبن ستون. الرجل الذي يقدم برنامج من «الأعماق» في التلفزيون. فهز المستخدم برأسه علامة الموافقة لكن دون اقتناع.

ـ سيد نلسون، قال له، هلا أتيتني بصورتك موقعة كي أعطيها لابنتي بيتي.

ـ كيف تريدني أن أنسى شيئاً كهذا؟ (وفتح ديب صندوق القفازات ثم سحب منه مغلفاً من الورق المقوى) ها هي ذي، الصورة موقعة مع الكثير من قبلاتي.

وتركا المرآب ثم انسل روبن باتجاه الشارع الثامن والخمسين، فأمسك به ديب محاولاً ثنيه عن عزمه:

ـ اصغ إلي. ربما كانت في هذه اللحظة قد اصطادت زبوناً آخر. تريد أن تجد نفسك في موقف حسن!

ـ يا إلهي حسبي لو كان هذا صحيحاً! غمغم روبن.

وتوقفا أمام البناية الغارقة في الظلمة. فتطلع روبن بحذر إلى جميع الجهات:

ـ ربما كنت عنيداً لكن أنت أشد عناداً مني. على كل حال سأصعد أيضاً. هيا.

ومن جديد زفر المصعد حتى الطابق الثاني. كان باب الغرفة ما يزال مشقوقاً قليلاً. تماماً كما تركه روبن. فدخلا وراقبا المرأة المغمى عليها على الأرض. فأطلق ديب صفرة خفيفة:

ـ إنها قطة رائعة!

ـ أعطني دولاراتك الألف، قال روبن، سأضعها في حقيبة يدها ثم نستدعي طبيباً من الخارج.

ـ هكذا!... يأخذها الطبيب إلى المستشفى وعندما تستعيد وعيها تفضحك.

ـ لكنها لم تعرفني.

ـ صديقي الصغير، مومس تملك ألف دولار يطرح الناس عليها الكثير من الأسئلة. وقد تستطيع أن تصف ملامحك. بعدئذ الإله وحده يعلم أين يمكن لهذا أن يوصلك.

ـ إذن فما العمل؟

ـ لا تتحرك، يا عزيزي. ديب الكبير لديه فكرة. اقفل الباب واصمت ولدى عودتي سأدق دقتين على الباب، لا تفتح لأي شخص آخر.

ولم يجد روبن الوقت لإجابة ديب الذي كان قد اختفى على الفور.

جلس روبن على السرير وعيناه مسمرتان على الجسم الطويل الممدد على الأرض. فأمسك رأسه بين يديه. يا للعنة! المسكينة! من تراه يمر ببالها؟ إنها المرة الأولى التي يضاجع فيها امرأة سمراء دون أن يكون ثملاً. والأخرى! يالله! كيف لو حصل هذا مع ماجي!

تحركت المرأة في مكانها وهي تئن. فنهض وزلق وسادة تحت رأسها، ثم بلل منديله بماء الصنبور البارد وانهمك في محاولة لتنظيف الدم المتخثر على شفتيها. ثم ابعد لها شعرها الملتصق بوجهها.

ـ اعذريني، غمغم روبن. (ففتحت عينيها قليلاً، وتأوهت ثم فقدت وعيها من جديد) اعذريني أيتها البلهاء المسكينة. أنا لا أدري ما أصابني.

فتح روبن الباب عندما سمع الإشارة المتفق عليها. ودخل ديب يحمل في يده زجاجة صغيرة تحتوي على أقراص حمراء نارية:

ـ أليست هذه فكرة حسنة؟

ـ باربتريك؟

ـ نعم. والآن علينا أن نجعلها تبلع هذه الحبوب.

ـ لكنها ستقتلها.

ـ لن نعطيها إلا ثمانية أقراص. وهذه قد تقتل إنساناً عادياً، أما هذه فلا بد لقتلها من ديناميت.

ـ لماذا ننومها؟

ـ نضعها على الفراش والزجاجة الفارغة قريبة منها، ثم نخرج ونتصل بالشرطة، أنا أتصل وأغير صوتي، وأقول لهم إنني كنت على

موعد معها فذهبت إليها لأجدها في هذه الحالة. وأروي لهم أنها كانت تتكلم طوال الوقت خابطة قدميها. ثم تصل سيارة الإسعاف ويأخذونها إلى مستشفى بليفو حيث يغسلون لها معدتها وعندما تستعيد وعيها لن يصدق أحد ما ترويه وفي النهاية تفرط القضية. في المستشفى سيعيدون تسوية الأضرار التي تركتها على جسدها. إذن لم يبق إلا أن ننقل هذه الحمامة إلى السرير.

كان جسمها ثقيلاً إلى حد مرعب. فقد تقطعت أنفاسهما كليهما قبل أن ينجحا في رفع الجسم وتمديده، وضع ديب الأقراص في فمها، ثم سكب شيئاً من الماء الذي سال إلى أسفل البلعوم. فغرغرت شارقة بالماء ثم لفظت الماء والأقراص إلى شفتيها حيث انزلقت إلى وجهها. أعاد ديب وضعها في فمها وبدأ مرة ثانية عمليته. في هذه المرة ساعده روبن في رفع رأسها كي لا تختنق. وبدا القميص المبلل بالعرق شاهداً على ما فعله ديب وهو يجهد نفسه إلى أن رأى الأقراص تختفي داخل البلعوم.

ـ تمام، لننسل، أشار ديب، بل انظر... (وسحب منديلاً من جيبه وشرع يمسح كل مكان وضعوا أيديهما عليه مزيلاً كل آثار الأصابع والبصمات) ثم ألقى نظرة على روبن:

الأفلام البوليسة التي عملت فيها خدمتني أخيراً. إنني أعرف هذه القضايا كلها. أين وضعت يديك يا صديقي؟

وحين انتهت عملية التنظيف سحب ديب من جيبه مغلفاً جلدياً يحتوي على مشط ذهبي ومبرد ومقص أظافر فتطلع روبن، مندهشاً، إلى شريكه وهو يقص أظافر المرأة الطويلة الحمراء. بعدئذ أزال كل ما تبقى منها بالمبرد وعلى نحو نظامي.

ـ هذا خشية أن يكون قد تبقى شيء من شعرك فيها. (وتفحص الغرفة بنظرة شاملة) أعتقد أن كل شيء على ما يرام (ثم أخذ حقيبة

اليد بعد أن غطى أصابع يده بالمنديل وراح يفتش فيها) هذه هي هويتها. تدعى آنا ماري وودز وتسكن شارع بلكر.

ـ أعطني العنوان.

ـ أخذ روبن رخصة العمل وسجل الاسم والعنوان ثم أعادها إلى ديب الذي أرجعهما إلى الحقيبة.

ـ تملك قرابة المئة دولار. هاك، خذها.

ـ أنت مجنون! احتج روبن راداً الأوراق النقدية بيده.

ـ أنت لم تأخذ الاسم والعنوان لكي تدعوها إلى حفلة رقص، بل لكي ترسل إليها نقوداً، أليس ذلك صحيحاً؟ إذن، خذ هذا المبلغ ثم أعده إليها، وإلا سرقه أحدهم في المستشفى.

فأخذ روبن المال دون أن يضيف كلمة. لقد أدرك لماذا نجح ديب في عالم السينما: كان يحاول دائماً أن يفكر على نحو أسرع من الآخرين. ربما هكذا يجب أن يتصرف المرء كي ينجح عندما ينطلق من أسفل درجات السلم.

غادر روبن وديب الغرفة بحذر شديد بينما استمر الحظ في الابتسام لهما: فقد وصلا إلى الرصيف دون أن يراهما أحد. بعدئذ اتصل ديب بشرطة النجدة ورفض روبن أن يبتعد قبل التأكد من وصول النجدة. لقد أوضح له ديب سوء هذا التصرف لكنه أصر، فانتظرا معاً في مدخل إحدى البنايات على الجانب الآخر من الطريق. بعد عشر دقائق سمعا صوت الإنذار وشاهدا ثلاث سيارات شرطة تتوقف أمام البناء. وصلت سيارة الإسعاف بعد دقيقتين وفي الحال تجمع حشد غفير من الناس. وخيل لروبن أن الناس ينبثقون من كل مكان.

ـ سأذهب لأرى إن كانت ما تزال حية. غمغم روبن (وحاول ديب أن يتبع خطاه، لكنه دفعه عنه) الآن، أنت من لا يفكر. فأنت بشعرك الأشقر

وسفعة وجهك الهوليودية ستنسي الجمهور سيارة الإسعاف وتجعلهم يتوجهون إليك حاملين دفاتر توقيعاتهم، أما أنا فما من أحد يعرفني.

ـ لا تكن كبير الثقة، كثير الاطمئنان.

ـ بالنسبة لهم أنا متأكد، فالجميع شاهدوا أفلامك البوليسية.

اجتاز روبن الطريق وانسل بين حشد المتفرجين. بعد قليل، خرج رجلان من رجال الإسعاف وهما يحملان نقالة، ولم يكن وجه المرأة مغطى. إذن فهي ما تزال على قيد الحياة.

انطلقت سيارة الإسعاف من جديد وقد أشعلت الضوء الأحمر، ودوى صوت الإنذار. وكان الحشد قد تفرق عندما عاد روبن إلى ديب. فأمسكه هذا بذراعه.

ـ بعد سهرة صاخبة كهذه من الأفضل أن تذهب وتنام جيداً تماماً.

ـ ديب ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟ اطلب مني ما تريد...

ـ شيء صغير: أن أظهر أنا وبولي في برنامج من الأعماق في أيلول وقبل ابتداء عرضنا الأول في القاعة الفارسية. إن فعلت هذا ستكون رائعاً. والآن دعنا نذهب من هنا. ليقفز، كل منا في سيارة، كما يحدث في الأفلام البوليسية.

حين وصل روبن إلى منزله، أخذ منوماً واستلقى على سريره. بعد ساعة أخرى أخذ قرصاً ثانياً، أذابه في الفودكا وشرب الكأس دفعة واحدة ثم استغرق في سبات عميق.

وحين استيقظ في الصباح، اتصل في الحال بالطبيب أرشيبال جولد:

ـ روبن ستون على الخط. إنني جاهز للعبة الكبيرة.

بدا روبن، وهو جالس أمام الطبيب جولد، مسترخياً، مسيطراً على نفسه تماماً. وبعد أن استمع الطبيب لمريضه فترة من الزمن سأله:

ـ هل حدث أن أغرتك مومس من قبل؟

ـ أبداً.

ـ هل شعرت بأية رغبة جنسية تجاه مومس من قبل؟

ـ أبداً.

ـ قلت لي أنك ازدريت واحدة أكثر جاذبية، فكيف تبعت هذه بالذات؟

فسحق روبن سيجارته في المنفضة:

ـ هذا هو بالضبط سبب مجيئي إلى هنا. لقد كانت سمراء.

فلمع بريق اهتمام خاص في عيني أرشي الرماديتين.

ـ هل جربت نفسك مع ماجي؟

ـ لا أفهم قصدك.

ـ روبن، أعتقد أنك ما كنت لتخسر الخمسين دولاراً لو أنك لم تحقق الانتصاب مع هذه المومس.

فهز روبن رأسه:

ـ لا، لا أعتقد أن الأمر يتعلق بهذا. بل لقد نتج عن شيء يشبه الانفجار أحسست به في رأسي عندما اقتربت مني. ومنذ اللحظة التي ذهبت معها، تكوّن لدي انطباع بأنني في حالة ثانية، في حلم. درس آرشي ملاحظاته:

ـ قلت لك أنني أود أن أضعك في حالة تنويم مغناطيسي. وهذا هو الحل الأفضل.

ـ لكن هذا شيء مضحك! الكلام بكل حرية شيء كاف...

أنا لا أريد أن أضيع وقتي، ولا أريد أن تضيع نقودك. الأفضل هو أن أنومك وأسجل كل ما تقوله على شريط. بعدئذ تسمع إجاباتك وبإمكاننا، ربما، أن ننطلق من هذه النقطة. (ولاحظ أن هيئة روبن قد اربدت) عندما جئت إلي في كانون الثاني، اصطدمنا بمانع. لقد عجزت عن تذكر شيء

من طفولتك الباكرة. برأيي، هذا ليس لأنك رفضت أن تتذكر، بل لأنك لم تستطع أن تتذكر. من جهة أخرى، أنت حتى الآن تفضل الجنس على الحب. ولم تستطع أبداً أن توفق بينهما. وهذا الذي تعانيه تجاه ماجي ما هو إلا الرغبة في أن تحب. لكن الحب الشهواني يبدو لك نوعاً من ارتكاب المحرمات. لذلك يجب علينا أن نعرف السبب. كل ما قلته لي حتى الآن لا يعطيني أي دليل. وإنني أقر معك أنك لم تخف أي شيء. (وتوقف قليلاً ثم استأنف) ما هو عمرك يا روبن؟

ـ سأبلغ الحادية والأربعين في الشهر القادم.

ـ ألم تفكر أبداً في الزواج؟

ـ لا، ولماذا يجب أن أفكر؟

ـ كل رجل يقول لنفسه عادة أن عليه بين يوم وآخر أن يتزوج. متى تحققت لأول مرة من أنك تريد أن تبقى أعزب طوال الحياة؟

ـ لا أدري. يخيل إلي أنني دائماً أحمل هذا الإحساس.

ـ لنعد النظر بهذه النقطة، قال آرشي منتصراً، أنت لا تدري، لكنك تحمل هذا الإحساس. منذ متى؟ لماذا؟ وهكذا ترى أن علينا أن نتغلغل صعداً في الماضي. (ونهض آرشي) روبن، إننا في حلقة مفرغة. بالنسبة لهذا اليوم، يكفي على ما أظن. لنعد غداً. فهل تظن أن بإمكانك إعطائي ثلاث ساعات من وقتك؟

ـ ثلاث ساعات؟

ـ أجل. أريد أن أنومك وأستفيد من مسجلة. بعدئذ، سنسمع الشريط معاً وأعتقد أننا سنصل إلى لب المشكلة.

ـ إذن الأفضل أن تكون في السهرة، اعتباراً من الساعة السادسة. معقول؟

ـ إنني أنتظرك غداً الساعة السادسة.

الفصل الحادي والعشرون

صباح اليوم التالي، اطلع روين على كافة الصحف ليرى إن كان هنالك شيء حول موضوع آن ماري، وانتهى إلى إيجاد خبر صغير على الصفحة الخاصة من صحيفة الأخبار:

اكتشفت الشرطة، بعد إنذارها هاتفياً من قبل مجهول، في غرفة مفروشة من الشارع الثامن والخمسين، امرأة تعرضت لأعمال عنف فظيعة. المرأة تسكن هذه الغرفة ولم تستطع أن تقدم أي تفسير فيما يتعلق بوجودها في هذا المكان. لكن التحقيق أظهر أنها تمارس الدعارة، دون أن يقدم أي اتهام ضدها. نقلت المرأة إلى مستشفى بديفو، وهي تؤكد أنها تجهل كلياً هوية المعتدي عليها. حالتها لا تدعو كثيراً للقلق، وستغادر المستشفى غداً.

ذهب روين إلى المصرف، سحب شيكاً بقيمة ألفي دولار من القطع الصغيرة ثم وضعها في مغلف تجاري وأرسلها إلى عنوان آن ماري.

بالرغم من أنه كان ما يزال متحفظاً بالنسبة لعملية التنويم المغناطيسي فقد حضر إلى عيادة الطبيب آرشي في الساعة السادسة مساء كما اتفقا. واعترته رعشة اضطراب حالما رأى المسجلة:

ـ هل تعتقد حقاً أن الأمور ستسير؟

ـ أرجو ذلك، أجاب آرشي، اخلع سترتك وفك عقدتك.

فأخذ روين سيجارة وقال ساخراً:

ـ هكذا أنا مرتاح، ترى هل علي أن أتمدد على الأريكة؟ سأحاول حتى هذا إن كان يفيد.

ـ لا، اجلس على ذلك الكرسي المستقيم، ولا تـدخن. روبـن، أنت لن تقاوم، أليس كذلك؟

ـ طبعاً لا. فليس لدينا وقت نضيعه، لا أنا ولا أنت.

ـ تمام. الآن، لا تفكر بأي شيء بعد. ثبت نظرك، ركـز انتباهـك على هذه الملـصقة البحريـة علـى الجـدار. حـدق إلى المـاء. قـدماك تسترخيان... تغدوان بلا إحـساس، سـاقاك أيـضاً تحكانـك علـى مـا يبدو... جسدك يتخدر... لم تعد تشعر بـالوزن... يـداك تتـدليان علـى جانبيك... رأسك وعنقك يسترخيان... ستغلق عينيك.. أغلق عينيـك، يا روبن. الآن، لا ترى إلا الظلام... الظلام المخملي... شعر روبن أن الطبيب جولد قـد خفـض الـضوء، وكـان مقتنعـاً أن هـذا لـن يخـرج بطائل، لكنه أطاع. لقد ركز انتباهه على ذلك البحـر الـشيطاني وكـرر لنفسه أنه يفقد كل قدرة على الإحساس. كما حاول أن يزيل كل فكـرة أخرى لكي يركز انتباهه علـى صـوت الطبيـب... كـان يـسمع صـوت آرشي.... هذا لن يمشي. إنه دائماً يسمع هذا الصوت. العتمة تتكـاثف خلف بؤبؤيه.. لكن هذا لن يمشي...

عنـدما فـتح عينيـه، وجـد روبـن نفـسه ممـدداً علـى الأريكـة، فجلس وجرى بنظره شارداً، في كل أرجاء الغرفة ثم سـحب سـيجارة من جيبه:

ـ كيف انتقلت إلى هنا؟ قبل عشر ثوان كنت على الكرسي.

ـ لا، قبل ساعتين ونصف.

فنهض روبن واثباً:

ـ كم هي الساعة؟

ـ التاسعة إلا ربعاً، وقد وصلت الساعة السادسة.

فتح روبن الهاتف متصلاً بالساعة الناطقة واستمع إلى الصوت يعلن: في الدقيقة الرابعة تكون الساعة الثامنة وسبعاً وأربعين دقيقة تماماً. أغلق الخط والتفت نحو الطبيب وهو غير مصدق. فابتسم له آرشي.

تطلع روبن إلى المسجلة بعين متسائلة، فهز الطبيب رأسه.

- بحق السماء. هتف روبن، دعني أسمع الشريط.

- لا، هذا يكفي لهذه الليلة. أريد أولاً أن أستمع إليه جيداً، ورأسي مرتاح. غداً سأدعك تسمعه.

- هل قلت شيئاً ذا معنى؟

- لقد كشفت أسراراً مدهشة.

- إذن، هيا، أسمعني الشريط وإلا فكيف تريدني أن أنام هذه الليلة؟

زلق الطبيب جولد حبتين خضراوين في مغلف وقال:

- خذ هاتين الحبتين عندما تصل منزلك ولسوف تنام. هل تستطيع أن تأتيني غداً الساعة السادسة؟

- بالتأكيد.

أعطى القرصان مفعولهما. وأمضى روبن ليلة طيبة. لكن طوال النهار التالي ظل يدخن دون توقف، عاجزاً عن تركيز انتباهه على عمله. وحين وصل إلى عيادة الطبيب كانت أعصابه في ذروة التوفز.

- روبن، قبل أن نبدأ، قال له آرشي، أريد أن تكون على ثقة من شيء واحد:

في حالة التنويم المغناطيسي، الناس جميعاً يقولون الحقيقة. الصوت الذي ستسمعه على هذا الشريط هو صوتك، في بعض الأمكنة سيبدو لك أنه غريب وذلك لأنني أعدتك إلى طفولتك الباكرة ولأنك تكلمت كما يتكلم الأطفال، لكنني أريدك أن تسمع دون أن تقوم بأية حركة ودون أن تعترض على ما تسمعه. (واقترب الطبيب من المسجلة ثم سأله) جاهز؟

فهز روبن رأسه موافقاً ثم جلس. بدأت الآلة تخشخش، بعدئذ سمع روبن صوت الطبيب:

ـ روبن، أنت تنام... أنت تسمع صوتي، ستفعل كل ما أقوله لك. انهض عن هذا الكرسي، يا روبن، اذهب إلى الأريكة... حسناً، الآن، تمدد. سنرجع الزمن القهقرى... بعيداً جداً... يا روبن. أنت غلام صغير... في الخامسة... أنت في سريرك...

روبن: ـ أجل أنا في السرير.

سحق روبن، وهو جالس على حافة الكرسي، سيجارته. يا للعنة، لقد كان الصوت صغيراً جداً، رقيقاً جداً، لكنه صوته.

الطبيب: أنت في السرير، فكيف هو، هذا السرير؟

روبن: إنه سرير صغير جميل. كيتي تقبلني وتقول لي تصبح على خير.

الطبيب: روبن، أنت الآن في الرابعة. أنت في السرير... (صمت) روبن.. أنت في الرابعة.. أنت في السري...

روبن: ـ لماذا تدعوني روبن؟ اسمي كونراد.

الطبيب: حسناً جداً يا كونراد. أنت في الرابعة، وفي سريرك.. فماذا ترى؟

روبن: أمي معي في السرير لكن...

ـ لكن ماذا؟

ـ هي تقول إنها ستبقى معي لكنها منذ اللحظة التي أنام فيها، تذهب. إنها تتركني كل ليلة.

ـ كيف تعلم أنها تتركك؟

ـ لأنني أستيقظ دائماً وأسمعها في الغرفة الثانية...عندما تكون معهم.

ـ من هؤلاء الذين تكون معهم؟

ـ لا أدري.

ـ أين أبوك؟

ـ ليس لدينا بابا.

ـ لدينا؟

ـ أنا والماما... ليس لنا أحد... لا يوجد سوانا نحن الاثنين... وهم.

ـ من هؤلاء الهم؟

ـ غالباً، هو شارلي، وأحياناً آخرون سواه.

ـ هل يأتون ليروا أمك؟

ـ أجل، لكنهم ينتظرون إلى أن أنام.

ـ ماذا تفعل عندما تسمعهم في الغرفة الجانبية؟

ـ الآن، لا شيء بعد، منذ صفعني شالي.

ـ متى صفعك شارلي؟

ـ منذ بعض الوقت... عندما دخلت الغرفة ورأيته على السرير نائماً فوق أمي.

ـ ومنذ صفعك شارلي، أما تزال أمك تذهب إلى الصالون عندما تنام أنت؟

ـ أجل، لكن ليس مع شارلي، لقد طردته أمي لأنه ضربني. وأنا الرجل الوحيد الذي تحبه أمي... ليس هنالك سوانا في العالم... لا أحد يحبنا... لا يوجد سوانا نحن الاثنين في العالم...

ـ ما هو عمرك؟

ـ سأبلغ الرابعة غداً، عشرين آب، وستأخذني أمي إلى بوسطن لأرى الحمام في الحديقة.

ـ أين تسكن؟

ـ في الولاية، جزيرة رود.

ـ هل ستحتفل بعيد ميلادك مع أصدقائك الصغار؟

ـ ليس لنا أصدقاء. إننا وحيدون في هذا العالم.

ـ روبـ... كونراد. نحن بعد أسبوع من عيد ميلادك، فماذا تفعل؟

ـ إنني ما أزال غاضباً من أمي.

ـ لماذا؟

ـ جاء رجل في عيد ميلادي. وطرق الباب في الوقت الذي كنا سنذهب فيه إلى بوسطن. قالت له أمي إننا خارجان.. وإن عليه أن يرجع في المساء. أعطاها الرجل نقوداً قائلاً إن شخصاً ما أرسلها لها. فأعطتني بضعة قروش قائلة لي أن أذهب وأشتري بوظة من زاوية الشارع ثم أعود وأجلس بانتظارها على درجات السلم، مانعة إياي من الدخول إلى المنزل إلى أن تدعوني. أطعتها وما كدت أبدأ التهام بوظتي حتى جاء فتى كبير مر بجانبي وخطفها مني. فعدوت راكضاً... كانت أمي في سريرنا... وكان الرجل معها. فتضايقت منها. الناس لا ينامون في النهار. وهذا عيد ميلادي فصرخت بي.... قائلة إن علي أن أخرج... (صمت طويل).

ـ كونراد... أنت ما تزال في الرابعة. وهذه هي ليلة البربارة، ماذا تفعل؟

ـ أمي طبخت إوزة. الأسر الكبيرة تطبخ ديكة رومية. لكن نحن مجرد أسرة صغيرة، وليس هناك سوانا كلينا، ولهذا فقد طبخت إوزة. لدينا مرق بالبهارات.. أمي تحضر الإوزة تماماً مثلما كانت أمها تحضرها عندما كانت هي طفلة صغيرة في هامبورغ.

ـ كونراد، هل ذهبت إلى هامبورغ؟

ـ لا، أمي ولدت هناك. وفي هامبورغ يوجد الكثير من البحارة، وهكذا قابلت أمي أحدهم ثم جاء بها إلى أمريكا حيث تزوجها.

ـ وحينذاك ولدت أنت؟ هل هذا هو أبوك؟

ـ لا، لقد قتله أحدهم. هو ليس أبي. هو زوج أمي فقط. لم يكن صالحاً لشيء. هذا ما قالته أمي. كان يسوق شاحنة ويبيع الويسكي المحظور. وفي إحدى الليالي قتل كل سائقي الشاحنات وبقيت أمي وحيدة. أتفهمني؟ حينذاك لم يكن لديها كونراد... ولا أحد... كانت وحيدة كلياً. لكن السيد الذي كان يملك كل الشاحنات قال لأمي ألا تهتم وألا تفعل شيئاً فهو سيرسل لها رجالاً يرونها، ويواسونها ويعطونها نقوداً. وبعد عام جئت أنا. الإله أرسلني إليها.

ـ هل قالت لك أمك من هو أبوك؟

ـ لقد قلت ذلك من قبل... لم يكن لدينا بابا. لم يكن هناك سواي أنا وأمي ونحن نغير منزلنا دائماً فرجال الشرطة لا يحبون أن يعيش غلام صغير بمفرده مع أمه، بلا أب. وإذا ما قبضوا علينا سيضعونني في منزل بعيد عن أمي وسيرسلون أمي إلى هامبورغ لكنها توفر نقودها وذات يوم سنذهب إلى هامبورغ. وهناك سنعيش مع جدتي (بالألمانية)... وسيكون لدي أطفال آخرون ألعب معهم ولن أكون وحيداً بعد. أنت تفهمني، هذا هو السبب الذي تمنعني لأجله أمي من اللعب مع صبيان الحي. فهم سيطرحون علي أسئلة حول أبي. وبعدئذ سيقولون للشرطة إنني بلا أب.

ـ كونراد.. ها نحن أولاء بعد أسبوع من البربارة. إنه المساء، فماذا تفعل؟

ـ إنني في الفراش، لكن أمي في الغرفة الأخرى مع جورج. إنه يأتي إلينا كل مساء يعطي أمي نقوداً ويقول إنه سيؤمن لنا جوازات سفر.

ـ من هو جورج؟

ـ واحد من الرجال...

ـ كونراد، نحن بعد أسبوعين من البربارة، وقد حل المساء فهل أمك مع جورج؟

ـ لا... إنه «هو» من جاء.

ـ «هو»، من؟

ـ سيد آخر.

ـ من هذا السيد؟

ـ لا أدري، لقد استيقظت لإحساسي بأن السرير خال فأدركت أن أمي في الغرفة الأخرى. كنت جائعاً وكان لدي رغبة بكعكات صغيرة مصنوعة من جوز الهند وموجودة في البراد. وكان علي أن أعبر الصالون كي أصل إلى المطبخ فذهبت من هناك على رؤوس أصابعي إذ تذكرت أن شارلي كان قد صفعني... وأن ماما تنزعج عندما أغادر الفراش...

ـ من كان مع أمك؟

ـ لم أكن قد رأيته من قبل. لقد كان على ركبتيه في الأريكة... منحنياً فوق أمي.

ـ ماذا يفعل؟

ـ كانت يداه على عنق أمي. راقبته دون أي ضجة. نهض وغادر. لم يقل حتى «تصبحين على خير» لماما. اقتربت من الأريكة فوجدت أمي نائمة... لكنها لم تكن نائمة كالعادة. كانت عيناها مفتوحتين. وكان يبدو عليها أنها نائمة. وعندما حركتها سقطت على الأريكة وظلت متمددة على الأرض. وقد تدلّى لسانها على نحو مضحك من فمها. شعرها الأسود مشوش كلياً. أحب أن أنام على صدرها، صدرها الناعم والدافئ. لم أكن أعرف ما شكل صدرها من قبل. لكنني أراه بشعاً بغير قميص النوم، أشعر بالرعب. شعرها فاحم جداً بالمقارنة مع وجهها

الأبيض. عيناها غريبتان، تتطلعان إلي كما لو أنهما لا تريانني. إنني خائف.. أمي. (بالألمانية) أمي... أمي. (صمت).

ـ نحن في اليوم التالي. فأين أنت؟

ـ في غرفة كبيرة... الكل يطرحون أسئلة علي. أريد ماما. إنهم يسألونني ما شكل الرجل. أريد أمي. أريد أمي. بعدئذ تدخل سيدة سمينة ترتدي ثياباً بيضاء وتقودني إلى غرفة مليئة بالأطفال. قالت لي إنني سأعيش هنالك وأن كل الأطفال الموجودين هم مثلي... بدون أمهات. اسأل إذا كانت أمي قد ذهبت إلى هامبورغ. فتقول لي لا. غلام صغير يقول لي لقد ماتت، أمك هذه فأسأل: هل هي في السماء؟ لكن السيدة السمينة تجيبني ضاحكة: كلا، ليست أمك أيها الصغير، فالنساء الرديئات لا يذهبن إلى السماء. إنها ستجد ما تستحقه. أن تنجب طفلاً وتلقيه في هذا العالم وهي تعيش مثل تلك الحياة. بعدئذ أضرب.. أدق على المرأة السمينة... أدق... أدق.. (يصبح الصوت حاداً بعدئذ، ثم بعد لحظة من الصمت، يستأنف الصوت) كل شيء أصبح مظلماً، لكن الناس يحيطون بي وأنا لا أبكي... أمي قالت لي إنني رجل وإن الرجال لا يكون. لن أبكي.. لن أقول أي شيء... لن آكل أي شيء.. لن أسمع أي شيء. بهذا الشكل سيضطرون لإعادتي إلى ماما. هكذا قالت لي أن أتصرف... لقد عرفوا أننا بلا أب... لذلك أحضروني إلى هذا المنزل الكبير... بعيداً عنها. لكن علي أن أفكر بالأمر، وأن أصغي إليهم أكثر... (صمت).

ـ كونراد، هذا هو عيد الميلاد فأين أنت؟

ـ (بصوت ضعيف) إنه ليل، وأنا نائم... ظلام... ظلام... يوجد أنبوب يشبه القشة في ذراعي... لكنه لا يؤلمني... أنام.. أنام. منذ غادرتني تلك السيدة ذات الشعر الأسود إلى هامبورغ وأنا أنام. هي من تحبني أبداً... سأنام. لن أفكر بها بعد الآن... لقد كانت امرأة رديئة...

ـ ها نحن أولاء بعد أسبوعين يا كونراد فأين أنت؟

ـ إنني جالس على سرير كبير ذي حواشٍ من كل جانب. بقربي امرأتان بلباس أبيض. إحداهما سعيدة جداً برؤيتي وأنا جالس. تسألني عن اسمي... ليس لي اسم. لا أعرف أين أنا. يصل رجل بقميص أبيض، يتطلع إلي بعينين لامعتين. إنه نبيل... إنهم يحضرون لي بوظة.

ـ إننا في عيد ميلادك الخامس يا كونراد، فأين أنت؟

ـ كونراد؟ من هو كونراد؟ إنني أدعى روبن ستون وأنا أحتفل بعيد ميلادي. أمي، أبي، وكل أصدقائي يراقبونني وأنا أطفئ الشموع في الكعكة.

ـ هل تحب أمك؟

ـ بالتأكيد. لقد كنت مريضاً... أنت تعلم. وعندما جاء أبي وأمي إلى المستشفى لم أستطع التعرف إليهما لشدة مرضي. لكن الآن، كل شيء انتهى.

ـ كيف هي أمك؟

ـ إنها جميلة ولطيفة. شعرها أصفر واسمها كيتي.

أوقف الطبيب الآلة:

ـ ما تبقى يتطابق مع ما رويته لي من قبل، ولادة ليزا وبقية الأشياء.

كان روبن، وهو جالس على الكرسي، شاحب الوجه مبلل القميص بالعرق.

ـ ما معنى هذا كله؟

فتطلع إليه آرشي مباشرة في عينيه:

ـ الأمر واضح كفاية، أم لا؟

فنهض روبن صائحاً:

ـ كومة من الأكاذيب.

فظهر على وجه الطبيب شيء من التعاطف:

ـ لقد توقعت رد فعلك هذا، لذا، في الساعة التاسعة من هذا الصباح، خابرت الجريدة في الولاية. طلبت إليهم أن يفتشوا لي في محفوظات بربارة 1928. وقد فتشوا فوجدوا هذا الخبر: دخل رجال الشرطة، بناء على إنذار هاتفي من مجهول، إلى شقة، حيث وجدوا فيها طفلاً في الرابعة نائماً ورأسه على صدر امرأة مخنوقة. كانت هذه المرأة قد ماتت قبل سبع ساعات. وهي متهمة بممارسة الدعارة في عدة مرات سابقة إنما دون أن تكون قد أدينت أبداً. تشك الشرطة في أن القاتل هو نفسه صاحب المكالمة الهاتفية لكنها لا تملك أي دليل على شخصيته. أما الطفل ـ وهو الشاهد الوحيد الذي رأى القاتل ـ فإنه عاجز عن إعطاء ملامح الرجل.

ـ هل هذا كل شيء؟

ـ لا، هذه أيضاً نبذة أخرى مؤرخة بعد ثلاثة أيام من تاريخ تلك: «أرادت الشرطة أن تعرض على الطفل صور عدة جانحين جنسيين، إلا أن الطفل في حالة خبل وغيبوبة. وقد عهد بهذا الطفل إلى مؤسسة إحسان في جزيرة رود».

فذهب روبن إلى النافذة:

ـ إذن، لم أعد أنا نفسي، بل أنا مجرد لقيط صغير اسمه كونراد. (ويرم حول نفسه ناظراً إلى آرشي نظرات تائهة) لماذا فعلت بي هذا؟ لماذا؟ لقد كنت أكثر اطمئناناً حين لم أكن أعرف شيئاً.

ـ أكثر اطمئناناً؟ رجل يلاحق المومسات ويضربهن حتى يكاد يقتلهن؟ أكثر اطمئناناً هذا الذي يرى نفسه غير قادر على إقامة علاقة طبيعية مع امرأة؟

ـ كان باستطاعتي دائماً أن أتردد على المومسات، كنت سعيداً.

ـ حقاً؟ أولاً، أنا لست متأكداً من أنك لن تعيد الكرة مع مومس أخرى أو حتى مع عدة مومسات. فماجي، في عملية صدك، قد ترمي

بك إلى سلسلة من ردود الأفعال. عندما أغرتك هذه المرأة على الرصيف، عشت عاطفة قديمة من الحقد اللاشعوري تجاه أمك، لأنها تركتك، لأنها كانت امرأة ساقطة كما قلت لي أنت نفسك. وقد نتج عن هذا نوع من الانفجار في داخل دماغك، بعدئذ تصرفت وأنت في حالة ثانية، خاضعاً لاستيهام الحقد والحب.

ـ لماذا الحقد؟ فهذا الغلام على الشريطة كان يحب أمه.

ـ ظاهرياً، كان يحبها كثيراً. ولم يكن لديه إنسان آخر في حياته. بعدئذ وفي لحظة الصدمة، قدر رغم صغره وعدم إدراكه أن عليه أن يكرهها لكي يبقى على قيد الحياة ولعل الحقد كان مؤلماً إلى حد فضل معه أن ينسى وذلك بأن يفرض على نفسه فقدان الذاكرة الكامل. وهكذا عندما رأيت هذه المومس فإن حقدك الكامن في اللاشعور انبثق، أما حين قابلت ماجي فإن الحب الكامن في اللاشعور هو الشعور الذي لمسته: الحب الذي كنت تحمله لأمك. لقد رأيت في ماجي أيضاً فتاة جميلة جداً تشتهى، لكن اللاشعور في باطنك رفض هذا الاشتهاء. وهذا هو السبب في أنه كان عليك أن تسكر لكي تستطيع النوم معها. إذ عندما يلغي الشراب والسكر مسألة الحرام فإن لا شعورك يطابق هذه المرأة مع ذكرى أمك.

ـ والآن وقد قلت لي كل هذا؟ هل ستمشي الأمور تماماً حين أخرج من هنا وأقابل ماجي.

ـ الأمر ليس بهذه البساطة ولا بهذه السرعة أيضاً. فيما بعد، نعم. حين تتعلم كيف تفهم غرائزك ورغباتك ودوافعك فإنك ستشفى. وحينذاك لن تعود بحاجة لشقراوات رائعات الجمال لكي يثرنك من جهة، ولا لفتاة جميلة مثل ماجي لكي تحبها من بعيد من جهة ثانية. بل ستكون قادراً على إعطاء وأخذ الحب بطريقة مرضية.

ـ آرشي، قريباً سأبلغ الواحدة والأربعين من عمري، ولقد تأخر الوقت بالنسبة لي لكي أغير شخصي. لذا سأظل أفضل الشقراء عندما تتوفر لي الفرصة. (وفجأة تهاوى من جديد على الكرسي) يا للعنة، أنا لست نفسي... كيتي ليست أمي لا أعلم من هو أبي، لا أعلم حتى من كانت أمي. (واغتصب من نفسه ضحكة) كنت أشفق على أمندا، أنا، آخر اللقطاء، أنا كونراد جين؟

ـ أنت روين ستون. الاسم ليس شيئاً أساسياً. لقد حدث أنك ما تزال تحمل ندوب الصدمات التي تعرض لها كونراد، فاكشفها للنور، هذه الندوب، عرضها للهواء. واحتفظ منها بما هو جيد وارم بما هو سيئ.

ـ السيئ، ما هو؟

ـ كراهية أمك الحقيقية.

ـ أوه، لقد كانت امرأة عاهرة، قال روين، على الأقل كان لأم أمندا علاقة مع شخص واحد فجاءت. أما أمي فقد كانت عاهرة.

ـ امرأة ألمانية صغيرة فقيرة، وجدت نفسها معزولة في بلاد غريبة. إنه شيء واضح: فالرجل الذي تزوجته كان يعمل لصالح مهرب في زمن حظر المشروبات، وقد قتله رجال عصابة أخرى معادية من عصابات التهريب، وهكذا تدخل رئيس العصابة ليؤمن حاجيات الأرملة برميها في عالم الدعارة. كانت هذه المرأة تحبك يا روين، إذ كان بإمكانها أن تتخلص منك قبل أن تولد، أو تتخلى عنك لأحد بيوت اللقطاء بعد أن ولدت. لكنها كانت تحبك، وقد جهدت نفسها لأن تعطيك مأوى وأن توفر النقود لكي تنقلك وتنقل نفسها إلى عالم تستطيع فيه أن تعيش حياة عادية. لقد كانت تحبك على نحو لا يمكن نكرانه.

فشد روين قبضته:

ـ لماذا لم تقل كيتي الحقيقة؟ لماذا ربتني بالطريقة التي جعلتني أعتقد أنني ابنها؟

ـ من الواضح أنك كنت في حالة صدمة. وحين شعرت بأنك تحسنت نحو الأفضل وجدت أنك لم تعد تتذكر شيئاً. أما أن تكتشف أنك طفل بالتبني فهذا يعني إغراقك في ماض تريد أن تمسحه كلياً وأن تتخلص من ذكراه، بالرغم من صغر سنك. ربما كان أحدهم قد أشار على كيتي بألا تقول لك شيئاً. (ورأى آرشي بريق الغضب في عيني روبن) اسمع يا روبن لا تحقد كثيراً على ماضيك الخاص. فأنت إنسان محظوظ. أمك كانت تحبك، وكيتي الآن تحبك. لقد تبنتك وحمتك من سر ولادتك. والرجل الذي يعيش محاطاً بالحب، بل بكثير من الحب، ليس له الحق في أن يخلق الصعوبات ولا أن يتنازل عن شيء من نفسه.

فنهض روبن:

ـ إذن، إن كنت قد فهمت حسناً، ليس لي الحق في أن أثير أي إشكالات أو أن أعمل أي شيء.

ـ ماذا تقصد؟

ـ ليزا تعرف الحقيقة... لقد قالت لي شيئاً من قبل لم أستطع إدراكه إلا الآن. كيتي أيضاً تعرفه وهذا واضح. وربما كانت مهتمة كثيراً بموضوعي ومنشغلة البال، فهي تشك في أنني قد أكتشف أصلي وأنهار. بلا شك هي تعتقد أنني ضعيف. وأنني بحاجة لحماية. وهما تفكران بأنني بحاجة لامرأة وأطفال كي يلعبوا بالنسبة لي دور المرساة التي تمنع من الانحراف. شيء لا يصدق، خمسة وثلاثين عاماً عشت من حياتي ضحية الوهم. ليزا وكيتي تشفقان علي دون أن تقولا شيئاً. لكن حسناً، أنا لست بحاجة للشفقة، لست بحاجة لامرأة، لست بحاجة لأطفال، لست بحاجة لأحد، ولا حتى لك أنت بعد الآن ـ مفهوم؟

لست بحاجة لمخلوق، واعتباراً من هذه اللحظة، لن أقبل شيئاً من أي كائن. لسوف أحافظ على نفسي. ثم أمسك بسترته وانطلق صافقاً الباب خلفه.

الفصل الثاني والعشرون

استلقت ماجي على السرير الكبير، وابتسمت وهي تسمع آدم يغني بصوت رقيق في الحمام. كانت لديها رغبة في أن تنام ليلاً طويلاً، فالغد هو يوم الأحد، وقد وعدها آدم بأن يُعينها في دورها الجديد. هذه الفكرة أيقظت الخوف الذي شعرت به بعد أن اختارها كارل برانت كنجمة لفيلمه القادم. لقد حاول آدم أن يطمئنها بقوله «ليس عليها أن تخشى شيئاً» لكن فكرة العمل تحت إدارة كارل برانت كانت تخيفها. فالجميع يعلمون أنه يعامل الممثلين بنوع من القسوة السادية وأنه لا يتردد في إذلال أكبر النجوم لفرض إرادته عليهم. طردت ماجي هذه الفكرة من ذهنها وأخذت من على طاولة السرير العدد الأخير من مجلة «منوعات». لسبب أو لآخر، لم تكن تملك الوقت الكافي لقراءة أي شيء ما عدا المقالات اليومية المتعلقة بالمهنة.

فهي تطالع هذه المقالة في صالون الحلاقة تحت كاوي الشعر أو خلال الفترة التي تزين فيها مزينة الأظافر أظافرها. منذ كم من الوقت لم تقرأ جريدة واحدة؟ محررو الجرائد هاجموها لأنها تعيش بشكل مفضوح مع آدم برجمان في فيلته على شاطئ ماليبو.

لقد اكتشفوا أنها في يوم ن الأيام كانت السيدة هدسون ستيوارت. وغضبوا كثيراً لأن شابة مثلها تتصرف بشكل يسيء إلى روابط الزواج. شيء غريب، فهذا التشنيع زاد من اعتبارها، بل أعطاها نوعاً من الشخصية في أعين «الجمهور». وعندما اختارها كارل برانت كنجمة جديدة لفيلمه المقبل فإن العاصفة الدعائية الجديدة التي تبعت هذا الاختيار جعلتها قبلة الأنظار.

مجلة من المجلات الواسعة الانتشار عمدتها باسم «سيدة الكثبان» ونشرت صورة لها تظهر فيها وهي تمشي بقدمين عاريتين مع آدم على رمال شاطئ ماليبو تحت ضوء القمر. وقد ظلت محاطة بالغموض وهي ترفض بشكل منتظم حضور كافة الحفلات «اللائقة». والحقيقة، أنها إن كانت لا تذهب لهذه الحفلات فلأنها تخشاها كثيراً. لقد كانت سعيدة في أن تعيش مع آدم، أن تشتغل معه وأن تشاركه فراشه. لكن لا هو ولا هي فكرا بالزواج أبداً. بل حتى أنهما لم يطرقا الموضوع بتاتاً.

هذا ما كانت تفكر به ماجي وهي تقلب مجلة المنوعات وحين وصلت إلى قسم مقالات التلفزيون أشعلت سيجارة وقلبت الصفحات باهتمام مطلعة على المقالات ولاسيما التصنيف الناتج عن سبر الرأي العام. كان كرستي لين في رأس القائمة. وبرنامج روبن ستون بين العشرين الأوائل.

آخر أخبارها عن روبن جاءت في شهر شباط. في ذلك الوقت كان هذا يحضر برنامجاً عن عالم الأزياء. ولقد علمت بذلك منه إذ أرسل لها رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة يعرض عليها مبلغ خمسة آلاف دولار مع دفع كافة المصاريف إذا قبلت أن تشارك بتقديمه. حينها ردت عليه برسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة وعلى ورق مروس بـ «أفلام القرن» تشرح له أن أجر الآنسة ستيوارت في التلفزيون هو خمسة وعشرون ألف دولار ومع ذلك فإن ارتباطاتها السينمائية تمنعها من المساهمة بأي برنامج حالياً ووقعت: جين بياندو، أمينة سر الآنسة ستيوارت.

خرج آدم من حمام الماء البارد وقد لف خصره بمنشفة اسفنجية. راقبته وهو يمشط شعره ثم قالت لنفسها إنها محظوظة تماماً. كانت تعبد آدم. لكن لماذا تشعر طوال الوقت بأنها محاصرة بذكرى روبن ستون؟

ترى أما تزال ترغب به؟ وأسفاه نعم. ربما كان ألفريد نايت من جعلها تفهم وضعها على نحو أفضل. كان ألفريد مولعاً بمصمم الأزياء جافن مور، لكنه وقع بهواها هي خلال تصويرهما للفيلم. وبعد الفيلم ظل يتصل بها في كل مناسبة وانتهى بأن أعلن لها في أحد الأيام:

ـ يا حبي، ربما عليك تماماً أن تقيمي علاقة معي كي تحرريني من عقدة الاضطهاد، وتعيديني رجلاً سعيداً، متكيفاً مع حالته تماماً.

ـ الآن يا ألفي أنت لا تحبني، ردت عليه ماجي.

ـ طبعاً، لا، فأنا أعبد جافن. إنه رجل حياتي... في الوقت الحاضر. لكن ماذا تريدين يا حبي؟ فكل مرة أمثل فيها دوراً لا بد لي من أن أنوم نفسي مغناطيسياً لكي أقع في غرام شريكتي في الفيلم حتى لا أتصرف معها تصرف رجل لوطي. لحسن الحظ، هذا يمشي بشكل حسن أحياناً، بل إنني مضطر أحياناً للذهاب إلى بالم سبرنج كي لا أفكر أكثر بالسيدة. لكن أنت، إنك تقفين دائماً بعيدة حتى صرت تضطهدينني.

روت ماجي هذا الحوار لآدم فراح هذا يضحك:

ـ إنك مدينة له تماماً. قال آدم، فقد أعطاك كثيراً من القيمة خلال الفيلم. والاضطهاد هو واحد من أسوأ الأمراض الممكنة. فإما أن تستسلمي له وإما أن تتركي مرضه يشتد حتى يفقده عقله.

ـ هذا يعني أنك تسمح لي بأن أنام مع ألفي؟ سألته مازحة

فأجاب هذا بكل جد:

ـ بالتأكيد، لكن بحضوري.

رد فعله هذا أدهشها هي نفسها: جعلها تعرف تماماً من هو بالنسبة لها ومن هي بالنسبة له. كانت ذكرى روبن ستون تقبض عليها

بطريقة مؤلمة، وكانت متأكدة من أنهما ذات يوم سيبدآن من جديد. ربما سيكون هذا حين يكون روبن ثملاً بالفودكا لأنه عاجز عن فعل شيء بدونها. وعندما يصرخ: أمي (بالألمانية) أمي. أمي فإنها ستقفز خارج السرير وتلقي إبريق ماء بارد على وجهه، وليحاول حينذاك أن يقول لها إنه لا يتذكر شيئاً.

ترك آدم المنشفة تسقط واقترب منها، الأمر الذي غير لها أفكارها. حين انتهيا ركضا يداً بيد إلى الشاطئ. ولدى عودتهما مارسا الحب ثانية ثم لحمت بين ذراعيه ونامت وهي تحلم بروبن.

أخذا الطائرة إلى سان فرنسيسكو لكي يحضرا عرضاً خاصاً لفيلمها. وفي الظلمة راحت تضغط على ذراع آدم الذي كان يتسلى «ببوشار» الذرة. كان كارل برانت يجلس إلى جانبهما مع موهوبة شابة، وكان بضعة ممثلين آخرين يشغلون مقاعد مجاورة.

راقبت ماجي الشاشة باهتمام مركز كلياً، محاولة أن تحلل بشكل موضوعي أخطاء أدائها.

كانت تعلم أنها ليست مغرية وجذابة هكذا في الواقع. فالناس لا يرون إلا عينيها، وجنتيها، وشعرها المتطاير في الهواء. عمال التبرج صنعوا الأعاجيب. آدم كان يلومها على أنها نحيفة جداً. لكنها على الشاشة عظيمة. وبقلق، تحركت ماجي في كرسيها عند اقتراب المشهد النهائي الكبير وألقت نظرة حذرة حولها. شيء لا يصدق! لقد كان الجميع متأثرين بتمثيلها إلى حد كبير.

عزفت الموسيقى وظهرت أخيراً كلمة «النهاية» على الشاشة، فأمسكها آدم من ذراعها وسحبها إلى الممر.

ـ عزيزتي، همس لها، لقد أصبحت ممثلة رائعة. هذا المشهد الأخير... هائل فعلاً.

وخرجا من الصالة في اللحظة التي انتشر فيها الحضور من المقصورات. اجتازا الطريق وانتظرا كارل هينز والآخرين. كانت ماجي ماتزال قلقة عندما أسرع كارل نحوهما، بوجه مشع، ثم فتح ذراعيه وضمها إلى صدره.

بعد أسبوع من العرض الخاص، حدد لها وكيلها هاي مانديل موعداً في بولنج من فندق بيفرلي هلز. وانتظرا إلى أن قُدِّم لهما الشراب ثم رمى لها بحركة عريضة من يده مسودة العقد على الطاولة:

ـ لقد نجحنا يا ملاكي. عندما شاهد أصحاب المؤسسة فيلميك الأخير أدركوا أن من العبث محاولة الاحتفاظ بك بأجر خمسة وسبعين ألف دولار. لقد قلت لهم: أيها السادة، في الفيلم القادم، لن تكون سعيدة أبداً إذا تمسكتم بشروط العقد وفي هذه الحالة ماذا يحدث! ستمثل كممثلة تعيسة. ستتعثر وستكونون قد دمرتم نجمة، دفنتموها في التراب. ماذا سيقول العاملون؟ طالما أن هذا الفيلم يستمر ثلاث ساعات ونصف مع استراحة. الدور الأول: ماجي ستيوارت. لقد أدخلت لهم هذا في رؤوسهم. مم سيستفيدون، سألتهم أنا، إن لم يستفيدوا من ممثلة رائعة ومن مخرج سينمائي من الطراز الأول، وأن يجعلوها تتقدم تحت إدارة شخص آخر؟

وهاهي ذي القضية في الجيب. تطلعي إلى هذا: مئتان وخمسون ألف دولار لكل من فيلمك القادمين وثلاثمائة للفيلم الثالث، بالإضافة لعشرين بالمائة من الربح الصافي. (فهزت رأسها ورشفت شرابها لبل ودي ماري) الآن، اسمعي، تابع هاي ماندل، لن تبدئي بتصوير الفيلم القادم إلا في شباط. ويجب أن تعودي في الخامس عشر من كانون الثاني من أجل التجارب.

ـ 15 كانون الثاني. لكننا لسنا إلا في العاشر من كانون الأول!

ـ تمام، لكننا أعددنا لك عطلة صغيرة لطيفة.

تطلعت إليه بنظرة متشككة، فانفجر هذا ضاحكاً:

ـ لعلها ليست عطلة تماماً. لكن لا بد من إعطاء القليل لكسب الكثير فهم سيطرحون في دور العرض في نيويورك فيلم المرأة الممزقة مع ضجة كبيرة و....

ـ المرأة الممزقة (ومسدت أنفها) هل هذا هو العنوان الآن؟

ـ لا تتذمري يا صغيرتي. لو أنهم أبقوا العنوان القديم «هندسون» فإن الاهتمام سيتركز آلياً على النجم المذكر أما الآن فإنه فيلمك، فيلمك أنت.

فابتسمت ماجي:

ـ هذا صحيح. إذن عطلة؟ وماذا علي أن أفعل!

ـ لا، لا شيء بالحقيقة. تذهبين إلى نيويورك وتحضرين العرض الأول، وهذا ليس عملاً في مصنع.

ـ لكن هذا يعني مقابلات، تلفزيون. ويعني أيضاً أنه لن تكون لدي دقيقة واحدة.

ـ خطأ يا طفلتي! فالعرض الأول سيجري في السادس والعشرين من كانون الأول، وأنت لن تكوني مضطرة للذهاب إلى نيويورك قبل الثاني والعشرين منه.

ـ لكنني أعمل دون توقف من الثاني والعشرين حتى افتتاح العرض الأول.

ـ أجل، لكنك فارغة الأشغال اعتباراً من هذا اليوم وحتى الثاني والعشرين. وإذا أردت الذهاب إلى نيويورك في وقت مبكر كي تتنزهي قليلاً، فإنهم سيدفعون لك النفقات. وإذا أردت البقاء بعد العرض

الأول فسيكون أيضاً على نفقتهم بشكل أو بآخر. هـذه عطلـة مدفوعـة التكاليف أمامك شريطة أن تعودي في الخامس عشر من كانون الثـاني. اذهبي إذن مباشرة. والشركة هي التي تدفع!

ـ لا. أفضل البقاء هنا، على الشاطئ، فالجو أيضاً جميل.

ـ ماجي (لحظة توقف) لا أريدك أن تبقي على الشاطئ... مع آدم.

فرفعت رأسها، مندهشة:

ـ لماذا؟ كل الناس يعرفون أنني أعيش معه.

ـ إذن تزوجا.

ـ لكنني لا أريد أن أتزوج.

ـ إذن، لماذا تعيشين معه!

ـ كي لا أكون وحيدة. سأبقى معه حتى... (وصمتت)

ـ حتى تجدي الرجل الذي يليـق بـك. فكـري بـالأمر جيـداً. يـا ماجي، فأنت لن تجدي رجلاً آخر طالما تعيشين مع آدم.

ـ لكنني وجدته، (ففضحت نظرة هاي تعجبه) لقـد وجدتـه منـذ أربع سنوات، استأنفت ماجي، لكن....

ـ لكنه متزوج!

فهزت رأسها:

ـ لنتكلم عن شيء آخر. هاي. إنني سـعيدة في عملـي، وسـعيدة بوجودي مع آدم.

ـ اسمعي، يا صغيرتي، قال بتمهل، عمـري سـتون عامـاً، وقـد تزوجـت مـن رودا قبـل ثلاثـة وثلاثـين عامـاً. وهـي الآن في التاسـعة والخمسين. عندما تزوجنا لم يكـن لـدي إلا مكتـب صـغير في شـارع

الغرب رقم 46. كانت رودا معلمة. وحين تزوجنا كانت تبلغ السابعة والعشرين وكانت ما تزال عذراء. وهذا لم يدهشني. ففي تلك الأيام كانت الفتيات يتزوجن عذراوات. أما في هذه الأيام، فعذراء في السابعة والعشرين قد تكون وحشاً عجيباً يعرض في سيرك. ربما تزن رودا الآن عشرة كيلوغرامات زيادة. وربما كنت الآن أقل حماسة، ولا بد أننا منذ سنتين أو ثلاث لم نمارس الحب قط. ولكننا نعيش حياة سعيدة. أطفالنا كبروا وأنجبوا أحفاداً. إننا ننام دائماً معاً على سريرنا العريض ونحن سعيدان بكوننا جنباً إلى جنب. أحياناً، ونحن نشاهد التلفزيون يحدث أن يمسك واحدنا بيد الآخر. لكن هذا ليس كما كان أيام زمان. أنت تعلمين، منذ أن أصبحت أحد الوكلاء الرئيسيين في لوس أنجلوس وخاصة منذ أن حققت أنت نجاحاً كبيراً فإنني ألاحظ أن كثيراً من الفتيات ينظرن إلي بعين الرقة. الفتيات أنفسهن ما كن ليعطينني الاهتمام نفسه عندما بدأت. منذ بضعة أيام، واحدة منهن ـ أبداً ما رأيت فتاة عبلة هكذا ـ مالت على مكتبي مستندة بمرفقيها، وهذا يظل معقولاً لولا أنها وضعت نهديها على طاولتي. لكن هل تعرفين شيئاً؟ إنني أرى نفسي كل صباح في المرآة عندما أحلق، قليل من الشعر وكثير من البطن. وإذا ما اتخذت لي شقراء صغيرة فربما سأرهق نفسي وربما سنتدحرج واحدنا فوق الآخر. لكن لماذا أفكر؟ هي لن تستسلم لي من أجل سواد عيني! بل علاقاتي هي التي تهمها. وعندما أسأل نفسي: هاي هل هذا يستحق العناء فإنني أجيب: كلا: إنني أعرف أشخاصاً يقيمون علاقات مع فتيات أصغر من بناتهم. لكن صدقيني أنهم لا يستطيعون الفخر بهذه العلاقات. في أمسيات السبت يذهبون مع نسائهم إلى «الطريق» ويقضون آحادهم في هلكرست. هل ترين ما أقصد قوله؟ إنهم

يمارسون اللهو سراً لكنهم يحتفظون باعتبارهم لنسائهم وأطفالهم. أنت ليس لك أطفال يا ماجي، لكن لك جمهورك. كثير من الناس ما يزالون مثلي، يفكرون مثلي. وهم لن يدفعوا ثلاثة دولارات لكي يروا فتاة جميلة تبكي لأنها تموت تاركة خلفها زوجاً وأطفالاً، وهم يعلمون أن هذه الفتاة الجميلة تعيش مع رجل دون أن يربطهما الزواج.

ـ لقد قضيت سنين كافية وأنا أحترم التقاليد. ردت ماجي بصوت كئيب.

فصعد هاي آهة عميقة:

ـ ماجي، ماذا لديكم شباب هذه الأيام؟ مع ذلك أنا لا أطلب الكثير. فقط أطلب أن تتزوجي آدم أو أن يكون لك منزلك الخاص. نامي معه، اجري على الشاطئ معه لكن، أرجوك، لا تعيشي حياة (محظية) معه.

فانفجرت ماجي مقهقهة:

ـ طيب، هاي. عندما أعود من نيويورك، سأقيم في الفندق. وفي تلك الأثناء يمكنك أن تبحث لي عن شقة.

ـ هذا حسن، لكن حدث الآن أن لدي ما يناسبك: شقة مؤثثة في ملتون تاور. أربعمائة دولار شهرياً، خدمة هاتفية، في قلب هلز. تعالي، سأريك إياها.

أعجبت الشقة ماجي. إنها تناسب حاجاتها تماماً: صالون كبير، مطبخ مجهز تماماً. مخدع نوم واسع: زاوية للشراب. ولم تستطع ماجي أن تمنع نفسها من الضحك وهي ترى أن هاي كان قد اختار لها الشقة قبل أن يتكلم معها حول الموضوع. في اليوم التالي، ساعدها آدم في نقل حاجياتها وعاد يعيش على الشاطئ. فقد كان يعمل في حوار فيلم جديد.

بعد أن أمضت يومين، وحيدة في شقتها، شعرت بأنها لا تستطيع الاستمرار. كان آدم سيغادر الأسبوع التالي لتصوير المناظر الخارجية «للأريزونا». وحينذاك ستبقى وحيدة كلياً في لوس أنجلوس. فهتفت إلى هاي ماندل قائلة إنها ستذهب إلى نيويورك لتهتم بأمر الدعاية إذا كانت شركة القرن السينمائية ما تزال موافقة على الدفع.

أوصلها آدم إلى المطار، حيث التقط الملحق الصحافي للشركة الجوية صورة لها بعدئذ عرض عليها آدم أن يشربا كأساً أخيرة في مشرب شركة «ت. وا».

ـ وهذا الفيلم في حقيبتي، لن أعود قبل ثلاثة أشهر. أعلن لها آدم. لدى عودتي سأقيم معك. فشقتك تعجبني، عدا عن أنه في آذار سيكون الطقس بارداً على الشاطئ.

تأملت ماجي الطائرات التي كانت تدور وتتباطأ على المدرجات.

ـ أنت تعرف ما قاله لي هاي.

فابتسم:

ـ قولي له إنني رجل طيب أنا الآخر. ثم لنتزوج يا ماجي. ولم لا؟ فهذا ممكن تماماً وإذا ما انحرفت من حين إلى آخر فلن تنزعجي!

ـ ليس هكذا مفهومي عن الزواج. أجابت ماجي بتمهل.

ـ إذن، أنت تريدين زواجاً نقياً جميلاً دون لطخة كزواجك السابق في فيلادلفيا؟

ـ لا. لكن لا أريد أن أكون مجرد ملكية تندرج تحت العنوان نفسه الذي تندرج تحته الشقة والأثاث. أريدك أن تغار علي يا آدم.

ـ لكنك لم تغمضي عينيك حين كان آلفي في السرير معنا.

ـ إذن أنت لم تفهمني؟ فتلك لم تكن ماجي الحقيقية.

فحدق بها مباشرة في العينين:

ـ كفى سخافات يا ماجي، فلا أحد يستطع أن يعود إلى الوراء. إن الفتاة التي ضاجعها ألفي هي أنت، حتى ولو كنت الآن تتغابين وأنت تشرحين ما تأملينه من الزواج. لقد عشنا على الشاطئ وهذه هي الحياة الزوجية لناس مثلنا. صمتت ماجي فاعتبر آدم أن صمتها موافقة فأخذ يدها يداعبها:

ـ سنتزوج عندما أعود من الأريزونا. وسأذيع بياناً على الصحافة فور مغادرتك.

ـ لا، لا، لا تعمل هذا! صرخت بغضب، ساحبة يدها من يده. فأنا لن ألقي بحياتي في البلوعة بحجة أن مهنتي هي الفن. صحيح أنه كسب رزق، لكنني أنتظر شيئاً آخر من الحياة ولا أرضى مطلقاً أن يغرق المرء نفسه بكل الانحرافات الجنسية بحجة أنه فنان. إنني أريد زوجاً، لا مخرجاً سينمائياً يتعاطى الحشيش ويمارس اللواطة.

فتصلبت قسمات وجهه:

على الأقل، أنت لا تغشينني. شكراً لك على كل حال (وتنهد) لكن والأمر كذلك فقد انتهينا.

ـ ربما لم نبدأ يا آدم.

ـ حظاً طيباً يا ماجي. منزلي على الشاطئ مفتوح لك دائماً.

استقبل سيد جوف الملحق الصحافي للشركة السينمائية ماجي في مطار كندي، حيث تجمع المصورون حولها وبدأت لمعات آلات التصوير تنفجر هنا وهناك. أخذ سيد متاع ماجي بيده وقادها إلى سيارة الليموزين الطويلة السوداء المستأجرة من قبل الشركة وقد تبعهما الحشد صارخاً بالأسئلة مستمراً بالاستفسارات طوال الفترة التي رتبت بها الحقائب في الصندوق الخلفي. وبعد لقطة تصويرية أخيرة غادرت السيارة المطار فاستندت ماجي إلى مقعد السيارة وأراحت نفسها.

ـ لا تزدهي بذلك كثيراً، تنهد سيد جوف، فربما لن يظهر شيء منها في الصحف.

ـ ماذا تقصد؟

ـ ديانا وليامز ستصل في الرحلة الجوية القادمة، وربما ستطغى على صحف الغد.

ـ كنت أظن أنها ستخرج برنامجاً صغيراً للتلفزيون!

ـ البرنامج ألغي والآن يريدونها أن تمثل على المسرح في برودوي. آيك ريان تعاقد معها، والتجارب تبدأ في شباط.

ـ حسناً، لا تهتم. فكل ما يهم شركة القرن من الصحافة إنما هو تغطية يوم العرض الأول.

ـ أنت من تقولين هذا! رد سيد بهيئة حزينة، إن لم تنشر صورة وصولك في صحف الغد فإنني سأسمع دمدمات أصحاب الشركة من كاليفورنيا حتى وإن لم يتصلوا. (وفتش في جيبه ثم سحب برنامجاً مطبوعاً) لدينا مواعيد عدة متفق عليها مع التلفزيون، بالإضافة إلى مقابلات عدة مع الصحافيين. وإن كنت قد فهمت حسناً، فإن باستطاعتك البقاء حتى الرابع عشر من كانون الثاني. الشركة تدفع الحساب. جناحك محجوز في فندق بلازا حتى السادس والعشرين من كانون الأول. لكن إن أردت البقاء مدة أطول، أعلمي الفندق مباشرة.

درست ماجي البرنامج الذي قدمه لها:

ـ هذا شيء لا يصدق! وقتي مليء في عيد الميلاد! ثمة احتفالان فيه علي أن أحضرهما.

ـ جون ماكسويل واحد من أكبر المتعاملين مع الشركة. إنه يقيم حفل استقبال في منزله الكبير في «بيت النهر». مدعووه سيكونون بالتأكيد

من أهل المدينة الأغنياء، لكنه يحب المشاهير وقد أصر على حضورك. حفل الاستقبال الآخر في «الفورم» ولا بد من أن تذهبي. الصحافة كلها ستكون هناك. وآيك ريان سيقيم احتفالاً على شرف ديانا وليامز.

ـ لن أذهب إلى حفلات الاستقبال، أكدت ماجي.

فتأملها سيد جوف، غير مصدق أذنيه. واستمرا يخيم عليهما الصمت لحظات عدة ثم استأنف سيد:

ـ آنسة ستيوارت، لقد جعلوني أفهم أن وكيلك وضعك تحت تصرف الشركة لطرح الفيلم للسوق وإثارة أكبر قدر ممكن من الدعاية: والشركة تدفع لك تكاليف الرحلة والإقامة لأنها تتمسك، ضمن مصلحتها الخاصة، بتوضيح هذه النقطة.

ـ أنا أفهم ذلك جيداً، ولهذا أقبل بإجراء المقابلات والحضور إلى التلفزيون. لكن ما من أحد يستطيع أن يلزمني بحضور سهرات المتعاملين. وإذا كان السيد ماكسويل يصر على حضوري فإن أجري هو خمسة وعشرون ألف دولار للسهرة.

انحنى سيد جوف إلى الأمام كما لو أنه معجب ببوز حذائه.

ـ طيب آنسة ستوارت، بالنسبة لموضوع ماكسويل ربما كنت على حق. فما من أحد يستطيع إلزامك بحضور حفلة. لكن بالنسبة لحفلة آيك ريان، فكري بالأمر قليلاً. إنها على شرف ديانا وليامز، وهما زوج من الفنانين والصحافة ستكون هناك بالكامل. اذهبي، فالذهاب ليس إلا نوعاً من إثبات الوجود.

وبرؤيتها له مهموماً وافقت. إنها وظيفة هذا الرجل. شيء آخر، إذا كان الظهور في هذا الحفل يمكن أن يخدم بشكل من الأشكال فلِمَ لا تحضر؟ أما ماكسويل فلن تحضر حفله أبداً.

كان أمامها أربعة أيام قبل المقابلات الأولى، لذا دعت والديها إلى نيويورك وأرهقتهما ببطاقات المسارح ودعوات العشاء. كان سيد جوف يتكفل بحجز الطاولات والسيارات الراقية وبإبعاد المعجبين الملحاحين خاصة. وعاد والداها إلى فيلادلفيا في الليلة السابقة لعيد الميلاد وهما مندهشان لشهرة ابنتهما التي ظهرت حديثاً.

يوم عيد الميلاد بدت لها وحدتها غير محتملة. كان والداها قد حملا لها شجيرة شرابة الراعي وكانت لديها أيضاً شجيرة أخرى في أصيص بدأت تذبل... وهي هدية من الشركة. كما أن أغاني عيد الميلاد في الراديو راحت تضايقها. وبسرعة بدا لها الأمل بالذهاب إلى «الفورم» للاحتفال بديانا وليامز باسماً مشرقاً تقريباً، فهي على الأقل ستتخلص من هذا الفندق اللعين.

وصل سيد جوف الساعة الخامسة:

ـ لن تبقي هناك إلا ساعة واحدة، وعدها سيد، بعدئذ يمكنك أن تنسلي وتنضمي إلى أصدقائك ثم تفعلي ما تشائين.

ـ وأنت يا سيد، ماذا ستفعل بعدئذ؟ سألته ماجي.

ـ مثلك... سأنسل إلى مطعم «الانجليز» كي أنضم لأصدقائي: زوجتي وعائلتي، فهم سينتظرونني هناك.

كانت صالة الفورم تعج بالضيوف. إلا أن ماجي استقبلت لدى وصولها بعدة لمعات من آلات التصوير. كذلك رتب الملحق الصحفي أن يجعلها تأخذ صورة هي وآيك وديانا، ديانا التي أدهش منظرها ماجي. فهي لم تكن قد بلغت سن الأربعين، ومع ذلك بدت وكأنها قد استهلكت قبل أوانها تماماً. لقد كانت نحيفة، هشة تقريباً. حيويتها المفرطة تقارب الهستريا. كانت ودودة، متحمسة للغاية، وكان في شرابها المكون من عصير البرتقال شيء من الجن. تبادلت ماجي معها

المجاملات المعتادة، وشعرت هذه بأنها صغيرة مفعمة بالحيوية قرب ديانا التي لم تكن توحي بشيء آخر سوى الشفقة. كل الناس يحيطون بديانا بينما كانت عينا ديانا الذابلتان لا تستقران على أحد.

كانت ماجي تسير على طول المشرب باتجاه الباب عندما وجدت نفسها وجهاً لوجه أمام رجل لفحته الشمس، رجل ذي قامة طويلة وصل لتوه. تطلع إليها في البداية غير مصدق. بعدئذ أشرقت عيناه. هي نفسها لم تكن تنتظر أن تلقاه. روبن ستون يحتفل بديانا وليامز في أمسية عيد الميلاد! وأمسكها بكلتا يديها مفتون الهيئة:

ـ سلاماً أيتها النجمة!

ـ سلاماً روبن. (وتمالكت نفسها كي تنظر إليه ببرود)

ـ رائعة! ماجي، أنت رائعة!

وابتعد سيد جوف بكياسة لكن ماجي تذكرت أنه كان يحلم بالديك الرومي الذي ينتظره على مائدة العائلة.

ـ إنني أهرب، قالت ماجي، فلدي مواعيد أخرى.

فابتسم روبن بهيئة الفاهم:

ـ أنا أيضاً جئت من أجل الشغل. فأنا أحاول أن أغري ديانا وليامز بحلقة من برنامجي. الأمر ليس سهل التحقيق حتى ولو وافقت. لكن لحسن الحظ آيك ريان صديقي. إنني سأقدمها في البداية وهي على أهبة التمثيل في أي مشهد فارغ، ثم في فيلادلفيا بشكل عام، وأخيراً في نيويورك، في العرض الأول بحيث تكون كلها محشوة بالمقابلات مع ديانا، آيك ومؤلفين وممثلين (ثم صمت واستأنف فجأة) اعذريني ماجي، فهذه ليست الطريقة المناسبة لأن أقول لك كم أنا سعيد برؤيتك.

فضحكت ماجي والتفتت متطلعة إلى ديانا ثم سألته:

ـ أتراها ما تزال تستحق شيئاً؟

فتأملها روبن بهيئة غريبة:

ـ ها أنت ذي الآن تحكمين على الناس وفق معايير هوليود. كنت أرجو شيئاً أفضل منك. ديانا وليامز لا تمت لذلك النوع التافه. بشكلها الصغير الجيد، تستحق ديانا أكثر بكثير من معظم نجمات هوليود وهن في ذروتهن. لقد بدأت قبل عشرين عاماً في هوليود، ولم يكن عمرها إلا سبعة عشر عاماً. ولكي تشق طريقها في الحياة لم تستفد من حيل الإخراج والأنوار المركزة جيداً. كما لم يكن لديها أي ملحق صحافي.

ـ أظن أن علي أن أنصرف الآن. قالت ماجي ببرود.

فأمسكها بذراعها:

ـ أي موضوع للحديث! كيف ترانا غرقنا في هذا كله؟ لندخل إلى لب الموضوع: متى سنلتقي!

ـ لا أدري، (وفجأة تملكها شعور بالتحدي) حفلة افتتاح العرض الأول لفيلمي الجديد غدا مساء، هل تريد أن ترى ما تفعله الأنوار الباهرة والملحقون الصحافيون؟ ثم إنني بحاجة لفارس مرافق.

ـ إنني أرتعد من الذهاب إلى السينما بعقدة سوداء. إنني أفضل الذهاب إلى هناك لكي أسترخي وأنا أقصقص البزر. هل أنت فارغة الأشغال بعد غد؟

ـ أنا أتكلم عن مساء الغد، أجابت ببرود، فأنا لا أعد مشاريع طويلة الأمد وحدقا واحدهما إلى الآخر صامتين للحظة من الزمن، ثم ابتسم روبن:

ـ حسن، يا ملاكي، من أجلك سأضحي براحتي وبزري. في أية ساعة، وأين؟

ـ الساعة الثامنة في البلازا. الفيلم يبدأ الثامنة والنصف. لكن سيكون هناك التلفزيون أولاً. لسوء الحظ علي أن أمر به قبل الفيلم.

ـ لا تهتمي، سأكون هناك الساعة الثامنة.

عاد سيد جوف للظهور من جديد وقادها إلى الباب بينما كان روبن يراقبها وهي تبتعد. بعدئذ، شق طريقه في الزحام متوجهاً إلى ديانا.

في الساعة الثامنة إلا خمس دقائق كانت ماجي قد أصبحت متوترة الأعصاب.

أجرت محاكمة منطقية داخلية على الفور فعلمت أنه ما من سبب يدعوها للقلق، فروبن أكثر تهذيباً من أن يعمل بها مقلباً، بالإضافة إلى أن الساعة لم تكن قد بلغت الثامنة. بعد دقيقتين تساءلت في سرها إن لم يكن عليها أن تتصل بسيد جوف.

في الثامنة تماماً، رن الهاتف وكان روبن ينتظرها في القاعة، تأملت نفسها لآخر مرة في المرآة. سيراها رائعة بلا شك بهذا الثوب الأبيض المزين باللآلئ (المستعار من الاستديو) وهذا الفيزون الأبيض (المستعار من الاستديو أيضاً) وهذا الشعر الأسود المطول بشعر مستعار (جهزه حلاق الاستديو الذي جاء إلى الفندق لكي يعيد ترتيب التسريحة الخاصة بالفيلم «غير معقول»! قالت لنفسها في المصعد. غرتها وافرة جداً، فلماذا يترك شعرها يتدلى حتى منتصف الظهر. وقرطا الإذنين المصنوعان من الزمرد والماس (والمستعاران أيضاً من الاستديو بتأمين عال للغاية) كانا يعطيانها انطباعاً بأن رأسها أثقل من جسمها بكثير.

ابتسم روبن وهو يراها تخرج من المصعد. بل لقد هز رأسه هزة خفيفة إشارة الموافقة. لكنهما لم يتبادلا كلمة واحدة حتى اجتازا سد المعجبين واستقرا في السيارة حيث استندت ماجي بظهرها إلى الوراء لكنها عادت وانتصبت من جديد:

ـ كارثة! سأفسد شعري المستعار.

فضحك معها:

ـ يخيل إلي أنهم يطلونك بالمساحيق منذ الأمس.

ـ أليس هذا كثيراً؟ سألته غير واثقة.

ـ أنت رائعة لكن عليك أن تفكري بهذا كله وكأنه بذلة لحفلة راقصة. إنك تقومين بدور النجمة. ولا بد من إعطائهم شيئاً ما مقابل ما لهم. إذن اتركيهم يفعلون ما يشاؤون واستمري بدورك حتى النهاية.

كان الزحام أمام السينما قد بلغ حداً مخيفاً. وقد اضطرت سيارة الليموزين لأن تقف جامدة في الرتل أكثر من ربع ساعة بانتظار أن يغادر شاغلو السيارات التي سبقتهم سياراتهم. كانت النساء يهبطن من السيارات متبرجات غاطسات بالحلي والجواهر مرتديات الفيزون وحين لم يكن الجمهور يلتفت إليهن كن يُصبن بالتكدر. وفي حماية زجاج السيارة كانت ماجي تراقب المشهد بقلق. سدود من الشرطة كانت تحجز الجمهور بعيداً. وفي الجانب الآخر من الطريق وعلى ظهر شاحنة، كانت نوارة مقامة وكانت هناك سجادة حمراء ممدودة من الطريق إلى مدخل السينما، وكان مصورو الصحافة ينتظرون، فارغي الصبر. لقد بدوا في بذلاتهم السموكن السوداء، وقد فقدوا السيطرة على أنفسهم تماماً. عندما وصلت سيارة ماجي إلى طرف السجادة، اندفع رجال الصحافة إلى الأمام وصاح الجمهور فرحاً خارقاً سد الشرطة كما امتدت عدة أيد متشوقة للمس الفيزون الأبيض بينما كانت الأصوات تصيح: ماجي، ماجي. وقف سيد جوف وملحق صحافي آخر على كلا جانبي ماجي لكي يحمياها، أما هي فقد بحثت بنظرها عن روبن فلم تجده. كان قد اختفى. وبشيء من الرهبة شعرت بنفسها تنشد نحو رجل طويل القامة يحمل مكروفون، ولم تستطع التهرب فلمعت أضواء آلات التصوير. يا إلهي! أين روبن؟

بعدئذ سحبها سيد جوف، شبه مغمى عليها، نحو المدخل حيث كان روبن ينتظرها، وبسمة حارة على شفتيه، إشفاقاً عليها من هذه التجربة. أمسكها روبن بذراعها وشق زحام القاعة بجهد جهيد. وصلت ماجي إلى مقعدها كما لو أنها لم تكن تنتظر إلا هذه الإشارة، راحت الجماهير تتدفق إلى الصالة، ليبدأ بعدئذ البحث الشاق عن أرقام المقاعد، ثم خفوت الأضواء، ثم ابتداء الموسيقى وهي تتردد في أرجاء القاعة على نحو غير منظور... ثم صوت مقدم الفيلم وهو يعدد أسماء الممثلين.

منذ بداية المشهد الأخير، تسلل سيد جوف إلى الممر ثم أشار لروبن وماجي بيده، وبنوع من السباحة فوق رؤوس جيرانهم وركبهم استطاعا أن ينضما إليه، ثم انسلاّ نحو سيارتهما وبلغاها في اللحظة التي فتحت فيها الأبواب لتسمح لدفعة براقة من الضيوف بالخروج. أخذ روبن ذراعها:

ـ لقد مثلت تمثيلاً رائعاً، أنت ممتازة في هذا الفيلم. والآن أخبريني: هل العذاب يستمر أم أنت فارغة الأشغال؟

ـ عشاء مع الشمبانيا في فندق «أمريكانا»

ـ واضح

وضحكا من قلبيهما، لكن فجأة تصورت تواجدهما على طاولة في قاعة الرقص المنارة إنارة شديدة مع كارل هاينز (نجم الفيلم المذكر) ووقوفهما هناك لالتقاط صور، فأرعبها ذلك التصور.

ـ لن أذهب إلى هناك، قررت بشكل حازم.

ـ هذا منتهى اللطف منك. هل نتعشى في فندقك؟

ـ لا، لدي فكرة أفضل. أولاً لا بد من وضع هـذين القـرطين في الصندوق بأسرع ما يمكن وإن لم أتخلص من هـذا الـشعر فسيـصيبني ولا شك صداع قاتل. ثم ما رأيك أن أرتدي بنطالاً ونمـضي إلى الـسي جي اس؟

ـ لا أحد يأتيه مثل هذا الإلهام الجميل. لكن أنـا الآخـر لـدي رغبـة في أن أريح نفسي من هذه الأشياء. إذن هـاهو ذا اقتراحـي عليـك: أتـرك لك السيارة، امضي إلى شقتي، وعندما تكونين جاهزة، تذهبين إلي.

بعد عشرين دقيقة، كانت ماجي تجلـس في الـسيارة ببنطـال مـن الجوخ وقميـص ومعطـف مـن جلـد الخـروف الأبـيض وقـد لبـست نظارتين سوداوين وراحت تدخن بعـصبية والـسيارة تجـري بهـا نحـو منزل روبن، الذي كان ينتظرها أمام البناء. أبصرها فاقترب من الـسيارة ببنطال رمادي وكنزة بيضاء وبلا معطف.

ـ هنالك كثير من الناس في السي جي اس، ما رأيـك في أن نـذهب إلى اللانسر؟ وافقت فانطلق السائق بهما إلى الشارع الرابع والخمسين.

هناك لم يكن في الصالة سوى شاب وفتاة يشربان البيرة ويمـسك واحدهما بكف الآخـر. وحـين مـرا مـن أمـام المـشرب طلـب روبـن وسكي لماجي ومارتيني له وقطعتي شرحات كبيرتين. بعدئذ قادها إلى طاولة منفردة ورفع كأسه:

ـ هذا الفلم سيحمل لك المجد يا ماجي.

ـ لكن برأيك هل أجدت التمثيل؟

ـ في كل الحالات، سيكون النقاد راضين عنك.

ـ هذا يعني أنك غير راض عنه.

ـ وماذا يهم؟

ـ أنا أحب الاستطلاع، قالت ماجي وهي تبتسم.

ففكر لحظة ثم قال:

ـ عزيزتي، كممثلة أنت لا تكسرين الآجر، لكن هذا لا يساوي شيئاً. فأنت جميلة جمال الآلهة والمستقبل أمامك.

ـ لكن ذاك الذي ـ لا أدري ما يدعى ـ ذاك الذي يصنع النجوم هل تعتقد به؟ الناس في هوليود لا يتكلمون إلا عنه.

ـ أجل أعتقد به. ومن أجل هذا، يجب أن يكون المرء إما عبقرياً أو مجنوناً.

ـ إذن ربما سأربح القضية.

فضحك:

ـ عندما أتكلم عن العبقرية فإنني لا أعني بها حاصل الذكاء لكن أعني العبقرية على المستوى العاطفي فالخط الفاصل بين العبقرية والجنون دقيق جداً. وهكذا حمداً لله! أنت لا من هذا الجانب ولا من ذاك. أما ديانا وليامز فهي كلاهما في نفس الوقت، عبقرية ومجنونة. وهي لذلك تعيسة أيضاً. ولدى التفكير جيداً بالأمر أجد أنني لم أقابل عبقرياً سعيداً متوازناً تماماً. (ومد يده من فوق الطاولة ليأخذ يد ماجي) الحمد لله، أنت امرأة ساحرة وحسب. امرأة وجدت، وبضربة حظ واحدة خارقة للعادة، معتوهاً بائساً. ليس لديك شيء من عدم التوازن... بل أنت المرأة المثالية التي يحلم كل رجل في أن يقابلها يوماً من الأيام.

وحبست أنفاسها بانتظار النهاية الساحرة والإساءة المهذبة التي يمكن أن تدمرها، لكن نظرتيهما تقاطعتا ولم يتسم مطلقاً.

كانت الساعة الواحدة صباحاً عندما غادرا اللانسر:

ـ هل لديك ما تفعلينه غداً؟ سألها روبن.

فهزت رأسها:

ـ إنني حرة اعتباراً من هذا المساء.

فأبدى ارتياحاً مخلصاً ورضى واضحاً:

ـ حتماً ستمكثين في نيويورك!

ـ حتى الرابع عشر من كانون الثاني، إذ أردت ذلك.

ـ أنا، إنني أريده.

وتوقفت السيارة أمام البلازا، فسألها بهيئة جدية:

ـ هل نتعشى غداً معاً؟

ـ بكل سرور، يا روبن.

ثم قبلها قبلة خفيفة وقادها إلى المصعد قائلاً:

ـ سأهتف لك قبل الظهر، تصبحين على خير.

وانغلق باب المصعد.

ـ في الحادية عشرة رن الهاتف. بالتأكيد إنه روبن. فتركته يرن قليلاً إلى أن تكون قد استيقظت تماماً عندما تتحدث معه. لكن عندما أخذت المهتاف، سمعت صوت موظف الاستقبال يسألها بصوت جد طبيعي عن الساعة التي تقدر أنها ستترك الغرفة بها.

ـ لكنني لن أتركها، ردت متضايقة، سأبقى أسبوعين أيضاً.

أغلقت الخط ثم دقت على وسادتها بعصبية واضحة واستلقت من جديد، لم تكن ترغب في الاستيقاظ قبل أن يتصل روبن. لكن الهاتف رن من جديد. هذه المرة كان المتكلم مساعد المدير وكان صوته بالغ الرقة:

ـ آنسة ستيوارت غرفتك محجوزة حتى هذا اليوم فقط اتفقنا على أنه يتوجب عليك أن تحجزيها مسبقاً إن كانت لديك نية في البقاء.

لسوء الحظ الفندق ملآن تماماً اعتباراً من هذا المساء. لو قلت لنا.... وأكمل هذا استيقاظها. يا إلهي! كانت قد نسيت. وهذا أسوأ بكثير. على كل حال ستجد فندقاً آخر مساعد المدير يريد خدمة لها فطلبت إليه أن يبحث لها بنفسه عن غرفة في فندق آخر. وبعد ربع ساعة رد لها الجواب:

ـ آسف جداً آنسة ستيوارت. الحالة نفسها في كل مكان: الريجيس، بيير، سان ريجيس، تافارو.. كلها كاملة. من المستحيل إيجاد غرفة فكيف بالجناح؟ ولم أسمح لنفسي أن أتصل بفندق من الدرجة الثانية قبل أن أستأذن منك...

ـ لا فائدة.. شكراً كثيراً. سأرى إن كانت شركة القرن تستطيع تدبير القضية. واتصلت بسيد جوف عارضة عليه الوضع فبدا مرتبكاً.

ـ ماجي! كنت قد نصحتك بأن تنذريهم مسبقاً. لكن سوف أجري بضعة اتصالات وسنرى. كانت قد حزمت حقائبها عندما خابر روبن. فشرحت له أنها في طريقها إلى الانتقال:

ـ ربما سأنزل في بروكلين. سيد جوف لم يتصل بي بعد لكن إن لم يستطع إيجاد مكان فإنني سأذهب ولن يعيقني أحد.

ـ قولي له أن يتوقف عن البحث فأنا سأهتم بالأمر.

بعد حوالي عشرين دقيقة، اتصل بهار وبن من مكتب الاستقبال طالباً إليها إنزال متاعها معها، كانت السيارة تقف أمام الفندق، وعندما استقر فيها، أعطى روبن عنوانه للسائق، فرشقته ماجي بنظرة متألمة. فقال روبن:

ـ صحيح أنها ليست مثل الريجنس لكن ثمة امرأة تأتي لتدبير المنزل كل يوم وشقتي مريحة تماماً حتى بالنسبة لنجمة كبيرة مثلك. أما أنا فسأنام في النادي.

ـ روبن، لا أستطيع أن أجعلك تفعل هذا.

ـ لست أنت من يجعلني أفعله بل أنا الذي أفعله.

أعجبت الشقة ماجي. وبشكل لا إرادي استقرت عيناها على السرير المزدوج العريض وتساءلت في نفسها ترى كم من امرأة نامت عليه. أعطاها روبن المفتاح قائلاً:

ـ أنت حرة في الدخول والخروج حسب رغبتك. سآتي لآخذك للعشاء. (وأشار بإصبعه إلى المشرب) كمؤجر، لا أطلب منك إلا شيئاً واحداً، إن أردت أن تدخلي إلى قلبي السرور تعلمي كيف تعدين مشروب المارتيني بالفودكا: ديسيلتر من الفودكا، نقطة فير ماوث، دون قشور ليمون فأنا أحب الزيتون.

وبكلِ إلفة سارت خطوة أو خطوتين نحو المشرب، فضحك روبن هاتفاً:

ـ ماجي إنها ما تزال الظهيرة وهذا من أجل العشاء.

في الساعة السابعة كان المارتيني جاهزاً وكانت ماجي قد اشترت قطعتي شرحات وهليوم. بعد العشاء شاهدا التلفزيون وحيدين تماماً وهما يمسكان واحدهما بكف الآخر متلاصقين على الأريكة. وفي الحادية عشرة. حين بدأت الأخبار، ذهب روبن لإحضار علبتي بيرة من المطبخ:

ـ أنت هنا في منزلك. عندما تجدين في نفسك الرغبة في أن تكوني وحيدة. قولي لي ذلك.

ـ ستذهب عندما ترغب أنت. قالت له.

فجذبها إليه قائلاً:

ـ لا أريد أن أذهب.

وضمها بين ذراعيه ثم قبلها على شفتيها. الآن، فكرت ماجي، سأخبره أنه ليس لدي رغبة به وأنه لا يجذبني، لكنها ضمته بحرارة وردت له قبلته. وعندما وصلا السرير العريض أخذ واحدهما الآخر بنوع من الهياج. هذه المرة لم يكن للفودكا أي دور. وعندما بلغ روبن ذروة اللذة، لم يصرخ أبداً «أمي» ولم تكن هي بحاجة لتفريغ سطل من الماء البارد على رأسه.

الأيام الخمسة التالية مع روبن حملت لماجي سعادة لا توصف كانا يتمشيان في الخارج كل مساء وكانا أحياناً يتمشيان مسافة جديدة على الأقدام. مرة واحدة ذهبا إلى السينما. لكن السهرة كانت دائماً تنتهي على السرير في عناق محموم ثم ينامان متشابكين.

تلك الليلة فكرت في أن تراه وهو نائم، فانزلقت خارج السرير وأعدت القهوة وهي تراقب الضباب على النهر. أبداً لم تكن سعيدة مثل هذه السعادة من قبل وكان ما يزال لديها أربعة عشر يوماً من الحرية. لماذا أربعة عشرة يوماً؟ لماذا ليس دائماً؟ كان روبن يحبها وهذا واضح فهما لم يشيرا أقل إشارة إلى المشهد المرعب الذي جرى في تلك السهرة في ميامي. لقد قدرت أن ذلك موضوع محرم لكنه لا ينطلق في تصرفه من حب عابر. روبن سعيد بوجوده معها والعيش إلى جانبها. ربما كان عليها أن تقوم بالخطوة الأولى. لا، لا، عليه هو أن يبدأ الخطوة الأولى!

لكن من المناسب أن تجعله يسمع أنها سعيدة وللمرة الأولى في حياتها.

ـ هذا النهر فظيع في غبشة الصباح. (لقد وصل بدون ضجة وتوقف خلفها في المطبخ، ثم انحنى عليها يقبلها في عنقها) بل حتى في أكثر الأيام جمالاً يكون هذا النهر عكراً كما أن أشعة الشمس الأولى تؤكد عيوبه: (الجزر الصغيرة القميئة، قاطرات المراكب...)

فانفتلت ماجي حول نفسها ثم عانقته قائلة:

ـ نهر مدهش! روبن، أريد أن أتزوجك.

فأمسكها من ذراعيها مبتسماً:

ـ هذا فأل حسن نبدأ به العام.

ـ وسينجح زواجنا، روبن، إنني متأكدة.

ـ ربما.. لكن ليس مباشرة.....

ـ أن تفكر بمسألة مهنتي فاعلم أنني فكرت بها من قبل. (فابتسم وأمسك بمخاطبته) سأعد لك بيضاً، أسرعت تقول له، أما عصير البرتقال فجاهز.

ـ حسبك تمثيل دور الزوجة.

وحمل فنجان قهوته ثم مضى إلى مخدع النوم. لكن ماجي لم تتبعه، بل جلست إلى طاولة المطبخ الصغيرة تتأمل النهر وهي تتناول إفطارها. روبن لم يقل لا... إنما تنقصه الحماسة ولا شك.

بعد عشر دقائق عاد روبن إلى المطبخ. فرفعت رأسها مندهشة: كان يرتدي كنزته ـ حلقوم الحمام ـ وكان معطفه على ذراعه:

ـ سأعود خلال ساعة، فلدي بعض الأعمال. قال روبن (وانحنى يقبلها على جبينها)

ـ هل تعمل في عيد رأس السنة؟

ـ أجل، فعلي أن أراجع أحد الأشرطة في المكتب. إنني أعمل بصورة أفضل حين أكون وحيداً، ولاسيما حين تكون البناية خالية. إذ يتشكل لدي انطباع بأنني في منزلي. شيء آخر، ماجي، لن أسمح لنفسي بالتحكم في حياتك مقابل أي شيء، لكن هل تصدقين أنني مضطر لأن أحضر حفلة كوكتيل الساعة الخامسة؟

ـ حفلة كوكتيل!

ـ أجل، السيدة أوستن تقيم حفلة كوكتيل في عيد رأس السنة. وقد استطعت التهرب منها ثلاث سنوات متتالية. السنة الأخيرة فكرت على الأقل بإرسال برقية اعتذار لها أما هذا اليوم، فلا أستطيع التهرب منها أبداً.

ـ لكن روبن، سبق وأرسلت ثيابي الراقية كلها، كذلك ليس لدي ما أستعيره. بل الحقيقة ليس لدي إلا بناطيل جوخ وثوبان أسودان هذا هو كل ما في خزانتي.

ـ كم أحب ألا تشغل المرأة نفسها بكثرة الثياب حين تسافر، ثوب أسود مناسب تماماً.

ـ لكنه من الصوف!

فاقترب منها مداعباً وجنتها:

ـ ماجي، أنت رائعة كيفما كنت ومهما لبست. الآن، اذهبي إلى طابقك واعملي على كسب معيشتك. ثم مضى. كان الجو بارداً، لكنه مع ذلك سار على قدميه إلى أن وصل عيادة الطبيب آرشي جولد. في البداية كان الطبيب قد رفض الذهاب إلى عيادته في مثل هذا الوقت، لكن روبن أصر. وكان متأكداً من أن ماجي لم تسمعه حين خابر الطبيب فالمطبخ يقع في الطرف الآخرِ من الشقة وكان هو يتكلم بصوت منخفض. وصل الطبيب والمريض في الوقت نفسه:

ـ روبن، أنا لا أخل بنظام حياتي أبداً من أجل زبائني العاديين. ها قد مرّت ثمانية عشر شهراً مذ خرجت من عيادتي صافقاً الباب خلفك، والآن يجب أن أجري إليك لأنك تدعي أن الأمر ضروري!

جلس روبن بهدوء:

ـ إنني بحاجة لنصيحتك، فماجي ستيوارت في نيويورك، والأمور تمشي بشكل رائع، إنها تعيش معي.

ـ إذن، ما من مشكلة بعد! قال آرشي وهو يشعل غليونه.

ـ بلى، هناك. تريد أن تتزوجني.

ـ كلهن يردن الزواج.

ـ لكن هذا مستحيل، فالزواج ليس مجرد ممارسة للحب، لاسيما بالنسبة لفتاة مثل ماجي. إننا نعيش معاً منذ خمسة أيام وقد روت لي قصة حياتها: زواجها الأول، علاقتها مع بارينو، ثم علاقتها مع شخص في كاليفورنيا، على الشاطئ. لم تخف عني شيئاً.

ـ وأنت، ماذا فعلت؟

ـ كنت أستمع يا عجوزي دون أية نية في أن أفضي لها بأسرار حياتي، لنر كيف يمكنني أن أبدأ: «بالمناسبة، يا عزيزتي، أنا لا أدعى روبن ستون».

ـ قانونياً، هذا اسمك.

ـ بالتأكيد، لكن في مكان ما من داخلي هناك ابن سفاح صغير يدعى كونراد. إنه أنا أيضاً: ماجي لا تريد فقط أن تتزوجني، بل تريد أطفالاً، اللعبة الكبيرة إياها (وفجأة ضرب روبن بقبضة يده على الطاولة) يالله، يا آرشي! كل شيء كان على ما يرام قبل أن أجيء إلى هنا. كنت أعاشر النساء بشكل عادي وكان كل شيء سائراً بشكل حسن، لقد كنت سعيداً.

ـ كنت آلة، وكنت تمارس الحب كأي رجل آلي. في الوقت الحاضر، كونراد يريد أن يلتحم بروبن، روبن الذي جعله كونراد كائناً

غير بشري. لا يعاني شيئاً، لا يحمل عاطفة ولقد أدركت أنت ذلك. أما الآن، وللمرة الأولى في حياتك، فإنك تخوض صراعاً مع نفسك وهذه علامة حسنة.

ـ لكنني في السابق كنت أحب نفسي أكثر. آخر مرة عندما غادرتك غاضباً، قلت لك إنني سأعمل كي أجعل اسم روبن ستون يعني شيئاً ما. وإنني سأسهر على تحقيق هذا الشيء. كما أنني لست بحاجة لكونراد، بل يجب أن أنساه.

ـ روبن، لماذا لا تذهب إلى هامبورغ؟

ـ وماذا أفعل هناك!

ـ أنت تعرف اسم أمك. ابحث عن عائلتها.. فربما سيدهشك أصلك.

ـ أم كونراد كانت عاهرة! صرف روبن بأسنانه.

ـ في البداية، تعاطت الدعارة إذ لم يكن لديها مورد رزق آخر. بعدئذ استمرت لكي تعيل صغيرها كونراد. ربما ستكون فخوراً بأنك كونراد.

فنهض روبن:

ـ يا للعنة، أنت لا تفهمني إذن. أنا لا أريد أن أعرف شيئاً يتعلق بكونراد. لا أريد أن أعيش في خوف دائم من أن أجعل ماجي ستيورات تتعذب! لا أريدها أن تفقدني عندما تعود إلى الشاطئ الغربي. لا أريد أن أكون بحاجة لأحد ولا أن أرتبط بأحد. هذا لم يحدث لي من قبل... ولا أريده أن يحدث أبداً.

فنهض الطبيب بدوره:

ـ روبن، اقلع عن الكذب على نفسك. لقد بدأت في العطاء، في الجمع بين الحب والمتعة الجنسية. هذه التجربة تربكك. وهو شيء عادي. لكن لا تحكم عليها بالموت. لا شك في أن هذا سيسبب لك

بعض الإشكالات لكنك يوم تجد نفسك قادراً على أن تقول فيه لشخص ما: «أنا بحاجة إليك» ستكون قد أصبحت إنساناً سوياً. وذلك اليوم بعينه، ستكون ماجي هي من تقول لها هذا القول. لا تطردها من حياتك يا روبن.

لكن روبن كان قد خرج صافقاً الباب وراءه.

برغم البرد عاد روبن مشياً على قدميه إلى منزله. لم يعد يفكر بشيء. بل كان يملؤه إحساس بالطمأنينة. كانت ماجي تنتظره في الصالون، مرتدية ثوبها الأسود. فتطلع إليها بهيئة مرتبكة ثم سألها:

ـ ما الساعة إذن؟

ـ الرابعة والنصف.

فابتسم، لكن نظرته بقيت باردة:

ـ إذن اخلعي هذا الثوب. فما يزال لدينا ساعة من الزمن.

ثم قادها إلى غرفة النوم حيث مارسا الحب. وعندما انتهيا نظر إليها مبتسماً بهيئة بالغة الراحة. لقد بدا راضياً عن نفسه إلى حد مدهش.

ـ أنت لا تعرفين يا صغيرتي، قال لها، إن روبن ستون هو الذي مارس الحب معك وقد سار الأمر على ما يرام.

ـ الأمر دائماً يسير على ما يرام. أجابته بكل رقة.

ـ لكن هذه المرة، كان الأمر مختلفاً (وضربها ضربة خفيفة على إليتها) هلمي يا ملفوفتي، فعلينا أن نذهب إلى حفلة الكوكتيل.

جوديث

الفصل الثالث والعشرون

خرجت جوديث من حوض الحمام فانعكس جسمها العاري على الجدران المغطاة بالمرايا بينما راحت تتأمله بإمعان. لقد جعلها الريجيم القاسي الذي فرضته على نفسها رشيقة نحيلة كنبات العريش. في سن الخمسين لا يسمح بالسمنة. «كوني» محظوظة للغاية، فهي تتزلج فوق جبال الألب وتمارس رياضة التزلج في البحر ولها جسم عضلي قوي. لقد منحتها زيارة «كوني» كثيراً من السرور لكن رحيلها منحها الكثير من السرور أيضاً. لقد ذهبت كوني إلى إيطاليا لتقضي عيد الميلاد مع الأمير والأطفال. وخلال إقامتها، كانتا تجريان من حفل إلى حفل، فلقب «كوني» كان يؤثر كثيراً في الناس.

داعبت جوديث ربلتي ساقيها أمام المرايا. أجل لقد تراخت عضلات فخذيها قليلاً أما عضلات «كوني» فكانت ما تزال متماسكة. ربما كان علي أن أمارس الرياضة، فكرت جوديث، لكن الشمس والريح كانتا قد جعدتا قليلاً بشرة كوني. انحنت جوديث نحو المرآة. شيء من أقدام الإوزة الصغيرة كان يظهر حول أجفانها. تحت إضاءة مناسبة كان بإمكانها ألا تعترف إلا بثمان وثلاثين سنة أو ست وثلاثين. لقد كانت في رأس قائمة النساء الأكثر أناقة وكانت ما تزال واحدة من أجمل جميلات نيويورك. لقد أثارت زيارة «كوني» الأخيرة، إضافة لأشياء أخرى كثيرة تعليقات حميمة في كل البلاد: «أجمل توائم العالم».

وتساءلت جوديث إن كانت «كوني» ما تزال مولعة بفيتوريو. ثم جلست على الكرسي الثلاثي القوائم تمسح نفسها. في تلك اللحظة تحققت من شيء واحد: منذ ثلاثة أعوام لم تكن قد مرت بأدنى مغامرة. أجل ثلاثة أعوام مذ قطعت علاقتها «بشوك».

كانا قد التقيا في الصيف في «كوج». وكان شوك محترفاً للعبة الجولف. عمره ثمان وثلاثون سنة، أشقر قوي البنية. وقد بدأت مغامرتهما عندما بدأت تتلقى دروساً في الجولف إذ لم تكن تتقنها البتة. كانا في الدرس الثاني حين مرر ذراعيه حول خصرها مانعاً إياها من الدوران قائلاً:

ـ يجب أن تلعبي بقبضة يدك، سيدة أوستن.

فتقاطعت نظرتاهما، وهكذا بدأت الأمور. خلال الصيف، كان غريغوري ينضم إليها في العطل الأسبوعية الطويلة، حينذاك فكرت في أن تنقل شوك إلى أحد أندية بالم بيتش. كل شيء كان يسير على نحو رائع حتى جاء يوم قال لها شوك:

ـ يكون رائعاً لو قدمت تعليقات عن الجولف في التلفزيون مثل جمي ديماريه وكاري ميدلكوف، هذه الملاحظة أزعجتها لكنها منعت نفسها من التفكير بها. كان شوك قد قبل المركز في بالم بيتش. فالتحقت به في الثاني من كانون الثاني وخلال ثلاثة أسابيع غرقا في بحر من السعادة الحقيقية. كان غريغوري قد ظل في نيويورك وكان شوك يتزلق كل ليلة إلى الفيلا عبر باب سري. بعدئذ راح من جديد يتكلم عن عمل في التلفزيون، فأجابته بطريقة غامضة قصداً.

ـ إذن سأجرب حظي في المباريات الرياضية الجوالة.

ـ جولات! قد تكون في الجولات كل الاحتمالات المثيرة. فبإمكانها أن تلتقي به هنا أو هناك ومن حين لآخر. لقد تكلم عن مباريات كان يريد أن يشارك فيها وكان واضحاً أن عليه أن يجرها شيئاً فشيئاً خلال شهر تقريباً وإلا لن يصل إلى شيء:

ـ يلزمني عشرة أو خمسة عشر ألفاً، توصل شوك أخيراً لأن يعلن.

ـ خمسة عشر ألف ماذا؟

ـ دولار، فالدخول في هذه المباريات يكلف غالياً لكنني سوف أعيد المبلغ لك إذا كسبت الجائزة الكبرى.

وانتهى شوك. فمنذ تلك الليلة رفضت أن ترد على اتصالاته الهاتفية. ومنذ تلك اللحظة ما من رجل تقرب منها باهتمام. لقد مضى على ذلك ثلاث سنوات ولا شيء مثير في حياتها. لا أحد سوى غريغوري، هي بالتأكيد، تحب زوجها بإخلاص لكنها ليست مغرمة به. فلولا «كوني» ما كانت أبداً قد تزوجت غريغوري. التوأمان الجميلتان: جوديث وكونزويلو، ابنتا إليزابت وكورتيليوس لوجان، زوج جميل وفتاتان ساحرتان. ميراث خيالي مأمول. فعائلة لوجان تملك كل شيء ما عدا المال. حتى آخر أيامهم كانت جوديث تتذكر «بأساءهم». كانت العائلة قد تدبرت دائماً أن تعيش في شقة «راقية». كوني وجوديث كانتا تذهبان إلى المدارس الراقية. مع ذلك، كان الناس يتمتمون بأن كورنيليوس لوجان فقد كل شيء في إحدى نكبات البورصة. لكنهم كانوا يعلمون أيضاً أنه ما تزال هناك ثروة ضخمة لجدة لوجان. وهذه هي التي أقامت حفلة الرقص بمناسبة دخول حفيدتها العالم وبلوغها سن الرشد. وهي التي دفعت نفقات رحلتها الأولى إلى أوروبا بمناسبة عيد ميلادها الحادي والعشرين.

هناك تعرفت كوني على فيتوريو، أما جوديث فعادت إلى البلاد خاوية الوفاض.

كانت جوديث قد دخلت السادسة والعشرين عندما قابلت غريغوري أوستن الذي رأت صورته في الجرائد من قبل وكانت تعلم عن علاقاته الواسعة مع الممثلات ونساء الطبقة العليا و«المبتدئات».

أعزب في السادسة والثلاثين يملك شبكة تلفزيونية. ويتباهى بنقص تعليمه: «أنا لم أنه حتى دراستي الثانوية، لكنني أعرف قراءة صفحات البورصة أكثر من برنار باروش». كان غريغوري قد بدأ في وول ستريت بأعمال ثانوية وأيام أزمة الكساد عام 1929 حصل على مليونه الأول بالبيع بلا كفالة. بهذا المبلغ اشترى محطة على الحدود الشمالية لولاية نيويورك. ثم بدأ يستثمر أمواله في شراء محطات إذاعية جديدة. وفي سن الثلاثين وحد هذه المحطات معاً في شبكة واحدة: الأي، بي، سي، (مؤسسة الإذاعة الدولية). وبحسن إرادته وطيبة قلبه اكتسب غريغوري شهرة شخصية عالية إذ غالباً ما كانت الصحف تروي كلماته اللوذعية. كان يحب النساء لكنه لم يفكر أبداً بالزواج حتى اليوم الذي قابل فيه جوديث لوجان وتعرف إليها. بل ربما لم يتزوجها إلا للبرود الذي أبدته الجميلة تجاهه وأصابه في الصميم، ذلك أن غريغوري كان دائماً يطمح للمستحيل.

لقد ألح حتى أجبر جوديث على الخروج مرات عديدة. بدأ الناس يتكلمون عنها في الصحف فأدهشها الأمر. ولقد دهشت أكثر حين لاحظت أن أفضل صديقاتها بدأن يرتدن سهرات على شرف هذا الأصهب الساحر الحاد الطبع. بعدئذ كتبت لها كونسويلو أنها قابلت غريغوري في لندن وأنها وجدته رائعاً. منذ ذلك الحين بدأت جوديث ترى متيمها بمنظار أفضل. وتحققت أيضاً من أنه كان يقدم لها مملكة، ليست مملكة حقيقية، لكن بلا شك كانت الآي، بي، سي، شيئاً هائلاً جداً فهي ستجعلها تنفذ إلى عالم الترف.

كان فيتوريو غنياً هو الآخر لكن «كوني» لم تكن تلبس إلا حلي العائلة التي كان على بناتها أن ينقلنها إلى بناتهن. قدم لها غريغوري خاتم سوليتر عيار /25/ قيراطاً كخاتم للخطبة وعقداً من الماس هدية

زواج وخمسين ألف دولار تفتح بها حساباً في البنك. وقد أثار العرس ضجة كبيرة في الصحف كما نشرت صور العروسين في الصفحات الأولى ونال مركز الصدارة في المجلات والمسارح والفنون.

حين رأى غريغوري أن عروسه عذراء دهش أيما اندهاش. في ذكرى زواجهما الأولى اشترى لها عقاراً في بالم بيتش. وفي نهاية العام الثاني قدم لها سواراً من الماس، لكنه لم يجد ما يقدمه لها في الذكرى الثالثة. في ذلك الوقت لم تكن تطمح إلا لمغامرة غرامية. فعلى المستوى الجنسي كان غريغوري قد سيطر عليها تماماً حتى أنها شعرت بحاجتها لمقاييس أخرى للمقارنة. كانت تتخيل، وعلى نحو غامض، أنها ستعرف الحب الكبير، ذات يوم وقد حصلت على بغيتها تلك في الثامنة والثلاثين حين ذهبت إلى باريس تزور كوني. كانت الحرب قد انتهت والعالم كله يحتفل، وكانت جوديث متعجلة لأن تعرض حليها وفراءها أمام أختها. لم يكن غريغوري قادراً على ترك نيويورك، فتركها تذهب مع أفضل تمنياته وشيك بمبلغ ضخم. خلال رحلتها ارتبطت بعلاقة حميمة مع مغني أوبرا عظيم وتغيبت في لندن بحيث نسيت أن تذهب إلى باريس. بل لم تر أختها على الإطلاق ولم يسألها غريغوري لماذا كانت كل رسائلها مدموغة بخاتم لندن.

بعد هذا الحب الأول، عرفت جوديث علاقات حب أخرى مع ممثل سينما إيطالي ثم مؤلف مسرحي انكليزي طوال سنتين، بعدئذ دبلوماسي فرنسي. على المدى الطويل بدت العزيزة «كوني» نافعة جداً. إذ بشكل أو بآخر كان بإمكان جوديث دائماً أن ترد زيارة أختها في أوربا. ألا يعرف الناس أن الأختين التوأمين متعلقتان الواحدة بالأخرى كثيراً؟ بعدئذ جاء دور كوني في استرداد دينها، وإلا لم كل هذه الزيارات إلى الولايات المتحدة؟ فمنذ ثلاث سنوات لم تذهب جوديث إلى أوربا لرؤية أختها وهذا ما كانت تفكر به جوديث وهي في حمامها.

أنهت جوديث خضابها ثم نهضت وتفحصت نفسها في المرآة من جديد. كان عدم إنجابها قد أزعجها كثيراً في بداية الأمر وقد بذلت كل مستطاع حتى سن الثلاثين بل لقد فكرت بتبني طفل، لكن في سن الأربعين بدا غريغوري غير مهتم بالأمر. (ابننا هو الشبكة)، كان يقول بطيبة خاطر، عدا عن ذلك فالأطفال يلزمون المرء بمسؤوليات... ولدى تأملها لبطنها، سرها كثيراً أنه لم يكن هنالك ثلم واحد. لكن نهديها كانا قد تهدلا وفخذيها تراخيا. رفعت جوديث ذراعيها فوق رأسها. أجل.. هكذا لا يمكن قول شيء.. عدا عن ذلك فإنهما في السرير، يتجمعان بشكل جيد.

أما بطنها فإنه يظل رغم كل شيء أملس. مضت جوديث إلى خزانتها، ثم أخرجت ثوب المخمل البنفسجي، بعدئذ غيرت فكرتها فجأة، واختارت ثوب مضيفة من (الخز) الأحمر كذلك لبست عقدها الذهبي المزين بالياقوت. كم من الزمن مر عليها دون أن تهتم بزينتها. الانتظار المحموم كان قد بدأ قبل ثلاثة أيام، عندما تلقت كلمة من روبن أعلن فيها أنه هذا العام لن يفوت فرصة حضور حفلها.

حين بدأت تلبس ثيابها وحينها فقط اعترفت في قرارة نفسها أنها تتبرج من أجل روبن. وحينذاك فقط تحققت من أنها اشتهته منذ المرة الأولى التي رأته فيها. أجل لا بد لها من هذا الرجل. سيكون معشوقها الأخير والأروع. لكنها كانت تعلم أن عليها هي أن تقوم بالخطوة الأولى وأن تبدي له بطريقة ذكية للغاية أنه يثيرها. وهذا يكفي بالنسبة لرجل من نوعه. الوضع يقدم إمكانات مثالية وآمالاً رائعة. إنه يسافر كثيراً! وبإمكانهما أن يلتقيا في الخارج بسهولة. في الرابعة والنصف هبطت لإلقاء نظرة على المشرب والبوفيه.

بعد ربع ساعة، ظهر غريغوري لابساً السموكن. لقد بدا متعباً... بالم بيتش ستعيد له توازنه. الضيوف الأوائل ظهروا في الساعة الخامسة تماماً. السناتور وزوجته. ترى لماذا يظهر دائماً أكثر الضيوف مدعاة للتشاؤم؟ لقد أطبق عليها الفخ وعليها أن تثرثر معهما إلى أن يتوافد الضيوف الآخرون. لكن عندما قدم رئيس الندل الزوج العجوز إلى الصالون، استقبلتهما جوديث بابتسامة مشرقة:

ـ مساء الخير سناتور! لا، عزيزتي، أنت لم تبكري أبداً، بل وصلت في الوقت المناسب تماماً وإنني لمسحورة بذلك. فهذا سيعطينا الوقت كي نتحدث قليلاً.

وصل دانتون ملر بعد عشر دقائق وحيداً. ولأول مرة شعرت جوديث بأنها سعيدة برؤيته. فقد قدم لها فرصة مثالية للهرب من السناتور وزوجته. بعد ذاك مباشرة بدأ جرس الباب يرن دون توقف. وخلال عشرين دقيقة كان الصالون قد ازدحم بالمدعوين إلى حد وصل معه الحشد إلى المكتبة ثم فاض إلى قاعة الطعام. لقد بدأ الحفل. ظهر روبن ستون في الساعة السادسة، فأسرعت جوديث إليه ممدودة الذراعين متألقة البسمة.

ـ لقد حافظت على وعدك!

ثم جعلته يقدم لها ماجي كما لو أنها لم ترها في حياتها قط. بعدئذ ابتعدت لاستقبال ضيوف آخرين.

يالله! إنها طويلة ورائعة إلى حد شعرت جوديث بأنها صغيرة وقميئة. لكن منذ تلك اللحظة انتصبت بكل قامتها وهي تنتقل من ضيف إلى آخر تتبادل معه المجاملات المعتادة. ومنذ تلك اللحظة لم تترك روبن ستون وماجي يخرجان من دائرة نظرها.

يالله! هاهو ذا كرستي يدخل مع زوجته المخيفة. لقد أصر غريغوري على دعوتهما.. الفاجرة... إثيل ـ أجل، هذا كان اسمها. إنها تتكلم مع ماجي ستوارت، وقد وقف كرستي متصلباً كالطوطم. أعجوبة! لقد ابتعد روبن عنهم.. إنه يتبادل الحديث مع السناتور.

وانتهزت الفرصة في الحال. إذ اقتربت وأمسكت بنوع من اللامبالاة بذراع روبن:

ـ إنها المرة الأولى التي تأتي فيها هنا. لذا سيسرك ولا شك أن تقوم بجولة في المنزل!

ـ جولة؟

لكنها كانت قد جرته إلى غرفة المدخل.

ـ أجل، معظم الضيوف يعبدون زيارة المنازل. لكنهم لا يعرفون بصورة عامة إلا الصالون والمكتبة وغرفة الطعام. (وتوقفت أمام باب ثقيل من خشب الزان) هاهنا، المنطقة المحرمة على الضيوف، لكنها ليست محرمة عليك، إنها غار غريغوري، موضع فخاره وفرحه.

ـ كم هو خداع هذا المنزل، لاحظ روبن، إنه أوسع بكثير مما يظهر.

فضحكت جوديث ضحكة بلورية جميلة:

ـ أنت لا تعرف إذن؟ هذا المنزل عبارة عن منزلين متلاصقين جمعناهما في منزل واحد رائع، كما أننا عملنا منهما خمس عشرة غرفة كبيرة بدلاً من ثلاثين غرفة صغيرة. مسح روبن المكتب بنظرة سريعة وقد بدا عليه التعجب:

ـ رائع للعمل.

فأجابته بهيئة حزينة:

ـ ولسوء الحظ يقضي معظم وقته هنا.

ـ لا بد أن لديه كثيراً من المشاكل التي تحتاج لحلول.

ـ ألا تغلق على نفسك أبواب مكتبك هكذا، أنت الآخر؟

فأجابها مبتسماً:

ـ أنا، همومي أقل ومكانتي أدنى وليس لدي إلا ما يمكن حمله على ذراعي. أما غريغوري فإنه يوجه الشبكة بكاملها.

فرفعت ذراعيها بحركة يأس بالغ:

ـ أوه! ليس لديكم إلا مشاكل العمل، أنتم الرجال! حسناً إنني أحسدكم.

ولم يجب، فاستأنفت

ـ نحن النساء لا يمكننا أن نتخلص من مشاكلنا بشرب كأس ووضع الرأس بين اليدين في مكتب.

ـ يجب أن تحاولن، قال روبن.

ـ كيف يمكن التخلص من الشعور بالوحدة؟

فتفحصها بهيئة مرتبكة. وللحظة من الزمن تقابلت نظرتاهما. كان في عيني جوديث مزيج من التحدي والمشاركة في الذنب. بعدئذ قالت بصوت منخفض:

ـ روبن، أنا أحب غريغوري، ولقد عرفنا في بداية علاقتنا حباً رائعاً. لكنه الآن، متزوج من الأي، بي، سي. وهو أكبر مني بكثير... لذة العمل تكفيه. إنه يحمل هموم العمل إلى المنزل بل أشعر أحياناً أنني لم أعد موجودة بالنسبة له. وفي أغلب الأحيان لا أراه إلا وسط الزحام، في الحفلات على الموائد. أنا أعلم أنه يحبني، لكنني لست إلا ولاية من إمبراطوريته. وكثيراً ما أشعر بأنني وحيدة مهجورة. الأخريات يلعبن الورق، يثرثرن بين النساء، لكنني لست من هذا النوع.

ـ كلنا وحيدون تقريباً، بشكل أو بآخر.

ـ لكن لماذا؟ الحياة قصيرة والشباب قصير، فلماذا لا يكون كل شيء ممكناً طالما لا يسبب الأذى للآخرين؟ على الإنسان ألا يهتم إلا بشيء واحد: أن لا يؤذي الآخرين. (رفعت كتفيها بهيئة المتعبة) عندما كان غريغوري شاباً، كان يقامر في البورصة. وفي أحد الأيام قال لي: «هذه البورصة أفضل وأعظم بيت للقمار في العالم» لكنه منذ ذلك الحين لم يعد يهتم بالبورصة. إنه يشارك بألعاب الحظ، كما يقول، وهذا وحده ما يهمه. أما حظه، فهو جداول استطلاع رأي الناس. لكن ليس باستطاعة المرأة أن تعيش هكذا. إنها بحاجة للعاطفة. (وتطلعت إلى يديها وهي تلعب بخاتمها الكبير) العاطفة، لقد عرفتها مرة أو مرتين.

ثم رفعت رأسها من جديد متطلعة إليه. لكن ليس في حياتي ما أخفيه عن غريغوري فما من شيء يخفف من حبي له. إنه نوع آخر من العاطفة. لقد أعطيت لرجل ثان شيئاً آخر لم يعد غريغوري يقدره، ربما بسبب العمر أو الحساسية. (بعدئذ، وبصوت رقيق كلياً، أضافت) إنني أتساءل لماذا أسرد عليك هذا كله، فأنا لا أعرفك إلا بالكاد (وجعلتها ابتسامته تضعف) لكن الناس لا يقيسون الصداقة بمقياس الزمن، بل هي قضية تفاهم متبادل.

فأمسكها روبن من كتفيها ثم قال بشكل أبوي:

ـ جوديث، أنت امرأة ساحرة. لكن كوني عاقلة، ولا تبوحي بأشياء كهذه لأي كان.

فتأملته مأخوذة:

ـ أبداً لم أبح بشيء كهذا لمخلوق من قبل. إنها المرة الأولى في حياتي... وإنني أتساءل ماذا حدث لي.

فجعلها تدور حول نفسها ثم وجهها باتجاه الباب قائلاً:

- الكثير من حفلات الكوكتيل. والآن لنعد لرؤية ضيوفك، هناك ستشعرين بالوحدة على نحو أقل (وأمسكها من ذراعها ثم قادها إلى الصالون) لقد جئت مع شابة قد تشعر بالعزلة كثيراً في هذا الحشد. ليلة سعيدة يا جوديث واحرصي على بيتك.

ثم تركها متوجهاً مباشرة إلى ماجي ستيوارت. بينما راحت جوديث تنتقل، وهي على حافة البكاء تقريباً، من مجموعة إلى أخرى.

كانت ماجي تحتفظ هي الأخرى بابتسامة جامدة. فقد رأت روبن يغادر الغرفة مع جوديث ولاحظت طول الوقت الذي غاباه. جوديث أوستن هذه، إنها امرأة جميلة... لكن كان كافياً بالنسبة لها أن ترى الرجل الجميل الذي كان يجتاز الصالون باتجاهها لكي يختفي كل قلقها في الحال.

وبروح السيطرة، أمسك روبن بذراعها محاولاً إبعادها عن كرستي وإثيل. وفجأة لفت انتباه روبن شيء عند الباب. فكل الأنظار كانت تتجه في ذلك الاتجاه. امرأة صغيرة هشة كانت قد دخلت للتو، وارتفعت همهمات من هذا الجمهور المهذب. إذ بمقدار ما كان حكيماً بمقدار ما كان دخول ديانا ويليامز بالنسبة له «دخولاً» دائماً. لقد وقفت هذه بلا حراك على العتبة بهيئة طفولية تقريباً. فأسرع غريغوري إليها ثم أحاط كتفيها بذراعه بحركة الحامي. وخلال أقل من ثانية كان الناس كلهم يحيطون بها.

حيت ديانا بهيئة متواضعة الناس الذين قدموا إليها جميعاً.

- قولوا إذن أيها الغلمان. لقد ارتكب آيك ريان خطأ فاحشاً، همست إثيل، فديانا هذه لم تعد أكثر من ظلها أيام زمان.

أخيراً، اجتازت ديانا الحشد مقتربة من روبن، بينما احتفظ غريغوري بها تحت جناحه.

ـ لِمَ لم تقل أنك دعوت الآنسة وليامز إلى حفلنا الصغير؟ سأل غريغوري روبن بلهجة اللوم. فنحن لم نعرف بوجودها في نيويورك وإلا لدعوناها قبل الجميع.

ـ لقد دعوتني ليلة عيد الميلاد، ذكرته ديانا بلهجة المتهم، وبما أنك لم تأت لإحضاري فقد اعتقدت أن هناك سوء تفاهم ما وأنك ربما تنتظرني هنا.

ـ اسمحي لي بأن أعتذر عن هذه الحماقة، أرجوك، سأحضر لك كأساً.

واتجه روبن إلى المشرب، بينما تبعه كل من غريغوري وديانا. أما ماجي فقد بقيت مع كرستي وإثيل التي راحت تتكلم عن شقتها الجديدة في اسكس هاوس.

ـ لقد انتقلنا أمس إلى هناك. أسرت إثيل لماجي.

ـ فاخرة! قالت كرستي، صالون، غرفتا نوم، وهي أغلى بثلاث مرات من الآستور.

ـ بالحقيقة، لا أستطيع أن أتصور نفسي وأنا أدفع عربة طفلي على أرصفة بزرودوي، تضاحكت إثيل، على الأقل اسكس هاوس تقع في مواجهة حديقة. هذا سيكون رائعاً بالنسبة للصغير.

ـ أوه! لم أكن أدري، تهاني! قالت ماجي مكرهة نفسها على إظهار شيء من الاهتمام لم تكن تشعر به على الإطلاق. وابتسم كرستي ابتسامة مشرقة.

ـ لقد ماتت الأرنبة الأسبوع الماضي. وعندما نقل لي طالب الطب الخبر، تملكني الفرح إلى حد كنت مستعداً معه لأن أفعل أي شيء.

ـ ما عدا ترك الأستور، ردت إثيل، لكن الحمد لله انتهى أخيراً بأن خضع للأمر الواقع.

ـ أجل، والآن يقيم كل منا في غرفة منفصلة، لكن فقط حتى ولادة الطفل. بعدئذ ستكون الغرفة الثانية له. الحقيقة أن يبدها الحق: فامرأة تنتظر وليداً بحاجة للنوم. والآن أيتها الجرادتان أترككما تثرثران معاً لدقيقة واحدة فأنا أرى دان الكبير ولدي كلمة أقولها له.

وابتعد، ثم أمسك دانتون ملر بذراعه.

لم يكن يسر ماجي أن تبقى مع إثيل التي لا تعرفها ولا أن تثرثر معها حول أمور نسائية ليست خبيرة بها.

ـ متى سيولد هذا الطفل؟ سألتها ماجي على نحو عرضي تماماً.

ـ آخر آب أو أول أيلول.

وبعد لحظة من الصمت القلق استأنفت ماجي:

ـ فعلت حسناً باختيار فندق قريب من الحديقة، سيكون هذا رائعاً بالنسبة للصغير.

ـ لا، لا تتصوري مطلقاً إنني سأقيم هناك، احتجت إثيل، كرستي نفسه لا يعرف ذلك بعد. لكن برنامجه القادم سيسجل في كاليفورنيا.

ـ أرى ذلك، قالت ماجي التي لم تكن ترى شيئاً على الإطلاق، بل كان لا بد لها من أن تقول شيئاً ما.

ـ سأجعله يدور كالإعصار. فلدى كرستي كلمة طفل هي الكلمة السحرية. سأقول له إن الحديقة لا تساوي شيئاً بالنسبة للطفل. هجمات المتفرجين وما إلى ذلك.. ثم ما إن ننتقل إلى الشاطئ حتى نعيش حياة مختلفة تماماً. منزل كبير وعلاقات مع الطبقة العالية.

سألزمه بضمان خدمات كيلي وهايز. وهكذا نحقق الاتصال مع الطبقة الراقية، فينشأ الصغير في بيئة راقية وبين أطفال راقين. صدقيني يا عزيزتي هوليود لا تنتظر إلا إثيل إيفانز لين.

ـ ربما ستخيب أملك هوليود، قالت ماجي (وهي تبحث بنظرها عن روبن).

ـ إنه مع ديانا في الاستديو، قالت إثيل.

ـ ماذا؟

ـ صديقك الصغير.... لقد ألقت ديانا كلابتها عليه واحتكرته.

وجدت ماجي نفسها أكثر اندهاشاً من أن تستطيع الإجابة. ولبرهة من الزمن لم تجدا ما تقولانه وقد استمر ذلك إلى أن انضم إليهما دان وكرستي:

ـ إنهم يعدون مشاريع لمدة سنتين، أقحم كرستي نفسه قائلاً. أنت لا تصدقينني يا دجاجتي، لكن المساهمين يتسابقون كي يحصلوا علي ليومين منذ الآن...

ـ أتريدين كأساً آخر من هذا الشراب؟ سأل دان وهو يبتسم لماجي بينما بلغت آذانهم قهقهة قادمة من المكتبة، لقد لاحظت أنك جئت مع روبن ستون، ثم استأنف بصوت تآمري، فهل ستغادرين الحفل معه!

ـ بصورة عامة، أظن ذلك.

ـ خسارة، كان بودي أن أدعوك إلى العشاء. كم ستبقين في نيويورك؟

ـ حوالي خمسة عشر يوماً.

ـ هل تسمحين بأن أتصل بك!

ـ الحقيقة... (كان من المستحيل أن ترفض كما كان من المستحيل أيضاً أن تعترف له بمكان إقامتها) لا، دعني أنا أتصل بك. فلدي النية في أن أذهب غداً لرؤية عائلتي في فيلادلفيا ولا أعلم كم أمكث هناك.

ـ هل تعرفين أين تجدينني؟

ـ في الأي، بي، سي، (وابتسمت) والآن علي أن أجد روبن.

ثم تركت دان ومضت إلى المكتبة. كانت ديانا تستحوذ على انتباه الناس جميعاً وهي تسرد لهم قصة ابنيها التوأمين:

ـ يا إلهي، لقد أصبحا عملاقين، كانت تقول ديانا، من المستحيل الكذب بالنسبة لعمرهما. طبعاً هما لا يحلفان إلا بـ(البيتلز)، كما أن شعرهما طويل كشعور البيتلز. بودي لو ترونهما، إن لهما هيئة من وصل مباشرة من شارع كارنبي. ذلك اليوم كنت سأقدمهما كولدي العزيزين لكن عندما رأيتهما غلامين كبيرين ـ متر وثمانون سنتمتراً في سن السابعة عشرة ـ قلت: هاهما الصوتان متوسطا الطبقة من الأغنية.

وانفجر الجميع مقهقهين بحماسة أكثر مما تستحقه هذه الطرفة. وحده روبن لم يضحك بل كان يراقب ديانا بانتباه. وعندما قدمت له كأسها الفارغة أشار بحركة من يده إلى النادل فأحضر لها كأساً أخرى.

اقتربت ماجي من روبن وزلقت ذراعها تحت ذراعه

ـ إنها الساعة السابعة، همست في أذنه، والحقيقة أكاد أموت جوعاً.

ـ هنالك الكثير مما يؤكل في البوفيه، قال لها روبن دون أن تترك عيناه ديانا.

ـ أريد أن أذهب من هنا.

ـ لكنني مشغول يا صغيرتي. (وطبطب على جيبه) ها هنا عقد باسم ديانا، جاهز تماماً. إنني أنقله من مكان إلى آخر منذ خمسة عشر يوماً، ويجب أن أحملها على توقيعه. وإن كنت حكيمة فسأستفيد منك كشاهدة.

ـ وإلى متى يستمر هذا؟

ـ آمل أن توقعه هذا المساء على العشاء.

ـ هل ستتعشي معنا!

ـ هي ستتعشى معي، وإن رغبت في أن تكوني معنا بوسعك أن تأتي.

وفي الحال دارت نصف دورة ثم غادرت المكتبة، وهي تعلم أن نظره لم يفارق ديانا قط وأنه لم يلاحقها أبداً، وفي الحال لاحظت دان ملر الذي كان يشد على يد السيدة أوستن حاملاً معطفه على ذراعه فتوجهت إليه مستفسرة:

ـ أما تزال دعوة العشاء قائمة؟

ـ بالتأكيد، البافيليون. هل هذا يناسبك؟

ـ إنه أحد مطاعمي المفضلة.

كان البافيليون قد بدأ يفرغ من زبائنه. فراحت ماجي تتساءل، وهي مستغرقة في اللعب بقدح الكونياك، ترى بماذا سيفكر روبن حين يتأكد من اختفائها. كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة. لعله في هذه اللحظة، في منزله يستعد لمشاهدة أخبار التلفزيون. وتلاشى غضبها وهي تشعر بنوع من الإثم لتخليها عنه. لماذا اغتاظت كثيراً لفكرة العشاء مع ديانا؟ لقد كان بحاجة لأن توقع هذه الفتاة على برنامجه. ولامت ماجي نفسها على رد فعلها الطفولي العنيف إذ ما كانت لتتصرف هكذا مع أي رجل آخر لا آدم ولا آندي لأنها لم تكن تتعلق بأي منهما إلى هذا الحد. ربما كان هذا هو السبب الذي جعلها تنجح نجاحاً كبيراً معهما. إذن هذا هو السر! هل كان عليها فعلاً أن تتظاهر بعدم الاهتمام بالرجل لكي تحتفظ به؟

لقد تحملت هذا العشاء المنحوس مع دان بغية تمثيل دور على روبن وحسب. لكن هذا سخف! إنها تحب روبن وقد حصلت عليه. فما تراها تفعل في البافيليون مع هذا الأحمق الذي يسرد لها قصة حياته؟

ـ إنني مقتنع بأنه لا شيء جدي بينك وبين روبن، قال دان فجأة.

فتأملته بشيء من الاستغراب:

ـ لماذا تقول لي هذا؟

ـ لأنه لا يعجبني!

ـ إنه واحد من أفضل أصدقائي، قالت ذلك مضيفة شيئاً من التحفظ على صوتها.

فابتسم:

ـ حسناً... هو لا يعجبني مطلقاً.. ولا يعود ذلك لأسباب شخصية.

ودانتون ملر لا يعجبها هي الأخرى، دانتون ملر الذي أغاظتها بصورة خاصة ابتسامته المضغوطة:

ـ لعلك تخشاه!!

ـ أخشاه؟

ـ تقول إنه لا يعجبك لأسباب غير شخصية، لذلك أفترض أنها أسباب تتعلق بالعمل. فكلاكما يعمل في الأي، بي، سي، وقد تمكنت من الاطلاع على ما يجري في مؤسستكم هذه. في البداية لم يكن روبن يهتم إلا بالأخبار والآن هو يتعدى حدود مقاطعته، لذا أتصور أنه لا بد من وجود نوع من المنافسة بينكما.

فألقى دان برأسه إلى الوراء ثم ضحك. بعدئذ تطلع إليها بنظرة ماكرة:

ـ أنا لا أخشى ستون الكبير، هل تعلمين لماذا؟ لأنه متكبر كثيراً، وهذا سيدمره.

ـ برأيي، كبرياؤه لصالحه.

ـ إنها ليس في مجال عملنا. كذلك سأخبرك شيئاً يا ماجي. عندما يكون الموضوع موضوع صراعات داخلية فليس لدي أية كبرياء،

وهذا هو السبب الذي يجعلني أبقى. فدائماً هناك لحظات على الإنسان أن يتمرغ فيها قليلاً، مهما يكن قوياً ومهما يكن المركز الذي يشغله رفيعاً، لكن روبن لا يتمرغ أبداً. لذلك لن يحتفظ بمركزه. أجل، في مهنتنا ما من شيء مهم إلا: البقاء.

فأمسكت بحقيبة يدها آملة أن يفهم الإشارة، وعلى الفور أومأ هذا للنادل طالباً الحساب.

ـ لقد أبرمتك بحديثي عن المشاغل! استأنف دان، بإمكاننا أن نذهب لتناول كأس أخيرة في مكان آخر.

ـ إنني مرهقة يا دان وعلي أن أستيقظ غدا في ساعة مبكرة من الصباح.

نادى دان سيارة أجرة فادعت ماجي أنها تنزل في البلازا. وحين أوصلها هناك انتظرها إلى أن دخلت الفندق. من هناك اجتازت ماجي صالة الفندق إلى الطرف الآخر ثم خرجت إلى الشارع الثامن والخمسين واستقلت سيارة إلى منزل روبن. حين زلقت المفتاح في القفل لم يكن ثمة ضوء تحت الباب. هل هو نائم يا ترى؟ وخشية إيقاظه، عبرت ماجي الصالون على رؤوس أصابعها ثم فتحت بهدوء شديد باب المخدع، كانت الغرفة غارقة في الظلام، لكنها استطاعت أن تميز في الظلمة السرير المشعث المضطرب الذي كانا قد تركاه قبل الذهاب إلى الحفلة. روبن غير موجود. فعادت إلى الصالون وكادت تشعل النور عندما رأت شعاعاً تحت باب الاستديو، فابتسمت: لا بد أنه غارق بالعمل في كتابه، فكرت ماجي وقد رقت عواطفها، فاتجهت بلطف شديد إلى الباب ثم وضعت قبضتها على مقبضه في اللحظة نفسها التي سمعت فيها صوتاً: إنه صوت ديانا، التي كانت سكرى على ما يظهر.

فتحت ماجي الباب بلا ضجة ولم تصدق عينيها، كان كلا الاثنين عارياً تماماً: روبن مستلقى على أريكة، مغمض العينين وقد شبك يديه خلف رأسه. وديانا على ركبتيها فوقه تمارس الحب. لا هذه ولا ذاك لاحظا وجودها. فعادت وأغلقت الباب بحذر أيضاً مثلما فتحته، ثم مضت إلى غرفة النوم حيث أشعلت النور، وأخرجت حقيبتها من الخزانة ثم غيرت رأيها وتركتها على الأرض. لماذا تهتم ببنطالي جوخ وثوب حقير ثمنه ثلاثة بنسات؟ أبداً لن تلبس شيئاً لبسته عند هذا الرجل. فأخذت من فوق الطاولة أدوات وحقيبة زينتها فقط. وفي لحظة مغادرتها الغرفة، قامت من جديد بنصف دورة ثم تأملت السرير الذي كانت قد تقاسمته مع روبن عدة ليالٍ من السعادة، السرير الذي كانا يمارسان الحب فوقه قبل بضع ساعاتٍ فقط، والذي كانت تأمل أن تستلقي عليه هذه الليلة وليالي أخرى غيرها، هذا السرير الذي كان يجب أن يشكل جزءاً من مستقبلها... هذا السرير الذي لم تكن ديانا تريده إن لم تغير ملاءاته. كم من النساء نمن عليه وكم من أخريات سوف ينمن أيضاً.

ووثبت باتجاه السرير ثم نزعت الملاءات لكنها لم تستطع تمزيقها نتفاً كما كان يبتغي سخطها.

لا، ما من امرأة أخرى ستنام بعد الآن على هذه الملاءات ولا على هذا السرير. وتذكرت وجود زجاجة بنزين في الحمام فذهبت إلى هناك، ثم سكبت البنزين على الملاءات والوسائد وأشعلت النار. بعدئذ رشت بقية الزجاجة على السرير وألقتها فوقه. وخلال لحظة كان لهب برتقالي ساخن يمتد إلى كل الملاءات.

غادرت ماجي الشقة ثم اجتازت مدخل البناية منادية البواب:

ـ لقد رننت الجرس عبثاً على السيد ستون، قالت بهدوء، لكن يخيل إلي أنني شممت رائحة دخان، فانطلق البواب باتجاه المصعد، في حين اجتازت ماجي الطريق وتوقفت في مدخل بناية مقابلة.

وراحت تبتسم وهي ترى الضياء في نافذة غرفة النوم. بعد بضع دقائق كانت صافرات النجدة تدوي. ثم أغرقت المطافي اللهب وكتمته لكن هبات الدخان كانت ما تزال تتصاعد من النوافذ التي انفتحت على مصاريعها. أخيراً، رأت روبن يظهر على الرصيف مع مستأجرين آخرين من البناية. لقد وجد الوقت لأن يرتدي بنطالاً ومشمعاً. وكانت ديانا قد ألقت على كتفيها معطفاً من معاطف روبن لكنها كانت تتواثب حافية القدمين على الإسمنت البارد. فألقت ماجي رأسها إلى الوراء مقهقهة ثم قالت بصوت عال:

ـ أرجو أن تصاب بالزكام أو تنفلع!!

ثم اجتازت عدة شوارع قبل أن ترتعش وقبل أن تشعر بأن جبهتها تتصبب عرقاً. يا يسوع المسيح! ماذا فعلت؟ كان من الممكن أن تقتله بل من الممكن أن تقتل سكان البناية جميعاً، وحين أدركت خطورة فعلتها شعرت بأنها على حافة الإغماء رعباً.

حينذاك فهمت ما يمكن أن يجري في عقول أولئك البؤساء الذين يرتكبون القتل في لحظة غضب ومن ثم يشتكون من الضلال العابر. لقد أشعلت النار في السرير دون أن تفكر بما سيحصل للشقة كلها بل ربما للمبنى.

لكن حمداً لله، انتهى كل شيء على خير. لاحظت ماجي سيارة تعيسة فنادت سائقها وغمغمت: «مطار كندي» ثم استندت بارتياح إلى المقعد. كان عليها أن تنتظر بضع ساعات كي تحصل على طائرة تقلها إلى لوس أنجلوس. لكن قليلاً ما يهمها هذا. كانت السيارة تدرج في طريق معتم محفوف بالأشجار باتجاه النهر الشرقي. إنه الشارع الذي يسكنه آل أوستن ومالت باتجاه زجاج الواجهة فميزت البنائين التوأمين اللذين يشغلهما آل أوستن كما رأت النور في الطابق الأول. وشعرت ماجي بالحسد تجاه جوديث أوستن، وكل ظنها أن هذه تستلقي ولا شك هادئة مطمئنة في حمى قلعتها الحجرية.

في اللحظة نفسها كانت جوديث أوستن تتأمل نفسها في المرآة. تبتسم وهي تدرك أن في ابتسامتها شيئاً من التكلف. إنها البسمة التي احتمت بها حتى ذهاب آخر مدعو في الساعة التاسعة والنصف. لقد شعرت بصداع في رأسها ولم تكن تطمع إلا بأن تغلق غرفتها على نفسها، لكنها كانت ملزمة بتناول وجبة صغيرة متأخرة مع زوجها ووجهاً لوجه في غرفة النوم. هناك تناولت بضع نتف من ديك رومي وهي تصغي لغريغوري الذي راح يصب لعناته على هذا النوع من الاحتفالات. سنة بعد سنة، كان أناس المسرح والتلفزيون والسينما يحظون بأهمية أكبر وأكبر في لائحة مدعويهما. السنة القادمة قد يضطران لمراجعة لائحة المدعوين... وقد يضطران لتنظيم حفل الكوكتيل من جديد.

في الحالات العادية كانت جوديث تناقشه وتهدئه لكنها هذا المساء لا تفكر إلا بخيبتها مع روبن. حين تركت زوجها أخيراً كي تعتزل في غرفة نومها، ألقت نفسها وهي بكامل ثيابها على السرير محاولة أن تستعيد تفاصيل السهرة واحداً، واحداً. كان لا بد لها من أن تحضر لنفسها الدليل على أن روبن ستون لم يعلق بالصنارة. وفجأة تصدعت كبرياؤها وسالت الدموع على وجنتيها، الدموع التي كانت قد حبستها طوال السهرة. كانت قد منعت نفسها من التفكير بخيبتها المذلة، كما لم يكن باستطاعتها أن تسمح لنفسها بإظهار غمها أمام الكثير من الناس ولاسيما غريغوري. إنما كان بإمكانها من الآن فصاعداً أن تترك نفسها لأحزانها. لكنها بسرعة بالغة كظمت غيظها. لا، لن تبكي! ترف الدموع محرم عليها. دمعتان تنحدران بكل رقة من زاوية العين، ودون أن تفسد الكحل، أمر ممكن أما النحيب وشهقات البكاء فلا. فغداً ستكون أجفانها منتفخة وسيكون هناك جيوب تحت العينين. وغدا هو الثاني من كانون الثاني حيث عليها أن تتغدى في الكولوني وأن تحضر مأدبة عشاء.

لكن روبن رفض، لا، ليس الأمر هكذا تماماً. لقد احتقر مقدماتها الحذرة. الحذرة؟ أبداً لم تطرح نفسها على رجل بهذا الشكل. في السابق، نظرة، ابتسامة ذكية كانت كافية لإثارة رد فعل فوري. يا الله... كم تشتهيه! كم هي بحاجة لرجل يضمها بين ذراعيه، يشدها وهو يقول لها: أنت جميلة. لقد كانت بحاجة للحب. وكانت تريد روبن. تريد أن تلتقي بمن يعطيها الانطباع بأنها ما تزال مشتهاة.

هاهي ذي شهور مرت لم يقربها فيها غريغوري. يالله! أن تعود شابة ثانية، أن يشتهيها رجل كروبن! أن يمسك واحدهما بيد الآخر في مقصورة في آخر مشرب منار إنارة خفيفة، وأن يسيرا جنباً إلى جنب على رمال هابتون ويتأملا القمر معاً... بالنسبة إليها كان الحب قضية رأس وقلب، أما المسرات الجسدية فتأتي فيما بعد، وعلى نحو هامشي.

آه لو أن روبن يشدها الآن بين ذراعيه! لو أنها ترتعش من تماس جسده مع جسدها! لو أنه يداعب لها وجهها! إذن ما من شيء آخر سيهمها في هذا العالم.

فعلى الرغم من أن غريغوري لم يكن ذلك الفحل من الرجال إلا أنها كانت تعجب بأشياء كثيرة فيه. كانت تحمل له ذلك الإجلال نفسه الذي كانت تحمله لأبيها وأمها. بدونه لا شك أنها كانت ستشعر بالضياع. حياتهما معاً كانت تسحرها ولم تكن تمل أبداً لحظة واحدة وهي بصحبة زوجها. في هذه الحياة المشتركة، لم يكن ينقصهما إلا شيء واحد: العاطفة. إذ لم يكن شيء منها بينهما. رجل نشط وديناميكي كغريغوري ربما لا يستطيع الاهتمام بتفاهات صغيرة مما يحظى بقيمة كبيرة لدى امرأة عاطفية.

لكن روبن ستون نشط وديناميكي هو الآخر شأنه شأن غريغوري، إن لم يكن أكثر. مع ذلك فقد قدرت أنه يخفي طبيعته

العاطفية. لقد غادر هذا المساء مع تلك الممثلة الشاحبة، ديانا وليامز! كيف يمكن لرجل لا تستطيع هي جوديث أوستن الوصول إليه أن يكون في متناول نجمات وعجائز مسارح قديمات! هذا ظلم. سيكون روبن فتحها العظيم. لن تتخذ عشيقاً سواه وستكون لديه كل الحيوية التي أعجبت بها لدى غريغوري، علاوة على أنه جميل، وجذاب... أن تكون محبوبة من رجل مثله!!! كم هو شيء رائع.

لكن روبن رفضها. لعله يفكر أن اللعبة خطرة جداً! بل هذا مؤكد!.... فهو، بلا شك يخشى مغامرة كهذه قد تضر بمهنته وتؤثر في حياته، خاصة إذا ما انتهت العلاقة نهاية سيئة. عليها إذن أن تدعه يفهم أنهما إذا ما تحابا شهراً أو سنة فلن يكون لذلك تأثير على وضعه في الأي بي سي، أياً كانت النتيجة.

وانعطفت إلى مرآتها ثم تفحصت وجهها. يا يسوع! ثمة سنتمتران من الجلد زيادة على الأقل. لقد جاء هذا ببطء! فسحبت البشرة فوق الصدغين. رائع! إذن ما فائدة التردد! من الغد سوف تهم بالبحث عن جراح تجميلي. وستحصل أيضاً على أقراص فليس بإمكانها أن تنام مع رجل كروبن وتستيقظ في صميم الليل مبللة بالعرق.

غريب أن غريغوري لم يأت كي يطبع على جبهتها القبلة الأخيرة ويعلن للمرة الألف أن هذه ستكون المرة الأخيرة التي يقيم فيها حفلة كوكتيل. ارتدت جوديث المبذل، فهي ستذهب كي تقبله القبلة الأخيرة وتتمنى له ليلة سعيدة وسنة طيبة إن لم يكن قد نام بعد. فمذ قررت إجراء عملية تجميلية والحصول على روبن عاودتها البشاشة. إن بإمكانها أن تقول لغريغوري أنها ستجري عملية لكن فقط من قبيل التفاخر. فغيابها فترة من الزمن لن يثير أي مشكلة، بل سيجعل الناس يعتقدون أنها ذاهبة إلى روما لرؤية أختها.

اختفت ابتسامتها منذ اللحظة التي دخلت غرفة زوجها.

فقد كان مستلقياً بكامل لباسه وبصورة عرضانية على السرير. وفي الحال أمسك القلق وتوبيخ الضمير بحلقوم جوديث.

ـ غريغ، قالت بصوت منخفض كلياً.

ـ هذا الكوكتيل اللعين تحول إلى إسمنت مسلح في أمعائي، أنَّ غريغوري أنيناً شديداً.

فصعدت تنهيدة راحة.

ـ كل عام تقول الشيء نفسه ثم تعود لتبلع الكثير. ترى من يجبرك على الشراب؟ لم لا تشرب الويسكي فقط؟ اخلع ثيابك.

ـ لا، لا أستطيع التحرك، يا جوديث، لدى أقل حركة يصبح الألم غير محتمل.

ـ هل تريد أسبرين؟

ـ سبق أن أخذت قرصين كبيرين.

ـ غريغوري، لا يمكنك البقاء هكذا. هيا، قم بمحاولة.

وحاول الجلوس لكنه انثنى حالاً على بطنه. فتطلع إليها ممتقع الوجه ذابل الهيئة:

ـ جوديث.. جوديث.. هذه المرة، الأمر مختلف.

ـ أين تشعر بالألم؟

ـ في بطني.

ـ إذن، فهذا عسر هضم. غريغ، حاول أن تخلع ثيابك. ولسوف ترتاح أكثر.

قام غريغوري بجهد جديد كي يتحرك لكنه أطلق صرخة ممزقة في الحال. فجرت إلى الهاتف ثم اتصلت بالطبيب ولم يحتج غريغوري. إذن، الأمر جدي. أخيراً، استطاع أن يجلس على حافة السرير وراح يتأرجح إلى الأمام والوراء ويداه على بطنه.

بعد عشرين دقيقة وصل الطبيب سبينك، كانت جوديث تنتظره في الطابق الأرضي.

ـ دافيد! شكراً لمجيئك في هذه الساعة وفي يوم كهذا اليوم.

ـ من حسن الحظ أنني اتصلت بقسمي. بعد هذا الذي قلته لا أظن أنه القلب.

ـ برأيي، الأمر لا يتعدى عسر هضم قديم. لقد ترددت في الاتصال بك لكنني لم أره يعاني هكذا من قبل.

ثم تركت الطبيب مع زوجها وانتظرت في الغرفة المجاورة. لكن حين ناداها كان غريغوري يجلس على الأريكة وهو بكامل لباسه إنما كان أكثر هدوءاً.

ـ لقد أعطيته حقنة لتهدئة الألم، قال الطبيب، أعتقد أنها المثانة.

ـ إذن، ليس الأمر خطيراً، (ولفظت جوديث هذه الكلمات بنغمة إثباتية أكثر مما هي استفهامية)

ـ عليه أن يجري بضعة فحوص طبية، إنما أنت على حق، فالأمر ليس خطيراً، وإن كان مؤلماً.

على الفور غادروا إلى المستشفى في سيارة الطبيب. هناك وضعوا غريغوري في غرفة خاصة واستنفر الطبيب الممرضات لإجراء التحاليل الأولى. بينما راحت جوديث تذرع غرفة الانتظار جيئة وذهاباً وهي تدخن سيجارة بعد الأخرى. بعد نصف ساعة جاء الطبيب سبينك إليها:

ـ ليس الأمر بالبساطة التي تصورناها. حصاة في الحالب ولا بد من إجراء عملية على الفور. لقد استدعيت الطبيب ليسجران، وسيكون هنا بين لحظة وأخرى.

غادر غريغوري غرفته محمولاً على نقالة في الساعة الواحدة صباحاً. وجاءت ممرضة بفنجان قهوة لجوديث التي كانت تنتظر في غرفة زوجها. لكنها انتهت أخيراً لأن تنام فحين لامس الطبيب وجنتها بشيء من الرقة انتفضت من مكانها وبدا لها وكأنها لا تعلم مكان وجودها. لكنها استعادت ذاكرتها في الحال، وتطلعت إلى ساعتها فرأت أنها الساعة الرابعة صباحاً. ألقت نظرة على السرير فلم تجد غريغوري هناك. نظرت إلى الطبيب سبينك نظرة مرتعبة، فابتسم قائلاً:

ـ غريغوري على ما يرام. إنه في غرفة العناية المشددة وسيبقى هناك عدة ساعات كما اتخذت الترتيبات بحيث تبقى ممرضة إلى جانبه دائماً دون انقطاع.

ـ هل سيستعيد قواه؟ سألت جوديث

ـ إنها مجرد حصاة كانت تسبب له العذاب قبل قليل. صحيح أن العملية كانت أكثر صعوبة مما فكرنا، لكنه الآن على ما يرام. وإن كان من المؤكد أنه لن يستطيع مغادرة السرير والعودة إلى مكتبه قبل خمسة عشر يوماً. ولكي يستعيد صحته عليه أن يأخذ نقاهة طوال الشتاء.

ـ ما أظنه سيفعل شيئاً من هذا.

ـ لكن عليه أن يفعل فغريغوري لم يعد شاباً صغيراً. كلنا لم نعد شباباً. هذه العملية صدمة لجهازه العضوي بكامله، ولا أعتقد أنه سيجد رغبة في العمل قبل بضعة أشهر.

ـ ومتى يعيدونه إلى هنا؟

ـ ليس قبل العاشرة أو الحادية عشرة صباحاً، والآن لنعد إلى المنزل.

كان الفجر قد بدأ يرسل خيوط أشعته عندما استلقت جوديث على السرير. مسكين غريغوري! الراحة ضرورية له، وستكون ملزمة بالبقاء قربه خلال الشتاء كله في بالم بيتش و... فجأة أحست بالخجل من نفسها كما شعرت بالرعب. كيف جرؤت على التفكير بروبن؟ وشهقت بالبكاء. «أحبك كثيراً يا غريغوري. أحبك». تمتمت جوديث على وسادتها، «آسفة غريغوري، آسفة، فأنا بحاجة إليك لأنني أحبك». وأقسمت على ألا تفكر بعد الآن بروبن ستون، لكنها في اللحظة ذاتها كانت تعلم أنها لن تحترم قسمها فاحتقرت نفسها وهي تتساءل عن المرأة التي كانت بين أحضان روبن ستون.

كان روبن وحيداً في سرير ضيق صغير في ناديه حيث التجأ. وابتسم. على الأقل، كانت ماجي قد فعلت حسناً حين أنذرت البواب بعد إشعالها النار، وقد قدر أنها هي الفاعلة من رؤية حقيبتها على الأرض. لقد بدأت هذه القصة تضحكه. بل إنه ضحك بصوت عال تماماً وهو يفكر أن ماجي ولا شك فاجأت ديانا بالجرم المشهود. وأسوأ ما في الأمر أنه كان في تلك اللحظة في الزاوية الميتة فعلاً! لقد خدمه الحريق بشكل ما، إذ لم يحدث له أبداً أن استمتع مع تلك المجنونة التي لم تكن تسمع شيئاً كما كانت أسنانها قاطعة حادة أكثر من شفرات الحلاقة. أجل، لقد هبت النار في اللحظة المناسبة. وكان قد هدأ ديانا التي أعلنت عندما وصلت إلى فندقها أنها مسرورة.

لكن لماذا بحق الشيطان أخذ تلك المرأة إلى شقته، هو الذي حصل على توقيعها على العقد مذ كان في المطعم؟ لو كان يرغب برد الجميل وحسب لكان باستطاعته أن يأخذها إلى الفندق. آرشي سيشرح له أنه كان يفتش عمداً عن طريقة لمفاجأة ماجي وإدهاشها كي يتخلص منها. حسناً، كل شيء سيسير نحو الأفضل. هذه القصة

لم تكلفه إلا غرفة نوم، لكنه خسر ماجي ستوارت. فقطب حاجبيه ثم اغتصب ابتسامة «كلا، كونراد هو الذي خسر ماجي وليس أنا. لقد مت يا ابن الزنا الصغير، لقد مت!» وبحركة انعكاسية بحتة، رفع روبن سماعة الهاتف ثم طلب «الاتحاد الغربي» حيث تقيم. سيوجه البرقية إلى شركة «القرن» ولسوف تستلمها.

أعطى أحدهم البرقية إلى ماجي في «برج ملتون» بعد أن مرت في الاستديو من يد إلى يد طوال ثلاثة أيام. ومنذ أن قرأتها اشترت ماجي إطاراً صغيراً وعلقتها على جدار الحمام، إذ كانت تقول:

«أستدرك القول. ستصبحين ممثلة عظيمة فأنت مجنونة! روبن»

قضت جوديث أيامها بجانب سرير غريغوري. حينذاك لاحظت ولأول مرة أنه يصبغ شعره. والحقيقة أنها لم تفكر من قبل بأن لونه الأصهب المخطط بالرمادي ليس طبيعياً كلياً. لكنها في نهاية أسبوع في المستشفى قررت أن فيه من البياض أكثر مما فيه من الشقرة وأن شعر صدغيه وقذاله أبيض تماماً. وبما أنه لم يكن يحلق فقد ظهرت لحيته بشعرها الأشيب الذي أعطاه منظر عجوز متعب.

حينما بدأ غريغوري يهتم بما يجري خارج الغرفة أدركت جوديث أنه يتحسن. في نهاية الأسبوع الثاني طلب منهم أن يأتوه بنتائج استطلاع الرأي العام. كما طلب آلة حلاقة ونصح جوديث بأن تقوم بجولة على المخازن. ولدى عودة زوجته. كانت غرته قد أخذت لونها العادي كما كان يرتدي منامة حريرية بدلاً من قميص المستشفى، وهو يقرأ جريدة التايم. لكن جسمه غدا نحيفاً تماماً كما ظهر عليه عمره الحقيقي، فارتعدت وهي تتساءل في سرها كيف ستكون هيئتها إن مرت بالتجربة نفسها. كان أندريه قد «روتش» شعرها منذ خمسة عشر يوماً. يالله! قد تكون شائبة تماماً. وبلا صباغ!...

وضع غريغوري المجلة على السرير ورفع السماعة طالباً الأي بي سي.

ـ أرجوك يا عزيزي، قالت جوديث، الجراح والطبيب كلاهما منعاك من استئناف العمل، بل يريدان لك الراحة أشهراً عدة.

ـ وهذه نيتي تماماً، رد غريغوري، سوف نمضي لقضاء الشتاء كله في بالم بيتش. وستكون هذه عطلتي الحقيقية الأولى منذ سنين طويلة. (وأمسك بيدها) جوديث لو تعلمين كم أشعر بالعزاء! فقد كنت أعاني عناء شديداً منذ بعض الوقت. وكنت أرفض الاهتمام بالأمر. الآن بإمكاني الاعتراف لك: لقد كنت أخشى من إجراء فحص. وكنت مقتنعاً أنه السرطان. آه لو كان لدي القوة لصرخت ملء فمي فرحاً حين علمت أنها مجرد حصاة في المثانة. هذا الشتاء، سيسرني كثيراً أن ألعب الجولف وأن أقضي أيامي معك. من أجل هذا أتصل الآن، فعلي أن أرتب الأمور.

في البداية اتصل بكليف دورن، مدير القسم القانوني:

ـ كليف، أريدك أن تأتيني خلال نصف ساعة. والآن دعهم يعطوني روبن ستون.

في الساعة الخامسة والنصف وصل كليف دورن وروبن ستون في الوقت نفسه. وكانت جوديث ترتاح على الكرسي الطويل:

ـ هل تريد أن أذهب إلى الصالون خلال استقبالك هذين السيدين! سألت زوجها.

ـ لا، ابقي. الأمر يتعلق بقرار هام. وأريدك أن تكوني على إطلاع كامل... روبن، هل يسرك أن تكون المدير العام للأي بي سي!

فلم يجب روبن بل كليف هو الذي ردد:

ـ مدير الأي بي سي! ودانتون ميلر، ما يحل به!

فهز غريغوري كتفيه:

ـ دان هو مدير الشبكة.

ـ وما هو المدير العام للأي بي سي تماماً؟ سأل كليف

ـ لقب جديد أفكر به الآن. إنه يعني اقتسام السلطة في غيابي.

ـ وهل تعتقد أن دان يقبل بوضعه على قدم المساواة مع روبن؟

ـ أجل، فهذا لن يغير شيئاً من مزاياه. إذ عليه دائماً أن يقدم تقريره لي، إنما هذه المرة سيقدمه عبر روبن وروبن سيدقق كل شيء معي.

وافق كليف بصمت. ثم اتجه الاثنان نحو روبن الذي نهض قائلاً:

ـ آسف، لكنني أرفض.

ـ ألست مجنوناً؟ هتف غريغوري متعجباً

ـ سأكون مجنوناً إن قبلت بوضع كهذا. إذ لن يكون أمامي سوى شهرين من المشادات المستمرة مع دان ولن أكون بالحقيقة إلا كلب حراسة ذا لقب فخم أو غلام سباقات. وحين تعود من بالم بيتش، أنيقاً معافى، سأعود لاستلام إدارة الأخبار مع عشرات الأعداء الذين يلاحقونني وقرحة دان تعذب وجداني.

ـ من قال إنك ستعود إلى قسم الأخبار؟ سأل غريغوري

ـ واضح تماماً أن المنصب مؤقت، فهذا النوع من الألقاب هو دائماً مؤقت.

استغرق غريغوري في التفكير وهو يحك ذقنه:

ـ ربما كان كذلك بالأصل لكن بمقدار ما أفكر بالأمر بمقدار ما أجده معقولاً أكثر وبمقدار ما يبدو لي أن من الأفضل أن أضع نظاماً دائماً للمؤسسة.

ـ لكنني صحافي قبل كل شيء، احتج روبن.

ـ أعرف ذلك، تعجب غريغوري. لقد أصبح «الظاهرة» برنامج منوعات حقيقياً. لقد ابتعدت عن الأخبار يا روبن دون أن تدرك ذلك ولولا أنني أعرفك تماماً لارتبت في أنك تسعى من أجل السلطة أيضاً.

فابتسم روبن بشيء من الارتياح، لكن نظرته ظلت باردة:

ـ ربما كنت كذلك. فابتسم غريغوري

ـ أنا لا أتخذ قراراً عن طيش. روبن، لقد استفسرت عن وضعك (ثم أمسك بأطباق من الأوراق على طاولة سريره) ألا تصدقني؟ حسناً، اسمع: أنت بالأصل من بوسطن، بين يوم وآخر ستحصل على ميراث كبير. كان والدك أحد أشهر محامي ماساشويتز، أمك تسكن في روما. صحتها ليست على ما يرام وهذا يؤسفني كثيراً. لك أخت في سان فرنسيسكو، زوجها غني للغاية. رجل مثلك يعمل لإرضاء نفسه وله كل هذه الخلفية لماذا لا يكون متعطشاً للسلطة؟ لنأخذ مثلاً حياً يا روبن: أنا. لقد نشأت في الشارع العاشر. أحد رفاق طفولتي انتهى على الكرسي الكهربائي. هذا شيء فظيع، أعرف ذلك، لكن هذه هي الحقيقة. غلمان آخرون ممن كانوا يلعبون معي على الرصيف نفسه أصبحوا محامين، سياسيين، أطباء مشهورين. فنحن، أولاد ذلك الشارع، كنا طموحين ولا بد. ذلك الذي انحرف وانتهى نهاية سيئة، لم يكن قد نهب أو سرق، بل ارتكب جريمة قتل. وأولئك الذين نجحوا في مجالات أخرى كانوا كلهم عنيفين أيضاً. كلهم قتلة، أنا قاتل. دان قاتل. أما أنت فلا، وأنا لا أعهد لك لحظة واحدة بإدارة مالية الشبكة. «من الأعماق» كان يتجاوز دائماً حدود ميزانيته، لكنك صنعت منه برنامجاً ذا اعتبار. والآن بوجود آندي الذي توجهه وكليف الذي يشرف عليه فقد بات يكسب مالاً.

فقال روبن:

ـ لكنه ليس جيداً تماماً، إنني أفكر في أن ألتقي مع بارينو الاثنين القادم. فكثير من حلقات برنامجه ذات طابع نيويوركي ونحن بحاجة لشيء من النكهة الأوروبية.

ـ لن تقول شيئاً لآندي بارينو، رد غريغوري، ولهذا السبب تماماً أتكلم معك عن المال. هذا البرنامج بلغ مستوى لائقاً. وبإمكاننا الاستفادة منه والحصول على منافع جيدة خلال موسم آخر. ولحسن الحظ، أن «الظاهرة» يعود علينا بالمال مع أنك أنت الذي توجهه. (وابتسم غريغوري ليخفف من حدة ملاحظته) لكنني لم أستدعك إلي لكي أعقد معك مؤتمراً لبحث ميزانية التلفزيون. فدان يعرف هذا تماماً. وكليف يعرفه على نحو أفضل.

ـ لكن بالنسبة لدان... لن ينصح أبداً بإخراج برنامج لا يدر مالاً.

ـ والنوعية؟ سأل روبن.

ـ صديقي الطيب، من يهتم بالنوعية؟ نحن نحتفظ ببضعة برامج ذات اعتبار، إنما هي خاسرة. هل تعرف ما يحبه الجمهور؟ شاهد برنامج «فتافيت» واذكر أن برنامجاً كهذا هو ما يطلبه الجمهور. إن نجاح الأفلام القديمة يثبت هذا. مع ذلك لن أربط نفسي بهذا الخط كلياً بل بمقدار ما تتوفر لدي الوسائل سأحاول أن أضع برامج مستجدة وسأجعلها تحتل مواقع الصدارة. لكن لا يجوز أبداً إهمال الجانب التجاري من الأمر. دان من أجل هذا وفي الجمع بين ذوقك وحسّي التجاري يمكننا أن نصنع طاقماً إدارياً رابحاً.

فكر روبن لحظة من الزمن ثم رفع رأسه من جديد:

ـ من يصبح مدير الأخبار؟

ـ اقترح واحداً.

ـ آندي بارينو.

ـ أنا غير واثق من كفاءاته.

ـ سأبقيه تحت إشرافي. وسيظل عليه أن يقدم الحساب لي مباشرة.

ـ طيب. وافق غريغوري

ـ وما رأيك بالعقد؟

ـ دان لم يطلب عقداً.

ـ أنا أريد عقداً.

ـ ما هي مدته؟

ـ سنة. (ولم يفت روبن أن يلاحظ بريقاً عابراً من الارتياح في عيني غريغوري) اسمع، قد تسير الأمور وقد لا تسير، لكن علي أن أنذرك سلفاً: أنا لا أرضى أن أقدم تقارير أو أتلقى تعليمات في الهاتف. في كل ما يتعلق بالإدارة العامة سأكون أنا المدير العام. سأبحث عن أفكار جديدة. سأقترحها عليك وسأدافع عنها بقوة إذا اعتقدت بصحتها. لذلك لا بد لي من ضمان زمني لمدة سنة على الأقل فستة أسابيع لا تتيح للمرء أن يفعل شيئاً. وهكذا إذا سارت الأمور خلال عام يمكننا الاستمرار وإلا فإنني أتخلى عن لقبي وأعود إلى الأخبار.

هز غريغوري رأسه:

ـ هذا معقول. ستون ألفاً في العام بالإضافة إلى النفقات. ما رأيك بذلك؟

ـ مهزلة.

ـ لقد بدأ دان بخمسين ألفاً.

ـ ماذا يأخذ الآن؟

ـ خمسة وسبعين، بالإضافة إلى النفقات وحق الأسبقية في شراء الأعمال.

ـ إذن هذا أفضل.

ظل غريغوري صامتاً لبعض الوقت ثم ابتسم:

ـ تعجبني شجاعتك، كما يعجبني أنك تود الإمساك بمقاليد الأمور. حسناً، موافق. كليف سيحرر العقد. (ومد يده إلى روبن) حظاً طيباً للمدير العام للأي بي سي.

ـ وحظاً طيباً لصاحب الأي بي سي مع تمنياتي بأن تقضوا عطلة طيبة. قال روبن وهو يبتسم. (بعدئذ التفت نحو جوديث وفي عينيه بريق المشاركة بالإثم) اعتني به حسناً، سيدة أوستن.

اكتسح الخبر شارع ماديسون كما يفعل الإعصار.

وراح دانتون يغلي داخلياً لكنه تظاهر بأن اللقب الجديد لروبن ستون هو من بنات أفكاره فقد استقبل الصحافيين بابتسامته العادية معلناً لهم: هذا فتى كفؤ وإنني بحاجة لشخص يساعدني في غياب غريغوري.

مع ذلك كان يقضي الساعات ملتفتاً نحو النافذة وكأن في عينيه ضباباً، يقضي الساعات وهو يتساءل في نفسه عما يفكر به الموظفون. لقد أخذ أقراصاً مهدئة ولم يعد يذهب إلى الـ «21» أو المطاعم الأخرى التي قد يلتقي فيها مع زملاء. في المساء كان ينطرح في شقته. وعندما علم أن روبن يسجل حلقة من برنامجه «الظاهرة» عن ديانا وليامز تمنى لو تقوم ديانا بإحدى حركاتها الشاذة التي عودت الناس عليها وتترك روبن وأنفه في الرغام.

لكن عند نهاية كانون الثاني، كانت مخاوف دان قد هدأت. كانوا قد أجروا تغييرات في البرامج قبل بضعة أشهر. وكان غريغوري قد اختار البرامج الجديدة في تشرين الثاني. بضعة برامج سارت على نحو جيد، وبضعة أخرى كانت سيئة بينما كان البعض الآخر أسوأ من البرامج التي حلت محلها. وقد حانت الساعة لدراسة مشاريع الخريف.

في شباط، استعاد دان ثقته بنفسه تماماً. حينها علم أن روين استقر في الطابق الأخير وفي المكتب الملاصق لمكتب غريغوري، فنزل مباشرة إلى كليف دورن.

ـ أين تريد أن يحشر المرء نفسه؟ دمدم كليف، إن كان لديك أية أفكار حول الموضوع فقلها لي. آندي بارينو يرث مكتب روين، وليس لدينا مكان آخر. بل هناك بضعة أمتار مربعة غير مستفاد منها في الأعلى كان غريغوري قد أقام فيها قاعة رياضية وحمام سونا وخطأ الأخطاء أنه كان قد تدبر وجود مكتب لروين.

ـ وأين أضع وجهي عندما يقتسم روين الطابق الأخير مع غريغوري؟

فتنهد كليف:

ـ قل لي أين أضعه وسوف يسرني كثيراً أن أجعلك مرتاحاً راضياً.

ـ أنا أصعد إلى الأعلى، وأتخلى عن مكتبي لروين.

ـ ليست فكرة حسنة من رجل يقول لكل قادم إنهم يرسلون روين إلى الأعلى كي يتخلصوا منه. فإذا ما وضعناه في مكتبك سيفكر الناس أننا نتخلص منك أنت بدفعك إلى الطابق الأخير.

فصمت دان، وهو لا يجد ما يقوله، ساخطاً مشمئزاً. كانت الجرائد مستمرة بإحداث الكثير من الضجيج حول ترقية روين الذي امتنع في البداية عن أي تعليق. بعدئذ انتهى لاستدعاء رجال الصحافة وعقد مؤتمر صحفي في اليوم نفسه الذي انتقل فيه إلى مكتبه الجديد.

ثم أجاب، وهو واقف خلف طاولته الكبيرة، بتهذيب شديد وكثير من المراوغة وشعور من ينفر من التحدث. لقد حاصره الصحافيون أي حصار، فأحس روين بالشفقة. هذه مهنتهم. ولا بد لهم من الحصول على شيء بين أيدي القراء.

ـ لنتكلم عن التلفزيون، فذلك أفضل من التكلم عني، قال روبن مبتسماً.

ـ طيب، ما رأيك بالتلفزيون؟ سأله أحد الصحافيين الشباب.

ـ إنه أخطبوط. فليس التلفزيون صندوق صور وحسب، بل هو آلة للحب.

ـ ولماذا آلة للحب؟

ـ لأنه يتاجر بالحب، يحرض على الحب. الناس ينتخبون لرئاسة الجمهورية المرشح ذا المظهر الأفضل على الشاشة، والتلفزيون يحول السياسيين إلى نجوم سينما، ونجوم السينما إلى سياسيين. إنه يعدك بخطيبة أحلامك إن استخدمت معجون أسنان معيناً وبحياة دون جوان إن استخدمت كولونيا معينة. والتلفزيون يجعل الأطفال يزدردون أطباق «حريرتهم» لكي يشابهوا معبودهم بطل «البيزبول» وككل أصحاب الإغواء الكبار فإن آلة الحب هذه نوع من العاهرات. مغنطيسيته قوية لكن ليس له قلب وهو لا يعرف إلا جداول الاستطلاع حول رأي الجماهير فعندما تنخفض علامات هذه الجداول تموت البرامج. آلة الحب، هذه، هي القلب النابض للقرن العشرين.

رددت كل الجرائد أقوال روبن، ولدى قراءتها احمر دان من السخط بل أسخطه بصورة خاصة المقال الذي أشار فيه كاتبه إلى أن روبن نفسه يشبه كثيراً آلة الحب: «ربما كان السيد روبن ستون يماثل آلة الحب في هذه المسألة، كتب روني رولف، فكل الناس يعرفون أنه من حين لآخر يقتنص إحدى الفتيات الجميلات ثم ينساها كلياً بعد ذلك، إنه كالآلة التي تتكلم، يهجر صديقته بسهولة توحي بأنه لا قلب له على الإطلاق» قذف دان الجريدة إلى طرف الغرفة الآخر. يا يسوع! هؤلاء التافهون لا يفعلون شيئاً إلا زيادة اعتبار روبن. قل

عن رجل إنه يتصرف بلا مبالاة مع النساء وستزيد من قيمته. سحب دان قرصاً مهدئاً من جيبه، وابتلعه وهو يتساءل عما يفعله ابن الحرام ذاك في مكاتبه الأميرية.

كانت تجارب برنامج ديانا وليامز ستبدأ خلال خمسة عشر يوماً. برأي الجرائد كان بايرون ويثر، النجم المذكر، يراوغ مدعياً أنهم بتروا دوره تحزباً لديانا. بايرون ويثر، من أين يجد هؤلاء التافهون الصغار القذرون شجاعة كهذه! بعد أن صور ثلاثة أفلام في هوليود، بات يعتقد أن من حقه أن يقف على قدم المساواة مع ديانا وليامز. ورغم أنه كان يتمنى أسوأ الكوارث لروبن إلا أنه كان معجباً الإعجاب كله بموهبة ديانا. وضع جريدته على الطاولة وكله أمل أن يكون المحرر مخدوعاً، فديانا هي التي يجب أن تروغ ولا شك.

كان روبن يتساءل هو الآخر إذا كانت ديانا ستثير في وجهه بعض الصعوبات أم لا. هل تستجيب للعلاج أم للكحول؟ لكن آيك ريان يقسم إنها على استعداد تام وإنها لا تطلب إلا البدء بإجراء التجارب.

ـ جد لها شريكاً، قال ريان، ولسوف تبدأ على الفور. فهي لا تطلب مغنياً خارقاً للعادة كي تقوم بدورها. وهذا كل ما في الأمر.

كان روبن يهم بمغادرة مكتبه ذاهباً إلى قاعة التصوير عندما دخلت أمينة سره:

ـ شخص يدعى نلسون في غرفة الانتظار. (وظل روبن لحظة من الزمن دون أن يبدو عليه أي تأثر) ديب نلسون، ممثل السينما، حددت أمينة السر.

فابتسم روبن بحرارة.

ـ آه، بالتأكيد! دعيه يدخل.

وحين مر ديب قرب أمينة السر ابتسم لها بسمة مشرقة، فاضطربت هذه وتعثرت بعتبة المكتب، فلم يستطع روبن الامتناع عن الضحك:

ـ هذه العذراء بنت الأربعين لن تعود أبداً كما كانت من قبل.

ـ إن كانت ما تزال هنا حين أخرج. قال ديب بقصد التسوية، سأضع لها يدي في السلة عسى أن تموت سعيدة، هذه العانس المسكينة. (وصفر صفرة إعجاب وهو يجري بنظره في الغرفة) حسناً يا صديقي. ما هذا الأثاث!! إن لك هيئة رائعة تسحرني!

ـ حتى أنت يا ديب!

فترك الفتى الطويل الأشقر نفسه يتراخى في المقعد ووضع ساقاً على ساق:

ـ كصديق أعترف لك: أموري تسير من سيء إلى أسوأ.

ـ وعقدك فيما يتعلق بالقاعة الفارسية؟ صدقني لم أوقف البحث عن ذكره في الصحف.

فهز ديب كتفيه:

ـ اللعنة! لقد قدمنا تمثيليتنا الجوالة. وقد أخذ الناس منها ما أمكننا إعطاؤه لكنني لا أجرؤ على تقديمها في نيويورك. اسمع، لقد فكرت بالأمر، أنا وبولي... أمورنا ليست على ما يرام.

ـ هل تعني أن زواجكما أخفق؟

ـ أنت تهذر! فلم يكن ارتباطنا أكثر متانة مما هو اليوم. لكن شخصيتينا الفنيتين لا تتوافقان معاً. فعندما تمثل لوحة غنائية أو تغني بمفردها تكون رائعة. وعندما أغني الأغاني القديمة وأرقص فإنني أبدو رائعاً. عندما أقلد جودفري وطريقته فإني أقسم لك يا صديقي أن كل الناس يحسبونني جودفري، وليس هذا إلا مثالاً. لكن الحقيقة أنا

نوع، وهي نوع آخر. اسمع يا صديقي العجوز، هذا بالذات ما قادني إليك. لقد قال لي وكيلي إن آيك ريان يبحث عن شريك لديانا وليامز. وأنا متأكد أن ديبر العظيم هو الرجل المناسب. لقد قلت لي في الماضي إنك مدين لي. إذن اسمعني. لماذا لا تدخل بولي في عرض كرستي لين؟ هذا سيعود علي ببعض المال. وهو لن يضرني بالتأكيد. فالنجم الذي يدعى للبرنامج يحصل على خمسة آلاف دولار، كما أن فيه الكثير من الدعاية لبولي.

ـ موافق. متى تريد أن تبدأ؟

ـ مثل يوم البارحة من الأسبوع القادم.

فرفع روبن السماعة وطلب جيري موس:

ـ من هو النجم الضيف في عرض كريس لين القادم؟.... لون روجرز! اشطب عليه والأي بي سي تدفع تعويض الحنث بالعهد. أريد دعوة بولي وديب نلسون مكانه. وإذا اعترض أحد على هذا الأمر أو أبدى أية ملاحظة قل له إنني أنا من أعطى الأمر.. طبعاً. قل إنني أكره لون روجرز وإنني أمنعه من الظهور على شاشتنا. لكن لا، بالتأكيد لا. لون لا يساوي شيئاً أريد أن يدخل ديب وبولي في عرض الأسبوع القادم.. تمام.

وأغلق الخط ثم ابتسم لديب:

ـ القضية أصبحت في الجيب.

فهز ديب رأسه بإعجاب:

ـ عظيم يا صديقي. لقد وصلت إلى مبتغاك بينما نتجرجر نحن على الطرقات.

في صباح اليوم التالي، كان روبن يهتف لغريغوري الذي كان ما يزال في بالم بيتش، عندما أعلنت له أمينة سره في الهاتف الداخلي: السيد دانتون ملر في مكتبي، يريد التحدث إليك.

ـ دعيه ينتظر، أجاب روبن

وراح غضب دان يتصاعد وهو ينتظر، وحين استقبله روبن، انفجر صارخاً قبل أن يجتاز عتبة الباب:

ـ أنت لا تفسد برامجي وحسب بل تجعلني أنتظر أيضاً!

ـ وما الذي جاء بك شخصياً! سأل روبن وهو يبتسم ابتسامة ودية، لا بد أنه شيء مهم.

انتصب دان أمام المكتب مشدود القبضتين:

ـ ها أنت ذا الآن تتدخل بتشغيل الفنانين. كيف تجرأت على تجاوز آرشي ريلاندر كي تفرض طاقماً فنياً تافهاً في برنامجي الرئيسي.

ـ البرنامج الرئيسي للأي بي سي.

ـ إنني أنتظر أن تقدم لي اعتذاراً.

ـ لقد توقفت عن تقديم الاعتذارات مذ كنت في الخامسة، رد روبن، متجلداً.

ـ لكن لماذا هذان التافهان في هذا البرنامج؟ سأل دان، وقد تشنجت شفتاه من الغضب.

ـ لأنهما يعجبانني، هكذا. فديب وبولي لم يظهرا في التلفزيون من قبل. وهذا سيكون شيئاً جديداً، نوعاً من التغيير. لقد سئمت طول الالتقاء بالأسماء نفسها من هوليود. إننا نقدم لهم خمسة آلاف دولار وبعد ثلاثة أو أربعة أيام يعود الناس ويرونهم مع جوني كارسون، مرف جريفن أو مايك دوجلاس. من الآن فصاعداً لن نقدم أي أحمق من ممثلي السينما دون عقد.

ـ اسمع، يا ابن الحرام....

ودوى رنين الهاتف الداخلي، ضغط روين على الزر فسمع أمينة السر تعلن: «ثبتنا حجزك في الطائرة إلى روما، سيد ستون».

ـ روما!! صرخ دان متعجباً (وكل من يراه يعتقد أنه سيصاب بالسكتة القلبية) ماذا ستفعل هناك؟

فنهض روين:

ـ أرى أمي التي تحتضر، (وبعد أن مر بجانب دان توقف قرب العتبة) لقد فوضني غريغوري أن أغيب الفترة التي تلزمني. لذا آمل أن تكون قادراً على تدبير نفسك خلال فترة غيابي.

وحين غادر الغرفة، كان دان ما يزال واقفاً في منتصفها دون حراك.

الفصل الرابع والعشرون

كان سرجيو ينتظر روبن في المطار

ـ لم أهتف لك على نحو أبكر، شرح الفتى لروبن، فقد ظننا أنها نوبة ككل النوبات السابقة لكن الطبيب أخبرني أمس بأن أنذر العائلة، هل أحسنت صنعاً بإخباري إياك!

ـ لقد فعلت ما يتوجب عليك تماماً.

ولاحظ روبن آثار الدموع في احمرار عيني رفيقه، وانتظر ريثما استقر إلى جانبه في السيارة ثم سأل:

ـ كيف حالها اليوم؟

لكن سرجيو لم يستطع منع دموعه من التساقط حين أجاب:

ـ إنها في حالة غيبوبة.

ـ هل أعلمت أختي؟

ـ ليزا وريشارد في طريقهما إلينا. لقد وجدت عنوانهما في مفكرة كيتي، فأرسلت لهما برقية مماثلة لبرقيتك.

كانت الساعة العاشرة صباحاً حين وصل إلى المستشفى حيث سمح له بالدخول إلى غرفة المريضة بضع لحظات، فرأى من بعيد وجه أمه الشاحب تحت قبة الأوكسجين. في الليل لفظت أنفاسها الأخيرة دون أن تستعيد وعيها. ووصلت ليزا وريشارد بعد فوات الأوان. إذ كانت كيتي قد قضت نحبها قبل ساعة، فتملكت ليزا نوبة من نوبات الهستريا، لم تجدِ معها إلا المهدئات بينما ظل ريشارد قربها وهو يحاول على نحو أخرق أن يظهر بمظهر القوي المتماسك.

صباح اليوم التالي، التقى ريشارد وسيرجيو وروبن مع محامي كيتي بغية ترتيب شؤون الجنازة. كانت وصية كيتي قد صدقت في الولايات المتحدة، وفي هذه الوصية وزعت ثروتها مناصفة بين روبن وليزا، إنما أوصت بفيلتها وسيارتها وكل حليها لسيرجيو.

بقيت ليزا في سريرها طوال النهار وفي صباح اليوم التالي نهضت للإفطار وحين دخلت غرفة الطعام، شاحبة، صامتة، غارقة كلها في ثياب الحداد، كان الصديقان يشربان فنجان القهوة الثاني. وكان روبن من بدأ الحديث:

ـ تركت لنا كيتي وصيتها بأن تحرق. كل الإجراءات اتخذت أمس وقد وقع ريشارد نيابة عنك.

لم تجب على التو، لكنها التفتت بعد قليل وعلى نحو مفاجئ إلى سيرجيو.

ـ هل تتفضل بالذهاب إلى الصالون لتناول قهوتك هناك؟ لدي أشياء أود مناقشتها مع أخي.

فقطب روبن حاجبيه:

ـ هذه الفيلا ملكه منذ اللحظة. قال بجفاف

لكن سيرجيو كان قد خرج وفي يده فنجان قهوته.

ـ لقد تصرفت بفظاظة مرعبة. غمغم روبن

فتظاهرت ليزا بعدم سماعه ثم توجهت إلى ريشارد:

ـ حسناً، هل قررت أخيراً أن تخبره!

فبدا على ريشارد الانزعاج ثم قام أخيراً بمحاولة للتماسك:

ـ روبن، لقد قررنا، أنا وليزا، أن ننقض الوصية.

ـ ماذا تريدون أن تنقضوا بالتحديد؟ سأل روبن

ـ العطاء المخصص لسيرجيو. ونحن واثقون من نجاح قضيتنا.

ـ من أين حصلتما على هذه الثقة؟

ـ حين نقيم دعوى قانونية ستوضع حاجيات أمي كلها تحت الإشـراف. حينها سيكون سيرجيو بحاجة للمال كي يعيش، فهو لا يملك مـالاً، ونحـن نعرف ذلك. ولن تمضي بضعة أشهر حتى يرضى بأن يوقـع عقـداً بالتراضـي مقابل عدة آلاف من الدولارات. طبعاً، سنستفيد من حجـة أخـرى وهـي أن كيتي لم تكن بكامل وعيها لحظة توقيعها الوصية، كما يمكننا الاحتجـاج بـأن هذا الغلام أرغمها على أن توصي له بما أوصت وهي في هذه الحالة.

ـ إذن، سأعارض طلب النقض. رد روبن بهدوء

ـ هل ستقف إلى جانب هذا التافه؟ صرخ ريشارد

ـ لقد قررت أن أدافع عن كل ما يمت لكيتي.

ـ وأنا أعد نفسي لإجراء تحقيق عن سيرجيو كي أعـرف أوضـاعه السابقة على نحو أفـضل، رد ريـشارد، وسـيكون بإمكـاني أن أبـرهن على أنه حقق منافع كثيرة باستغلاله عواطف عجوز مريضة.

ـ أي شيطان أنت كي تحاول البرهنة على شيء كهذا؟ هل عـشت هنا، خلال مرض أمنا؟ أنت لا تعرف شيئاً، أمـا أنـا فـأعرف، ولهـذا السبب ستكون أقوالي أكثر وزناً من أقوالك.

ـ لا، لا، أنت تخدع نفسك كثيراً، تدخلت ليزا بصوت غريـب، فأنا وريشارد نعرف ما يكفي لمسح أقوالـك. عـلاوة علـى أن الدعايـة التي ستدور حول هـذه القـضية قـد تـضايقك في عملـك. هـذا إن لم نتكلم عن حياتك الخاصة...

فرمق ريشارد زوجته بنظرة غاضبة:

ـ ليزا، باستطاعتنا أن نكسب القضية قانونيـاً، فلمـاذا الغـرق في الخصوصيات؟

ـ كنت أتوقع هذا منك، قالت ليزا بلؤم وهي تلتفت إلى روبن، فأنت بعد كل شيءٍ، لست إلا لقيطاً لا نعرف أبويه.

ـ ليزا! (وأصبح صوت ريشارد قاسياً)

ـ اتركني، لماذا أخفي الحقيقة؟ كم يسرني أن أرى أخي الكبير يفقد برودة دمه مرة واحدة في حياته! فهذا يثبت أننا لا نمت إلى العالم نفسه، هو الذي لا تربطني به من الأخوة إلا بمقدار ما يربطني بذلك اللوطي الصغير. (ثم اقتربت من روبن مستأنفة بصوت حاد) لقد تبنوك حين كنت في الخامسة من العمر.

وتوقفت، راصدة رد الفعل لدى روبن. لكن ريشارد وحده من بدا عليه التأثر. فذهب إلى النافذة وبدأ يتطلع بعناد إلى الساحة لكي يخفي قلقه واضطرابه.

أما روبن فلم يخفض عينيه البتة:

ـ ليزا، بعد هذا الفصل، ما من شيء يجعلني أكثر سروراً من اقتناعي بأنني لست وإياك من دم واحد.

ـ أمك كانت مومساً!

ـ ليزا! (وكان ريشارد هو الذي احتج)

ـ دعها تتكلم بحق السماء. تدخل روبن بهدوء

ـ بالتأكيد، فقد قتلت نفسي كي أحفظ السر طوال السنين الأخيرة هذه. في البداية لم أكن أعرف شيئاً. كيتي هي التي أطلعتني على الحقيقة عندما سقطت مريضة، قائلة لي إن علي أن أقول لك ذلك يوماً من الأيام لأنك رجل قوي. لقد كانت تحبك كما لو أنك ابنها حقاً. وقد تبنتك حين فقدت كل أمل بإمكانية إنجاب طفل وكان للوالد صديق محام تكلم له عن قضية كان منشغلاً بها: يتيم صغير مريض يعالج في مستشفى الولاية. ولقد صممت أمي على أن تتبنى

هذا اليتيم ولا أحد سواه. أمك الحقيقية كانت قد ماتت مخنوقة، إن كان يهمك أن تعرف! ولم يكن لك من أب. والماما ــ أمي ــ بدأت تعبدك. لكن بعد سنتين، وخلافاً لكل توقع، صار لها طفل خاص بها ـ أنا ـ صحيح أنه ليس لدي أية وسيلة لحرمانك من حصتك من الميراث ـ فالوصية قانونية ـ وأبي هو الذي حرر تلك الوصية الغبية. لكنني أستطيع منعك من دعم هذا اللوطي الصغير الذي ستكون لديه الوقاحة في أن يمتلك جزءاً مما يمت لي.

ـ باستطاعتك أن تحاولي دائماً، يا ليزا، فأنا أعبد العراك.

فنهضت هذه مسعورة غضباً ثم قذفت بفنجانها على روبن:

ـ كنت دائماً تعلم أنك ابن بالتبني، يا ابن الحرام. إنني أكرهك.

ثم تركت الغرفة وهي تجري، بينما بقي ريشارد هناك وكأنه متحجر على كرسيه. أما روبن فقد اكتفى بمسح وجهه بمنديله.

ـ كانت القهوة فاترة يمكن تحملها. قال روبن وهو يبتسم

فنهض ريشارد متوجهاً إلى روبن محاولاً الاعتذار عن زوجته:

ـ أنا آسف يا روبن. ليزا لا تؤمن بكلمة واحدة مما قالته. إنها عصبية للغاية وهذا يحدث لها أحياناً. (ثم اتجه إلى الباب لكن قبل أن يخرج التفت):

ـ روبن، لا تهتم، سأمنعها من نقض الوصية.

ـ يا عجوزي، ربما أسأت الحكم عليك، أجاب روبن دون أن تفارق البسمة شفتيه.

رقدت جثة كيتي في اليوم التالي. وأخذت ليزا دونما كلمة الفخارة المحتوية على رماد أمها. وفي اليوم نفسه طارت مع ريشارد عائدة إلى بلادها. من المؤكد أن ريشارد مارس ضغطاً عليها فهي لم تعد أبداً لذكر نيتها في نقض الوصية فيما يخص سيرجيو.

وما أن أصبحا وحيدين، حتى سكب روبن لنفسه قدحاً من الفودكا. راقبه سيرجيو يفعل ذلك، بعدئذ قرر أن يتكلم:

ـ روبن، كيف لي أن أشكرك؟ لم أستطع منع نفسي من السماع، وإنني آسف على ذلك كل الأسف.

ـ هل هي صحيحة، قصة التبني هذه؟ وأنت، ألست ابن كيتي؟...

أبعد روبن نظرته عن سيرجيو لحظة قصيرة من الزمن. بعدئذ قال:

ـ أجل، صحيحة، لكن صحيح أيضاً أنك أصبحت غنياً.

فقام الشاب بحركة تهربية:

ـ أجل، كيتي تركت لي كومة من الحلي. لآلئ، جوهرة عيار عشرين قيراطاً مؤطرة بالزمرد، والآن، بوسعي السفر إلى أمريكا.

فأطلق روبن صفرة:

ـ سيرجيو، لقد ربحت صفقة ممتازة، تهاني الحارة.

ـ روبن، قد ترغب في الاحتفاظ بالخاتم أو عقد اللآلئ كي تقدمه... للزوجة التي ستعجبك.

ـ لا، بودي أن تحتفظ بكل شيء. لقد كنت معها حين كانت بحاجة إليك. ولقد خدمتها وقدمت لها الكثير لمجرد وجودك معها.

ـ وأنت يا روبن، ماذا ستفعل؟

ـ حسناً، بادئ ذي بدئ أقوم بإحدى عملياتي العظيمة كي أنسى. هيا، سيرجيو، لدي فكرة، سنذهب أنا وأنت كي نواسي نفسينا، سنمضي للبحث عن فتيات لنا (ثم توقف فجأة ملاحظاً وجه سيرجيو المحمر) أوه النساء لا يعنين شيئاً لك يا سيرجيو؟ لا شيء مطلقاً؟

فهز سيرجيو رأسه قائلاً:

ـ حتى كيتي كنت مجرد صديق لها، موضع ثقتها، ولا شيء أكثر.

ـ حسناً، إذن هذا المساء ستكون صديقي وموضع ثقتي. هيا، سنذهب ونسكر.

ـ أرغب تماماً بمرافقتك، لكنني لا أشرب كما تعلم.

في الساعة الثانية صباحاً، كان روبن يتمشى عبر طرقات روما وهو يغني، دائخ الرأس. إنها المرة الأولى في حياته التي يسكر بها إلى هذا الحد. وما إن صعد إلى غرفته حتى تهاوى على فراشه فاقد الوعي. في صباح اليوم التالي استيقظ روبن وهو يشعر بصداع مخيف من أثر الشراب. لم يكن قد مر بهذه التجربة من قبل لكنه لاحظ وهو متمدد تحت الأغطية أنه عارٍ إلا من سرواله. اقترب سيرجيو من السرير ومد لروبن كوباً من القهوة السوداء الحارة كالجمر، فارتشف الشراب وهو يراقب سيرجيو:

سيرجيو:

ـ اشرح لي إذن كيف خلعت ثيابي رغم أنني كنت ثملاً حتى الموت؟

ـ أنا الذي خلعت لك ثيابك...

فنظر إليه روبن ملياً وهو يرشف قهوته رشفات صغيرة. كان مذاقها فظيعاً لكنه شيئاً فشيئاً بدأ يشعر بتألقه:

ـ أنت تكره ما أنا عليه، أليس كذلك يا روبن؟

ـ أبداً، فأنت على الأقل تعرف ما تنتظره من الحياة.

ـ هل يزعجك أنك لا تعرف أمك الحقيقية.

ـ أجل، فهو يعطيني نوعاً من الشعور بأنني مازلت في برزخ. قال روبن مفكراً.

ـ إذن، ليس عليك إلا أن تبحث عن معرفة أمك الحقيقية.

ـ لقد سمعت ما قالته ليزا، ولسوء الحظ، هذا صحيح. ففي محفظتي قصاصة من جريدة صغيرة تثبت هذا الشيء.

ـ ألمانيا غير بعيدة من هنا.

ـ إذن؟

ـ تعرف اسم أمك، وتعرف أين ولدت. ولعل لها أهلاً، أصدقاء، يزودونك بالمعلومات.

ـ لا مجال لذلك.

ـ إذن، فأنت تفضل مسبات ليزا والاكتفاء بقصاصة من جريدة عتيقة! بالنسبة لليزا، أنا مجرد لوطي. هذا صحيح، لكنني شيء آخر أيضاً، كائن إنساني. كذلك أمك، ربما كانت امرأة جيدة جداً. فحاول على الأقل أن تعرف الحقيقة.

ـ أخيراً ماذا لدي سوى امرأة ضائعة؟ علاوة على أنني لا أتكلم كلمة ألمانية واحدة ولم أضع قدمي في هامبورغ أبداً.

ـ أما أنا فإنني أتكلم الألمانية وقد عشت من قبل في هامبورغ. إنني أعرفها تماماً.

ـ الحقيقة يا سيرجيو، إنك فتى كثير الفوائد.

ـ إذن بإمكاننا أن نكون في هامبورغ خلال ساعات قليلة. روبن، دعني أرافقك.

فرمى روبن الأغطية وقفز خارج السرير:

ـ ليكن يا سيرجيو. فأنا لم أر ألمانيا قط وبودي أن أقوم بجولة هناك لاسيما في هامبورغ، ففي شبابي ألقيت عدداً لا بأس به من القنابل هناك وكنت أشعر بشيء من الضعف تجاه الألمان. هيا، باستطاعتك أن تحجز لنا بطاقتي طائرة. فقد لا نكتشف شيئاً فيما يتعلق بأمي، لكن من يعرف يا ترى؟

حل روبن وسيرجيو في فندق الفصول الأربعة وكان للجناح الذي احتلاه هيئة قديمة لا تخلو من السحر، سجادات شرقية زائفة ولحف محشوة بالريش...إلخ. تسمر سيرجيو قرب الهاتف وبدأ الاتصال مباشرة بكل «بوش» وجده في دليل الهاتف. كان روبن قد انتهى من زجاجة الفودكا الأولى فمضى إلى النافذة يراقب حلول الليل وهو يمزمز شرابه. كان ثمة مارة يذهبون ويجيئون، وأناس يتنظرون مرور الباص وأمهات يسحبن أطفالهن، وحوانيت تقفل أبوابها، ولاحظ في البعيد مياه الالستر المعتمة الهادئة. إذن، هذه هي هامبورغ، المدينة التي قصفها. إنها تشبه أية مدينة أمريكية، وغرق روبن في ذكرياته، فلم يسمع سيرجيو إلا بالكاد وهو يشتد حماسة ونشاطاً في بحثه الهاتفي متحدثاً بألمانية كاملة. في المحاولة الثامنة ناداه سيرجيو بصوت يرتجف انفعالاً.

ـ أمسكنا رأس الخيط، صاح سيرجيو بعد أن سجل رقماً وعنواناً على مفكرته. الـ «بوش» الأخير الذي تحدثت معه قال إنه كان لديه قريبة بعيدة اسمها هرتا، ويريد أن يقابلنا غداً.

لكن لم تمض ساعة تقريباً حتى كان سيرجيو قد نكش خمس «هرتات» أخريات من عائلة بوش كن قد هاجرن إلى أمريكا الشمالية. إحداهن ما تزال تعيش في ميلووكي، فأزيلت حالاً من قائمة سيرجيو. أما الأخريات فلم يكن قد جاء منهن أية إشارة تدل على بقائهن على قيد الحياة.

كان سيرجيو مثبط العزيمة:

ـ اعذرني روبن، أنا لم أتوصل إلى شيء لكن رغم ذلك أعتقد أن خطتي كانت جيدة. أنا آسف حقاً.

ـ لا داعي للأسف، ولا تشرع بالبكاء فوق قدح بيرتك. الأفضل يا عزيزي أن نقوم بجولة في هامبورغ. ترى أليس هناك وسيلة لتمضية الوقت في هذه المدينة الصالحة!

فقهقه سيرجيو ضاحكاً:

ـ روبن، ما من مكان في العالم حياته الليلية أنشط وأكثر حيوية من حياة الليل هنا.

ـ أنت تمزح؟ أتراها أنشط من باريس؟

ـ باريس! لقد أصبح الفرنسيون متطهرين. كباريهاتهم أصبحت صالحة للسواح وحسب. تعال معي وسأريك حياة الليل الحقيقية. لكن لا تحمل معك أكثر من مائة دولار. ولتكن على شكل قطع نقدية صغيرة. فهناك، حيث أنوي أن آخذك، قد تُنشل في كل زاوية من زوايا الطريق.

حين بدأ روبن يشق طريق العودة كانت السماء قد أصبحت أكثر وضوحاً، وكان متسكعو ليل هامبورغ يعودون إلى منازلهم، أزواجاً أزواجاً يمسك بعضهم بأيدي البعض الآخر. بحارة مع راقصات، رجال مع رجال، رجال مع نساء، ناس كل أحلامهم وآمالهم ليست أكثر من رماد. فالعالم لم يصنع للضائعين الخاسرين.

وفجأة بدت مشاكله الخاصة ضحكة تافهة بل شعر بنوع من الغضب الأصم يسيطر عليه. كان غريغوري أوستن يخشى دان، لكنه لم يكن يخشى روبن ستون. فغريغوري يعتبره، هو روبن ستون، خاسراً. حسناً، من الآن فصاعداً، سيكون روبن هو من يقود اللعبة. وأحس فجأة بالرغبة في أن يعود إلى نيويورك، كما أحس بالرغبة في أن يرى من جديد تلك المصروعة ماجي ستيوارت، لكن بإمكان ماجي أن تنتظر اليوم الذي يغدو فيه روبن الأكبر والأقوى......

الفصل الخامس والعشرون

وصل روبن إلى نيويورك تماماً حين كان التلفزيون يقدم عرض كرستي لين. كان ديب جميلاً فيه كالآلهة لكن غناءه كان بالغ السوء وحركاته خرقاء إلى درجة لا تصدق. أما بولي فقد كانت أقبح من قملة لكن غناءها كان ساحراً وكانت تنتقل على المسرح برشاقة راقصة الباليه. ولم يصدق روبن أذنيه. لقد تخلت بولي عن تقليد لينا هورن، غار لاند، وسترياند، شاقة طريقها الخاص. كان أسلوبها كاملاً وطريقتها في التعبير لا تصدق وتساءل روبن متى حصل لها هذا التحول.

لعل ذلك من طول التطواف في علب الليل ولعل ذلك بسبب ملاحقة ديب أو تخلي بولي عن أملها في النجاح. فتخليها هذا كان كافياً لأن يُخلصها، في اللاشعور، من تصنعها وحركاتها المضحكة. على كل حال في القضية شيء عجائبي. حتى أنفها الخرطومي وأسنانها الأمامية البارزة كانت تساهم بإعطائها شخصية خاصة. الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي رأى روبن ديب وهو يدخل مكتبه بهيئة كئيبة وعينين محمرتين دماً ثم ألقى بنفسه على المقعد معلناً:

ـ لسوف أقتلها.

فانتفض روبن:

ـ من؟ ماذا حصل؟

ـ قبل ساعة خابرني وكيلي. إنه آيك ريان وذوقه الكلبي! تصور أنه لم يعد يريدني. لقد قرر التعاقد مع لون روجرز، ذلك الحقير ذي الصوت الحاد كصوت الصرصار.

ـ لكنك قلت ستقتلها! من تقصد؟

ـ بولي، بالتأكيد (وكانت عيناه تتطايران شرراً) لقد عرض عليها آيك ريان أن تعمل نسخة بديلة لديانا ويليامز وقد قبلت هذه البلهاء! بعد كل ذلك التعب والعناء تصور أنها تقبل بالعمل كنسخة بديلة!

ـ قد لا يكون في ذلك كثير من الضرر، رد روبن، فهذا سيؤمن لكما مبلغاً تدبران به أمركما.

ـ أنت تقول ذلك؟ تصور سنأخذ ثلاثمائة دولار أسبوعياً هي التي أنفقت أكثر من هذا المبلغ بخشيشاً في بيفرلي هيلز. عدا عن ذلك: ترى ماذا سيحل بي خلال هذا الوقت؟

هذه القذرة الصغيرة! ترتب أمورها ولا تهتم بي على الإطلاق (وضاعف غضبه من نشاطه فنهض بوثبة واحدة ثم بدأ يذرع الغرفة) أتعلم يا روبن؟ سأضع نهاية لكل شيء وأعود إلى منزلي. لا أريد أن أكون هنا عندما تعود النجمة الكبيرة وهذا العقد اللعين في جيبها. وسنرى كم تستمر دون دعم ديب العظيم. لسوف أطرد أم السيدة. لكن قبل كل شيء سأحطم وجهها، تلك المرأة بولي، ويضحك كثيراً من يضحك أخيراً!

ثم خرج من المكتب مسرعاً.

كان روبن ما يزال يفكر بديب وبولي وقصصهما عندما رن الهاتف فأجفل. إنه كليف دورن وفي اللحظة نفسها دخلت أمينة سره كي تعلن له أن دانتون ملر ينتظره في غرفة الانتظار. لكن قبل أن يتاح له الوقت لفتح فمه كان دان قد دخل المكتب.

ـ لن تتركني أقشر بصلاً طيلة الصباح؟ كلا! هل قرأت انتقادات هذا الصباح! الفتاة لا بأس، أما ديب نلسون ففي أدنى مستوى. لقد سبب عملك انهياراً كاملاً للبرنامج! لذا أرجو من الآن فصاعداً ألا تتدخل في أعمالي.

لكن روبن لم يرد بل أخذ السماعة.

ـ آلو، كليف، اعذرني إن تركتك تنتظر. (ورأى دان سيماء روبن تتغير) متى حصل هذا؟ في «جبل سيناء»! سأذهب إلى هناك مباشرة.

وأغلق الخط. كان دان، الذي يكاد يتفجر، قد بقي دون حراك في مكانه. فرمقه روبن بنظرة مندهشة كما لو أنه لم يره من قبل.

ـ غريغوري ليس على ما يرام. قال روبن.

واتخذ هيئة من يود الخروج إلا أن دان أمسك به من كمه.

ـ كنت أظن أنه ما يزال في بالم بيتش! (وكان غضبه قد اختفى فجأة تحت وقع الخبر السيئ).

ـ لقد عاد منذ ساعة ونقل في الحال إلى مستشفى جبل سيناء.

ـ هل الوضع خطير

ـ لا يعرفون شيئاً. كل ما قاله كليف هو أن غريغوري شعر بشيء من الضيق قبل بضعة أيام. هو يعتقد أنه أجرى فحوصاً في بالم بيتش وعرف نتائجها لكنه فضل أن يعود للاطلاع على رأي الأطباء هنا.

ـ هل تريد أن أصحبك؟

فرماه روبن بنظرة مندهشة:

ـ بالتأكيد، لا!

ومرة أخرى خرج روبن من غرفته تاركاً دان مزروعاً في منتصفها.

عندما دخل روبن إلى غريغوري، كان هذا غارقاً في أعماق إحدى الأرائك، مرتدياً رداءً منزلياً فوق منامته الحريرية، ويبدا لونه البرونزي المسمر غائم السمات تماماً. كانت جوديث مسمرة أيضاً كما كانت تبدو مرهقة. وكان كليف دورن واقفاً قرب غريغوري بهيئة مهمومة.

حاول روبن أن يغتصب ابتسامة آملاً أن يخفف من قسوة الجو السائد.

ـ لا تبدو عليك كثيراً هيئة المرض، قال روبن بشيء من المرح وهو يصافح غريغوري.

ـ لدي سرطان وفي المرحلة الخطيرة، تمتم غريغوري بصوت خامد، وأنا أعلم ذلك.

ـ غريغ. هل تسمح بألا تتفوه بالحماقات! توسلت جوديث.

ـ أنا لم أسمع أبداً أنه ينبغي انتظار هذا الوقت كله لتسوية عملية مثانة كما أنني لم أتوقف عن المعاناة.

ـ ودائماً في المكان نفسه؟ سأل روبن

ـ أنّى لي.. أن أعرف! إنني أتوجع في كل مكان بل لا أستطيع التبول بدون ألم. طبعاً ما من أحد يود أن يقول لي شيئاً. لقد حاولوا في بالم بيتش حملي على أن أصدق أن القضية قضية بروستات. لكنني أعلم أنهم اعترفوا بالحقيقة لجوديث. إنه السرطان.

فالتفتت جوديث إلى روبن بنظرة متوسلة:

ـ لقد قلت وكررت القول إنها مجرد بروستات. أنا لم أخف عنه شيئاً.

ـ أنت تقولين ذلك! قال غريغوري بنفخة مرّة، مع ذلك سيجرون لي فحوصاً جديدة. بعدئذ سيعرضون صوراً شعاعية لا أفهم منها شيئاً كي يثبتوا لي أنها سلبية. ولسوف يبتسم الجميع ابتسامات عريضة لي وهم يتفرجون علي وأنا أموت موتاً بطيئاً.

ـ بل أنت الذي ستجعلني أموت موتاً بطيئاً، وأسرع مما تتصور، إذا ما تابعت هذه الملهاة، (وكان ذلك هو الطبيب ليزج ارن الذي دخل الغرفة) اصغ إلي جيداً يا غريغوري. لقد تحققت من نتائج الفحوص، وليس هنالك من شك على الإطلاق. أنت تعاني من التهاب بروستاتي. ولا مناص من العملية.

ـ ماذا قلت لكم؟ قال غريغوري منتصراً. فهم لا يجرون عملية بروستات لرجل لا يعاني من تورم خبيث.

ـ كفى، كفى، قال الطبيب بلهجة جازمة. لا أريد أن أرى أحداً في هذه الغرفة. غريغوري، سأرسل لك منوماً. لقد كانت الرحلة بالغة الصعوبة عليك ويهمني كثيراً أن تكون في أحسن حالة غداً استعداداً للعملية.

ـ هل ستشرحونني؟ سأل غريغوري وقد بدا مرتعباً فجأة.

ـ لا تقلق أبداً، كل شيء سيكون على ما يرام.

ـ وإن كان هذا تورماً خبيثاً؟

ـ حينذاك سيكون لدينا الوقت للتداول في الأمر. اسمعني يا غريغوري. السرطان في أيامنا هذه لا يعني الحكم بالإعدام. إنني أعرف عدداً كبيراً من الناس ما يزالون أحياء بعد سنين طويلة من إجراء عمليات لتورمات خبيثة لديهم. المهم هو التدخل قبل فوات الأوان.

ـ أجل. لقد سمعت عن هذه الحالات. لقد بُتِروا، وأصبحوا عاجزين، وهم يذهبون قطعة بعد قطعة.

نظر الطبيب إلى جوديث مشيراً إليها بالخروج. فغيرت الغرفة ملتحقة بروبن وكليف. حينذاك أمسك الطبيب بقطعة من القطن، بللها، ثم اقترب من غريغوري الذي صده بعناد.

ـ أريد أن أعرف، أريد أن أعرف، بل يجب أن تقول لي الحقيقة قبل أن تنومني. أهو تورم خبيث أم لا؟

ـ ما من أحد يستطيع إثبات شيء قبل إجراء العملية. لكن يهمني أن أقول لك ما يلي: لقد أجريت عمليات لعدد كبير من الناس كانوا يعانون من أورام خبيثة. وأنت لا يبدو عليك أي من العلائم التي سجلتها عند أولئك الناس. تبعاً لذلك باستطاعتي أن أؤكد لك، وبنسبة تسع وتسعين بالمئة، أنه ليس لديك ورم خبيث. هل هذا يكفي؟

ـ هكذا، إذن هنالك واحد بالمئة.....

فاقتربت جوديث من غريغوري وقبلته.

ـ هيا، عزيزي. تذكر أنك كنت اللاعب المحظوظ دائماً. والآن لديك كل الأوراق الرابحة فلماذا تهتم كثيراً؟

فاغتصب ابتسامة بينما وضعت جوديث قبلة على جبينه.

ـ سأكون هنا صباحاً قبل أن يأخذوك إلى غرفة العمليات. أطع الطبيب، وأرح نفسك تماماً. غريغ، أحبك.

وغادرت الغرفة دون أن تلتفت. كان روبن وكليف ينتظرانها في الممر. ولم تقل لهما شيئاً إلى أن أصبحوا جميعاً في المصعد.

ـ لقد قرأت في عينيه اعتقاده بأنه خاسر (وارتعشت). إنه يتصور أنه مائت لا محالة.

أمام المستشفى كانت سيارة لنكولن طويلة بانتظار جوديث، ففتح السائق الباب لها

ـ هل ترغبين بأن أرافقك؟ سأل كليف.

ـ أعتقد أننا جميعاً بحاجة لكأس أو كأسين. تدخل روبن.

ـ إذن أفضل الانسحاب، تنهد كليف، فأمامي طريق طويل إلى راي وأنا حريص على أن أكون صباح الغد.

ـ لا تزعج نفسك، سأسهر على السيدة أوستن، وعد روبن، (واستقر في السيارة إلى جانب دويث) إنني أعرف مشرباً صغيراً... أنت على الأقل لا تفضلين الذهاب إلى سان ريجيس أو أوك روم؟

فأسندت جوديث وجنتها إلى المسند قائلة:

ـ لا، أي مكان صغير...

وحين وصلا إلى اللانسر، تطلعت جوديث حولها باستغراب.

هذه هي إذن الخمارة المفضلة لدى روبن. كانت الصالة منارة إنارة خفيفة. إذن هذا ما يرغب به روبن. لقد اختار طاولة منعزلة قليلاً وطلب من النادل كأس وسكي لجوديث وكأس مارتيني له. بعد مجيء الشراب سألت جوديث بشيء من القلق:

ـ برأيك، ماذا سيحدث؟

ـ صدقيني، أنا واثق أن غريغوري سينجو.

ـ أنت لا تقول هذا إلا لطمأنتي؟

ـ كلا، أولئك الذين يخافون الموت ينجون غالباً من الموت. وزوجك يخشى كثيراً أن يموت.

ـ لم أفهم.

ـ خلال الحرب جرحت، بعد ذلك قضيت عدة أسابيع في قاعة يشغلها كثير من الجرحى، إلى يميني كان ثمة جندي مزقت جسده شظايا القنابل. وقد أجروا له خمس عمليات وفي كل مرة كان يودعني كما لو أنه لن يراني قط. لكنه أخيراً خرج معافى ونجا. أما الجندي الذي كان يشغل السرير الواقع إلى يساري فقد كان يقرأ جرائده بسلام لا تفارق الابتسامة شفتيه مع ذلك فقد فرغ شيئاً فشيئاً دمه. ومنذئذ علمت أن الرجال يكونون في غاية الهدوء حين يترصدهم الموت. كما انتهيت إلى القناعة بأن الموت يحمل لنا نوعاً من التحذير العاطفي.

ـ لقد أعدت لي شجاعتي، شكراً لك.

ـ على كل حال المستقبل القريب يخبئ لك الهموم. فمصاعبك تبدأ بعد العملية.

ـ هل تشير بذلك إلى حياتنا الجنسية! (وهزت كتفيها) روبن، لم يكن بيني وبين غريغ حب مجنون أبداً، فعاطفته الحقيقية كانت دائماً للآي بي سي. ولقد عانيت من ذلك سنين كثيرة.

ـ لا يبدو عليك ذلك، قال روبن بهيئة المتفكر، لكني أفكر بغريغوري. فهو لا يريد الاعتراف بأن تورمه ليس خبيثاً.

ـ وما هو وضعي في هذا كله؟ غريغوري هو المكافح الذي لم يقبل بالهزيمة قط. المرض بالنسبة له شيء غريب. أنت تعلم كم تحملت منذ عدة أشهر. لقد عشت بجانب مريض لا يتوقف عن الشكوى أبداً، وقد أصبحت هذه الفكرة ثابتة لديه. الخروج، لعب الجولف، مقابلة الناس. وكان يحبس نبضه في كل ثانية...

فتطلع إليها روبن دون رقة:

ـ مبدئياً الناس يتزوجون للسراء والضراء. أم تراك لا تعرفين هذا؟

ـ هذا ما تعتقده؟

ـ هذا ما كنت سأعتقده لو تزوجت.

ـ هذا معقول جداً، قالت جوديث وهي تزن كلماتها، لكن زواجنا لم يكن أبداً اتحاداً حقيقياً.

ـ يبدو لي أنك أسأت اختيار اللحظة لرؤية هذه الحقيقة.

ـ روبن، لا تتطلع إلي كما لو أنك تكرهني. لو أضعت هذا الزواج، لما تزوجت أبداً.

ـ هذا الزواج! أهكذا تتكلم الزوجة عن زوجها؟ قولي زواجنا.

ـ تبدو لي فجأة إنساناً عاطفياً.

وأشار إلى النادل طالباً منه طلبين آخرين.

ـ عاطفي!! أنا! بالتأكيد لا! لكنني أعتقد أن النساء عاطفيات.

ـ كنت كذلك في الماضي. بل حين تزوجت غريغوري كنت أعتقد أننا سنكون في غاية السعادة لكن غريغوري لم يكن يقبل ما يجعل الزواج سعيداً. لم يكن يهتم بأن أنجب له أطفالاً بل كان قانعاً

بأن يكون له «زوجة». امرأة للبيت. كان دائماً يعبد الملكية. منزله في المدينة، منزله في بالم بيتش، فيللته في كوج.. بل حياتي.. بجانبه لم تكن إلا وظيفة بلا عمل.

ـ إنني أرى أن إدارة شبكة تلفزيونية أمر هام للغاية بالنسبة لغريغوري.

ـ أعرف ذلك، وقد كنت دائماً أحترم عمله، أقبل أصدقاءه جميعاً بل كنت أصادقهم. لكن المرأة بحاجة لشيء آخر غير الاستقبالات والقيام بدور ربة المنزل الكاملة. لقد كنت محرومة من كثير من المسرات. وإذا ما نظرت إلى حياتي من جديد فإنني أعترف لك بأنها كانت حياة فارغة.

ـ هيا، جوديث، اللحظة غير مناسبة لنبش الماضي. في هذا الوقت ليس عليك إلا أن تفكري بشفائه. فهو سيكون بحاجة إليك. توقفي عن ندب ما كان من المحتمل أن يكون. من الآن فصاعداً سيكون عليك أن تكوني فلورنس نايتنجيل. سيجموند فرويد صديق غريغوري المفضل. لقد سمعت وقدرت كثيراً ما قلته قبل أن تغادري الغرفة، لقد ذكرته بأنه كان دائماً مغامراً محظوظاً وقد أحسنت صنعاً في ذلك. إنك بالغريزة، رأيت الصواب: إذ لا بد من معرفة اللحظة المناسبة لتهدئة مريض أو تخويفه. فالناس يشفون من انحطاط المعنويات على نحو أصعب مما يشفون من مرض جديد. وعليك أن تسهري عليه كي لا يتحطم، ستغامرين بأن تعيشي حياة قاسية لكي تنفعيه. ولقد عرفت أشخاصاً من هذا النوع، أشخاصاً يلبسون دائماً الرداء المنزلي ويحلون الأحاجي في جناح العجائز طوال النهار.

ـ لكن، لماذا يجب أن يحصل هذا كله لغريغ؟ ثمة رجال أضعف منه بكثير ومع ذلك يتجاوزون بسهولة بالغة عملية مثانة، بل حتى البروستات. صدقني لم يعد غريغوري إلى حالته الطبيعية مذ وضع قدمه في المستشفى.

أشعل روبن سيجارة:

ـ يحدث أن يضرب المرض رجلاً قوياً على نحو أقسى مما يضرب رجلاً ضعيفاً. غريغوري لم يمرض من قبل، وهذا ما قلته بنفسك. إذن هو يعلم كيف يدافع عن نفسه، إنه جاهز في مجال العمل دائماً مستعد لكل الطوارئ. لكن لم يخطر بباله أبداً أن جسمه قابل للعطب شأنه شأن كل الناس. لقد وقع على حين غرة. ورجل كغريغوري يشعر بالصغار وانخفاض القيمة حين يمرض.

فرفعت جوديث نظرة مستعطفة إلى روبن:

ـ روبن ساعدني!

ـ بإمكانك الاعتماد علي.

فأمسكت بكفيه واقتربت منه قائلة:

ـ روبن، لقد قررت أن أكافح لكنني أشعر أنني لست من القوة بحيث أكافح بمفردي. لقد بقيت زمناً طويلاً منعزلة في برجي العاجي ليس لي من أصدقاء خلص. فالنساء الشهيرات اللواتي أستقبلهن على الموائد يشكين لي آلامهن. أما أنا فلم أشك همومي لأي كائن، وفجأة أكتشف أنني لا أرى من أستطيع البوح له بسري. إنني أرفض التحدث عن عملية غريغ لأناس لا مبالين. روبن هل تسمح لي أن أتصل بك، أن أبكي على كتفيك؟

فابتسم قائلاً:

ـ كتفاي عريضتان.

فاستندت إلى ظهر مقعدها وشربت جرعات من الشراب، ثم تنهدت:

ـ لدى غريغ بضعة هموم فيما يتعلق بالشبكة. لقد وافق دان على عدة مقابلات خبط عشواء. وقد سيطر عليه الغضب مذ قرأ عنها. إنه هو الذي أوجد هذه الشبكة قطعة قطعة، ويرعبه كثيراً أن يرى شخصاً آخر يفسد عليه كل شيء.

ـ سيدتي، من الصعب غالباً تجنب الصحفيين. أنا نفسي يحدث لي أن أتهرب منهم، لكنهم يتعلقون بدان ويصطادونه.

فابتسمت جوديث:

ـ لا بد أن دان مريض، ولولا أنك تهتم بالأمر لكان الوضع أكثر سوءاً. إنك برفضك استقبال الصحفيين قد تحولت إلى لغز. كل منهم يغرق في تخميناته. ولقد أحببت كثيراً اللقب الذي أعطاك إياه أحدهم: الرجل الآلي.

فشكر روبن ضاحكاً:

ـ دعيهم يتكلمون، فسينتهي بهم الأمر لأن يتعبوا. ضريبة الشهرة هي الأخرى أحدث همومي.

ـ غريغ يحسب حساباً لها وهو لا يريد شيئاً من هذا المجد. فالأمر يتعلق بتفكير الإنسان. لقد أشتغل دان من أجل التلفزيون دائماً أما أنت فإنك كائن جميل بالنسبة للشاشة الصغيرة وإنك ما تزال تحير العاملين في هذا المجال. فهم يصرون على كشف حقيقتك، على معرفة أسطورة روبن ستون.

ـ لعلك تبالغين قليلاً بالأهمية التي يعطونني إياها. (وأفرغ كأسه) هل تأخذين شيئاً آخر؟

ـ لا، شكراً، علي أن أستيقظ مع الفجر. هل ستأتي، روبن؟

فهز رأسه:

ـ مستحيل، إذ لا بد من أن يبقى واحد يحرس الحانوت. لكن تلطفي وأخبريني حين تعرفين نتيجة المداخلة.

ـ أعدك بذلك. هل لديك رقم خاص في الآي بي سي؟ (فأخرج مفكرته وكتب رقماً) سجل أيضاً رقم بيتك.

ـ إنهم يعرفونه هناك. ويمكنهم دائماً أن يجدوني.

ـ روبن، هل تتذكر ما قلته قبل قليل فيما يخص كتفيك! إذا ما وجدت نفسي في أية ساعة من النهار، ضائعة، خاسرة، سأراني بحاجة لمن أتكلم معه...

فسجل رقم شقته الذي لم يكن مسجلاً في دليل الهاتف:

ـ في هذه الحالة لا ترددي في أن تكلميني. ونزع الورقة ثم قدمها لها.

* * *

حين استقرت في سريرها، نقلت جوديث رقمي الهاتف إلى دفتر عناوينها. ووضعته تحت حرف آ دون أن تشير للاسم. أ ــ رمز للحب. وهذه هي الطريقة التي كانت دائماً تسجل بها هاتف من تهتم به اهتماماً خاصاً، بعد ذلك تمددت بنوع من الانتشاء.

كان وجهها مطلياً بطبقة من المرهم الليلي المغذي، وكان شعرها مشدوداً بخيط من حرير يثبته في مكانه. لقد شعرت بالعزاء. لم يكن لدى غريغوري سرطان. وبعد العملية، سيعود كما كان ولا شك. ربما ستكون نقاهته طويلة، وستكون لديها الفرصة لمقابلة روبن كثيراً.

بقي غريغوري ست ساعات في غرفة العمليات. خلال هذه الساعات الشاقة، اتصلت جوديث مرتين بروبن الذي أبدى لها منتهى المودة قائلاً إن لديه موعداً مبدئياً لكنه على استعداد للمجيء فوراً إذا شعرت بالحاجة إليه. أخيراً تعهد بأن يمر إلى المستشفى آخر السهرة. لكن قبل أن يغلق الخط، طمأنها بأن كل شيء يجري على ما يرام.

ظهر الطبيب ليزج ران الساعة الثالثة بعد الظهر، حاملاً أخباراً ممتازة. كان غريغوري قد نقل إلى قاعة الإنعاش، ولم يكن لديه أي ورم خبيث.

في الساعة الخامسة انزلوا غريغوري إلى غرفته، وقد استعاد وعيه، إنما حاملاً معه جميع وسائط نقل الدم والأنابيب التي أدخلوها في أنفه فبدا في حالة شديدة من الضنك. بعد ساعة جاء الطبيب ليزج ران كي ينقل له نتيجة التحاليل فدار غريغوري برأسه بعيداً عنه، متضاحكاً، ساخراً.

لكن جوديث اندفعت نحو زوجها ثم أمسكت يده بين يديها:

ـ إنها الحقيقة، غريغ. أقسم لك.

فصدها:

ـ أكاذيب! أم تراكم تحسبونني أبله؟ أما أنت يا جوديثي المسكينة، فلست إلا مهرجة تثير الشفقة.

فأسرعت جوديث إلى الممر تلتجئ إليه، فريسة لاضطراب عصبي. ولم يتأخر الطبيب عن اللحاق بها:

ـ لقد أعطيته مهدئاً، تنهد الطبيب، لكننا ستجد الكثير من العناء قبل أن نخلصه من كابوس السرطان.

بعد بضع ثوان، ظهر روبن. ابتسامته، هيئته الحازمة، ولونه البرونزي، كل ذلك كان يجعله على طرف النقيض مع تلك الخرقة البشرية المسكينة التي كان غريغوري قد تحول إليها.

ـ لقد سمحت لنفسي بالاتصال هاتفياً أكثر من مرة وقد علمت بالنبأ الطيب. أعلن روبن فهزت جوديث كتفيها بأسى شديد:

ـ لكن غريغ لا يريد أن يصدق.

فتطلع إليها روبن بنظرة مشفقة:

ـ لقد قال كليف للصحفيين إنها ما تزال قضية مثانة، وأظن أن هذا التفسير كاف بالنسبة لهم.

عندئذ التفت الطبيب نحو جوديث مشيراً إليها أن تعود إلى المنزل بعد كل ما عانته طوال النهار.

فابتسمت بأسى:

ـ أود أن أمضي كي آكل شيئاً، أشرب قدحاً. إنني بلا طعام منذ الأمس.

فأخذها روبن إلى اللانسر، إذ كانت قد أذنت لسائقها بالذهاب، (وبالطبع ليس دون فكرة خلفية) ففي هذه الحالة سيشعر روبن بأنه ملتزم بمصاحبتها إلى المنزل. واستقرا في المقصورة نفسها التي اتخذاها الليلة الماضية. فتساءلت في نفسها إلى أي مدى تسيطر عليه عاداته.

لاحظ روبن تعبير وجهها على ما يبدو، إذ بادر مفسراً:

ـ كان بودي أن آخذك إلى مكان آخر. لكن لسوء الحظ كنت قد أعطيت موعداً لأحدهم. على كل حال المشويات هنا ممتازة والمشروب ممتاز هو الآخر.

مزمزت جوديث شرابها بحذر فالشراب، ومعدتها خاوية، سيصعد للتو إلى رأسها وهي بحاجة لأن تحتفظ بوعيها.

ـ لا، لا أود أن أفسد عليك خططك يا روبن.

ـ لا، أبداً، أبداً. (ونهض فجأة في اللحظة التي دخلت فيها فتاة طويلة شقراء ثم اتجهت إلى طاولتهم)

ـ اعذرني روبن، لقد تأخرت.

ـ لا أهمية لذلك. (وأشار إلى الفتاة أن تجلس إلى جانبه) سيدة أوستن، أقدم لك أنجريد، مضيفة جوية في الـ ت. و. أ. لقد ظهرنا أكثر من مرة معاً.

ونظرت أنجريد بكثير من الرقة إلى روين:

ـ لقد اضطررنا لأن ندور فوق مطار كندى مدة نصف ساعة دون أن نستطيع الهبوط بسبب الضباب، وهذا هو سبب تأخري.

أشار روبن إلى النادل طالباً تقديم شيء للفتاة. فلاحظت جوديث أن النادل جاء بالفودكا على نحو آلي مما يثبت أنها جاءت مع روبن من قبل. كما لاحظت جوديث أن لغتها تحمل لكنة سويدية أو اسكندنافية على الأقل. كانت الفتاة طويلة ممطوطة، بالغة النحف تقريباً شعرها طويل ينسدل على الكتفين ويغطي جبينها جزئياً. كما كانت عيناها مكحلتين، مزينتين، بينما لم يلامس شفتيها أثر من زينة. وحينما وضعت يداً طويلة ناعمة على ذراع روبن، شعرت جوديث بأنها تود أن تطعنها بخنجر.

أوه! يا لميعة الشباب! هذه الفتاة بقميصها الأبيض المتواضع وتنورتها المتناهية البساطة أعطتها انطباعاً بأنها سمينة، مشدودة في طقمها صنع شانيل. أنجريد الصغيرة هذه ما كانت تزيد عن الاثنين والعشرين عاماً، كان من الممكن أن تكون ابنتها! ورغم أنها صغيرة جداً على روبن، فقد كانت تتطلع إليه بنوع من الوجد. العالم، واحسرتاه! صنع للرجال. العمر لا يخمدهم أبداً. لعشر سنوات أخرى سيظل باستطاعة روبن أن يحظى بمضيفة جوية لا يزيد عمرها عن العشرين عاماً، مضيفة تعبده عبادة. فتحت جوديث حقيبتها وأخرجت علبة دخان ذهبية. فمد لها روبن ولاعته. بهذا سيتذكر وجودها على الأقل. لكن لا، لن تلقي السلاح قبل أن تناضل. ولن تدع نفسها تهزم أمام هذه الدجاجة ـ فتاة مضيفة تحمل لها صينية الطعام ـ خادمة، بشكل من الأشكال.

راقبت جوديث روبن من زاوية عينها. كيف يمكن أن يقبل اقتسام جزء من وقته مع مضيفة طيران؟ كم من فتيات تافهات كهذه كان روبن يمارس الحب معهن في حين تتلوى هي، جوديث أوستن، وتتعذب، لا تفارقها صورته، وهي ترسم الخطط لجره إليها؟ طلب روبن دور شراب آخر. كانت جوديث جائعة، وسيكون بإمكانها أن تتناول شيئاً طواعية. كأسها الأول من الويسكي كان قد بدأ يتصاعد إلى رأسها. رفع روبن كأسه وشرب نخب صحة غريغوري. ثم التفت إلى الفتاة الشابة وشرح لها من هي السيدة أوستن.

ـ إنني متأسفة، قالت أنجريد موجهة خطابها إلى جوديث، أتمنى من قلبي شفاءه العاجل. مم يعاني يا ترى؟ أهو شيء خطير؟

ـ فحص بسيط للتأكد يا عزيزتي، شرح روبن، لقد عاد السيد أوستن بالطائرة من بالم بيتش لأنه فضل أطباءه هنا.

ـ هل تسافرون على طائرات خطوطكم الجوية؟ تساءلت أنجريد.

ـ لا، لدينا طائراتنا الخاصة، شرحت جوديث.

ـ لا بد أن هذا شيء مريح، أبدت أنجريد دون أن يبدو عليها كبير تأثر.

ـ جوديث، إنني أعتمد عليك كي يستمر غريغوري بالاهتمام بالشبكة، حتى خلال فحوصه التأكيدية، قال روبن ذلك (واتخذ هيئة جادة وهو يصر على كلمة فحوص تأكيدية فوافقت جوديث). إنني أطلب منك باستمرار، هل تفهمينني؟

فتأملتها أنجريد معاً.

ـ لنر هذا المسكين السيد أولدن...

ـ أوستن يا عزيزتي، صحح لها روبن.

ـ أوستن، طيب، حسناً، لقد كان على والدي أن يجري فحوصاً للتأكد في أحد الأيام وقد روى لنا أن هذا شيء لعين. دعوا السيد أوستن إذن يرتاح وينسى أشغاله قليلاً.

فابتسم روبن ابتسامة متواضعة.

ـ عزيزتي هل تعطين نصائح للطيارين حين تقعون في ضيق ما.

ـ كلا، بالتأكيد. فلكل من الطيار والملاح دوره الخاص.

ـ حسناً، إذن دور القيادة لي ودور الملاح لجوديث.

ـ الحقيقة أرى أنه ينبغي ألا تعذبوا هذا البائس طوال وجوده قيد الاستشفاء. ولم تستطع جوديث أن تمنع نفسها من الإعجاب بهذه الطفلة إذ لم تخفض عينيها حينما حول روبن إخافتها. لكن هذا يعني أيضاً أنها عاشرته وأن لها يداً عليه. ولأي سبب؟ لا شيء إلا لأنها تعلم أنها فتية. آه يا للآلهة العظيمة! أيام شبابها، كان كل شيء يبدو لها هي الأخرى مسموحاً.

ـ أنا جائعة. أعلنت أنجريد فجأة.

فأشار روبن إلى النادل.

ـ شرحات للآنسة، وفودكا مضاعفة لي (ثم التفت إلى جوديث) ماذا تشتهين؟ أنصحك بشرحات وسلطة منزلية.

ـ وأنت يا روبن؟

فأشار إلى كأسه

ـ كأس أخرى من الوسكي. قالت بنوع من التصميم

ـ لا شرحات!

ـ لا شرحات.

فأضاءت بسمة وجه روبن.

ـ الحقيقة يا جوديث، أنني أعجب بك. فأنت لا تلقين السلاح أبداً وهذا هو ولا شك السبب الحقيقي في أنك لم تخسري قط.

ـ هل تعتقد ذلك؟ سألته وفي عينيها بريق من التحدي. فرفع كأسه:

ـ اعتقادي أصلب من الحديد.

تحملت أنجريد هذا المشهد، مرتبكة على ما يبدو، ثم نهضت فجأة:

ـ أعتقد أن عليك أن تلغي طلبي. فلدي انطباع أنك لست بحاجة إلي.

فحدق روبن بإمعان إلى أسفل كأسه ثم قال:

ـ على راحتك يا عزيزتي.

وهكذا أخذت أنجريد معطفها ثم اتجهت بعظمة نحو المخرج، فتظاهرت جوديث بالانزعاج.

ـ روبن، ربما كان علي أنا أن أذهب من هنا فأنت وهذه الفتاة...

إلا أن روبن أمسك بيدها:

ـ جوديث، من العبث أن تمثلي علي. فأنت لست من هذا النوع. شيء آخر، كنت في أعماق نفسك تودين أن تتركنا. أليس هذا صحيحاً؟

ورأت جوديث أن أنجريد تتردد لحظة عند العتبة، ربما آملة أن يحاول روبن إرجاعها. وانتظرت إلى أن رأت الباب يغلق خلف الفتاة. ثم قالت بهيئة حزينة:

ـ أنا لا أحب إيذاء أحد.

ـ ستواسي أنجريد نفسها بسرعة. قال روبن بكثير من الرزانة. ثم ألغى طلب الشرحات بعدئذ طلب الحساب. وأنهيا كأسيهما بصمت ثم غادرا المشرب.

ـ إنني أسكن هاهنا، قريباً في هذا الشارع، قال روبن بلهجة طبيعية تماماً. فأمسكته بذراعه وانطلقا يسيران. لم يكن هذا هو الشكل الذي تصورت عليه مغامرتها الغرامية. كل هذا بدا لها مرتجلاً جداً، مباشراً جداً دون أي عاطفية على الإطلاق. وكان لا بد لها من أن تعترف لروبن أن هذه المغامرة لم تكن كبقية المغامرات.

ـ روبن... لقد فكرت بك كثيراً ومنذ زمن طويل سابق...

فلم يجب لكنه خلص ذراعه وأمسكها من كفها:

ـ جوديث، لقد ربحت في كل الجولات، فلا تحاولي إذن أن تقدمي تفسيرات. هكذا، كل شيء على ما يرام.

عندما دخلا شقة روبن، سيطر الخوف عليها فجأة، تماماً كما لو كانت مراهقة لحظة استسلامها لعشيقها الأول. وفجأة شعرت بالعرق يقطر من بين نهديها، من جبينها وعلى طول ظهرها، آه، هذه الهبات اللعينة من الحرارة! كما لو أنها كانت بحاجة لأن تتذكر أنها لم تكن مضيفة جوية.

أعد روبن كأس وسكي بالماء وهو واقف في غرفة الجلوس. أما جوديث فقد جلست على ديوان ــ ملاحظة أن دماغها قد تكثف ــ وانتظرت، وهي ترتعش من رأسها إلى أخمص قدميها، أن يأتي إليها. قبالة الديوان كان ثمة موقد مزود بالحطب. ولم تجرؤ أن تطلب من روبن إشعال النار ولا إشعال السخانة الكهربائية. كانت ترغب أن يأخذها بين ذراعيه.

فجأة جاء إليها، أخذ منها الكأس الملأى حتى منتصفها ثم سحبها إلى غرفة النوم. فشعرت بالعذاب وهي تفكر أن عليها أن تتعرى أمامه. ربما كانت أنجريد ستجعله يعريها بيده وهي سعيدة بأن تعرض نفسها أمامه في عريها غض الإهاب. وفجأة تذكرت جوديث

نقطة صغيرة مضحكة: أنها تلبس مشداً، ولا شيء أقل إثارة من هذا النوعِ من اللباس التحتي. لكن رغمِ رشاقتها كان هذا الزنار يشدها كثيراً ويسوي الطيات المتدلية قليلاً عند خصرها. أشار لها روبن وهو يفك عقدته، إلى غرفة الحمام بحركة من ذقنه.

ـ ليس لدي حمام ضخم، أعرضه عليك، لكن، شيء خير من لا شيء.

فاتجهت إلى الحمام بخطا مترددة قليلاً. وبدأت تخلع ثيابها دون كثير من التعجل. لاحظت جوديث مبذلاً حريرياً معلقاً على أحد المشاجب فارتدته. وحين فتحت الباب رأت روبن واقفاً أمام النافذة، وهو عار تقريباً، كانت الغرفة غارقة في الظلام لكن نور الحمام كان يضيء له كتفيه العريضتين، مبيناً إلى أي مدى كانت بنيته رائعة. حين اقتربت جوديث منه دار على نفسه ثم أمسكها من يدها ساحباً إياها بكثير من الرقة إلى السرير:

ـ حسناً، يقال إن النساء ذوات الخبرة هن الأفضل في الفراش. سيدتي العزيزة عليك أن تثبتي لي ذلك.

وانتهى كل شيء بسرعة كبيرة فقبلها وأدار لها ظهره. بعد بضع دقائق علمت جوديث من تنفسه المنتظم أنه استغرق في النوم. فتأملته. إذن هو ذا الرجل الذي يلقبه الناس بـ: آلة الحب. والآن! لعله ينتظر أن تنام هي الأخرى. فهذا ما تفعله أنجريد. وكل خليلاته الأخريات. إذن لم لا تنام؟ غريغوري في المستشفى ولا تحسب حساباً لمخلوق. لكن ماذا إن تملكتها من جديد هبات الحرارة في الليل؟ ماذا إن شرعت تشخر! لقد تقاسمت الغرفة في بالم بيتش مع غريغوري وقد ألمح لها، دون انزعاج، أنها تشخر فهذه إحدى الطرق التي تثبت للزوجة أنها لم تعد شابة.

بقيت جوديث مستلقية مثبتة النظر إلى السقف. للسن حقها. كان من الممكن أن تقضي ليلتها بين ذراعي رجل دون أية خشية من أن تفضح... أن تنام على جانبها...

ستغامر بأن تجعله يلاحظ صدرها المتهدل. وانتبهت فجأة إلى أنها ما تزال تلبس المبذل الكستنائي إذ لم يكن روبن قد أجهد نفسه في نزعه عنها. فهو لم ينظر إليها بل لم يلمسها، لقد اكتفى بامتلاكها وحسب.

تركت جوديث نفسها تنزلق خارج السرير ثم دخلت الحمام وارتدت ثيابها دونما ضجة. وحين عادت إلى الغرفة كان روبن جالساً على مؤخرته وقد صحا تماماً.

ـ جوديث! هل أنت ذاهبة؟ ما هي الساعة؟

ـ منتصف الليل. (فقد استعادت بارتدائها طقمها الشانيل ثقتها بنفسها)

ـ لماذا لبست بحق الشيطان؟

ـ أعتقد أن من الأفضل أن أعود إلى منزلي، سأكون هناك على الأقل إن خابرني أحد من المستشفى. فوثب خارج السرير.

ـ أنت على حق. أعطيني الوقت كي أرتدي ثيابي وأرافقك. سألبس بسرعة.

ـ كلا، روبن (واقتربت منه ثم شبكته بذراعيها. الوقت منتصف الليل فقط. إذا ارتدى ثيابه مجدداً فقد يلتحق بأنجريد. شيء آخر، هو لا يريد مرافقتها إلا لكي يظهر لطفه) سأجد سيارة بسهولة. ارتح أنت فأمامك يوم شاق.

فأمسكها من خصرها ورافقها إلى الباب. وكانت هي من سألته على خوف:

ـ هل أراك غداً؟

ـ لا. أنا مسافر إلى فيلادلفيا. علي أن أذهب لحضور تصوير ديانا وليامز.

ـ متى ستعود؟

ـ خلال يومين أو ثلاثة، حسب الظروف.

فألصقت نفسها به:

ـ روبن أنت لم تقبلني حتى. (فطبع قبلة على جبينها بنوع من المراعاة)

ـ أريدك أن تقبلني قبلة حقيقية.

فابتسم:

ـ ليس في هذا الممر المليء بالتيارات الهوائية (وتطلع إليها بهيئة غريبة) هيا، تعالي هنا، قال فجأة. (وأخذها بين ذراعيه ثم قبلها بعنف شديد على فمها).

ـ هكذا. قال وهو يدفعها باتجاه الباب. فليس بوسعي أن أتركك تعودين إلى منزلك غير راضية، بعد كل المخاطر التي تعرضت لها.

واتجهت إلى المصعد وهي تتساءل لأي سبب يعود شعورها بالاكتئاب. لقد حصلت على روبن وستحصل عليه أيضاً. إنما في المرة القادمة ستمنعه من أن يشرب كثيراً.

لكن خلال الخمسة عشر يوماً التالية، كانت حالة غريغوري قد تراجعت بسرعة كبيرة إلى حد لم تملك معه الخيار في أن تفكر بموعد جديد. كان غريغوري بالتأكيد قد تحسن كثيراً من وجهة نظر جسدية إلا أن حالته النفسية كانت تتدهور يوماً بعد يوم. جاء روبن لزيارته في المستشفى إلا أن غريغوري رفض بعناد أن يناقش معه مشاريع التلفزيون. بل بقي مستلقياً في رداء المنزل محدقاً إلى الفراغ.

وعندما نبهه أحدهم إلى خروج روبن عاد غريغوري إلى سريره وانبطح عليه. لقد رفض أن يصدق تقارير المختبر. وتظاهر بأنه يشعر بآلام شديدة في قذاله ووركيه.

ـ هذا يلتهمني من الداخل، إنني أعرفه، كان يئن دائماً.

وفي صباح أحد الأيام استيقظ ليجد نفسه مشلولاً بدءاً من خصره، غير قادر على تحريك ساقيه، بتاتاً، بل لقد كان عاجزاً عن الجلوس في السرير. فاتصلت جوديث مباشرة بالطبيب ليزجارن، الذي جاء ثم شك إبرة في مخ عظم المريض فقرر أنه لا يوجد أي رد فعل. ثم طلب سيارة إسعاف. وفي المستشفى بدؤوا عملية استكشاف كاملة. لم يكن غريغوري قد تعرض لأية نوبة جذبت انتباه جوديث كما تبين بنتيجة الفحوص أنها سلبية فاستدعي طبيب عصبي للاستشارة. أجرى الطبيب شاس، وهو طبيبي نفساني بارز، مقابلة طويلة مع غريغوري. استدعي أخصائي ثان إلى سرير غريغوري، واتفق الاثنان: الشلل الذي يعاني منه المريض لا يعود إلى سبب جسدي.

ثم التقيا بجوديث وأطلعاها على نتيجة تشخيصهما فارتعبت، وهي جالسة قبالتهما تمعن النظر بهما.

ـ إنني أقترح نقله إلى المستشفى، أعلن المحلل النفسي ذو الهيئة الخطيرة.

فهز الطبيب رأسه:

ـ لا، إنني أنصح بمستشفى للأمراض العصبية وأنصحك بأن تدخليه إلى «بين وتيني» أو مؤسسة هارفورد...

فغطت جوديث وجهها بيديها:

ـ لا، لا، ليس غريغوري! فهو لن يتحمل العيش وسط كومة من الخرفين.

فتصلب جسد المحلل النفسي:

ـ سيدة أوستن. معظم هؤلاء المرضى هم رجال ذوو شأن كبير، أذكياء وحساسون. فالناس المحرومون من الحساسية نادراً ما يقعون ضحايا أزمات عصبية.

ـ لا يهم. فغريغوري سيصاب باليأس حالما يعلم أنه وضع في مستشفى من هذا النوع. حياته ستتحطم وموظفو الآي بي سي سيرتعبون، كلا، لا يمكن الدخول في هذه المخاطرة.

وفكر الطبيب ليزج ارن ثم التفت نحو الطبيب شاس:

ـ ما رأيك بتلك المؤسسة في سويسرا التي يحكون عنها كثيراً؟ بإمكان غريغوري أن يدخل هناك تحت اسم مستعار. كما توجد لديهم منازل مستقلة يستطيع المرضى أن يعيشوا فيها بصحبة زوجاتهم طوال فترة المعالجة. هناك سيكون بإمكان غريغوري أن يقيم ويعالج دون أن يعرف أحد شيئاً. وسيكون بإمكان جوديث أن تروي للصحفيين أن لديهما نية في القيام بجولة طويلة إلى أوروبا (ووجه الطبيب ابتسامة إلى جوديث) ولا شيء يمنعك من الذهاب إلى باريس أو لندن وإرسال بطاقات بريدية إلى أصدقائك وصديقاتك لتثبتي هذه القصة.

ـ لكن هذا شيء مضحك، صاح الطبيب شاس، فليس هناك ما يشين في عملية الخضوع لمعالجة نفسية. لدينا في الولايات المتحدة مستشفيات رائعة ولا أرى فائدة من إخفاء السر.

فهز الطبيب ليز جارن رأسه:

ـ من جهتي أشارك السيدة أوستن الرأي. فشيء من الدعاية سيضر بالآي بي سي التي كان غريغوري سيدها الوحيد دائماً. ومن المؤكد أن الخوف سيسيطر على موظفيها حين يعلمون أن غريغوري لم يعد بحالة تسمح له بتوجيهها. الذهاب للمعالجة في سويسرا هو

الحل الأفضل (والتفت نحو جوديث) مع ذلك قد يتطلب العلاج إقامة ستة أشهر أو سنة وربما أكثر.

ـ سأدخل هذه المخاطرة. قالت جوديث بصوت ثابت ثم رجت الطبيب ليزج ارن أن يقوم بالإجراءات الضرورية على الفور. وحين عادت إلى منزلها اتصلت بكليف دورن، ثم بروبن ستون طالبة منهما المجيء لرؤيتها على الفور.

كانت الساعة السادسة حين وصل الرجلان إلى منزل أوستن، فاستقبلتهما جوديث في مكتب زوجها وأطلعتهما على الوضع.

ـ إذا تسربت كلمة واحدة عن هذه القضية سأطلب منكما تكذيباً رسمياً وسأوقفكما عن العمل دون تردد. وبما أن حالة غريغوري لا تسمح له باتخاذ قرارات فعلي أنا أن أتصرف باسمه.

ـ من قال لك العكس؟ رد كليف بهدوء، إنني أقدر كثيراً عملية إخفاء السر. فأعمال الشبكة تتدهور في الحال إذا أثيرت ضجة حول الموضوع.

ـ إذن، نحن متفقون تماماً. (فوافق الرجلان برأسيهما صامتين) إنني أتمسك بأن يستلم روبن ستون إدارة الأعمال. كليف، لابد من التحدث مع دان منذ الغداة. قل له إن غريغوري قرر أن يأخذ إجازة طويلة إلى الخارج وأن روبن سيحل محله طوال فترة غيابه. وأن توجيهاته يجب ألا تناقش. ولم تنتبه جوديث لتعبير عدم التصديق الذي ارتسم على وجه كليف. بعدئذ نهضت بكل سمو مشيرة لهما أن المقابلة قد انتهت.

ـ روبن أرجو أن تبقى بضع لحظات، لدي ما أحدثك عنه.

وتردد كليف قبل أن يعبر عتبة الباب:

ـ إذن سأنتظر في الممر، هناك نقاط عدة أود أن أرتبها معك، سيدة أوستن.

فأشارت بنوع من نفاد الصبر:

ـ ألا يمكن تأجيلها؟ إنني متعبة جداً.

ـ كلا، هي لا تقبل التأجيل، فأنت ستسافرين غداً ولا بد من عرض مسائل عدة عاجلة عليك.

فتوجه روبن نحو الباب قائلاً:

ـ سأراك غداً يا سيدة أوستن.

ـ حسناً جداً. هل تأتي هنا؟ ربما ستتمكن من تناول الغداء معاً! فلدي الكثير مما أعمله بهذا المتاع كله.

ـ سأكون هنا الساعة الواحدة.

فوافقت بهزة من رأسها ثم غادر روبن المكتب وما إن أغلق الباب خلفه حتى التفتت نحو كليف دون أن تحاول إخفاء مزاجها المتعكر:

ـ ما الأمور الملحة التي تريد قولها لي؟

ـ أريد أن أعرف إن كان غريغوري مطلعاً على الترتيبات التي اتخذتها؟

ـ غريغوري لا يعرف حتى اسمه! ألم تفهم شيئاً إذن؟ إنه مشلول. لم يعد الرجل نفسه....

ـ سيدة أوستن، هل تقدرين ما أنت في طريقك لفعله؟

ـ إنني أفعل ما كان غريغوري سيفعله.

ـ لست من رأيك. فغريغوري وضع روبن في منصبه كي يحد من سلطة دانتون، وها أنت ذي، تعهدين بكل عصي القيادة لشخص واحد فقط، بل تمنحينه استقلالاً مطلقاً.

ـ وإن حاولت توزيع المسؤوليات ستنهار الشبكة. دانتون يغار من روبن، ويضع كل العراقيل لأية مبادرة من مبادرات روبن دون أن يكون هنالك من يستطيع الحسم. كلا، لا بد من شخص واحد يمسك بدفة القيادة.

ـ إذن، لماذا لا يكون دانتون؟

ـ لأن غريغوري لا يثق به.

ـ ومن قال إنه يثق بروبن؟

ـ تحت ناظري تحقيق عن روبن، يبين أن تحت تصرفه ثروة كبيرة جداً. وهذا يعني أنه لا يمكن أن يكون شخصاً للبيع.

فهز كليف كتفيه:

ـ حب السلطة أمر يتم اكتسابه مع استخدام السلطة. إضافة إلى ذلك، أعتقد أن دان أكثر كفاءة لهذا المركز.

ـ إنه مدمن على الشراب.

ـ هذا لم يمنعه من القيام بواجبه على أكمل وجه. لقد أنتج برامج عدة ممتازة وهو يعرف توجيه شبكة التلفزيون.

ثم ما سيكون رد فعله عندما يعلم بترقية روبن؟

ـ هذا شأنه.

ـ إنك تضعينه في موقف غير معقول. وسيظن أن عليه أن يقدم استقالته كي ينقذ ماء وجهه.

ـ هل تقدر أنه يفضل البقاء بلا عمل؟

ـ الناس يفعلون أي شيء تحت تأثير الانفعال. ففي حالات كهذه لا يكون لدى الناس وقت للتفكير.

ـ حسناً، له هو أن يقرر أما أنا فلن أؤخرك أكثر من ذلك.

صباح اليوم التالي، أعلن كليف دورن الخبر الجديد في اجتماع لكل شخصيات الشبكة. بعد نصف ساعة سلمه دانتون ملر استقالته، فحاول كليف أن يفهمه السبب.

ـ لا تتخل عن الكفاح يا دان، فالأمور لن تبقى هكذا. غريغوري سيعود وكنت أظن دائماً أنك تعرف كيف تعوم، فأثبت لي ذلك.

ابتسم دان ابتسامة شاحبة ثم قال:

ـ يحدث في الحياة أنه يتوجب على الإنسان أن ينسحب ليبقى. لا تهتم ولا تشغل بالك بي، يا كليف. بالانتظار، من تقدر أنك ستضع مكاني؟

ـ منطقياً، كان من الممكن تعيين جورج أندرسون، إلا أن روبن استدعى سامي ثابت.

ـ لا تتركه يفعل ذلك! صرخ دان، سامي شخص جيد إلا أنه يمت لوسط روبن الاجتماعي نفسه. هارفارد والعالم الرفيع وكل ذلك. إنه سيحذو حذو روبن دائماً.

فابتسم كليف:

ـ علي أنا أيضاً أن أبقى لأعيش. والبقاء بالنسبة لي يعني أن أظل في مركزي، أن أشرف على الحانوت. في الوقت الحاضر، ليس لدي الوسائل لمقاومة روبن، لذا سأكتفي بالتفرج.

كان روبن قد شعر بعداء كليف تجاهه. لكنه لم يملك إلا أن يفعل ما يجعله شعبياً بين موظفي الشبكة. لقد كان يتفاهم تماماً مع سامي ثابت ولن تمر بضعة أسابيع حتى يكون موظفو الآي بي سي قد نسوا كلياً وجود دانتون. لقد وضع المدراء المساعدون أطقمهم وربطاتهم السوداء في الخزائن بعد أن حفظوها بالنفتالين وساروا على منوال روبن بارتداء أطقم رمادية ناعمة.

بات روبن يعمل دون راحة. فهو يشاهد التلفزيون الأماسي كلّها ولم يعد يظهر في اللانسر إلا نادراً وشيئاً فشيئاً، فقد روبن كل اتصال له بالعالم الخارجي. ولم يعد هنالك وجود خارج دائرة الآي بي سي. لقد غير كل البرامج تقريباً واستبدلها بدزينة من المشاريع الجديدة التي كانت ستخرج على الشاطئ.

لقد كان على أهبة الانطلاق إلى المطار حين هتف له ديب. منذ عدة أسابيع لم تكن نشاطاته قد سمحت له بالتفكير بهذا الشخص.

ـ كيف حال المدير العظيم؟ قال صوت ديب المرح من الطرف الآخر، أردت أن أهتف لك منذ بضعة أيام كي أهنئك لكنني مشغول بأعمال بولي.

فلم يستطع روبن أنْ يمنع نفسه من التبسم:

ـ آخر مرة رأيتك فيها، قلت لي إنك ستكسر رأسها.

ـ أنت تعرفني أيها الأخ العجوز، إنني أثور بسرعة لكنني أهدأ بسرعة أيضاً. اعلم أن بولي لا تستطيع أن تخطو خطوة بدوني. إنني أؤمن لها الشغل، وأؤمن لها النصيحة، هل تريد أن تراهن أنه إذا ما استمرت ديانا بالانهيار فإن بولي هي التي ستحل محلها في برودوي؟ قل لي إذن، إذا كان بإمكانك أن تصحبني إلى فيلادلفيا هذا المساء لرؤية المسرحية.

ـ إنني في طريقي إلى الطائرة كي تقلني إلى كاليفورنيا. آسف يا ديب. لدي جملة من المواعيد هناك، وعلي أن أدرس مشاريع برامج شباط.

ـ هذا أسوأ بكثير. إذن أفدني من إقامتك على الشاطئ الغربي واصرخ بملء صوتك في كل مكان أن صديقك ديب يحضر مفاجأة عظيمة.

ـ وهل هذا صحيح؟

ـ صحيح!!! لا، طبعاً بإمكانك أن تقول ذلك، فهم سريعو التصديق هناك!

كانت رحلة روبن رتيبة للغاية وقد دهش من نفسه حين رأى أنه يفكر بجوديث أوستن. غداؤهما الأخير لم يكن إلا لقاء عمل. مع ذلك تطلعت إلى عينيه في لحظة الفراق وهي تتمتم:

ـ تشاو[1] مؤقتاً. لم يكن في البداية قد حاول أن ينكر أن في وداعها الكثير من المودة. لكنها بدت له في هذا البيت الكبير ضعيفة جداً قابلة للعطب إلى حد شعر معه بالتأثر لقد ذكرته بكيتي، جعلته يفكر بها. فشد على كفها برقة بالغة ثم اغتصب ابتسامة حاول أن يجعلها مجردة وهو يتمتم بدوره: أجل، تشاو، مؤقتاً.

كان روبن يعلم أن غريغوري سيغيب مدة طويلة، وأن جوديث سيتوفر لها الوقت الكافي للقيام بغزوات جديدة في أوروبا. فطردها من ذهنه وحاول أن يركز انتباهه على الفيلم الذي اختارته شركة الطيران. بعدئذ درس مسودات المشاريع التي كان سيعانيها لدى وصوله. لقد كان يتعجل الهبوط كي يتخلص من خدَر ساقيه، لكنه كان نافد الصبر لرؤية ماجي ستوارت.

وما كاد يستقر في غرفته في بفرلي هلز حتى هتف لها، فبدت هذه مندهشة لسماع صوته. ثم وافقت على المجيء لمقابلته الساعة السادسة في بولولانج.

لحظة دخلت، قال روبن لنفسه إنه نسي إلى أي حد كانت جميلة. وانزلقت ماجي إلى جانبه وهي تبتسم:

ـ خيل إلي أنك لن ترغب بأن تكلمني كلمة واحدة بعد ذاك الحريق.

---

(1) وداعاً بالإيطالية.

قربت بيده كفها:

ـ أنت تمزحين؟ لقد وجدت الأمر مثيراً للغاية.

فسألته ماجي:

ـ كيف تسير مسرحية ديانا؟

ـ لا أعرف شيئاً، فمنذ ذلك اليوم لم أر تلك المرأة إلا للعمل. لدي انطباع أن ثمة شخصاً حول علاقتنا الوليدة إلى رماد. وأنت، كيف يسير فيلمك الجديد؟

فكشرت:

ـ رأيته الأسبوع الماضي قبل طرحه للعرض. وابتلعت وسكيها ثم طلبت كأساً أخرى فنظر إليها مستغرباً:

ـ هل هو سيء؟

ـ فشل حقيقي. ولو أنني لم أوقع على عقود ثلاثة أفلام أخرى من قبل لتخليت عن السينما. شيء آخر، أظن أنه لن يعرض أبداً في صالات الدرجة الأولى، بل سيخرج مباشرة إلى صالات الدرجة الثانية.

ـ يحدث لكل الناس أن يخرجوا فيلماً سيئاً.

فوافقت:

ـ ربما كانت ستظل لدي فرصة لالتقاط أنفاسي في الفيلم القادم، لو لم يكن آدم برجمان من سيخرجه.

ـ لكنه مخرج ممتاز.

ـ بالتأكيد، بل لقد استطاع أن يجعلني أمثل وكأنني ممثلة حقيقية.

ـ إذن، ما الذي لا يسير على ما يرام؟

ـ هو لن يعطيني الدور إلا إذا... وافقت على الزواج به، (فظل روبن صامتاً) ولقد قررت أن أرفضه. أوه! أرجوك لا تتخذ هذه الهيئة المذنبة، فقد رفضته قبل عيد الميلاد (وفجأة لمعت عيناها ببريق ما)

لكن، أجل، بعد كل ما فعلته، عليك أن تشعر بالـذنب. أيهـا القـذر، فقد نجحت في أن تجعلني باردة مع كل الآخرين.

هذا الاعتراف بدا وكأنه يحمل الكثير من العزاء لروبن.

ـ حسبك ماجي، فأنا لست خارقاً للعادة إلى هذا الحد.

ـ أنت تقول هذا؟ لكنه خطئي. وقد كنت محقـاً، فأنـا مـصروعة. على أية حال لقد استشرت محللاً نفسياً كـشف لي إلى أي حـد أملـك فكرة رفيعة عن نفسي.

ـ محلل نفساني! يا للآلهة العظام! لكن ما هي العلاقـة بـين هـذا الكشف وبين زواجك من آدم؟

ـ إنني أرفض أن أتزوج على طريقة هوليود، أرفـض زواجـاً كمـا يريده آدم. فخلال إقامتي على الشاطئ، قمت بأعمـال لم أكـن أعتقـد أنني قادرة على القيام بها. شيء مضحك أليس كذلك؟ عندما تمـددت على الديوان عند المحلل النفساني قلت: كيف مرت كلها؟ أين كانـت ماجي أيام زمان، تلك التي عاشت في فيلادلفيا، تهتـز روحـاً وحبـاً! فالفتاة التي تقوم بأعمال تافهة.. ليست أنا...

ـ لكن ما الذي دعاك للذهاب لإجراء تحليل نفسي؟

ـ ذلك الحريق.. فعندما أعدت النظر في أنه كان من المحتمـل أن يموت أناس في النار التي أشعلتها، تملكني الرعب.

ـ دعينا من الكلام عن ذلك فلدي الآن سرير جديد الجـدة كلـها بغطاء رائع مضاد للحريق.

وتعشيا في مطعم الدومنيك ثم ذهبا لتناول بضع كؤوس في «برج ملتون». وقضى روبن ثلاثة أيام كاملة يشاهد التسجيلات وثـلاث ليـال مع ماجي. ويوم سفره التقيا في بولنج لتناول كـأس أخـيرة معـاً. هنـاكَ مدت له ماجي علبة صغيرة، قائلة:

ـ افتحها، إنها هدية.

وتأمل روبن الخاتم الذهبي الدقيق في علبته المخملية ثم قال:

ـ ما هذا؟ بوسع المرء أن يقول إنه مضرب تنس صغير.

فالتفتت برأسها إلى الوراء مقهقهة:

ـ إنه «آنخ»، الصليب ذو العرى، إن شئت.

ـ وماذا يعني!

ـ إنه رمز مصري، كانت كليوبترا تلبس واحداً منه دائماً. إنه يرمز لاستمرار الحياة والتناسل. ربما ينبغي أن يقال هذا لك! فما من امرأة تعرفك وتستطيع أن تنساك، ولسوف يظل الأمر هكذا. هذا الشعار الصغير هو بالنسبة لي رمز جنسي، رمز للجنس الذي يطغى على كل شيء (ومررت له الخاتم في بنصره) دقيق، لامع وجميل مثلك، سيد ستون! وإنني أصر على أن تحتفظ به. بمعنى من المعاني إنه طريقتي لوسمك بالحديد الأحمر. بالتأكيد ستلقيه في سلة المهملات منذ اللحظة التي أدير بها ظهري، لكنني سأفعل كل شيء كي أظل أعتقد أنك ستلبسه دائماً وأن كل النساء اللواتي يرينه سيسألنك عما يعني. وربما ستجد الشجاعة لأن تقول لهم ما يعني.

ـ ماجي، إنني أموت رعباً من الحلي، قال روبن وهو يفكر بكلماته، معظم الوقت لا أستطيع أن أحمل حتى ساعتي، لكنني سألبس خاتمك هذا، أعدك بذلك.

ـ هل تعرف؟ قالت ماجي بتمهل، كنت أسمعهم يحكون عن أناس يعيشون الحب والكراهية لشخص ما في الوقت نفسه. لكنني لم أكن أعرف معنى ذلك قبل رؤيتي لك.

ـ ماجي، أنت الآن لا تحبينني ولا تكرهينني.

ـ هذا خطأ. إنني أحبك، قالت بصوت هادئ جداً، وإنني أكرهك لأنك أجبرتني على حبك.

ـ متى ستبدئين بتصوير فيلمك الجديد؟

ـ خلال عشرة أيام.

ـ تعالي معي إلى نيويورك.

وللحظة من الزمن التمعت عيناها لمعاناً شديداً:

ـ هل هذا صحيح فعلاً؟ هل ترغب في أن أجيء؟

ـ طبعاً. لقد وضعت الآي بي سي تحت تصرفي طائرة خاصة. طائرة ذات سرير عريض.. وسيكون باستطاعتنا أن نتمرغ عليه طوال الرحلة (فبقيت صامتة). اسمعي ماجي، سنذهب لرؤية كل المسرحيات وإذا سمح الوقت سآخذك للقيام بجولة في الريف. هل يمكنك تدبير أمر سفرك؟

ـ روبن، ثق أنني سأتخلى عن حياتي المهنية كلها إذا تأكدت أنك بحاجة إلي. أنا لا أتكلم مطلقاً عن الزواج بل أتكلم عن الحاجة فقط. وفي هذه الحالة سألحق بك إلى أي مكان في الدنيا.

فرشقها بنظرة غريبة:

ـ من تكلم في حياته عن الحاجة؟ لقد طلبت منك أن تجيئي إلى نيويورك إذ بدا لي أن تغيير الجو سيساعدك قليلاً.

ـ هه، إذن، رحلة صغيرة للمتعة؟

ـ تماماً، فالحياة يجب ألا تكون إلا هكذا، يا ملفوفتي.

فنهضت بحركة مفاجئة جداً إلى حد قلبت معه الكأسين اللتين كانتا ما تزالان مليئتين:

ـ اعلم أن السيل عندي قد بلغ الزبى. أوه! أنا لا أقول إنني لن أسرع إليك حين تهتف لي، بل هناك احتمال في أن أنام معك أيضاً. وذلك لأنني مريضة. لكنني أثق بطبيبي النفسي الذي سيعيد لي توازني، ولسوف يأتي اليوم الذي ستكون أنت بحاجة إلي فيه. لكن انتبه، حينها لن أكون موجودة.

فرشقها روبن بنظرة متجلدة:

ـ أنت لا تفهمين شيئاً يا ملفوفتي. فأنا لست بحاجة لأحد، أما أنت فقد تكونين بحاجة لآدم برجمان لا لشيء إلا لكي تظهري في فيلم ليس فاشلاً.

فانحنت عليه محدقة إلى عينيه مباشرة:

ـ اعلم، سيد ستون، إنني، وأنا أستعمل مفردات مهنتي الجديدة، مغرمة بك، أجل إنني مغرمة بك! لكن هذا لا يمنعك من أن تكون ملك أبناء الحرام.

وغادرت المشرب دون أن تلتفت. أنهى روبن كأسه على مهل ثم مضى إلى المطار. وهو على استعداد تام لأن يرمي خاتم ماجي في سلة المهملات. ضغط عليه محاولاً إخراجه من إصبعه لكنه لم يفلح، فابتسم، لعلها فعلاً قد وسمته.

علم روبن لدى عودته إلى نيويورك أن ديانا ويليامز قد تخلت عن المسرحية وأن بولي هي التي أخذت الدور، وقد سجلت نصراً حقيقياً إلى حد أن آيك ريان كان سيغامر بتقديم المسرحية في برودوي وبولي نجمة لها.

كان ديب، الذي رحل هو الآخر إلى فيلادلفيا، يغرق روبن كل يوم بنشرات أخبار النصر. وفي محاولة يائسة لإنقاذ «ظاهرة ديانا ويليامز» سافر روبن بطاقم كامل من الفنيين إلى فيلادلفيا لتصوير بولي ولدى عودته إلى نيويورك شاهد البرنامج بكامله ودهش بنوعيته. ففي القسم الأول كانوا قد صوروا ديانا في إحدى التجارب حيث كانت ديانا تتكلم عن دورها في المسرح، ثم عرضاً لعناوين الصحف وهي تعلن عن مرضها. أما في القسم الثاني فقد عرضوا بولي وهي تحل محل ديانا ثم مقابلة بولي وأخيراً بولي تحتل مركز النجمة.

عرضت المسرحية في نيويورك وكان لبولي الحق بمقالات نقدية تهذي حماساً. مع ذلك، ما من منتج أفلام قدم لها أدنى عرض. فبدا ديب في غاية الضيق ولم يرد أن يستمع حتى لتفسيرات مديريه. حسب رأيهم، كانت بولي قبل كل شيء ممثلة مسرح. إن لها حضوراً فنياً ولسوف تصبح خلال فترة وجيزة نجمة كبيرة في سماء برودوي. وقد مرض حين علم أن هوليود تعاقدت مع نجمة مشهورة كي تقوم بدور زوجته في الفيلم.

برمج روبن «الظاهرة ديانا ويليامز» في شهر أيار. وقد تطابقت تماماً مع التوقعات، فالبرنامج حقق نصراً ساحقاً وقد صنِّف باعتباره البرنامج الأول في استطلاعات الرأي العام.

بالنسبة لروبن بدأ ذلك الصيف على ما يرام إذ كانت البرامج الجديدة تطير من نجاح إلى نجاح، وقد كان يخرج مع أجمل الفتيات المشتركات مع بولي، بل لقد حاول أن يبدو ودياً مع بولي نفسها إلا أنها كانت تدور على عقبيها مذ تلحظه. حاول أن يتجاهل عداء بولي له كما اعتاد أن يستقر في «ساردي» مع الأصحاب الذين كان ديب يقودهم بشكل نظامي. على الأقل، وفقاً للأسطورة التي كانت تحيط بسلطته، فقد ازدادت هذه اتساعاً فتخلى عن أمسياته في ساردي واستعاد سهراته المعتادة في اللانسر. ولرغبته في تجنب المديرين والزملاء والنجوم فقد امتنع أيضاً عن العودة إلى الـ /21/ وكولوني. ولم يتأخر أبداً في فهم أن «لا» قوية مصحوبة بابتسامة حازمة هي أفضل طريقة لاختصار المناقشات حين يصمم على رفض برنامج. لقد أقسم على ألا يغضب أبداً وألا يفقد برودة دمه. كذلك لم يكن يقول: «سأفكر بالأمر» بل جوابه دائماً هو إما «نعم» أو «لا» وعلى نحو جذري. هذه الطريقة جعلته يكتسب سمعة فظيعة، سمعة ابن الحرام

الذي لا يرحم والذي يمكنه أن يرفع إلى السماء أو يحطم كلياً حياة فنان ومهنته. وهكذا بات يلاحظ، أثناء زياراته النادرة إلى الـ/21/ أن حضوره يشيع نوعاً من الرعب بين رواد النادي جميعاً.

في المرحلة نفسها اكتشف روبن أن سمعته الجديدة قد ولدت ظاهرة غريبة فعلاً. فلأول مرة في حياته، كان لا يرغب بالقيام بغزوات جديدة، كما كان يتهرب من النجمات. فهن دائماً يطلبن عقداً ثمناً لودهن وهكذا كان مضطراً للتمسك بمضيفات الطيران لكنه لم يكن يحتفظ بهن طويلاً. كان يضرب لهن مواعيد، وكن يصلن بكامل أناقتهن آملات أن يأخذهن إلى «الموروكو» أو «فواسان» من أجل عشاء لطيف. لكن دعوات روبن لم تكن تعني إلا عشاء في اللانسر أو جلسة سينما، أو الانفراد في شقته. ولولا فضل ديب لكان زير النساء العظيم قد اضطر لأن يتخلى عن متع الحب كلياً، إلا أن ديب كان قواداً مخلصاً يقود له الفتيات إلى مكتبه.

بالإضافة لذلك فإن مشاغل روبن الجديدة لم تكن تترك له مجالاً للخيار مطلقا. جلستان أو ثلاثة في الأسبوع، لا أكثر. وقد احتفظ دائماً بخاتم ماجي الصغير في إصبعه وحين كانت تسأله إحدى شريكاته عنه كان يجيب دونما تبديل: «هذا الخاتم يعني أنني مغرم بكل النساء، إنه رمز الحياة الطويلة والطاقة الجنسية التي لا تنضب».

ومرتين في الأسبوع كان يستلم بطاقات من جوديث، أما كليف دورن فقد سهر على ما تنشره الصحف بشكل نظامي عن مراحل رحلة غريغوري أوستن في أوربا.

في سهرة الأول من أيار، دخل ديب نلسون كالمجنون إلى مكتب روبن معلناً أنه واثق بأن بولي تخونه مع زميلها لون روجرز. في اللحظة نفسها هتف له كليف دورن كي يخبره أن أثيل وكرستي لين يسعدهما أن يعلنا ميلاد ابنهما الجميل الذي يزن تسعة أرطال.

طمأن روبن ديب مؤكداً أن الخبر لا يتعدى «أقاويل برودوي»، بعدئذ هتف لتيفاني طالباً إليه أن يرسل لكرستي الصغير كأساً فضية.

في تلك الليلة تمشى وحيداً في شوارع برودوي، ثم دخل إلى سينما تعرض فيلماً سيئاً بطلته ماجي ستيوارت.

الفصل السادس والعشرون

كان روبن ينتظر، جالساً في شقته، عرض كرستي الأول في الموسم الجديد. قبل عدة أيام، كانت الجرائد قد أشارت إلى «المفاجأة العظيمة» التي يحتفظ بها كرستي لمشاهدي التلفزيون. وكان روبن مقتنعاً أن كرستي سيقدم للجمهور ابنه الصغير.

ودون أن يلتفت، مد روبن كأسه الفارغة إلى ديب نلسون الذي ضغط على نفسه ثم مضى يملأها له.

ـ وسكي مخفف يا ديب، حدد روبن.

ثم طفق يتأمل ديب وهو يقترب من المشرب. لم يكن روبن يجهل الأقاويل التي تنتشر في المدينة عن صداقتهما. لقد اكتفى بالابتسام حين قال له جيري موس أن ديب هو في عين الجميع مجرد وسيط لدى روبن. والحقيقة أن روبن، استمر برؤية ديب إشفاقاً عليه، فقد كان يشعر أنه رغم فرحه بنجاح بولي لم يكن راضياً أبداً بدور «زوج النجمة» رغم أنه لم يكن يتذمر قط.

انتهى عرض كرستي لين فانضم ديب إلى روبن من جديد راغباً في أن يعتذر لتركه الغرفة، لكن روبن لم يكن قد لاحظ غيابه. لقد بدا غارقاً تماماً في أفكاره.

ـ إذن، كيف وجدت هذا، يا أخي العجوز؟ سأل ديب بصوت مرح.

ـ فظيع.

ـ ربما سيكون أفضل في الأسبوع القادم. (كان ديب يتعجل الذهاب إلى مطعم داني).

ـ إنه حلم! لنقل إن الآي بي سي تعرض ملهاة جيدة جداً في الساعة نفسها والسي بي اس تعرض فيلماً بوليسياً ممتازاً، فسوف نخسر بالتأكيد نصف مشاهدي التلفزيون خلال القسم الثاني، فمن يرى مثل هذا العمل الفظيع؟

ـ هيا، يا صديقي، حان وقت الذهاب، ليس بوسع المرء أن يغير شيئاً، فما فات قد مات.

ـ ليس عندي، قال روبن بصوت بارد. (وطلب الآي بي سي على خطه المباشر) روبن ستون على الخط، أعطني مباشرة آرتي ريلاند، من الشاطئ. لديك رقم منزله، إنه يسكن بونتوود. أنا بالانتظار (وأشعل سيجارة). مسخرة، الخط مشغول (صرخ في المهتاف) اقطع الاتصال وأرسلهم جميعاً إلى الجحيم.

وحينما صار آرتي على الطرف الآخر من الخط، صرف روبن أسنانه وهو يقول:

ـ إذن، ريلاند، اشرح لي! كيف استطعت أن تتركهم يخرجون قذارة كهذه؟ ألم تر أن هذا سيكون شيئاً تافهاً؟... لماذا لم تنذرني؟.. أنا لا أهتم بنويل فكتور! ربما كان هذا محاوراً ممتازاً لنيولي أوروبر جولي، لكن ليس لكرستي لين.....

ـ ماذا تعني؟ ماذا؟ كريس طرد مؤلفينا. إنني أعلم أن لدى كريس حزمة كبيرة من الأعمال لكن الآي بي سي أيضاً لديها! إننا نحن من يتصرف بوقت البث.. ماذا، أغان جديدة؟ اسمعني حسناً يا آرتي، بالنسبة لنا ليست الأغاني الجديدة هي المهمة بل المهمة الأغاني التي تستمر، تلك التي يطلبها لجمهور... لا تحدثني عن برودوى، في برودوى قد يسمحون لأنفسهم بالتجديد، فالنقاد يتكلمون عنه والجمهور يجد نفسه مضطراً لسماع الألحان من الأسطوانات أو

أجهزة الإذاعة. أما نحن فليس لدينا الوقت لطرح أشياء جديدة في برنامج أسبوعي وحيد بغض النظر عن أن كرستي ليس ركس هارسون.

كريس، إنه الأداة الأمريكية الصغيرة. في ثيابه الجميلة يبدو مثل طائر البنجوين المتخم تغذية، قل له عن لساني أن يجدد عرضه وأن يعود إلى الصيغة القديمة. وأن يأخذ مجدداً المغنية الصغيرة التي ظهرت معه في اللوحات الغنائية والعناصر المنشطة المعتادة. ومن هو هذا العبقري الذي خرج بفكرة تقديم فريق باليه في هذا البرنامج؟ ألا تعلم أن الباليه الكلاسيكي لا يساوي شيئاً على الشاشة الصغيرة؟ إنني أفضل ألا أفكر بالتكاليف الإضافية التي يكلفنا إياها هذا التافه.. إنني ألعن نويل فكتور وعقده. اتصل على الفور بمؤلفينا القدماء. ماذا؟ «لا يقبل»! رغماً عنه سيقبل... كلا، إنني لم أقرأ عقده لكنني سأقرأه هذا المساء وسأتصل بك صباح الغد (وأغلق الخط بعنف).

ـ روبن، إن لم يكن في هذا إزعاج سأقول لك إنهم لن يحتفظوا بطاولتنا إذا تأخرنا.

فاجتاز روبن الغرفة، ثم لبس سترته.

ـ العشاء، يالله! هو ذا أتفه همومي. (وعاد إلى غرفة الجلوس ثم فتح الهاتف) أعطني كليف دورن. يجب أن يكون في منزله، في راي. لديك رقمه (وأشار إلى ديب أن يحضر له سجائره).

ـ آلو كليف. روبن ستون على الخط.

ـ لحظة، روبن، لا تترك، سأجري الاتصال من الغرفة الثانية (فأشعل روبن سيجارته، بعدئذ سمع كليف من جديد على الطرف الآخر). اعذرني، لدينا اجتماع عائلي صغير هذا المساء...

ـ كيف وجدت عرض كرستي لين؟ (بقي كليف صامتاً) آه! لقد وجدته كريهاً أنت الآخر!

ـ بالحقيقة، ولكي أكون صريحاً معك، لم أشاهده، أنت تفهم....

ـ كيف حصل أنك لم تشاهده؟

ـ اسمع، روبن، حماتي تحتفل بعيد ميلادها السبعين وبالمناسبة نقيم احتفالاً عائلياً صغيراً. لقد كنا على وشك البدء بالعشاء.

ـ البرنامج كان مرعباً، أعلن روبن بجفاف.

ـ سأجعلهم يعرضون علي الشريط صباح الغد.

ـ تعال إلى مكتبي، مباشرة.

ـ ماذا؟

ـ مباشرة. إنك أنت من يمتلك مفاتيح الصندوق الذي يحوي الملفات. أليس صحيحاً؟

ـ روبن... ألا يمكن تأجيل ذلك إلى الغد؟ أم زوجتي...

ـ شيء مضحك، حتى ولو كان يتعلق بأم رامبرانت! تعال هنا بسرعة.

ـ روبن، افهمني، لو كان الأمر يتعلق بأمي أنا ما كنت لأتردد، لكن زوجتي لن تصدق أنني مضطر للمغادرة الآن. أنا لست معجباً إعجاباً لا حدود له بأمها. وإننا نعيش هدنة منذ ثلاثين سنة أنا وهي، وإذا ما ذهبت...

ـ هل هي القيِّمة عليك؟

ـ كلا، هي لا شيء، بل أنا القيِّم عليها بالتأكيد. وقد قدمت لها قطعة من الفيزون في عيد ميلادها. إنه عمل أحمق أن يتكلف المرء نفقة من هذا النوع من أجل امرأة في سنها، لكنني أعرفها، ستعيش من أجل الفيزون.

ـ أوه، توقف عن حشو دماغي بترهاتك هذه. وهيا إلى مكتبي.

ـ روبن، أخشى أنه لن يكون باستطاعتي المجيء قبل صباح الغد.

ـ في هذه الحالة، لن نكون بحاجة إليك!

وسادت لحظة من الصمت.

ـ حسن، سأذهب، أعلن كليف بصوت متجلد، لكن ستستفيد من المناسبة كي تلقي نظرة على عقدي أنا. فأنا لست موظفاً عندك كما أنني لست رهن أوامرك. أنا رئيس القسم القانوني في الآي بي سي ولست حاجباً على باب...

ـ إن كنت في المكتب خلال نصف ساعة، فقد تستطيع حماتك العام القادم أن تستفيد من هدية فيزون جديدة. أما إن لم تحضر فسيكون بإمكانك دائماً أن تعيدها إلى غلافها، إنني أنا من يدير المؤسسة الآن. واعلم أنه لا يوجد من لا يمكن استبداله. هنالك نجم برنامج مهدد بالسقوط إن لم نعمل بسرعة لإنقاذه وعلينا أن نرى إن كان بالإمكان إنقاذه. ليس غداً صباحاً، بل في هذه اللحظة.

ـ طيب روبن.

ـ شيء آخر يا كليف. إن كنت تعتقد أنك غير قادر على العمل معي فإنني أنصحك بإخلاء مكتبك منذ هذه اللحظة.

ـ أنا لا أرى لماذا لا أستطيع العمل معك حتى عودة غريغوري. وفي تلك اللحظة سيكون بإمكاننا أن نعقد جلسة صغيرة ثلاثتنا معاً.

ـ على راحتك. والآن أطفئ الشموع وتمن عيد ميلاد سعيد للسيدة حماتك وتعال.

أغلق روبن الخط ثم اقترب من الزجاج وشرع يتأمل الأضواء التي كانت تنعكس على النهر.

فشرع ديب يضحك:

ـ اسمع، إنك تذكرني بعبارة كان علي أن أقولها في أحد الأفلام عند العقدة: «لنا كلينا نيويورك»

فالتفت إليه روبن:

ـ ماذا تقصد؟

ـ أوه! لا شيء، إنها «كليشة»، لكن انظر ما هو الانطباع الذي تركته لدي، الذئب الخبيث الكبير جاهز لالتهام شارع ماديسون، يعض، يعض ويقتل!

ـ إنني لا أعمل سوى واجبي.

ـ والذهاب إلى داني في كل هذا الزحام؟

ـ ليس وقته.

ـ اسمعني يا روبن، هذا المسكين يقطن في راي ولن يكون لديه الوقت لاجتياز هذه المسافة الطويلة بنصف ساعة. إذن بإمكانك المجيء معي إلى داني لحظة من الزمن.

ـ كلا، هذه القصة أفسدت كل شهية لدي، بل لم تعد لي رغبة في الشراب. سأصحبك إلى هناك في يوم آخر.

ـ لكنني أعلم أنه سيكون هناك وكلاء كبار هذا المساء وقد تدبرت أن يحجزوا لنا طاولة بجانب طاولتهم.

ـ إذن، فاذهب إلى هناك وقل إنك تنتظرني، وإنني صديقك. شيء آخر، لقد قيل لي إنك لا تحرم نفسك من الصراخ بذلك من فوق السطوح، وليس عليك إلا أن تهتف لي من الطاولة وأنت تتكلم بصوت عال. لا أحد سيجيبك لكن بإمكانك أن تقول: (طيب روبن، سأمر بك خلال ساعة) (وفتش روبن في جيبه ثم سحب ورقة بقيمة خمسين دولاراً وألقاها على الديوان) هذه قيمة عشائك.

واتجه نحو الباب. لمّ ديب الورقة ولحق به. وحين وصلا إلى الطريق، وثب روبن إلى تاكسي.

ـ إن لم تمكث مدة طويلة في المكتب فالحق بي إلى هناك. لن أتصل بك إلا بعد ساعة. قال ديب بصوت كالصراخ...

كانت الساعة قد بلغت الرابعة عندما أنهى روبن وكليف دراسة العقد.

ـ عد إلى منزلك يا كليف، قال روبن بصوت متعب جداً، لقد تفحصنا الشروط كلها، القضية بلا أمل، لقد أمسك بنا كالجرذان.

فارتدى كليف معطفه وشد ربطة عنقه.

ـ حين تنازلنا عن جزء من حقوق ملكية البرنامج احتفظنا بالحق في الإشراف على اختيار النصوص، لكننا تنازلنا لكرستي عن الإشراف الفني والإخراج.

أشعل روبن السيجارة الأخيرة ثم دعك العلبة الفارغة:

ـ ومن هو العبقري الذي خرج بلغة غامضة كهذه؟ كيف يمكن للمرء أن يكون له الحق في الإشراف على اختيار النصوص إن كان كرستي هو المسؤول عن الإشراف الفني؟

ـ إنها قصة قديمة تعود لعهد «مطاردة السحرة» وهذا هو السبب في أنها ظلت هكذا. إنها شكل من أشكال السماح للشبكة بطرد فنان لا يعجب المساهمين أو لا يتناسب مع الصورة المطلوبة.

ففكر روبن لحظة من الزمن:

ـ ألا يمكننا أن نرفض توزيعه إلى أن يقبل بالعودة إلى الصيغة القديمة؟

ـ أيضاً، لا بد من وجود سبب قيم لذلك. التظاهر، مثلاً، بأن الفنانين الحاليين يغامرون بإلحاق الأذى بالصورة المطلوبة للمساهمين. وهكذا، حسب ما قلت لي، كان البرنامج فاشلاً إلا أنه تم تنفيذه وتحقق بذوق لا غبار عليه. إذن من المستحيل منع التوزيع دون المغامرة بتجاوز حقوقنا.

فسحق روبن سيجارته:

ـ جيد، إن كان تقديري صحيحاً فهذا واحد من نجومنا يسقط.

فسأل كليف:

ـ هل هو سيء إلى هذه الدرجة حقاً؟

ـ سترى الشريط قريباً، وإنني أقدر نوع العلامة التي سيحصل عليها. ثم ترك كليف بهيئة متعبة.

كان الفجر قد بدأ بالظهور عندما وصل روبن إلى شارع ماديسون. كان يعلم ما عليه أن يفعل. لا فائدة من البكاء على عرض كرستي لين. لقد اتخذ قراره. في نهاية حزيران سيلغي البرنامج. وعليه الآن أن يجد برامج أخرى جيدة، سيستدعي المساهمين جميعاً هذا الصباح، وسيتعاقد مع كتاب، وسيطلب مشاهدة المشاريع المطروحة جميعاً.

في كانون الثاني، أثار روبن عاصفة في أوساط التلفزيون حين أعلن قراره بإلغاء عرض كرستي لين في نهاية حزيران وقد قال لجيري ألا يتضايق. فهو يظن أنه سيجد موضوعاً جيداً للموسم القادم وسيكون لمساهمي جيري الأفضلية فيه.

إلغاء عقد كرستي أثار عاصفة ليس فقط بين المهنيين، بل في الصحافة أيضاً. فالصحف اليومية الكبيرة تحدثت كلها عنه. وبعد يومين من نشر الخبر رأى كرستي عروضا تقدم له من الآي بي سي والسي بي اس للشهور القادمة.

ورغم أن مركز كرستي كان قد انخفض في جداول الاستطلاع إلا أنه استمر في حالة لا بأس بها، كانت شهرته خيالية وقد بات كرستي وإثيل يدعيان لكل الاحتفالات. ومنذ أن اطمأن لخدمات كلي وهاي ونويل فكتور فإن إثيل كانت تتردد على «عصبة الفي» فالفي لم يكن يحلف إلا بها، وقد قبلت هي أن تغطي مشاغلها القلبية بصداقاتها

الصغيرة. إثيل، الفي والمفضل في اللحظة الحاضرة كانوا يحضرون كل الحفلات والتدشينات الكبرى بينما ينشغل كرستي في التحضير لبرنامجه.

لقد تلقى كريس عروضاً مثبتة من شبكتي الآي بي سي والسي بي اس، لكنه كان ينتظر قبل أن يوقع، فالبرامج التي اقترحوها عليه لم تكن تتوافق معه كثيراً. في شهر شباط جاء إلى نيويورك محاولاً ترتيب المشكلات التي أثارت عليه روبن ستون وإيجاد الطريقة التي تمكنه من الاحتفاظ بمركزه في الآي بي سي. كذلك كلف وكالة جونسون وهاريس بأن يجعل روبن يعلم أنه يقبل بالعودة إلى الصيغة القديمة. فالصيغة الجديدة هي فكرة إثيل التي كانت تأمل من خلالها أن تقبل في مجموعة ألفي الذي كان نويل فكتور أحد أصدقائه الحميمين. حسناً، لقد حصل هذا وقد أصبحت إثيل مقبولة إلى حد لم يعد زوجها يراها. من جهته، لم يكن ثمة ما يسره أكثر من العودة إلى الصيغة القديمة. إذ كان أسهل عليه بكثير أن يغني أغاني يعرفها جيداً من أن يتعلم أغاني جديدة كل أسبوع.

لدى وصوله، دهش كريس حين علم أن وكلاءه لم يستطيعوا الحصول على موعد من روبن ستون «عندما يقول ستون لا، فهذا يعني لا» كانوا يشرحون له. «إنه لا يترك لك فرصة للمناقشة» مع ذلك، حاول كريس نفسه الاتصال مع روبن. لكنه في كل مرة كان يسمع الجواب:

ـ «آسف، السيد ستون في مؤتمر».

اتصل كريس بدانتون ملر، فبدا هذا مندهشاً لإخباره، وفي الحال دعاه للمجيء إلى الـ /21/. في الساعة الرابعة بعد الظهر كان المشرب مهجوراً. جلس دان وكسريس إلى طاولة قبالة منضدة الحساب، حيث قضيا ساعة وهما يشرحان عدوهما المشترك، روبن ستون، مما أعطى نوعاً من الترياق لقلب كريستي.

ـ أنت، على الأقل، لديك عروض من شبكتين. لكن انتبه، ذلك الرجل جاسوس فعلاً، وأشار بعينه إلى ديب نلسون الذي دخل ثم مضى مباشرة واتكأ على المشرب.

فابتسم دان:

ـ إنه يأتي هنا دائماً وحيداً.

ـ لماذا؟

فهز دان كتفيه:

ـ وماذا يفعل شخص من نوعه، لا عمل له سوى أنه زوج نجمة؟

ـ وأنت، كيف أعمالك؟ سأل كريس.

ـ حسناً، لنقل إنني نجحت في الحصول على فرصة.

انظر ذلك العجل الأشقر الوحيد مع كأسه ربما سيكون منقذك.

ـ ديب نلسون؟

ـ ولابد من إعطائه انطباعاً بأن له حصته.

ـ ديب رجل لا خير فيه، من الأفضل البحث عن زوجته.

ـ لا، ليست هذه من أوراق روبن. بينما يستطيع ديب، ولسبب يجهله الجميع أن يضع روبن في جيبه.

ـ هكذا!! (واتخذ كريس هيئة متأملة) لكنهم في كاليفورنيا يتكلمون عن انحراف، لواطة أو شيء من هذا القبيل.

ـ أوه، أكاد أجن، إنني أهتم فقط بإخراج برنامجي.

ـ أرى ذلك، فأنت تود استعادة مكانك كمخرج.

ـ أجل، وأنا أعرف المهنة وبإمكاني أن أتعاقد مع شبكات ثانية، لكنني أصر على البقاء في الآي بي سي. أريد أن أكون هناك يوم أرى فيه هذا الرجل الآلي اللعينِ مهشم الرأس. وحينذاك سأستعيد مكانتي، أكثر قوة وأكثر عظمة حتماً.

فأيد كريس:

ـ أنت على الأقل، كنت تتوقع مصيرك.

فقهقه دان ضاحكاً:

ـ أما أنت يا عجوزي، فليس عليك ما تهتم به. بيت كبير في كاليفورنيا، مال أكثر مما تحتاج، زميل لألفي وعصبته التي تطير فوق الريح، والحياة الرائعة!

ـ الحياة الرائعة، إنها إثيل التي تعيش ولست أنا. تنهد كريس، لقد حصلت على كل ما تشتهيه. أما أنا فلست في الحسبان أبداً. كل الأماسي التي أعود فيها إلى منزلي يتوجب علي أن أحضر نفسي للذهاب إلى آلفي أو لمصاحبتها إلى الاحتفال الكبير حتى إيدي وكيني لم يعودا لدي. إنهما يفضلان نيويورك. وقد وجدا عملاً في برنامج المنوعات الجديد في السي بي اس.

ـ لم تعد من عالمهم، يا عجوزي، رغم أنك شققت لهم القسم الأكبر من الطريق.

ـ أجل، وهي تسميها حياة رفيعة أن تضطر لحشو رأسك بالقصص التي يقال عنها دعابات آلفي؟ وأن تشاهده وهو يذبل عينيه لصاحبه في تلك اللحظة؟ وأن تعمل دائماً ما يرغب به آلفي. هكذا، انتبه، إن زوجتي تنفجر غضباً حين أقول لها يا دجاجتي بل يجب علي أن أدعو كل الناس «يا ملفوفتي». قدر، لقد حشيت دائماً بهؤلاء الأوباش الذين ينادون بعضهم هكذا. (وفجأة أضاءت وجه كرستي البسيط ابتسامة) أساساً ليس لي الحق بأن أتذمر. كما قلت، إنني مليء بالمال. لكن بصورة خاصة عندي ولد، عندي كرستي لين الصغير (وسحب من الجيب الداخلي لسترته محفظة محشوة بالصور التي تمثل رضيعاً ممتلئ الوجنتين). لو أن أثيل لم تصنع شيئاً في وجودها سوى هذا فإنني لن أتذمر.

لي ابني وهذا ما يهمني. إنني لا أعيش إلا من أجله. بل أشعر أنني قد وقعت عقداً جديداً مع الحياة (ونظر إلى ساعته) لقد تأخر الوقت، إنها ساعة العودة إلى الفندق. إنني أنزل في البلازا. الفي الذي أصر على أن أنزل هناك، في شقة فخمة تصلح لرئيس جمهورية. لقد وعدتني إثيل أن تخابرني الساعة السادسة والنصف وستقرب الصغير من الهاتف لكي أسمع مناغاته أو ضحكه. سترى هذا الولد!

نادى دان النادل طالباً إليه أن يأتي له بكأس مارتيني أخرى وأن ينقل ورقة صغيرة للسيد ـ ديب ـ الذي كان ما يزال مستنداً بمرفقيه إلى طاولة المنهل. قرأ ديب الورقة فجاء إليه.

ـ لماذا تشرب وحيداً؟ سأله دان، لنشرب معاً.

ـ أي شرف؟ مع ذلك فإنك أنت من وقف ضدي حين تعاقد معي روبن للعمل في عرض كرستي لين.

ـ لقد وقفت ذلك الموقف حينذاك لأنه كان لدي ما هو أفضل، ولو أن روبن وافقني لبضعة أسابيع أخرى لكنت رأيت مدائح عظيمة لنا في الصحف.

ـ الناس جاهزون دائماً لتحطيم النجوم، قال ديب وهو يستقر على الطاولة. إنهم يبدؤون دائماً بالإعلان أن هذا الشخص ليس لديه موهبة. لكنني عندما أغني على المسرح وبمواجهة الجمهور، صدقني يا عجوزي، ما من أحد يلحق غباري.

ـ دعني أستضفك بكأس، اقترح دان.

ـ هو... إنني أنتظر هاتفاً من روبن. فهذا المساء علينا أن نلتقي كي نشرب معاً.

ـ إن كنت قد أحسنت الفهم، فأنت وروبن صديقان حميمان؟

ـ كإصبعين في يد واحدة. رد ديب.

ـ إذن أود أن أسأل لماذا لا يفعل شيئاً من أجلك؟ فحسب أقوال الناس روبن يعتبرك وسيط غرامياته.

فنظر إليه ديب نظرة مرة:

ـ لا تعد قولك هذا أبداً! روبن يثق بي. وإن كنت تود معرفة المزيد فاعلم أنني أنا من اقترح طرد كريستي لين. وهناك شيء آخر كان روبن يود الاحتفاظ بكريس موسماً آخر لكنني أنا من ثبط همته..

ـ وهل ستمثل زوجتك في برودوي فترة طويلة أخرى؟

ـ حتى حزيران، بعدئذ ستطوف متجولة في المدن الأخرى مدة عام، وسوف أذهب معها. وهم في طريقهم لكتابة دور خاص بي، دور الأخ.

ـ هل ستقنع بدور صغير؟ ولماذا؟

ـ لكي أبقى قرب بولي. إنها بحاجة إلي.

ـ إنها بحاجة إليك بمقدار ما هي بحاجة لأسنان إضافية، تضاحك دان.

ـ قل إذن. هل تصر على أن أكسر لك رأسك هنا، وسط المشرب؟

ـ ما أقوله إنما أقوله لصالحك.

ـ هكذا؟

ـ إنني أحاول أن أجعلك تفهم أنك باعتبارك صديقاً لشخص مسؤول مثل روبن فإن عليك أن تستفيد من هذه الصداقة. فهو عاجلاً أم آجلاً سيتركك وهذا شيء حتمي. لقد راقبته جيداً روبينك هذا، وقد انتهيت لاستنتاج أكيد هو أن هذا الغلام يسره أكثر ما يسره خلق الأعداء له. بل يقال إنه يبحث عن معرفة المدى الذي يستطيع دفع العداوة إليه، فغطرسته والاحتقار الذي يعامل به الآخرين إنما ينبعان من جانب مرضي تقريباً. وهكذا إن ترغب بنصيحة خالصة لوجه الله....

ـ لا ينقصني إلا نصائح من رجل منتهٍ. رد ديب بخبث.

ـ رجلان منتهيان يساويان أكثر من واحد. هل أنت جاهز لكي تشاركني؟

ـ لم أفهم؟

ـ سأشرح لك في الوقت المرغوب. قل لي ماذا تخطط للعمل هذا المساء؟

ـ لا شيء. في النهاية علي أن أتعشى مع روبن.

ـ ألا تستطيع أن تلغي موعدك معه مرة واحدة؟

ـ أنا حر في أن أفعل ما أريد.

ـ في هذه الحالة، ستتعشى معي. لدي موعد مع بيتر كين، ولد من وكالة جونسن هاريس، في فوازان. بالمناسبة، هل أنت جاد فعلاً في قرار مرافقتك لبولي في الجولة؟

ـ لا، مطلقاً. إنني أنتظر أن أرى أي نوع من الأدوار يعدون لي.

ـ إذن تعال معي. واصغ بانتباه لكن لا تتكلم.

ـ أنا لا أحب كثيراً أن يحدثني الناس بهذه اللهجة.

ـ لدي سبب وجيه يسمح لي بالتحدث بهذه اللهجة. فقد قررت أن أجعل منك رجلاً غنياً.

ونهض دان ثم خرج من المشرب ممسكاً ديب من ذراعه.

ما إن وصلا إلى فوازان، حتى طلب ديب وسكي بالماء بينما طلب دان وبيتر مارتيني.

ولم يتأخر دان في بدء الحديث حول حياة ديب المهنية. شيء غريب، كان بيتر كين يصغي إليه باهتمام واضح. وكان من رأي دان نفسه، لقد جرح النقاد ديب بسبب موقفهم العدائي من روبن.

ـ مسكين يا عزيزي ديب. لقد ورثت كل أعداء روبن ستون دون أن تكون قد كسبت صديقاً واحداً من أصدقائه. استنتج دان.

ـ من أصدقاء ستون؟ سأل بيتر كين ضاحكاً. الرجل ليس له صديقة حتى. والناس يتقولون أن آيك ريان يخدمه كوسيط وأن روبن له الأفضلية بين الثلاثة. قل لي يا ديب، بيننا تماماً، أليس روبن نوعاً من اللوطي؟

ـ روبن يحب النساء. قال ديب بصوت محايد.

ـ طيب. يكفي كلاماً عنه. لكن إن أردت رأيي، فإن روبن هو الذي يخرب حياتك. كل الناس يرون أنك أفضل أصدقائه، فإذا لم يؤمن لك عملاً فهذا يعني أنك تمثل تمثيلاً سيئاً. لذا يتركك الجميع ومنقارك في الماء. لقد مثل عليك روبن دوراً قذراً برفضه استخدامك.

ـ أنا لم أنظر للأمر بهذا المنظار. أجاب ديب بتمهل. الحقيقة ربما كان هذا هو السبب في أن أحداً لا يقترح علي شيئاً أو يقدم لي عرضاً.

بقي ديب صامتاً لا ينبس ببنت شفة خلال الوقت الذي قضاه الرجلان وهما يراجعان برامج الموسم وحين أنهوا عشاءهم اتجه بيتر كين إلى ديب قائلاً:

ـ لقد حجزت صالة الأضواء لمدة تسع ساعات، وقد حان وقت الذهاب.

حينذاك شرح دان لديب.

ـ إننا نعد برنامجنا. أنا المخرج وبيتر مقدم البرنامج. إنها حلقة من مسلسل يدور حول قصة تجسس ولا يكلفنا كثيراً. لقد استدعي فيك جرانت للقيام بالدور الرئيسي ويودي أن تراه وتعطيني رأيك.

استعاد ديب شيئاً من معنوياته، وقد تذكر لقطة صغيرة: كان فيك جرانت ممثلاً صغيراً مجهولاً عندما كان هو نفسه نجماً لامعاً. ولم يكن فيك قد مثل فيلماً معتبراً منذ أكثر من سنتين.

دفع دان الحساب، ثم توجه الثلاثة إلى صالة الأضواء لدى وكالة جونسون هاريس. شاهد ديب البرنامج بانتباه. كان هنالك الكثير من الشجار. ولم يكن فيك شيئاً لكن ديب عرف أنه سيكون أفضل لو كان هو الممثل. فهذا الدور يناسبه إلى حد كبير وهو سيمكنه من استعادة المكان الذي خسره في عالم المسرح.

عندما عادت الأضواء من جديد التفت دان نحو ديب:

ـ ما رأيك به؟

ـ يكاد يكون رائعاً. أجاب ديب بحماسة.

ـ تعال، لننزل. إنني أعرف مشرباً هادئاً في منعطف الشارع. قال بيتر كين.

ـ طيب. قال ديب بمرح.

دخل الثلاثة إلى المشرب الصغير المرتب وجلسوا بعيداً قليلاً عن الآخرين. طلب ديب كأساً من الوسكي وشربها بجرعة واحدة.

ـ إننا نخطط لأن نبيع البرنامج بمئة وخمسة وعشرين ألف دولار، شرح دان، وسيكون بإمكاننا أن نرتب بشكل من الأشكال ألا تتجاوز نفقات التنفيذ التسعين ألفاً. أضف عليها مبلغ عشرة آلاف سمسرة فتكون النتيجة إننا سنخرج بربح قدره ثلاثون ألف دولار بالاشتراك بيننا نحن الثلاثة، إذا لزم الأمر.

ـ إن أحسنت الفهم، فإنني سآخذ الثلث بدلاً من الراتب؟ سأل ديب بكثير من الاهتمام.

ـ بالحقيقة، نستطيع أن نرتب لك راتباً رمزياً، ألف دولار أسبوعياً بالإضافة إلى تكاليف مكتب.

ـ مكتب. لأي شيء؟

ـ ديب، ستكون بحاجة له كي تضع فيه جماعتك. وإذا أعطيت المبلغ كراتب، فإن الضرائب ستأخذ منه جزءاً كبيراً. جماعتي تدعى دانميل، وليس عليك إلا أن تختار اسماً لمكتبك، وإذا وافقت فإن محاميّ سيتمكن من الاهتمام بهذا كله.

بالنسبة لديب، كانت الأشياء تسير بسرعة كبيرة جداً.

ـ ومن قال إنني أستطيع أن أضع ثقتي بمحاميك؟

ـ جماعتك ستحصل على المنافع كلها وتعطي دانميل حصتها.

ـ وأين ستصور الفيلم؟ هنا أو في لوس أنجلوس؟

ـ إنها الآي بي سي التي ستختار المكان. فلديها استوديوهات واسعة في لوس أنجلوس، لكنني أفضل تصوير المناظر الخارجية في نيويورك، الحركة، ضجيج المدينة الكبيرة، لا شيء أفضل من ذلك بالنسبة لفيلم بوليسي.

ـ إذن هل اشترته الآي بي سي؟

ـ ليس بعد. لكنها ستشتريه، إنني أرجو ذلك...

فامتلأ ديب حماساً:

ـ على كل حال، أشعر أن هذا الدور يناسبني.

فتطلع ديب وبيتر أحدهما إلى الآخر، ثم تكلم دان:

ـ أنا لا أشك بالأمر. لكننا تعاقدنا مع فيك جرانت لمدة عامين، وقد قام بالتجارب بشرط صريح هو أن يقوم بالدور إذا بيع البرنامج.

ـ إذن، ماذا ألتعن هنا؟ هتف ديب متعجباً.

ـ دورك يتركز في أن تجعل روبن ستون يقبل مشروعنا. إنك الوحيد الذي يمكنه أن ينجح في ذلك.

فاتخذ ديب هيئة من يريد الوقوف لكن دان أمسك به من كمه.

ـ هيا اجلس! وقل لي هل تفضل أن تظهر ممثلاً من الدرجة الثالثة أو تصبح مليونيراً؟

فصعقه ديب بنظرة قاسية:

ـ أيها الرجل أنت لم تتوقف عن إزعاجي طوال هذه السهرة!

فقدر بيتر أن عليه أن يتدخل:

ـ هيا، ديب، فكر بالأمر قليلاً. لقد أتيحت لك فرص كثيرة ومع ذلك لم تستفد منها حاول أن تكون خبيثاً بعض الشيء ولو مرة واحدة، ولسوف تتمكن من كسب الكثير.

ـ ومن قال إن الآي بي سي سترضى أن تشتريه منكم؟ سأل ديب فجأة.

ـ حسبت أنني سمعتك في داني تقول إنك تضع روبن في جيبك. لاحظ دان بهدوء. حسناً هذه هي اللحظة التي تستطيع إثبات ذلك أو لا تستطيع أبداً. اطلب منه أن يشتري فيلمنا. في كانون الثاني ستُطرح كثير من البرامج. وبإمكانك أن تقول لروبن إنه إذا اشترى الفيلم فسيكون له حصته من الكعكة هو الآخر. ثلث الأرباح له. وسيكون بإمكانك أن تدفع له المبلغ وفق الصيغة التي يريدها: مالاً نقدياً، رحلات، مسكناً..

ـ وما من مضايقات من مصلحة الضرائب؟

ـ لدينا من ينصحنا من مصلحة الضرائب، ولسوف يرتب هذا كله بأكثر الأشكال قانونية في العالم. إذا رغب روبن بسيارة كاديلاك فسنشتريها له وسنستفيد منها لتصوير بعض اللقطات ثم نعلن عن بيعها كقطع تبديلية. المسكن، سنشتريه لكي نصور بعض اللقطات في

الداخل، كما سيكون الأثاث والديكور الذي نستخدمه له. أما إن كان يريد مالاً فهناك ألف وسيلة للعب بالنفقات العامة. هذه صنعتنا.

ـ إذن، ليس علي إلا أن أذهب وأسلمه البضاعة؟

فهز دان كتفيه:

ـ بما أن روبن صديقك العظيم فعليك أن تعلم أكثر من أي شخص في العالم كيف تدبر القضية.

ـ والقضية، كم ستدر من ربح؟

ـ حصة من ثلاث، أي عشرة آلاف لكل واحد.

ـ وبيتر؟

فاتخذ بيتر هيئة متواضعة:

ـ أنا سأقنع بالسمسرة لوكالتنا. ذلك أنني إذا نجحت بتمرير العملية مع روبن فإنهم سيسمونني مساعد مدير، وأنا لا أطلب أكثر.

فكر ديب لحظة من الزمن ثم قال:

ـ أطلب أن يظهر اسمي في عرض الأسماء، بصفتي مخرجاً.

فلم يستطع دان أن يمنع نفسه من التبسم:

ـ الجميع يعلمون أن هذا غير صحيح.

ـ إنني أصر على ذلك. بولي لن تعرف شيئاً عن الأمر، ولن يعرف الجمهور أكثر مما تعرف.

ـ مفهوم، تراجع دان. في هذه الحالة سأكون أنا المخرج المنفذ.

فابتسم ديب:

ـ وسوف تعطيني كتاباً موقعاً ومصدقاً من قبل شهود بأن لي ثلثي الأرباح. فبعد كل شيء لنفترض أنني جعلت روبن يوافق على فيلمكم، ماذا يمنعكم من أن تتدبروا أمر إلقائي خارجاً؟

ـ سأحرر لك الكتاب غداً صباحاً، قال دان وهو ينهض واقفاً.

عصر اليوم التالي، وجد ديب روبن في «اللانسر» والكتاب المصدق من دان في جيبه. انتظر إلى أن أنهى كأس المارتيني الثانية ثم طرح الموضوع الذي يشغل باله على بساط البحث، متكلماً عنه بتفصيل دقيق على دوره الخاص ثم أعلن في النهاية:

ـ ولا تنس أن لك ثلث الأرباح يا أخي العجوز.

فأمسكه روبن من قبة سترته ثم جذبه إليه:

ـ الآن، ستسمعني جيداً، أيها الأبله. دانتون ميلر أثرى من هذا النوع من الأعمال عندما كان يدير الآي بي سي. وقد طردت كل من يدور في فلكه. إنني أمنعك من زج اسمي في هذا النوع من الأعمال الحقيرة.

ـ إذن أنت ترفض؟ سأل ديب بصوت ذليل.

ـ أجل، أرفض ما يتعلق بي. لكن إن كان لديك مشروع برنامج جيد فليس عليك إلا أن تقدمه لي. فإن كان مقبولاً سأعطيه الأفضلية، وإن كان دان يريد دعمك مالياً فإنني لا أرى في ذلك مانعاً. هذا شأنك.

فغطت وجه ديب ابتسامة ارتياح عريضة:

ـ إذن، أنت لا تريد مني شيئاً يا روبن؟

ـ ما عدا أن تمتنع عن جري إلى حمأتك. أنت تعلم أنني أبحث دائماً عن برنامج جيد ولا أرى لماذا لا تحاول الإخراج، هذا حقك. فلديك شيء من خصال رجل العصابات، الخيال الذي يعجبني كثيراً. فإذا قررت أن أشتري هذا المشروع وكانوا قد وضعوا اسمك كمخرج فإنني سأعلم سلفاً أن دان هو الذي قام بكل شيء. لكن إذا اكتفيت بالبقاء هنا لتصوير المواقف الصغيرة، فحينذاك سأعتبر أن هذا كله يعود لخيالك، إنني أنصحك بأن تدخل المغطس وأن تتعلم المهنة وتراقب

المصورين وتستعلم عن أسعار المواد، فالأرباح تتوقف على تكلفة المشروع، لكن فيما يتعلق بهذا الذي يقتسم بين ثلاثة، أنت ستقتسم المبلغ مع دان فقط، بما أنه يتوجب عليه الدفع لذلك الوكيل القذر.

بدأ روبن يتفحص مشروع البرنامج مع ديب وحين انتهى منه هتف صائحاً:

ـ هذا العمل ليس جيداً وحسب بل هو هائل. بإمكانك أن تجري هذه اللحظة إلى دان وتقول له إنه مضمون.

فارق ديب روبن، ثم تمشى طويلاً في شوارع نيويورك قائلاً لنفسه إنه يحتقر روبن ويكره دانتون ملر، يبغض كل أبناء الحرام في الأرض. كيف تراه بلغ مثل هذا الوضع؟ زوجته نفسها تعامله كآخر البلهاء. أناس مثل روبن دان لا يترددون في أن يقولوا له في وجهه إنه ممثل فاشل. أين ذهبت تلك الأيام التي كان يكفيه أن يدخل أي مكان ليرى كيف يشع مجده؟ أيام كانت النساء ترتمي على عنقه! الآن أصبحن يتجنبنه. بولي نفسها حظرت عليه الاقتراب من راقصات عرضها فما من واحدة تود الذهاب مع روبن ستون. مع ذلك كان من المحتم عليه أن يقود له واحدة من حين لآخر إن أراد الحفاظ على حظوته.

لم يكن الأمر سهلاً، فروبن له مزاج خاص بالنسبة للنساء، وهو لم ينس أبداً تلك المومس التعيسة التي علقت مرة بين يديه. كذلك كانت جميع الفتيات يتذمرن من أن روبن يبحث عن الأماكن الرخيصة. إذ لم يكن يدعوهن إلا إلى اللانسر أو مطعم مشابه ثم يقفز بهن إلى السرير. وإن كان حظ الفتاة سيئاً وتصرفت بطريقة لا تعجبه لم يكن يتردد في إلقائها إلى الشارع دون أن يعطيها أجرة سيارة تعود بها إلى منزلها. تنهد ديب واتجه دون عجالة إلى «ساردي». لقد اكتسب نوعاً من العادات الخاصة. إذ كان يتغدى طيلة الأيام تقريباً في

هذا المطعم حيث يحاول تدبير ممثلة صغيرة تناسب روبن. بالتأكيد لم يكن روبن قد طلب منه شيئاً كهذا لكنه كان يبدو راضياً دائماً حين يهمس له في أذنه أو يغمزه بعينه قائلاً: لقد تدبرت لك واحدة، يا عجوزي، إنها رائعة.

كيف تراه وصل هذا الموصل؟ حسناً، اعتباراً من هذا اليوم ستتغير الأمور. سيكسب مالاً من جديد. ثلاثون ألف دولار في الأسبوع تقسم على اثنين... لماذا على اثنين؟ كيف سيعرف أن روبن رفض دخول اللعبة؟ لا، لن يعرف عن الأمر شيئاً. إذن بإمكانه أخذ الثلثين لنفسه إضافة إلى راتبه. بإمكانه أن يقول لهم إن روبن يريد المبلغ نقداً وعليهم هم أن يتدبروا أمرهم مع موظف الضرائب لتمويه القضية. أما هو، فسيضع هذه الآلاف العشرة في المصرف خالصة من الضرائب! سيعود رجلاً غنياً من جديد. لكن لتنزل عليه اللعنة إن حاول يوماً تعلم شؤون المهنة كمخرج أو التجسس على المصورين والبحث عن التكاليف، كم هم مساكين، بؤساء، دان وأمثاله!! يجنون لكي يحصلوا على ثلث الأرباح في حين أنه سيتمكن من كسب الثلثين والاستمتاع بوقت طيب. سوف يرتب الأمور بحيث يوحي للآخرين بأن روبن داخل اللعبة. وهكذا سيأتي إليه كل من يريد بيع برنامج وسيعرض عليه ثلثين: ثلثاً له وآخر لروبن.

سيصبح ديب قائداً، قائداً حقيقياً. ستصبح بولي طوع بنانه. ولسوف تتوقف عن التظاهر بأنها متعبة كلما رغب بمضاجعتها، ليس أكثر من أسابيع من الزمن، وسيكون هو قائد بولي. وفجأة ارتفعت معنوياته. بولي!! إنها المرض الذي لا يستطيع الشفاء منه. إنها في جلده. صحيح أنه يرغب أحياناً في خنقها، لكنها تبقى الوحيدة في قلبه، الوحيدة التي تهمه، الفتاة الأولى والأخيرة... لكن مهلاً،

يا بولي!! راح ديب يحدث نفسه: حين يلمع اسم ديب نلسون فوق كل شاشات التلفزيون، حين يظهر في عرض أو عرضين، حينذاك ستعرفين يا بولي أن ديب هو القائد.

وضع روبن مشروع ديب ضمن برامج كانون الثاني وبعنوان «أشخاص لا أسماء لهم». وحين وقع العقد وصادق عليه دان لم يعد لديب ما يفعله سوى الانتظار.

بدأت بولي جولتها في حزيران. أما ديب فقد فضل البقاء في نيويورك، لقد تغير موقفها تجاهه مذ علمت أن ديب سيقبض عشرة آلاف دولار أسبوعياً.

(وقد مرر تحت ستار من الصمت قصة الآلاف العشرة الإضافية) كما عادت ترسل له رسائل طويلة من كل مكان تقريباً دون أن تنسى مرة واحدة أن تعترف له كم يوحشها فراق ديب الغالي.

في أيلول ظهرت البرامج الجدية فحققت لـلآي بي سي كسباً مباشراً، مع شيوع الاعتقاد بأن البرنامج الذي يختاره روبن يحقق نجاحاً عظيماً. برنامجا الألعاب المتلفزة سارا على نحو جيد هما الآخران. أما البرنامجان اللذان حكم روبن عليهما بالسوء فقد ألغي واحد منهما دون تردد، واستبدل به برنامج ديب، ذاك الذي سيضع نهاية لكافة التزاماته تجاهه. حين فكر روبن، وجد أن علاقته مع ديب قد تغيرت. في البداية كان يجد نفسه ضعيفاً أمام هذا الغلام، لكن مع مرور الزمن لم يعد يرى سبباً لتمرغه أمام بولي، وهكذا بدأ التقدير الذي كان يكنه له يتلاشى كي يحل محله احتقار عميق.

أخيراً، لا بد لديب من أن يعلم أن بولي تسخر منه، لقد حاول روبن في البداية أن يثير عزة نفسه، وأن يذكره بعظمته معتقداً أنه حين يعامل من فوق فإن كبرياءه سيستيقظ وأنه سيتمرد ويعود إلى طبيعته مستعيداً نفسه تماماً، لكن ديب كان يقبل كل شيء دونما إحساس.

المثال الذي كان يجسده ديب جعل روبن يرغب أقل وأقل في أن يرتبط بامرأة. لقد قام مرتين أو ثلاثاً بمحاولة لإقامة رابطة غرامية مع هذه أو تلك من النساء في غزواته العابرة، لكن أفكاره كانت تقوده دائماً إلى ماجي إلى حد يجعل شريكته الحاضرة تفقد كل ميزة أو جاذبية. كلا، خير له أن يكتفي بفتيات عابرات من أن تصبح حالته كحالة ديب. لقد باتت الفتيات أقل إثارة له، إذ كان يعلم أن ماجي تكمن دائماً في اللاشعور، لم تغادر ذهنه قط. لكنه حين كان يعترف بذلك يشعر بنوع من الغضب. لن يكن هنالك امرأة في العالم تستطيع أن تضع الحبل في عنقه! إدارة الآي بي سي يمكن أن تأخذ كل وقته فهو لم يشتغل في كتابه منذ عام، منذ تلك الليلة التي وضع فيها بعناية ثلاثمائة ورقة صفراء في مصنف وأغلق عليها حقيبته. كان يتساءل أحياناً متى يمكن لغريغوري أن يعود، لكن ماذا إن لم يعد أبداً..؟ في بطاقتها الأخيرة من «كان» كانت جوديث قد أعلنت له أن غريغوري قد تحسن إلى حد أصبح معه قادراً على قضاء ساعات في الكازينو حول المائدة الخضراء.

في نهاية أيلول، عاد آل أوستن إلى نيويورك دونما إنذار. إنها إحدى أفكار جوديث التي قررت أنهما ما إن يصلا إلى منزلهما حتى يعلنا عن عودتهما الرسمية بأبهة عظيمة. لم تكن تريد صوراً أو مقابلات صحفية في المطار كي لا يفسد ذلك مفاجأة عودتهما. لقد أصرت على أن تحتفل بالحادث بإقامة حفل باذخ في البلازا وقد أعدت لائحة المدعوين التي ستوصلها إلى الصحف وتعممها في أرجاء نيويورك.. كان غريغوري قد استعاد وضعه تماماً واقتنع بأنه لا يعاني من أي سرطان. بل لقد مارس معها الحب وإن كان ذلك بشكل متباعد. وقد تصورت أنها تستحق جائزة الأوسكار، فقد مثلت الملهاة كأعظم ممثلة مؤكدة له أنه عاد واحداً من أعظم العشاق وأروعهم. لم تكن قد أظهرت الكثير من

الحماسة في ذلك الزمن البعيد لشهر عسلهما. لكنها أقسمت ألا تتراجع أمام الصعاب بغية إخراج غريغوري من أزمته العصبية، خاصة لكي تعيده إلى نيويورك التي كانا قد تركاها قبل ثمانية عشر شهراً.

مع ذلك، كانت جوديث قد استفادت كثيراً من هذا الغياب. فخلال الأشهر الثلاثة الأولى من إقامتها في لوزان، كان غريغوري مريضاً إلى درجة لم يسمحوا لها بزيارته.

لقد أجروا له أربعين صدمة كهربائية إلى أن اجتاز المرحلة المخيفة من الانهيار، بعدئذ بدأ يصعد السفح ببطء كبير. كانت جوديث قد استأجرت شقة صغيرة على مقربة من المستشفى. وخلال الأشهر الثلاثة التي كانت الزيارات ممنوعة فيها عهدت جوديث بنفسها لعناية طبيب أخصائي بالجراحة التجميلية.

رغم أنها صدمت في البداية فقد انتهت أخيراً إلى قناعة تامة بأن ذلك الجراح صنع الأعاجيب. لقد توقعت أن تستعيد وجهها الأول، وجه ابنة العشرين عاماً، لكنها على الأقل، تبدو الآن وكأنها في الثانية والثلاثين. امرأة ساحرة محتفظة بجمالها إلى حد يثير الإعجاب. هذا الجراح عبقري. بالتأكيد ما يزال لديها بعض التجاعيد الصغيرة في الصدغين ووراء الأذنين. لكنها وضعت شعراً مستعاراً أطول قليلاً وغيرت تسريحتها على نحو يغطي به أذنيها. ساسون، شخصياً، كان قد أوجد لها هذه التسريحة وكانت النتيجة رائعة. لم تكن متأكدة أن غريغوري مطلع على شيء. لقد أعلن لها ببساطة أنها رائعة الجمال وأن تسريحة شعرها مدهشة، فابتسمت، ترى ألم يلاحظ أن خطوط وجهها قد استعادت ثباتها القديم؟ كلا، فهو لم يلاحظ استدارة صدرها بل لم ينتبه للندوب الصغيرة التي كانت موجودة في نهديها ولم يلحظ التجاويف في فخذيها حيث أخذ الجراح شيئاً من الجلد.

غريغوري نفسه، عاد بهيئة رائعة. فشعره كان قد أصبح أصهب، وغدا رشيقاً برونزي اللون لكنه كان قد فقد كل رغبة في استعادة دفة السفينة. كانا قد عادا إلى نيويورك منذ أكثر من أسبوع ولم يكن غريغوري قد ظهر مرة واحدة في المكتب. بل كان يجد في كل مرة حجة جديدة للتهرب. أحياناً كان مجبراً للذهاب إلى خياطه، فلم يكن هناك أكثر من طقم واحد يناسبه بعد أن خسر خمسة كيلو غرامات من وزنه. في اليوم التالي، كان عليه أن يذهب إلى الريف ليرى كيف أصبحت خيوله. أخيراً، وضعته جوديث بنفسها على الباب بعد أن وعدها بالمرور على الآي بي سي.

وما أن غادر غريغوري حتى رفعت جوديث الهاتف واتصلت بروبن. لقد أجلت عن عمد هذه اللحظة. مع ذلك، فقد كان يعلم أنها عادت إلى نيويورك، ذلك أن غريغوري كان قد اتصل به مرات عدة بالهاتف. وكانت واثقة أن صمتها يحيره، وأنه يغلي نفاد صبر...

لم يجب رقمه الشخصي، فصدمت، لكنها امتنعت عن ترك رسالة له. ربما كان يعقد مؤتمراً. في الساعة الثالثة أفلحت في إيجاده، فبدا مسحوراً بمكالمتها. كان قد أمضى الصباح كله مجتمعاً بغريغوري الذي وجده في حالة رائعة.

ـ متى أراك؟ سألته.

ـ عندما تشائين، رد روبن بلهجة مجردة. فحين يرغب غريغوري أدعوكما كليكما للعشاء في المدينة.

ـ روبن، ليس هذا ما سألتك إياه، قالت جوديث بهدوء، بودي أن أقابلك، وحيداً.

فلم يجب.

ـ روبن هل سمعتني؟

ـ أجل سمعتك.

ـ متى وأين أراك؟

ـ مساء الغد، الساعة السادسة في منزلي.

ـ سأكون هناك. وسأترك كلمة احتج فيها لغريغوري بحفلة كوكتيل كي أتمكن من العودة في أية ساعة، فغريغوري ينام بعد تناول العشاء مباشرة.

في اليوم التالي، فضلت جوديث ألا تذهب إلى حلاقها العادي. لذا أخذت موعداً من حلاق نسائي في صالون بعيد، إذ لم تكن حريصة وهذه الندوب خلف أذنيها، أن يعرف شارع «بارك» بأكمله أنها أجرت عمليات تجميل لوجهها.

دخلت جوديث إلى الصالون بهدوء مقتنعة أن أحداً لن يعرفها. لقد سجلت نفسها تحت اسم ريشت. فمنذ عام كامل لم تكن صورتها قد ظهرت في الصفحة الأولى من مجلة «ملابس المرأة».

استقرت جوديث في حجرة صغيرة وسلمت يديها لغاسلة الشامبو التي راحت تدعكهما لها بقوة كبيرة. كانت جوديث تعلم أن هذه الفتاة ستلحظ ندوبها مباشرة. وبلا شك ستشعر بالغيرة من هذه الزبونة المجهولة ذات الملابس الساحرة. تلك البائسة، لم تكن قد بلغت الخامسة والثلاثين ولا شك، إنما كانت يابسة كالحطب: وركان ليس فيهما شيء، أصابع بلا لون لكثرة استخدامها الخضاب، حذاءان رياضيان أمسحان، ساقان مشوهتان من الدوالي بسبب الوقوف الدائم. كيف لا تحسد فتاة مسكينة كهذه امرأة تستطيع أن تدفع ثلاثة آلاف دولار من أجل إزالة بضعة تجاعيد؟

بعد الغسيل بالشامبو، كان على جوديث أن تغير حجيرتها إلى مكان التسريح، وكانت مستغرقة بتقليب عدد جديد من مجلة هاربر، حين سمعت الفتاة تهمس للحلاق الشاب:

- ستنال بخشيشاً ممتازاً يا ديكي، هذه هي السيدة أوستن، لقد عرفتها...

راحت جوديث تدخن سيجارتها بعصبية بالغة، بينما كان الحلاق الشاب يلف شعرها حول قرصه الدوار الكبير. وفاجأته وهو يتفحص ندوبها: «لقد أصبت بالتهاب أذني في العام الماضي» شرحت له بلا مبالاة.

فاتخذ ديكي هيئة الشفقة كي يؤكد لها أن أحد أصدقائه قد أجرى العملية نفسها. أحست جوديث بالارتياح من جديد حين أصبحت تحت مجفف الشعر. ستمضي لتزيين نفسها منذ أن ينتهي هذا الغلام من التسريحة. وتذكرت بكثير من الرضى ملابسها لداخلية الرائعة التي اشترتها من باريس. ندوب نهديها لم تكن تلحظ إلا بالكاد. صحيح أن العملية كانت شاقة، إلا أن نتيجتها تستحق الألم. فمنذ ذلك الحين كانت جوديث تشعر أن بوسعها منافسة أية مضيفة طيران.

غادرت جوديث صالون الحلاقة في الساعة الخامسة والنصف وهي تشعر بغبطة لم تشعر بها منذ سنين. هذا الغلام سرحها أجمل تسريحة. إنها تشعر بالرغبة في أن تصرخ فرحاً. في أن ترقص، تغني، لكنها اكتفت بالدخول إلى أحد المحلات حيث تناولت كأساً من الشاي بغية قتل الوقت. في الساعة السادسة إلا خمس دقائق، أشارت جوديث لسائق تكسي طالبة إليه إيصالها إلى عنوان روبن. نظر إليها البواب نظرة لا مبالية. لم يعرفها، وذلك بفضل النظارات الشمسية ولاشك، لكن كيف تراه سيعرفها بعد هذا الغياب الطويل؟

كانت أعصاب جوديث قد بلغت نهاية قدرتها على التحمل عندما قررت أن تقرع جرس روبن. فتح هذا الباب، وأشار لها بالدخول، بعدئذ التفت نحو الهاتف. بالتأكيد، كانت تنتظر أن تستقبل بشكل من الحفاوة مختلف كلياً! كان روبن يتكلم مع مراسل في كاليفورنيا مما ذكر جوديث بزوجها واستطلاعات الرأي العام اللعينة. صحيح أنها لم تأت إلا مرة واحدة لهذه الشقة لكنها تتذكر أدق الثواني التي عاشتها فيها. الأثاث، أصغر التفاصيل التافهة داخل هذه الشقة كان قد نقش في ذاكرتها. وأحست جوديث بأنها مشدودة قليلاً في ثيابها الداخلية الساحرة. المنهدة تشدها عند الكتفين، سروالها الصغير المصنوع من الدانتيل يحك بشرة الفخذين، لكن هذا كله ليس بشيء، وراحت تواسي نفسها وهي تتخيل إنها ستفاجئ روبن، ستدهشه حين ترفع ثوبها: هذه المرة سيفاجأ فالتينو فالقميص الداخلي يزرر من الأمام كيلا يمر فوق الرأس ويفسد التسريحة.

أغلق روبن الخط ثم جاء نحوها ممسكاً بكلتا يديها، شاداً عليهما، مرحِّباً بها. كان روبن يبتسم، إلا أن جوديث لاحظت تجعيدتين عميقتين تنحفران بين حاجبيه.

ـ هل لديك إزعاجات؟ سألته جوديث.

ـ أجل، رودي كولين.

ـ من هو هذا؟

فابتسم ابتسامة مرحة:

ـ أنت لم تغيبي عن نيويورك هذه المدة الطويلة وحسب، بل أعتقد أنك لم تفتحي التلفزيون منذ عودتك؟

ـ أعترف بذلك، وغريغوري نفسه مثلي. لقد استطاع أن يتخلص من التلفزيون بفضلك.

جلس روبن على الديوان ومد يده بعلبة السجائر إلى جوديث.

- رودي كولين هو نجمنا الجديد، استأنف روبن الحديث بلهجة المهموم، فيلمه الأخير فيلم غربي حقق نجاحاً ضخماً. هذا الرجل يستخدم المسدس بصورة تفوق أياً كان. فتى رائع، طوله متر واثنان وتسعون سنتاً، ساحر الهيئة، والآن أعلم أنه لوطي.

فهزت جوديث كتفيها. كل ما يهمها الآن هو أن يعانقها روبن، بينما راح هو يذرع الغرفة دون أن يتطلع إليها. فذهنه مشغول بالخبر المفجع.

- برأيك، ألا يحق للممثل أن يعيش كما يشتهي؟ سألته.

- بالتأكيد، حياته الخاصة لا تهمني، طالما بقيت خاصة. إنني لا أهتم قيد شعرة بما يفعله في السرير ومع من لكنه لا يكتفي باستقبال الشاذين عنده، بل هو يتنكر، يلبس ثياب امرأة ويذهب لاجتذاب الرجال في علب الليل. جوديث هل تقدرين معنى هذا.

متر واثنان وتسعون سنتاً، أكثر ممثل مرئي على الشاشة الصغيرة، يقوم بدعاية مسحوق تستخدمه جميع العائلات الأمريكية. يدخل إلى مشرب بثياب امرأة تبحث عن رجل! (فقهقهت ضاحكة) ليست هذه دعابة، أؤكد لك. قبل لحظة قال لي وكيلي إن رودي هوجم بقوة من قبل مجهول. ثم تدخل البوليس، لكن لحسن الحظ تنبه محامونا في الوقت المناسب ونجحوا هذه المرة بلفلفة القضية. لكن ليس باستطاعتنا أن نقيم عليه حراسة، ليلاً نهاراً.

- روبن، لقد تركنا هذا كله منذ زمن طويل... ولا بد من إعطائي بعض الوقت كي أعتاد عليه من جديد هذا المساء، نحن معاً أخيراً، فلا تفكر بالتلفزيون وأهله.

فتطلع إليها كما لو أنه يراها للمرة الأولى.

ـ هذا صحيح. أنت محقة تماماً. هل تريدين تناول كأس؟

ـ ولم لا؟ ستشرب، فالمهم هو إذابة الجليد بينهما.

ذهب روبن إلى مشربه الصغير ثم أحضر كأسي وسكي.

ـ غريغوري في حالة رائعة، قال روبن وهو يقدم إليها الكأس. إنني سعيد، بالتأكيد لأنه يريد أن يترك لي الإدارة. لكن رغم ذلك عليك إثارة اهتمامه من جديد...

ـ هل تصدق أنه لا يهتم بأعماله؟

ـ لقد سجلت هذه الملاحظة، هذا الصباح أيضاً. فقد استدعى الجميع وقال لهم إنه راض عني... وإنه ينوي أن يلعب الجولف صباحاً ثم يذهب لرؤية خيوله بعض الظهر.

فهزت كتفيها ثم قالت بهدوء:

ـ أجل، هذا صحيح. إذن! دعه يلعب جولفاً ويشتر خيولاً.

ـ جوديث، لقد فكرت بأنه حين يستعيد صحته، سيعود لاستلام مؤسسته، وقد قررت أن أكافح دفاعاً عن مصالحي، ثلاثون بالمائة من عقود الدعاية وقعت بفضلي. لكنني أقدر أن على غريغوري أن يبدي شيئاً من الاهتمام بالآي بي سي. البطالة لا تناسبه أبداً، وأنا أود أن أعمل معه، أناقشه في كل شيء، وإنني لعلى استعداد لقبول انتقاداته ولومه إن اقتضى الأمر. فهنالك ألسن لئيمة تتقول بأنني أنا صاحب الآي بي سي الآن، ولقد أثارني هذا، خاصة حين فكرت بغريغوري، فهذه الأقاويل قد تسبب له ألماً، وأنا حريص على صداقته الحرص كله.

وضعت جوديث كأسها على الطاولة المنخفضة ثم حدقت إلى روبن بإمعان شديد قائلة له:

ـ دعني أعمل. إنها شبكتي أيضاً، هل تعلم ذلك؟

ـ جوديث؟ بإمكانك أن تتكلمي بهذه الطريقة لأنك لست في المغطس تماماً. لكن انتظري إلى أن تقعي فيه ولسوف تغيرين نظرك. أنا أكره المقابلات، والصحفيون يحقدون علي بسبب ذلك، صدقيني. وإن لم يوافق غريغوري على الوقوف إلى جانبي والكفاح معي كما كان في السابق فسوف ينتهي إلى النسيان. وهو في الخارج، كان من السهل تفسير الأمور تماماً، لكنه الآن في نيويورك. وإذا لم يقرر التدخل في العمل حالاً فإن الصحفيين سيفرحون بذلك وسينشرون في كل مكان أن غريغوري قد تخلى لصالحي، وإنني من الآن فصاعداً صاحب الآي بي سي.

إنني أعرف بشكل خاص صحفياً حقيراً يحمل لي بغضاء لا تنطفئ. إنه ذلك الرجل الذي رفضت إشراكه في أحد برامجنا المتلفزة، ذات يوم. هو أبله مسكين حقاً، لكن حقده من النوع الفظيع الدائم العنيد. وهو لم يتوقف عن تسويد الصفحات المليئة بالدس علي مصراً على تسميتي بالرجل الآلي.

فسددت إليه نظرة مستفهمة:

ـ وهذا اللقب، ألا تستحقه فعلاً؟

فابتلع روبن وسكيه بجرعة واحدة:

ـ عزيزتي، دعي لي بعض الوقت لإعادة ترتيب نفسي. لقد ذهَّبْتِ نفسك بشمس شواطئ الآزور في حين لم يكن باستطاعتي قضاء عطلة الأسبوع في ضواحي نيويورك.

ـ مع ذلك، فإن لك هيئة رجل قوي تماماً، يا روبن.

فاقترب منها ثم أجبرها على النهوض. وحين شبكته جوديث وبلغا ذروة المتعة رن جرس الهاتف فجأة مما جعلها تنتفض وتقول له شبه متوسلة:

ـ روبن لا تجب.

ـ مستحيل، إنه الخط المباشر مع مكتبي.

وهكذا تخلص من عناقها ثم ذهب إلى الهاتف ورفع السماعة «ألو. نعم؟ آه! لا مصائب يا ديب. هل رآه دان، نعم أم لا؟ هل قلت لا؟ أنا لا أعرف بوستون سلافيت. الحقيقة نعم، سمعت كلاماً عنه. هو كاتب يبدو أنه لا يملك الوقت للذهاب إلى الحمام. باستطاعتك أن ترسله إلى الشيطان.. هل قلت إنه رائع؟ تستطيع أن ترتب أمر قاعة الأضواء حتى متى؟ حسناً، سأكون هناك، من هنا إلى عشرين دقيقة.» وأغلق الهاتف.

ـ هم ينتظرونك؟ هل أعطيت موعداً لأحد؟ لم تكن قد استطاعت تصديق ذلك.

ـ إنه ديب نلسون. يبدو أنه اكتشف موضوع فيلم رائع. (وأخذ روبن كأس الوسكي الذي كان قد أفرغه بجرعة واحدة) ديب يدعي أن علي أن أشاهد هذا الفيلم الليلة، قبل أن يعرضوه على الدور المنافسة، ومن المستحيل رفض ذلك.

فبدت مندهشة:

ـ ومن هو ديب نلسون؟

ـ عزيزتي، هذه قصة طويلة للغاية. لقد كان في الماضي نجماً سينمائياً، مشهوراً. أما الآن فهو منسي يريد أن يتأهل من جديد وأن يصبح مخرجاً. لقد اشترينا منه سلسلة عروض أعدها بالتعاون مع دانتون ملر. هيا... (ومد لها يده مساعداً إياها على النهوض) جوديث، أفضل أن تذهبي بدوني، فأنا سأنزل خلال بضع دقائق.

ـ ومتى أراك؟

ـ سأهتف لك غداً حوالي الحادية عشرة.

ثم طبع وهو شارد البال قبلة على وجنة جوديث، بعدئذ رافقها إلى الباب الخارجي. لكنها شعرت بأنه كان بعيداً عنها للغاية. أخذت المصعد ثم هبطت إلى الشارع حيث لوحت لسيارة نقلتها إلى منزلها. وعندما دخلت الصالون رأت غريغوري يهم بصب كأس مارتيني، فأطلق صيحة تعجب:

ـ الآن عدت يا عزيزتي؟ أية مفاجأة سعيدة! لقد وجدت بطاقتك فتعشيت وحيداً، يا لله! كم أجد هذا المساء جميلاً! هل تريدين كأساً؟

أخذت جوديث الكأس من يد غريغوري ثم بللت شفتيها. وفي تلك اللحظة قالت لنفسها، بكثير من المرارة، إن روبن لم يلاحظ إلى أية درجة كانت قد تجملت واستعادت شبابها.

في اليوم التالي، وبعد أن انتظرت الهاتف الموعود حتى الساعة الواحدة بدأ الغضب يتملك جوديث. في البداية كانت قد هدأت نفسها بالقول إنه قد يكون على موعد وأنه يتغدى في المدينة وسيهتف لها الساعة الثالثة. أو ربما ظل محاصراً في العمل؟ كانت تدور في حلقة داخل غرفتها دون أن تعرف ماذا تفعل. لقد كانت مسرحة الشعر متبرجة، لكنها لم تكن ترغب في أن ترتدي ثيابها. كانت تأمل كثيراً أن يدعوها كي يتغديا معاً ويثرثرا بكل رقة وحيدين. لكن بعد أن تأخر الوقت بات عليها أن تقتنع بالذهاب لتناول كأس معه. ربما سيحتجزها حتى المساء، ولن يكون عليها إلا أن تعلم غريغوري بألا ينتظرها على العشاء.

أخذت جوديث ورق لعب وبسطته على السرير: «فتحة ورق»، هذا شيء ممتاز لتهدئتها، ثم قالت لنفسها: إن خرجت خمس ورقات فإن روبن سيخابرها الساعة الرابعة، عشر ورقات، الساعة الثالثة، كي يعتذر وأنه لم يستطع مكالمتها في وقت أبكر. خمس ورقات سيأخذها إلى اللانسر للعشاء أما إن فتح الورق كله فسيقول لها إنه يحبها حتى

الجنون. فتحت ثماني ورقات... فبدأت من جديد فتحة أخرى. هذه المرة خرجت خمس عشرة ورقة. كلا، لا يجوز الغش. فلتبدأ دون غش. ولا ورقة خرجت. هل عليها إذن أن تستنتج أن روبن تخلى عن فكرة مخابرتها كلياً؟

الساعة الخامسة، وقد بلغت حافة اليأس، اتصلت به. أدارت رقم هاتفه في المكتب لكن دون أي جواب. فاستنتجت أن روبن غير موجود في مكتبه. دخل غريغوري حوالي الساعة السادسة وكانت ما تزال في رداء المنزل. فلاحظ حالاً أنها مسرحة الشعر متبرجة.

ـ هل سنخرج هذا المساء يا عزيزتي؟

ـ أود ذلك كثيراً.

فابتسم ابتسامة مفعمة بالطيبة:

ـ إنني أقدر أفكارك، فأنت تشعرين بأن أصدقاءنا أهملونا لكننا غبنا فترة طويلة جداً، ومعظم الناس يجهلون أننا عدنا.

ـ هذا صحيح تماماً، إذ كان علي بالأساس أن أخابر أصدقاءنا كي أقول لهم إننا هنا.

فتنهد غريغ:

ـ أقول لك الحق، هذه الحياة البسيطة الهادئة لا تزعجني. فهذا المساء يمكننا أن نتعشى بكل راحة وحيدين ثم نشاهد برنامجاً تلفزيونياً جيداً....

ـ برأيك، ماذا فعلت خلال هذه الأشهر الثمانية عشر؟ فأربكته ملاحظة جوديث، ثم قال بشيء من الاضطراب:

ـ بيدك حق، ارتدي ثيابك وسآخذك إلى كولوني، جيد؟

ـ وحيدين؟

ـ أجل، أنا وأنت، قال غريغ مبتسماً.

فقالت بشيء من الحيرة:

ـ وماذا ستكون هيئتنا؟

ـ هيئة أناس يتعشون في كولوني.

ـ كما لو أننا وحيدان في العالم. ليس لنا صديق.

ـ ربما لم يكن لنا صديق يا جوديث. على كل حال، ليسوا نادرين من ليس لهم أصدقاء.

ـ هذه ترهات يا غريغ. في الماضي كان الناس كلهم يتزاحمون لدعوتنا.

ـ دعوات، قال غريغ منزعجاً قليلاً، دعوات لحضور حفلات تدشين، معارض، حفلات عشاء في المدينة، كوكتيلات، حسناً، لنفترض أنهم نسونا.

ـ سأعمل على تذكيرهم بنا.

فهز كتفيه:

ـ أعطيك بطاقة بيضاء وباستطاعتك أن تتصرفي كما تشائين. شيء آخر، إنك أنت التي كنت تهتمين بأمورنا الدنيوية دائماً.

اجترت جوديث هذه المحادثة طوال الهزيع الأول من الليل، دون أن تظفر بالنوم، كيف ستتدبر الأمر للانطلاق من جديد في ميادين النشاط الاجتماعي؟ صديقات حميمات، ليس لها صديقة حميمة واحدة. معارف، أجل بالتأكيد، لا ينقصها شيء من ذلك، نساء رائعات يجتمعن للغداء، ويتحدثن بالتفاهات والنميمة والغيبة ويتشاكين الهموم.

جوديث، نفسها، لم تكن تبوح بهمومها لأي كائن. كانت تظل دائماً في برجها العاجي، واحدة من الضيفات الأكثر أناقة وروعة في

نيويورك. الدعوات؟ كان آل أوستن يغرقون بها، ولم تكن تمر حفلة تدشين أو معرض أو احتفال... وفجأة تحققت أن حياتها الدنيوية برمتها مرتبطة بمهنة غريغوري. إن كان أحدهم يقدم تمثيلية جديدة في برودوي فقد كان المخرج يدعوهم إليها، ببساطة لأنه يحاول هو أو صاحب المسرح أن يوقع عقداً مع الآي بي سي، أو يشغل واحدة من ممثلاته في أحد برامج التلفزيون. وما إن يصل نجم إلى نيويورك حتى يحرص على الاتصال بغريغوري ودعوته للعشاء هو وزوجته. لكن الهاتف لم يكن قد جاء بشيء كهذا منذ عودتهما. فاقتنعت جوديث أن أمورها سيئة وأن عليها أن ترتب الأمور من جديد. لم تكن قد فكرت بشيء مذ شغلها التفكير بروبن. اعتباراً من الغداة، عليها أن تبدأ العمل. ربما كان عليها أن ترتب عشاء صغيراً للأصدقاء؟ ستدعو دولوري وجون تيرون، فهذان يقبلان الدعوات دائماً.

في اليوم التالي، اتصلت جوديث بدولوري فبدت هذه مسرورة السرور كله بسماع أخبارها.

ـ آ، يا عزيزتي ها أنت ذي عدت أخيراً! ستحضرين بالتأكيد الاحتفال الذي سيقام يوم الجمعة القادم على شرف جون سترلاند؟

ـ الحقيقة يا دولوري، لم يتح لي الوقت لتنظيم ارتباطات الأسبوع القادم. أنت أول صديقة أتصل بها، فأنا لم أنته من تفريغ حقائبي بعد.

ـ أجل، فهمت. لا بد أنك منهكة من كل تلك المهرجانات والاحتفالات التي أجبرت على حضورها في أوروبا. إنني أموت شوقاً لسماعك وأنت تروين ذلك بالتفصيل. هل قابلت غريس في «الميدي»؟ لقد سمعتهم يروون قصة مهرجان رائع أقامته في موناكو.

ـ الحق، أننا كنا في كابري أنا وزوجي حين أقاموا ذلك المهرجان.

ـ لكنني متأكدة أنه لم يفتك الاحتفال الذي أقيم في «كوردا»؟ لا بد أنه كان شيئاً رائعاً.

ـ سنتكلم عن ذلك كله حين نلتقي. فأنا أيضاً أنتظر بفارغ الصبر سماع أخبارك وأخبار أصدقائنا بعد هذه الغيبة الطويلة.

ـ لا بد أنك أمضيت وقتاً ممتعاً جداً في أوروبا يا عزيزتي. وقد فعل غريغوري عين العقل في اعتماده على شخص قوي كروبن ستون... قولي لي عزيزتي، بيننا، هل كل ما يقال عن روبن صحيح فعلاً؟

ـ وماذا يقال عنه؟

ـ أوه! أكوام من الأشياء... حفلات جنس جماعية، أحاديث عن أنه لا يحتقر... الغلمان الجميلين! إنهم يرونه في كل مكان مع رجل جميل جداً، نجم سينمائي قديم، لا بد أنك تعرفينه، إنه زوج بولي نلسون.

ـ من هي بولي نلسون؟

ـ عزيزتي، واضح أنك غبت مدة طويلة! بولي نلسون حققت سيطرة كاملة في برودوي منذ عام. لنعد إلى روبن ستون، سيسحرني أن أتعرف إليه، هل يمكنك ذلك؟

ـ لا أسهل من ذلك. سأقيم حفل عشاء صغير للأصدقاء وسأدعوه إليه. أي يوم من هذا الأسبوع يناسبك أكثر؟

ـ عزيزتي؟ ليالينا محجوزة لخمسة عشر يوماً قادمة. لا تحدثيني عنها! لكن حاولي أن تدعي روبيننا، لـ... ليكن، الخميس، في الخامس عشر. كوني لطيفة. واتصلي بي لإعلامي بالموعد النهائي الذي ستختارينه. سأسجله في لوحة مواعيدي. يا للسماء! أحدهم يطلبني على الخط الآخر، اعذريني، هذا هو حلاقي قد وصل للتو ليصلح لي تسريحتي. الساعة الحادية عشرة وعلي أن أكون في (الجرينوى) الثانية عشرة، إلى اللقاء يا عزيزتي.

حاولت جوديث الاتصال ببضعة أشخاص آخرين، وكان الجميع يعلتون أنهم مسروورون جداً بمعرفة نبأ عودتها. لكنهم جميعاً كانوا «مشغولين للغاية» والكل يعد نفسه لحضور الكثير من الاحتفالات، والعشاءات، وتدشينات بداية الموسم الكبرى.

عشاء صغير حميم في كولوني كان مستحيلاً تماماً. فحزمت جوديث أمرها وقررت إقامة حفل استقبال كبير في منزلها.

حددت الأول في تشرين الأول موعداً لذلك ثم أخبرت دولوري التي كانت في طريقها للخروج، واستغرقت بعض الوقت لاستشارة مفكرتها:

ـ عزيزتي العظيمة؟ لا تفكري به، إنه اليوم الذي سيدشن فيه افتتاح «ريجال الجديد» النادي المخصص للمقربين. ستكونين ولا شك واحدة من الجماعة، تفحصي بريدك. ستجدين بطاقة الدعوة بالتأكيد. لماذا لا تقيمين حفل استقبالك في الثامن من تشرين الأول؟ سنكون فارغي الأشغال. كوني ملاكاً وخابريني إن كان الثامن من تشرين يناسبك؟ لقد تأخرت كثيراً جداً، إلى اللقاء العاجل يا عزيزتي الطيبة.

وجربت جوديث حظها مع بيتس أكلند. الثامن من أكتوبر؟ هل تخلت جوديث عن حضور ذلك المعرض الكبير الذي سيتبعه عشاء في «رواق برنار»؟ دوقة وندسور وعدت، مبدئياً، بأن تشرف المعرض بحضورها. ولا يمكن لجوديث أن تفوت هذا المعرض!

أغلقت جوديث الهاتف وشرعت بالاطلاع على بريدها الذي كان ينتظر على صينية الفطور. فواتير عدة، إعلان من سيك، رسالة من أختها، ما من دعوة واحدة. شيء لا يصدق، لم يعودا في مجرى الأحداث. أن تكون مجبرة على الانحناء أمام رغبات واحدة مثل دولوري وأخرى مثل بيتس، أي شيء مرعب!! في الماضي، لم يكن على جوديث إلا أن تختار اليوم وتعطي لأمينة سرها لائحة

المدعوين، والكل يستجيبون دون استثناء. الآن، عليها هي أن تتدبر أمرها كي تتوافق مع رغبات هؤلاء السيدات! هل غياب ثمانية عشر شهراً كاف لدفن حياتها الاجتماعية بكاملها؟

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف ولم يكن لديها ما تفعله. أدارت رقم روبن بإصبع ترتجف غضباً. بعد الرنة الثالثة ارتفعت السماعة في الطرف الآخر، فلاحظت ضجة وأصواتاً. لدى روبن زوار في المكتب «نعم؟» قال روبن بصوت خال من أية عاطفة أو شعور.

ـ آسف، كان محالاً علي أن أخابرك، كثير من المشاغل، نعم. هل يمكنني الاتصال بك مساء، أو صباح الغد؟

فأغلقت الهاتف. والآن، ما العمل؟ لقد تحملت عبء التبرج، ولا بد من أن تراه. إذ ما إن تصبح قربه حتى يغير موقفه. أبداً لم تفتها ملاحظة الإعجاب في نظرته ذلك المساء عندما ذهبت إلى شقته، ولم تحصل على شيء، بسبب ذلك الاتصال الهاتفي المشؤوم الذي قلب كل شيء.

لقد اتخذت قرارها، ستذهب إلى مقابلته، وسترتب الأمور بحيث يعتقد أن اللقاء حصل بالمصادفة، أجل، لا بد من ذلك، فهي لا تملك مزيداً من الشجاعة كي تنتظر إلى ما لا نهاية. لننظر قليلاً، ربما يذهب إلى الغداء الساعة الواحدة ويعود إلى الآي بي سي في الساعة الثانية وأثناء عودته يلتقي بها.

لبست جوديث ثيابها بكثير من العناية، كلا، لا قبعة. يكفي معطفها الطحيني ذو القبعة السمورية. وفي الساعة الثانية إلا عشر دقائق وصلت أمام بناية الآي بي سي ثم دخلت كشك الهاتف الواقع في زاوية الشارع وطلبت مكتب روبن. فأجابت أمينة سره ثم طلبت الاسم، فقالت جوديث بشكل عرضي: الآنسة وستون من دارنيلون.

ـ هل تريدين أن يتصل بك السيد روبن؟ لن يتأخر بالعودة.

ـ لا، شكراً، سأكلمه ثانية.

حسناً، لقد عرفت أنه غادر إلى المطعم، إذن لن تنتظر طويلاً. تذكرت جوديث المكتبة الملاصقة لبناية الآي بي سي. فذهبت إلى هناك وتظاهرت بالاهتمام بالكتب المعروضة في الواجهة. ستبقى هنا إلى أن يمر ثم تتظاهر بأنها هنا بمحض المصادفة.

انتظرت جوديث عشر دقائق بدت لها طويلة كالأبدية. إلى متى يمكنها البقاء هكذا وهي تتفحص الكتب؟ ثم هذه الريح التي بدأت تنفخ. لكنها لحسن الحظ، كانت قد اتخذت احتياطاتها في تثبيت غرتها جيداً. ثم راحت تتساءل إن كان البواب قد لاحظها، أو ميزها؟

وشعرت بشيء من البرد، كما بدأت عيناها تغرورقان. هل بدأ كحلها يسيل؟ كانت هناك مرآة ضخمة على يسار المكتبة، فاقتربت منها ثم تأملت نفسها فرأت بشكل واضح عدة آثار من الكحل على أجفانها. أهدابها لم تعد مرتبة كما كانت. هذه هي مشكلة الشقراوات الطبيعيات. فمع الأيام يغمق شعرهن بينما تبقى أهدابهن شاحبة. أخيراً أخرجت منديلاً صغيراً من حقيبتها وحاولت مسح ذرات الكحل التي كانت تلوث أجفانها.

ـ ذرة غبار في عينك؟

فدارت على نفسها، إنه روبن.

وبرؤيته أمامها، في وضح النهار، ومنتصف الشارع، أدركت جوديث فجأة كل ما أنجزه تخطيطها، ذاك الذي لم يؤد إلا إلى مشهد غريب. فرفعت عينيها وأفلحت في أن تبتسم:

ـ كلا، لا شيء. قليل من الكحل فقط. وهذه الريح... (فقد اعتقدت أنها مجبرة على إعطائه تفسيرات) لقد تغديت مع إحدى الصديقات، وكان الطقس جميلاً، أردت أن استمتع بالشمس وأتمشى قليلاً، فأرسلت السائق لكن انظر كيف تحول الطقس فجأة.

ـ هل تريدين أن أوقف لك سيارة؟

ـ أجل، أرجوك، قالت جوديث محاولة إخفاء خداعها.

ورافقها روبن حتى زاوية الشارع حيث أشار إلى سيارة كانت تعبر الطريق.

ـ جوديث، كنت قد وعدت بأن أكلمك، وقد انشغلت كثيراً فلم أستطع فعل ذلك.

ـ بالتأكيد، فهمت. لكن...

وتوقفت السيارة أمامها فتملكها الغضب، سيارات لا يجد المرء واحدة منها عندما يكون بحاجة إليها، وهاهي ذي السيارة اللعينة تأتي بسرعة كما لو أنها في سباق الجائزة الكبرى.

فتح روبن الباب، ثم قال:

ـ جوديث، سأهتف لك.

وما إن وصلت إلى منزلها حتى أسرعت إلى غرفتها ثم تهاوت على السرير. ودون أن تهتم بزينتها بكت جوديث دموعاً حارة.

في الساعة الخامسة، ابتعلت قرصاً منوماً وارتجلت بضع كلمات تنبئ غريغوري أنها مصابة بالصداع. وقبل أن تنام كانت تتساءل إن كان روبن قد شك بأنها اصطنعت هذه المقابلة «العرضية».

هذه المقابلة أقلقت روبن. لقد فكر بها طوال بعد الظهر. ودهش من نفسه لتأنيبه أمينة سره، وظهوره بمظهر غير مهذب تقريباً تجاه آندي بارينو ورده بشكل غليظ جداً على الهاتف عندما اتصل به جيري كي يدعوه إلى اللانسر. حين عاد إلى منزله، أعد كأساً كبيرة من الوسكي وحاول أن يشاهد التلفزيون. لكن فكرة جوديث لم تفارقه. لقد بدت له فاقدة السيطرة على نفسها تماماً وهي مزروعة أمام المكتبة... تفسيرها التافه أدهشه، المسكينة لا بد أنها كانت في غاية

البؤس كي تضطر لرصده في الطريق. يالله، كيف يحدث شيء كهذا؟ هل عاشت كيتي الحالة نفسها مع غلمانها؟

أمسك روبن بصحيفة بين يديه، محال أن يستطيع القراءة. فثار على نفسه، آه، أبداً، لن يعذب نفسه بسبب جوديث! قديماً، كانت أماندا تحبه، هي الأخرى، وقد تعرف على جيش من الفتيات لم يكن ينتظرن إلا إشارة منه ليلقين بأنفسهن بين ذراعيه، فتيات لم يكن يعشن في شقق راقية وليس لهن أزواج كزوج جوديث. أجل، لكنهن كن شابات، لم يكن قد بلغن الخامسة والخمسين، ولم يكن عليهن أن يخضعن لعمليات تجميلية. لم يشر روبن إشارة واحدة للمسألة إلا أنه كان قد أصيب بنوع من الخبل حين رآها بتلك البشرة الملساء وسيماء الوجه الشابة تلك، وذلك الصدر الكامل الاستدارة تقريباً، حينذاك تذكر كيتي مرة ثانية. إلى الشيطان إذن! هناك أكوام من النساء الغنيات اللواتي تجاوزن الخمسين واللواتي قمن بمسح التجاعيد من وجوههن، لماذا عليه أن يشعر بالذنب تجاه جوديث؟

وقلب صحيفته محاولاً أن يجلو أفكاره عندما لفتت نظره فجأة صورة ديب نلسون وهو يضحك ملء فمه، مصحوبة بمقابلة معه، محررة بأسلوب ديب الفريد نفسه. «التلفزيون بحاجة لدم جديد». ولهذا السبب ألح روبن ستون على أن يشتري منا، أنا ودانتون ملر، مشروع برنامجنا. فالتلفزيون يعاني لأن كثيراً ممن يمارسون المهنة لا يعرفون شيئاً عن البرامج الاستعراضية، بينما أنا....

فألقى روبن بالصحيفة إلى طرف الغرفة الآخر. ثم رفع السماعة طالباً ديب:

ـ هذا يكفي! إنني أمنعك من إجراء مقابلات من هذا النوع في المستقبل، صرخ به روبن عبر الهاتف، أنت تتكلم كثيراً، لكن ستخرس من اليوم فصاعداً. إنه أمر!

ـ سمعاً وطاعة، أيها الأخ العجوز. لكنني أقدر رغم ذلك أنك لن تخطئ وترفض مشروعي الثاني الذي عرضته عليك، فأنا نفسي أجده ممتازاً.

ـ قذارة جميلة، نعم!

ـ يبدو أنك في مزاج حسن، هذا المساء!

فلم يتكلف روبن جهد الرد عليه بل أغلق الهاتف بنوع من الوحشية. ثم سكب لنفسه كأساً من الكحول، كأساً ثانية. وحين دقت الساعة الحادية عشرة كان قد فقد وعيه تماماً.

صباح اليوم التالي، استيقظت جوديث بشعور من ارتكب إثماً كبيراً. بعدئذ، تذكرت أحداث الأمس والتفصيلات التي كانت كافية لأن تملأ عينيها بالدموع. كانت الساعة التاسعة وكان غريغوري قد أخبرها منذ الأمس أنه ينوي الذهاب إلى «ويستبري» كي يرى هناك خيولاً للبيع. أمامها نهار كامل من الحرية، يوم من الفراغ. دخلت جوديث إلى غرفة زوجها على رؤوس أصابعها، لقد ذهب من قبل. وحين يخرج غريغوري في وقت مبكر من الصباح يكون ذلك إما للعبة جولف أو للقيام بزيارة لخيوله. أما هي فليس لديها ما تفعله. فتحت خزانة الأدوية وأخذت منها منوماً. الليلة الماضية، كان ذلك القرص الصغير قد أثر فيها على الفور. فابتلعت قرصاً.. لم لا؟ سيسمح لها هذا بأن تلقى بعض الراحة، وذلك أفضل بكثير من جرجرة نفسها في الشقة وتأمل رنة هاتف، لن تأتي.

لم يترك لها المنوم مجالاً للانتظار. فهي لم تكن تود تناول أي شيء. لكنها راحت تتساءل إن كان يجب أن تخبر وصيفتها بأن تقدم لها كأساً من الشاي، إلا أن الوقت أدركها فاستغرقت في سبات عميق.

سمعت جوديث رنة الهاتف كما لو أنها آتية من بعيد. فقامت بمحاولة للاستيقاظ، لا بد أن الرنة قريبة جداً وملحة. فأمسكت بالهاتف... يالله! إنها الرابعة والنصف وقد نامت منذ الصباح.

ـ آلو جوديث؟

إنه هو. لقد فكر أخيراً في أن يكلمها، وكانت ما تزال نصف نائمة... فسأل:

ـ هل أزعجك؟

ـ لا، أبداً. كان لدي صباح مشحون للغاية، وقد عدت لتوي إلى المنزل محاولة أن أرتاح قليلاً.

ـ في هذه الحالة، أفضل أن أتركك.

ـ لا، لا، أنا لست نائمة... قالت ذلك راجية ألا يفضحها صوتها.

ـ جوديث، لقد نجحت في أن أنتهي من عملي هذا اليوم وقد تساءلت إن كانت لديك رغبة في أن تشربي كأساً معي.

ـ الحقيقة، أموت رغبة في ذلك.

ـ تمام. عندي، خلال نصف ساعة، موافقة؟

ـ لتكن ساعة، قالت جوديث، إنني أنتظر مكالمات هاتفية بخصوص جمعيات الإحسان.

ونهضت متأرجحة ثم رنت طالبة من وصيفتها أن تحضر لها فنجاناً من القهوة السادة. آه! لماذا ابتلعت ذلك المنوم اللعين؟ روبن اتصل بها، إنه يرغب في رؤيتها!

جلست جوديث أمام مرآة زينتها وهي ترشف قهوتها رشفات صغيرة. لقد شربت ثلاثة فناجين، وفجأة شعرت أنها أفضل بكثير، إنما ليست كاملة الوعي تماماً. مع ذلك، قررت أن كفيها لم تعودا

ترتعشان كما شعرت بثقة كافية بنفسها كي تبدأ زينتها. كان شعرها في حالة كاملة من الفوضى، فقررت أن تضع شعرها المستعار، إذ لم تكن تود أن تغامر بالظهور أمام روبن بتسريحة سيئة. ربما لن يطلب منها ممارسة الحب هذا اليوم. إذ ينبغي عدم قسره، وعليها أن تنتظر... روبن دعاها، لقد كان يود رؤيتها وهذا بحد ذاته أمر رائع.

كتبت جوديث على ورقة تشرح فيها لغريغوري أنها ذاهبة إلى حفلة كوكتيل خيرية وأنها قد لا تعود إلا في وقت متأخر.

كان رأسها ما يزال فارغاً قليلاً حين قرعت جرس شقته. جاء روبن يفتح الباب لها بكمين مطويين وعقدة مفكوكة. ثم أمسكها من يدها وقادها إلى الصالون، ودون أن ينبس بكلمة انحنى عليها ثم طبع قبلة بالغة الرقة على شفتيها. وفجأة، وبنوع من الزهو الذي لم تحسب نفسها قادرة على الإحساس به، ألقت بنفسها على عنقه في عناق محموم. ودون أن ينبس بكلمة أيضاً أخذها إلى غرفة النوم ممسكاً بخصرها. ثم جرى كل شيء وكأنها في حلم.

كانت الساعة قد دقت التاسعة والنصف حين عادت جوديث إلى منزلها. فوجدت غريغوري جالساً في سريره يستعد لمشاهدة التلفزيون. قبلته بلطف، وبكل غنج قالت كم هي آسفة لعدم تمكنها من حضور العشاء معه. فابتسم ثم داعب شعرها متسائلاً:

ـ هكذا، أنت مسرورة؟ ها أنت ذي قد عدت إلى حلقاتك الاجتماعية؟

ـ أوه! بالكاد، فقد حضرت اجتماع لجنة لم ننته منه. بعدئذ ذهبنا مع بعض السيدات لتناول كأس في الـ/21/.

ـ يسرني هذا يا عزيزتي. هل تودين أن أطلب لك شيئاً؟

فهزت رأسها:

ـ لا، شكراً، لقد تناولت كأسين من «ماري الدموية» وأفضل الذهاب إلى النوم مباشرة.

كانت جوديث جائعة للغاية إلا أنها كانت تتعجل الذهاب لتنفرد بأفكارها. وكانت تود أن تنام أيضاً. فلا عذاب بعد الآن. غداً سترى روبن، وما عدا ذلك لا يهم.

خلال الأسابيع التالية تركز وجود جوديث حول روبن. لقد كان يهتف لها بصورة عامة حوالي الساعة الحادية عشرة لتحديد موعد اللقاء. ولكي يتجنب المقابلات، لاسيما مع جيري وديب فقد تخلى عن تناول وجباته في اللانسر لكي يأخذ جوديث إلى مارش، المطعم الهادئ الذي اعتادا عليه إلى حد أصبحت معه جوديث تقول دائماً حين تذكره: مطعمنا الصغير. والأيام التي لم تكن تستطيع رؤية روبن فيها كانت تستمتع بالمرور في شارع «مارش» متأملة إياه من بعيد، مفكرة بروبن. وغالباً ما كانت تصحبه بعد تناول الغداء إلى شقته، وذات يوم أوصلته بسيارتها إلى المطار، فقد كان عليه أن يسافر بسرعة إلى لوس أنجلوس. أية سعادة أن تكون في سيارة بصحبة حبيبها المعبود!! لقد كانت تهنئ نفسها على أنها حملت أدوات زينة ساحرة من باريس. لكنها راحت تفكر بخزانة ثيابها الشتوية. كان غريغوري قد وضع في رأسه أن يذهب لقضاء فصل الشتاء في بالم بيتش وكانت جوديث قد وافقت على ذلك. لقد رتبت أمرها على أن تعالج واحدة من أسنانها، وأن تصلح الديكور الداخلي لمنزلها، مما يجبرها على أن تعود كثيراً إلى نيويورك. ليال كاملة بين أحضان روبن دون أي خطر بالنسبة لها منذ أن بدأت تأخذ تلك الحبوب المدهشة التي وصفها لها الطبيب سينك، لقد انتهت هبات الحرارة. بالنسبة لموضوع الشخير من الممكن تماماً تدبير نفسها لقضاء الليل. شيء

آخر، كيف سيكون باستطاعتها أن تنام، وهي تعلم أن لديها ليلاً كاملاً تقضيه بجانب روبن. ستسهر كل الليل بجانبه وسيتناولان إفطارهما معاً. طبعاً، ستدعي أنها استيقظت قبله ببضع لحظات، تماماً بما يكفي من الوقت لمسح وجهها بالمسحوق وتسريح شعرها. لقد أصلحت سلفاً أحد جزادينها الجديدة المصنوعة من جلد التمساح والذي يتسع لما هب ودب.

لم يعد لدى جوديث أية مشاريع بعد للانخراط في العالم، ما نفع ذلك؟ مقابلاتها مع روبن، ولا شيء آخر يحسب له حسبان، أحياناً، هذا الهوى الأكال الذي تشعر به تجاه روبن يخيفها. إنها تحبه فعلاً. وما يخيفها بصورة خاصة، هو تلك الحاجة الماسة التي تشعر بها لأن تراه، لأن تحس بوجوده. في الليل كانت تبقى مستيقظة تتصور أشياء وأشياء، فيما بينها، موت غريغوري المفاجئ موتاً لطيفاً دون آلام. روبن سيواسيها وبعد فترة قليلة ـ إذ لا بد من احترام التقاليد والأعراف ـ يتزوجان.

تتزوج روبن! وهبت جالسة، فريسة اضطراب شديد! أن تتصور موت غريغوري، هذه حقارة منها. لكنها تحب روبن، تعبده حباً، حباً كذاك الذي عاشه الرومانسيون ووصفوه بأحرف كبيرة، إنه موجود. مغامرتها السابقة لا تقارن بعواطفها تجاه روبن. ما عداه، لا وجود لشيء آخر. إنه كل حياتها. وغريغوري لن يموت موتاً مفاجئاً بالتأكيد، إنه ينتصب دائماً كعفريت السحرة.

وإذا ما حصلت على الطلاق؟ كلا... هذا الحل مرفوض. في هذه الحالة سيكون من المحتم على روبن أن يترك الآي بي سي، ولماذا لا يتركها؟ كان قد تكلم إليها عن كتاب يريد كتابته، وقد شرع به منذ زمن. لقد اختار موضوعاً طريفاً له، الرجال العظام الذين نجحوا في صعود المنحدر بعد أن سقطوا بين الآخرين، كان الجنرال

ديجول، ونستون تشرشل. حسب نظرية روبن الحبيب: الرابح الحقيقي هو ذاك الذي ينجح في الصعود إلى القمة بعد أن يكون قد عانى فشلاً أنزله من عليائه إلى الحضيض. إذ أن من السهل على المرء أن يصعد إلى القمة مرة واحدة في الحياة. لكن وحدهم العظماء من يستطيعون فعل ذلك مرتين، وهذا ما يميزهم عن المحظوظين.

بعد كل شيء، لماذا تهتم كثيراً بالأمر؟ إن لديها ثورة شخصية كبيرة. حتى لو لم تقبل أي شيء من غريغوري فإنها تملك أكثر من مليون دولار نقداً وحاجيات قيمة. كان غريغوري قد احتاط قبل تشغيل روبن فاستعلم عنه ولذلك كانت جوديث تعلم أنه هو الآخر يملك ثروة أكثر إغراء. ولا شيء يمنعهما من الإقامة في ماجورك وشراء منزل هناك. لقد أحست بنفسها قوية كفاية للحفاظ عليه، وسيعيشان حياة مثالية. نزهات طويلة على الشاطئ، رحلات بحرية، وعندما يأتي المساء يعودان ليجلسا قرب النار، روبن يقرأ مخطوطه بصوت عال، لا لأحد إلا لها...

ومع مرور الزمن تحولت هذه الفكرة إلى نوع من الكابوس. فقالت لنفسها ذات يوم إن عليها أن تحدث روبن. إنه يحبها، لا تشك بذلك أبداً. فمنذ ستة أسابيع يلتقيان باستمرار. وهي تعلم أنه حين لا يقضي لياليه معها فإنه يبقى في منزله، مسمراً أمام جهاز التلفزيون. ولم تكن تمر ليلة واحدة دون أن تتصل به لتقول له بضع كلمات مليئة بالحب والرقة. إنه لرائع كثيراً أن تبقى هكذا، ممددة في الظلمة، عارفة أن غريغوري مستغرق بالنوم في غرفته، قادرة على بث لواعج هواها لروبن. بالتأكيد، لم يكن قد سمح لنفسه أن يقول لها بأنه يحبها. فروبن ليس من هذا النوع... لكنه كان يقول لها لدى كل مكالمة من مكالماتها الليلية: نامي جيداً يا عزيزتي.

تطلعت جوديث إلى ساعتها: صارت الظهيرة! ثمة فارق ساعة من التوقيت بين شيكاغو ونيويورك. إذن، هي الحادية عشرة هناك! كانت جوديث قد طلبت روبن في سهرة المساء من لوس أنجلوس. وكان سيعود هذا اليوم. في الساعة الرابعة، ستحط الطائرة في شيكاغو لتملأ بنزيناً، فقفزت من سريرها. يجب أن تكون في مطار شيكاغو عندما يحط روبن هناك. فكتبت ورقة تعلم فيها غريغ أنها ستمضي نهارها في داريين. لحسن الحظ، كان غريغوري يجد نفسه دائماً متعباً بعد لعبة الجولف ولذلك كان ينام بعد العشاء مباشرة.

وصلت جوديث إلى شيكاغو الساعة الرابعة تماماً ثم ذهبت إلى الصالة الخاصة بالاتصالات الجوية حيث أعلمت أحد الموظفين بأن يخبر روبن ستون أنها بانتظاره. بعد بضع لحظات رأت روبن يصل، لاهثاً قليلاً، مبهوتاً بصورة خاصة أن يراها أمامه.

فرمت نفسها بين ذراعيه. قليلاً صار يهمها بعد الآن أن يراها الناس وأن يعرفوها. لقد اتخذت قرارها. فهي وروبن لن يترك أحدهما الآخر بعد الآن. كان لديهما الوقت لتناول كأس في المشرب بينما تتزود الطائرة بالوقود. إنها المرة الأولى التي باركت فيها جوديث غريغوري لتفويضه بأن يستخدم طائرته الشخصية الخاصة. بدا روبن منزعجاً للغاية من أن يجد نفسه بجانب جوديث، لكنها قالت لنفسها إنه لا بد مسحور بذلك في أعماقه، وإلى أن استقرا في الطائرة لم تشر إشارة واحدة إلى قرارها. كانت الطائرة تطير باتجاه نيويورك، عندما قدم لها ـ ويا له من شيء غريب ـ مادة ممتازة للدخول في الموضوع.

فقد أمسك بيدها وضغط عليها بقوة كبيرة قبل أن يتكلم:

ـ هذا كله جميل للغاية ورومانسي تماماً، لكن يجب أن تعديني بألا تعودي لفعل شيء من هذا القبيل أبداً. قبطان الطائرة يعرفك بالتأكيد، وعلينا أن نتجنب تسبب أقل أذى لغريغوري...

ـ صحيح. وهذا ما يدفعني للتمسك بأن يكون ما بيني وبينه نقياً نظيفاً، سأطلب منه الطلاق.

فلم يجب روبن، بل اكتفى بأن لاحق بنظره غطاء الغيوم الذي كان ينساب تحت الطائرة.

ـ روبن، أنت تحبني، أليس كذلك؟

ـ نحن لبعضنا، فلماذا يجب أن نجرح غريغوري؟

ـ أريد أن أكون زوجتك، يا روبن!

فأمسك بيدها ثم قال بصوت ثابت:

ـ جوديث، أنا لا أريد الزواج. (فرأى عينيها تغرورقان بالدموع) بل لم أرد الزواج قط، أضاف بنعومة، لا منك ولا من أية امرأة أخرى، افهميني...

ـ روبن، لا تقل هذا، باستطاعتك أن تترك الآي بي سي وتكتب، سأكون بجانبك وسنعيش حياة رائعة. لا تقل لي كلا، مباشرة، فكر، أنا لا أسألك أي شيء آخر، لكن عدني بأن تفكر بالأمر!

فابتسم وهو يداعب جوديث:

ـ وعد، أننا سنفكر بالأمر أنت وأنا، كفى كلاماً عن ذلك الآن.

ونهض ثم مضى إلى المشرب الصغير حيث أعد كأسي شراب.

رفعت جوديث كأسها وقالت:

ـ نخب سعادتنا.

ـ نخب سعادتك يا جوديث. بودي ألا أسبب لك أي ألم. لا تنسي هذا.

فالتصقت به متعلقة بكتفه:

ـ حبيبي، أود لو تدوم هذه الرحلة إلى الأبد. كم ستكون رائعة!!

صباح اليوم التالي، انتظرت جوديث هاتف روبن عبثاً، لم تقلق في البداية كثيراً، بل أغلقت على نفسها الغرفة وانتظرت. وفي الساعة الثالثة كانت هي من اتصلت به. فرفع السماعة لدى الرنة الثانية:

ـ آسف، لدي اجتماعات عدة، ولا أستطيع التملص منها. فالمشاكل تراكمت كثيراً علي خلال غيابي.

فضحكت بشيء من الحقد:

ـ أظن أن لديك أناساً في المكتب، أليس كذلك؟

ـ فعلاً.

ـ هل سيبقون طويلاً؟

ـ ما بعد الظهر كلّه، على ما أعتقد.

ـ وإن لاقيتك إلى منزلك، الساعة السادسة، ما رأيك؟

ـ مستحيل. لدي عدد من المواعيد، حتى السابعة، بعدئذ، علي أن أشاهد برنامجنا الجديد في التلفزيون. إنهم يعرضونه هذا المساء لأول مرة.

ـ سيسرني كثيراً أن أشاهده معك.

ـ لكنني لن أكون في منزلي. فسأشاهده لدى أحد المساهمين الذي سيأخذني بعده مباشرة إلى حفل استقبال. هل أستطيع أن أخابرك؟ وفضح صوته غضبه.

أغلقت جوديث الخط. بعدئذ لم يخابرها روبن، فتعشت وحيدة مع غريغوري، الذي كان متعباً جداً بعد يوم كامل في الهواء الطلق، فنام مباشرة أمام الشاشة الصغيرة. بدت جوديث مهتمة بالبرنامج الجديد، قائلة لنفسها إن روبن يستعد لمشاهدته هو الآخر، وهذا يقربه منها قليلاً. ربما سيضجر من حفل الاستقبال ذاك الذي ذكره. فهذا هو النوع من المسرات التي لم يكن يحبها أبداً.

في اليوم التالي جيء لجوديث بالجرائد. فقررت بعد قراءتها أن الآي بي سي حققت نجاحاً عظيماً فقد كرست «التايمز» مقالاً تقريظياً للبرنامج الجديد مشيرة إلى تأثير روبن ستون المجدد على البرنامج. لكن الجرائد المسائية هي التي أقلقتها: فقد علمت منها أن روبن حضر الحفل فعلاً... وأن الاستقبال لم يكن من النوع الصغير التافه. فقسم الإنتاج كان قد استأجر للمناسبة «صالة القوس قزح» ودعا كل مشاهير المسرح والشاشة. صفحة مزدوجة من الجريدة كانت قد خصصت للصور، صورة كبيرة لروبن وهو جالس بين نجمة مسرح وعارضة أزياء، ضاحكاً يميل نحو النجمة. فأحست جوديث وكأنها قد تلقت ضربة خنجر في القلب حين لاحظت أن روبن يشد على كف العارضة... هذه الحركة أكثر فصاحة من جمل طويلة.

لم يهتف روبن بعد ذلك طيلة أسبوع كامل. لا شك أنه مشغول في مكان آخر كي يهملها على هذا النحو. فقررت جوديث، وقد بلغت ذروة يأسها أن تتصل به على خطه الخاص، فرد عليها الصوت المحايد لعاملة المقسم قائلاً إن هذا الرقم لم يعد قيد الاستعمال. فسيطر عليها نوع من الرعب الفظيع. هذا غير معقول، لا يمكن أن يتركها بهذه الطريقة! فاتصلت به إلى منزله. إلا أن الصوت المحايد نفسه رد عليها: هذا الرقم لم يعد قيد الاستخدام. ليس باستطاعتنا إعطاؤك الرقم الجديد، هو غير مسجل في الدليل.

لقد أضر بنفسه كثيراً كي يتجنبها! هذا كثير، ودفنت رأسها في وسادتها لكي لا يسمعها أحد وهي تنشج باكية. لم تستطع النوم حتى الفجر، حينذاك كان حبها لروبن قد تخلى عن مكانه للكراهية. كانت تريد أن تدمره، عليها أن تلزم غريغوري بطرده.

بدأت هجومها الأول منذ الصباح التالي:

ـ غريغوري، يبدو عليك أنك لا تفهم شيئاً. روبن سيطر على مؤسستك سيطرة كاملة، وحرمك حقك منها. لقد تقلصنا وصغرنا حتى بتنا منبوذين. هل تقدر الأمر؟ كل الدعوات توجه الآن إلى روبن ستون وما من أحد يفكر بنا بعد!

استمع إليها غريغوري بصبر، ثم قال أخيراً:

ـ جوديث، أنا في الثانية والستين، أعمال المؤسسة لم تكن في السوق مثلما هي الآن. والعمل لم يحقق مثل هذا النجاح قط. وإنني لحريص على ألا توضع العصي في العجلات بالنسبة للرجل الذي حقق نجاحاً رائعاً كهذا. إذا أردت أن تعرفي أعماق تفكيري، فاعلمي أنه لا يزعجني أن أتمكن من الذهاب إلى المكتب من حين لآخر كي أتأكد من سير الأمور، ثم أتركه كي أشارك في لعبة الجولف...

ـ وماذا أفعل أنا خلال هذا الوقت؟ أبقى في المنزل من الصباح إلى المساء وحيدة؟ أنت متعب كثيراً، مرهق دائماً لا تستطيع الخروج، وأنا أتمزق في وحدتي.

ـ كنت أعتقد أنك مشغولة كثيراً بأعمالك الإحسانية؟ وهذا كما يخيل لي كافٍ لإملاء وقتك؟

فتجنبت نظرته.

ـ كم حفلة من حفلات الإحسان أستطيع المشاركة بها حسب رأيك؟ (الحقيقة، أنها لم تحضر أية واحدة) لقد حاولت استعادة علاقاتنا القديمة، لكنهن يتجنبنني مذ تركت أنت ولم تعد غريغوري أوستن العظيم. وحين يبدين دهشتهن لعدم رؤيتهن لنا في حفلات المجتمع أضطر الاعتراف بأن أحداً لم يفكر بدعوتنا.

ـ ألم تشبعي أبداً من هذه التفاهات كلها؟ مقابلة الأشخاص أنفسهم، سماع الألسنة السيئة نفسها، رؤية النساء عينهن في كل حفل وهن يحاولن كشف الأخريات بالتباهي بأثواب أغلى وأغلى..

ـ هذه وجهة نظرك، أما أنا فأحب الخروج!

ـ على راحتك، لكن هذه الطلعات تسمم بدني، لقد اعتقدت أنك عاقلة منذ حين. وكنت سعيداً. والآن ها أنت ذي تطالبينني بطرد روبن ستون، لا لشيء إلا لأن الناس يدعونه بدلاً منا! جوديث أنت تتصرفين تصرف الأطفال.

ـ أنا لست في الثانية والستين، كما أنني لست عاجزة قط! صرخت بنبرة حقيقية من الغضب. فنهض غريغوري ثم غادر الغرفة، أما هي فظلت مبهوتة من الدهشة، بعدئذ بدأت قطرات كبيرة من الدموع تنحدر على وجهها الجميل المبرج منذ التاسعة. لقد لامت نفسها كثيراً على جرح زوجها. ولماذا؟ بسبب هذا الروبن المرعب. فأسرعت إلى غرفتها وألقت بنفسها على السرير تعصر كفيها. آه! هذا شيء مخيف للغاية. كل شيء قد انتهى بينها وبين روبن.. لقد جعلهم يصورونه مع تلك الفتاة عمداً.. لكي يدوسها هي وأحلامها جميعاً، لا لن تضمه أبداً بين ذراعيها. لن تشعر به مطلقاً يلج فيها.... فتحولت شهقات البكاء إلى نوع من فواق المخنوق، ولم يعد لديها دموع للبكاء. كانت ترغب في أن تموت.

وفجأة شعرت بكف تداعب لها شعرها، كان غريغوري يجلس على رأس سريرها.

ـ لا تبكي يا عزيزتي. إنني غير منزعج منك. أنا أعلم أنك تكلمت بدافع الغضب.

فالتفتت إليه ثم ألقت بنفسها على عنقه:

ـ غريغوري، إنني أحبك!

ـ أعرف ذلك تماماً... إذن اصبري قليلاً، انتظري ريثما أستعيد قواي. فأنا لم أشعر بعد بأنني قادر على حمل مسؤولية الشبكة. لكن ليس عليك أن تنتظري طويلاً. سنذهب لقضاء الشتاء في بالم بيتش، وستتسلين هناك، أعدك بذلك.

فخفضت رأسها بمذلة ثم تمتمت:

ـ غريغ، ما قلته غير صحيح، فأنت لست عاجزاً.

قامت جوديث بمحاولات هائلة لولوج الحياة الاجتماعية من جديد لكن دون فائدة. فخفف غمها على فقدان روبن كلياً شعور الإحباط الذي راحت تعاني منه بسبب ذلك، رغم هذا ظلت كل ليلة ويعناد عجيب تنتظر هاتفاً منه، وتتذكر الأوقات السعيدة التي كانت تلتقي معه فيها. كانت ذكرياتها وحدها تكفي لانتزاع الدموع من مقلتيها، وإجبارها على دفن وجهها في الوسادة كي تكتم شهقات نحيبها.

قررت جوديث أن تسافر إلى بالم بيتش قبل عيد الميلاد. إذ لم تجرؤ على توجيه دعوة لحفل الكوكتيل المعتاد، عارفة أن كل الناس أو معظمهم تقريباً غادروا، البعض إلى أكابولكو، والبعض إلى باهاما، أما من ظل فلا بد أنهم تلقوا دعوات من مضيفات جديدات أزالوها عن عرشها.

غالباً ما كانت جوديث تفكر بروبن بمزيج من الرغبة والكراهية له. فذكراه لم تفارقها أبداً. حتى في بالم بيتش كانت تكتفي بالجلوس في باحة الفندق كي تحقق نوعاً من التوفيق أو كي تعذب نفسها وهي تتصور روبن ستون وهو يمارس الحب مع فتاة ما، جميلة وشابة.

لكن في الواقع، لم يكن هنالك فتيات جميلات في حياة روبن، بل كان يعمل عشر ساعات كل يوم كي يضع شبكته في رأس القائمة. كان برنامج ديب قد وضع في برامج شهر شباط. وفي كل يوم كان الممثل يتصل مع روبن:

ـ هل لديك رغبة في القيام بجولة يا صديقي؟

أحياناً كان روبن يسمح له بمصاحبته إلى اللانسر. وأحياناً تتملكه رهبة فظيعة من الأماكن المغلقة في مكتبه، فيهتف لديب:

ـ تعال انتظرني على المدخل، لدي رغبة في السير.

ـ لكنها حوالي الرابعة، وأنا مستلق.

ـ أجبني، نعم أم لا؟

ـ أعطني عشر دقائق كي أرتدي ثيابي.

وحين لا يكون ديب مشغولاً بروبن فإنه يتصدر مطعم «داني» حيث السماسرة يجرون إليه باستمرار فقد كان يصرح دائماً أنه جاهز لتحريكهم كما يدعي أن روبن ستون لا يشتري أي برنامج دون استشارته. وأحس ديب بكثير من السرور في دوره الجديد هذا. لقد طفق ينظم حساباته مع أولئك الذين كانوا قد احتقروه من قبل، مؤكداً لهم أنه ما من واحدة من ممثلاتهم ستظهر في برامج الآي بي سي. والشيء الأجمل هو أنهم كانوا يعتقدون فعلاً بعظم تأثيره على روبن ستون. حتى أن أحدهم مضى للقول: «من يغرم بامرأة يقل لها كل شيء، لكن هذا الذي يحب رجلاً، إذن هنا...» لكن الشيء الغريب أن دان كان يجهد لإخفاء مثل هذه الشائعات. إذ ما إن يحدثه أحدهم عن العلاقة بين روبن وديب حتى يقهقه ضاحكاً:

ـ القضية ليست قضية غرام، بل قضية مال. لا بد أن ديب نلسون يرويه بغزارة.

هذه الأقاويل وصلت إلى أذني غريغوري في بالم بيتش. وحين رأى اسم نلسون يظهر كمخرج لبرنامج دانتون ملر الجديد، اتصل حالاً بكليف دورن.

ـ إنه برنامج ممتاز، قال غريغوري، لكن هذا الأحمق الذي لا يستطيع التبول دون أن يبلل بنطاله كيف يكون مخرجاً؟ غريب نوعاً ما. ربما ليست الأقاويل كاذبة. فأنا لا أظن أنهما لوطيان لكن وراء الأكمة ما وراءها ولا شك.

ـ لقد درست العقود بكل دقة وحرفية، رد كليف بلهجة متعبة، إن كانا يتلاعبان فتلاعبهما مخفي تماماً، أنا نفسي محتار بالأمر. بل لقد سألت روبن صراحة لماذا اشترى مشروع ديب فأجابني: كليف، لو كان لديك أنت برنامج جيد فسأشتريه منك.

أغلق غريغوري الهاتف فسألته جوديث التي كانت جالسة قربه:

ـ ماذا ستفعل؟

ـ في الوقت الحاضر، حفلة جولف، أجاب وهو ينهض.

ما من شيء كان يستطيع على ما يبدو إيقاف روبن. فقد نشرت مجلة «الحياة» مقالاً عنه دون معرفته بل تألف المقال من آراء النساء الذين عملوا معه والفتيات اللواتي عاشرهن. حسب رأي مضيفة جوية، روبن هو الرجل الأكثر شاعرية بين كل الرجال الذين عرفتهم في حياتها. فتاة شابة كانت تطمح في أن تصبح ممثلة قالت إنه دون الوسط ذكاء. وقد عزت المقالة لماجي ستيوارت هذا الجواب: «لا تعليق» ومع هذا الصيت، زادت شهرة روبن السيئة بشكل مدهش. لكنه كان يجهل ذلك. فقد كان يذهب أحياناً مع ديب إلى السينما، ومن حين لآخر كان يلتقي مع جيري في اللانسر، وأحياناً يتعشى وحيداً في «مكان الشرحات» لكن بصورة خاصة كان روبن يشتغل.

انتهى جيري أخيراً لأن ينقل لـه كلمتين عـن موقـف غريغـوري السيئ تجاهه. كانا واقفين كلاهمـا أمـام منضدة الـشراب في اللانـسر حين سأله جيري:

ـ هل يحدث لك أن تستشير غريغوري قبل شراء برنامج؟

ـ أبداً، لا أرى ضرورة لذلك. في هذه المرحلة أنا أعاين مـشاريع لتحل في الموسم القادم محل البرامج التي يمكـن أن تخـذلنا، وحـين أحدد اختياري، سأدعو غريغوري لرؤيتها.

ـ أي كرم!

فلم يجب روبن. بل استمر مثبتاً عينيـه علـى الزجـاج الـذي كـان يتموج في كأسه.

ـ لقد أعطاك فرصـتك، أصـر جـيري. وإن كنـت حريـصاً علـى الاحتفاظ بموقعك، فإنني أنصحك بأن تطلب رأيه من حين لآخـر، أو على الأقل أن تتظاهر بذلك.

ـ من زمن طويل يعلم الناس كلهم أنـني أنـا الـسيد هنـا، أجـاب روبن بتمهل.

ـ أجل، هذا صحيح.

فابتسم روبن:

ـ إذن، ليستعد غريغوري مكانه إن كان راغباً؟

ـ ما معنى هذا؟

ـ هذا يعني أنني متضايق جداً. فأنـا لم أطلـب شـبكته، أمـا وقـد حصلت عليها فإنني لن أعيدها له على طبق مـن فـضة. ليتـدبر أمـره، ليدافع عن نفسه إن كان يريد استعادتها.

فتأمله جيري بهيئة مستغربة:

ـ اسمع يا روبن، أحد الناس قال لي إن لديك ميولاً انتحارية، وقد بدأت أصدق ذلك.

فانفجر روبن ضاحكاً:

ـ انشغل أنت بعقدك النفسية واترك عقدي وشأنها.

في نيسان، كانت برامج الخريف كلها قد وصلت نهاية الإعداد. وفي إحدى الأمسيات، دخل ديب نلسون كالعاصفة حين كان روبن يهم بمغادرة مكتبه.

ـ أنهت بولي جولتها، أعلن ديب، وستصل إلى نيويورك غداً. لدي فكرة عظيمة لم أتكلم عنها مع دان بعد. فبدلاً من تغيير فتاة البرنامج كل أسبوع، لماذا لا نشغل بولي بصورة دائمة؟ ما رأيك؟

ـ كلا. (وجلس روبن ثم تكلم بلهجة مليئة وداً) اسمع يا ديب. من العبث البحث عن الظهيرة عند العصر. إن بإمكان بولي أن تختار الدور الذي يعجبها في أية ملهاة موسيقية في برودوي. آيك ريان نفسه يموت شوقاً لتشغيلها في مسرحية للموسم القادم.

ـ لكن بولي خلقت للتلفزيون.

ـ ديب اهتم بشؤونك المهنية الخاصة، ما من برنامج تلفزيوني يستمر إلى الأبد. جد شيئاً جديداً وحاول أن تضمن لنفسك حقوق استثماره. دان في طريقه لتهيئة فكرة برنامج يمكن أن يكون ناجحاً.

فأظلمت نظرة ديب:

ـ أنت تهذر! هذا «المزبلة» يجرني بين الأقدام، لكننا متفقان: نصف بنصف في كل شيء.

ـ هل هو اتفاق مكتوب؟

ـ كلا، ترتيب ودي.

فضحك روبن:

ـ مع أناس من نوعك، هذا لا يشكل ضمانة.

عقد ديب حاجبيه: سأكافئك على هذا، فكر، لكن مزاجه تغير فجأة واستطاع أخيراً أن يجد ابتسامة الطفولة:

ـ هل تريد أن تأتي للقيام بجولة معي في داني؟ أنت لا تخرج إلا قليلاً. والناس سينتهون إلى الاعتقاد بأننا لم نعد أصدقاء.

هز روبن رأسه:

ـ كلا، أنا مسافر هذا المساء إلى الشاطئ. لابد من أن أجد شخصاً هاماً لبرنامج دان. وربما سأشتري مسلسلاً من آيك ريان إن وجدت الممثل المناسب.

فامحت ابتسامة ديب:

ـ كيف يمسك بك، آيك هذا؟

ـ ماذا تقصد؟

فابتسم ديب بهيئة الفاهم ثم قال وهو يجلس على حافة مكتب روبن:

ـ اسمع يا صديقي، ديب العظيم يعرف أمرك منذ زمن طويل. فأنت لا تعطي شيئاً مقابل لا شيء، لا تعطي حتى الجليد في الشتاء، ما لم تكن محصوراً، ألم تضرب عاهرة أخرى في مكان ما؟

فأمسكه روبن من عقدته:

ـ اسمع أيها المزبلة الصغيرة القذرة. ما من أحد يمسك بي، حتى ولا أنت. لو أن دان لم يقدم لي برنامجاً جيداً ما كنت سأوافق على مشروعك قط. لقد سررت لوجودك في العملية رغبة مني بأن تستطيع شق طريقك من جديد. وإذا كان برنامج آيك ريان جيداً فسأشتريه. لكن إن كان برنامج أعز أصدقائي فاشلاً فسأرفضه على الفور. فكر بألا تنسى هذا أبداً.

ثم أرخى قبضته فأصلح ديب العقدة وهو يبتسم:

ـ لا يوجد أبداً ما يمكنه أن يحدد أمزجتك يا صديقي. لكن ديب العظيم صديقك. وسيمضي حتى الموت في سبيلك. فكر بألا تنسى ذلك أنت الآخر. والإنسان لا يجد دائماً أصدقاء من هذا النوع.

ما إن استقر روبن في بيفرلي هلز حتى هتف لماجي ستيوارت.

ـ إنها الحادية عشرة ليلاً، تأوهت ماجي، ومهما تقل سأكون أكثر إرهاقاً من أن أستطيع سماعك.

ـ لقد وصلت لتوي من نيويورك حيث الآن هي الساعة الثانية صباحاً، وبما أنني لست متعباً جداً فإن باستطاعتك أن ترافقيني بعد بضع دقائق من الانتظار. شيء آخر، إنها قضية أعمال، وإنني أدعوك لتناول الإفطار في لوجيا، غداً صباحاً الساعة التاسعة.

ـ لو قلت الحادية عشرة، لفكرت بالمسألة.

ـ لدي برنامجان للمعاينة بين العاشرة والحادية عشرة.

ـ آسفة، لكنني لا أحب أن يبلبلني أحد.

ـ ماجي، الأمر يتعلق بالعمل.

فتثاءبت.

ـ إذن قل لي مباشرة ما تريد قوله.

ـ طيب، لقد رأيت فيلمك الأخير.

فأطلقت ضحكة حادة.

ـ أنت على حق، فقد يكون الأخير فعلاً.

ـ إنه فاشل إلى حد مخيف رغم أنك كنت رائعة فيه. أنا بحاجة لك من أجل مسلسل جديد في التلفزيون.

ـ لماذا؟

ـ لأن الدور يناسبك كما يناسب القفاز اليد.

ـ إذن، توجه إلى وكيل أعمالي فريما، سيفطر معك، اسمه هاي مانديل وستجد رقمه في الدليل.

ثم أشارت الطقة إلى أنها أغلقت الخط.

أمضى روبن الأيام العشرة التالية يشاهد برنامجاً دون أن يعطي ماجي إشارة واحدة عن وجوده، مع ذلك يموت شوقاً لرؤيتها. مرات عدة، فاجأ نفسه وهو يمد يده إلى الهاتف لكنه كان يقاوم المحاولة. كان يشعر أنهما لن يستطيعا بتلك البساطة في الماضي أن يتلاقيا ويمارسا الحب ثم يفترقا. كما كان يرفض أن يترك الحبل يلتف حول عنقه.

بعدئذ جاءت ليلة من الوحدة المريعة. فقدر روبن أنه ما من مكان آخر يحس المرء فيه بالعزلة كما يحس بها في لوس أنجلوس. في نيويورك على الأقل يستطيع المرء أن يخرج ويتمشى. لكن في بفرلي هلز، من ينتقل على القدمين فوق الأرصفة المحفوفة بالأشجار يرَ على الفور سيارة ضخمة تتوقف حذاءه فالناس في لوس أنجلوس لا يتنقلون على الأقدام.

وفي أيام الأسبوع كل شيء يسكن في الساعة العاشرة مساء. بالتأكيد، هو شيء سهل دائماً أن يذهب ويريح نفسه لدى إحدى السيدات. وسيجد الكثير منهن ولاشك في بولونج. إنه مأوى النجمات الطموحات وسماسرتهن وهذا ما كان يخيفه رغم إنهن كن على استعداد لفعل أي شيء مقابل أن يضعهن في دفتره الصغير. فجأة أحس بأنه متعب... لقد سئم ذلك كله. لماذا بحق الشيطان لا يعيد الشبكة إلى غريغوري؟ لكن ما تراه يفعل بعد ذاك؟

وقطعت رنة الهاتف أفكاره عليه. تأمل ساعته، إنها السابعة والنصف. الوقت متأخر جداً على الاتصالات المهنية.

ـ السيد ميلانو، أعلنت عاملة المقسم.

خلال لحظة لم يعن الاسم شيئاً له، بعدئذ أشرق وجهه.

ـ أعطيني إياه، هتف بفرح.

ـ روبن، يسعدني كثيراً أنني أفلحت في الاتصال بك.

ـ سرجيو! أية مفاجأة رائعة!

ـ لقد عدت هذا اليوم من لوس أنجلوس، وقبل قليل رأيت في إحدى الجرائد أنك موجود هنا أيضاً.

ـ عجباً، أنت تتكلم كالممثلين تماماً. قل لي، قبل مدة قرأت أنك تصور فيلما في روما. ماذا جرى بعدئذ؟

ـ أحدهم قدم لي فرصة العمر. وسأبدأ الأسبوع القادم تصوير فيلم جديد هنا. إنني أمثل الدور الرئيسي. لقد أصبحت ممثلاً يا روبن، أليس هذا مدهشاً؟

ـ ماذا تفعل الآن؟

ـ قلت لك، إنني أصور فيلماً بدءاً من الأسبوع القادم.

ـ لا، لا، في هذه اللحظة ماذا تنوي أن تفعل؟

ومرت لحظة صمت ثم أجاب سرجيو:

ـ روبن، لقد تعرفت هنا إلى أحدهم وإنني متعلق به كثيراً...

ـ إذن، تهاني، أنا سعيد جداً من أجلك يا سرجيو فعلاً.

ـ إنني أتعشى معه هذا المساء، اسمه ألفي نايت.

ـ أعتقد أنكما خلقتما، أحدكما للآخر، وافق روبن بحسن نية.

ـ لكن يمكننا أن نتناول كأساً معاً في الغد؟

ـ بطيبة خاطر، الساعة الخامسة في بولولونج.
ـ سأكون هناك.

طلب روبن من إدارة الفندق أن يحضروا له عشاءه إلى الغرفة، حيث أشعل التلفزيون. إنها ساعة برنامج ديب، ومن المستحسن مساعدته.

في البداية، عرضت لقطة دعائية، بعدئذ دخل مقدم البرنامج إلى المشهد حين كان النادل يحمل وجبة العشاء لروبن. وكان روبن يضع اللقمة الأول في فمه حين ظهر وجه بولي ملء الشاشة. يجب خنقه! ابن الحرام هذا، لقد منعه من إدخال بولي في برنامجه! فلماذا أعطاه دان موافقته؟ أبعد روبن الطاولة عنه كي يركز انتباهه على البرنامج. فاشل! لقد ركزوا القصة على بولي لكي يبقوها في البرنامج باستمرار وبهذا العمل دمروا البرنامج.

فاتصل مباشرة بدان الذي بدا مبهوتاً.

ـ ديب هو الذي أكد لي أنك أنت من أعطى الأمر، وقد أتممنا تسجيل برنامج الأسبوع القادم كما وقعت عقداً مع هذه الجرادة لبقية الموسم.

فأغلق روبن الهاتف بوحشية ثم طلب ديب. مشغول. الأحمق إنه يثرثر بدون شك مع أولئك الذين كانوا يباركون له. فجعلهم روبن يحجزون له مكاناً في طائرة منتصف الليل إلى نيويورك. بعدئذ تذكر موعده مع سرجيو. لم يكن يعلم حتى رقم هاتفه. هذا أسوأ. سيترك له كلمة لدى مدير فندق بولولونج.

وصل روبن إلى مطار كندى الساعة الثامنة صباحاً، فانسل مباشرة إلى المكتب وفي الحال استدعى ديب ودان ملر. وبلهجة لا تقبل الرد طلب أن تسحب بولي مباشرة من التوزيع.

ـ لا أستطيع أن أفعل هذا، تذمر ديب. فقد أجرت بولي مؤتمراً صحفياً هذا اليوم أعلنت فيه أنها ستكون جزءاً من البرنامج من الآن فصاعداً. وإذا ما أخرجت من البرنامج فإن هذا سيسيء كثيراً إلى سمعتها.

ـ إنه أمر.

فرد ديب بعناد:

ـ لي حقوق البرنامج.

فالتفت روبن نحو دان:

ـ وأنت، لك حقوق على البرنامج مثله؟

فبدا دان مندهشاً ثم قال:

ـ ليس لي إلا الثلث وإنني مستعد لأن أرتب الأمور كما تريد.

ـ من له الثلث الثالث إذن؟ سأل روبن.

فأجاب دان بعد لحظة صمت:

ـ كنت أعتقد أنك أنت.

وللحظة من الزمن بدا ديب وقد تملكه الخوف، بعدئذ قسا تعبير وجهه وتصلب جسمه كما لو أنه يستعد لمعركة.

ـ كلا، يا صديقي، أنا من له الثلثان، وإنني أشكل الأكثرية بمفردي إذا شئت القول (وابتسم). إذن، انتهى الأمر، وستبقى بولي.

فنهض روبن ثم حدق إلى عينيه مباشرة:

ـ ديب، لقد قدمت لي خدمة عظيمة في الماضي والآن أطلب منك خدمة أخرى: ابتعد عني كلياً.

فرسم ديب انحناءة مفخمة ثم خرج. راح دان يحرك رجله بعصبية منتظراً رد فعل روبن الذي أدهشه.

ـ إذن، لقد لصق بولي على ظهرك، حسناً، حظاً طيباً، قال روبن ببرود.

ـ لا أظن أنك ترغب بشيء من الحظ الطيب

ـ بلى، ولقد كان من الواجب عليك ألا تظن لحظة واحدة بأنني أقبل الدخول في هذا النوع من المشاركات.

ـ إذن، ماذا عن برنامجي القادم؟

ـ هل ديب مشارك فيه؟

ـ كلا.

ـ إذن، يمشي كالعادة.

بدأت علامات البرنامج بالتراجع مذ شاركت فيه بولي. وفي حزيران ألغاه روبن فسقط ديب أرضاً. لكن، شيء غريب! الإخفاق في التلفزيون قدم خدمة لبولي. لقد قدموا لها عرضاً سينمائياً. فسافر معها ديب إلى الشاطئ بينما كرس روبن نشاطه كله للإعداد لموسم الخريف.

قرر غريغوري أوستن أن يعقد المؤتمر العام للمساهمين في تشرين الثاني وعلى الشاطئ الغربي. في الماضي كان الذهاب والعودة لمثل هذا المؤتمر يستغرق منه ثلاثة أيام بصحبة كليف دورن. لكنه هذه المرة قرر أن يقضي أسبوعاً كاملاً في لوس أنجلوس. فهذا سيسلي جوديث.

تحقق غريغوري وهو يتأمل صورة على غلاف النيوز ويك، أن هذا الشيطان بالنسبة للموظفين إله حقيقي وأنهم منذ زمن يعتبرونه هو، غريغوري أوستن، مجرد عجوز محال للتقاعد ورغم أنه لم يكن يشعر أنه استعاد قواه تماماً فقد كان يطمح لاستعادة دفة القيادة، وقد قام بعدة محاولات ذكية في هذا المجال، لكن دون أن تنجح حتى

ذلك الحين. كان روبن يصغي لنصائحه... ثم يتصرف بعدها على هواه. وكان كل ما يفعله يخرج بنتيجة حسنة. علامات الجداول لم تكن أبداً أفضل مما هي عليه الآن، وبلا أدنى شك، فقد أصبحت الآي بي سي شبكة السيد روبن ستون.

لكن غريغوري لم يكن قد استسلم. لقد أمضى الصيف بشكل جيد في «كوج» غير أن جوديث كانت متضايقة هناك. أخيراً، يا للعنة، يقضي المرء ثلاثين عاماً من حياته لإيجاد شبكة، كي يضمن لنفسه وجوداً على ذوقه ومزاجه! ثم يكفي أن يقع مريضاً مرة واحدة، ويتمدد سنة أو سنتين حتى يعود فيجد نفسه في عالم جديد غريب عليه تماماً.

كان غريغوري حزين القلب على جوديث، فالندوب خلف أذنيها لم تخف عليه. يالله! هل كانت تظنه أبله إلى درجة لا يلاحظ معها كيف استقام نهداها فجأة؟ لقد قدر أنها أجرت العملية التجميلية خلال الأسابيع التي قضاها في المعالجة النفسية. لقد كانت رائعة معه خلال مرضه. ولا ينقصها الآن سوى شيء من التسلية، إنها ترغب في الخروج وتسلية نفسها فكل شيء على ما يرام، لكن هاهو ذا يغشها.

مع ذلك، كان غريغوري مجبراً على الاعتراف بأنه سر كثيراً لدى عودته ورؤية روبن على دفة القيادة. لقد كان الوضع مريحاً. ولذلك فقد قضى صيفاً في «كوج» محاولاً أن يتجاهل الآهات الطويلة التي كانت تزفرها جوديث وهي تقضي أمسيتها في مشاهدة التلفزيون. لكن الحقيقة أن وضع زوجته بعد عودتهما إلى المدينة هو الذي جعله يقرر التصرف.

كانت جوديث تقضي أياماً كاملة في السرير، ويحدث أحياناً أن تأخذ منوماً كل أربع ساعات. فاضطر غريغوري للإتيان بممرضة كي

تشرف عليها تماماً. وفي الليل كان ينام في غرفة زوجته. لقد جعلتها المنومات في حالة من الترنح دفعته للشك بأنها قد تشعل ثيابها وهي تولع إحدى سجائرها.

وحين يصيبها الضيق في السرير كانت تجرجر نفسها في غرف المنزل مرتدية رداء منزلياً قديماً دون أن تتكلف جهد تسريح شعرها أو تزيين نفسها. كانت ترفض أن تخرج رغم أنه اقترح عليها أن يأخذها إلى الموروكو. كلا، لا تذهب وحيدة معه، فهي تريد صحبة الآخرين. طيب، حينذاك اقترح أن يستأجر الطابق الأول في مطعم فوريس وأن يقيم هناك حفلة عشاء كبرى، فشهقت باكية. «ما من أحد سيأتي». وفي يأس كامل من القضية هتف غريغوري إلى سويسرا طالباً الطبيب بروجالوف ففسر له هذا أن جوديث تعاني من ضربة معاكسة لأزمة التوتر العصبي التي عاشتها خلال مرضه. فطلب من الطبيب أن ينصحه بأحد زملائه في الولايات المتحدة.

نصحه الطبيب بروجالوف بمراجعة طبيب يدعى جالين. وعندما شرح الوضع للطبيب لم يطلب هذا رؤية جوديث. بل اقترح عليه إجراء جلسة يومية معه. وكان غريغوري يائساً إلى درجة وافق في الحال على اقتراحه.

خلال محادثاتهما، عاد الطبيب إلى أزمة الشلل التي عاشها، بعدئذ ناقشا العلاقات الجنسية بينه وبين زوجته. وأفصح غريغوري للطبيب أنه كان قد لاحظ الندوب الصغيرة خلف أذني زوجته وفوق جسدها. كلا، لم تقم بهذا لإغراء رجل آخر، إنه واثق من ذلك. فهي ليست من هذا النوع. شيء آخر، الجنس لا يشكل شيئاً بالنسبة لها. كان غريغوري مقتنعاً بأنها تحملت عناء تلك العمليات كي تحتفظ باعتبارها كامرأة جميلة مشهورة.

لكن الطبيب جالن كان يعود باستمرار لحياتهما الجنسية. فانتهى غريغوري يائساً مغتاظاً للقول:

ـ اسمعني، حين تزوجنا، كانت زوجتي في سن السابعة والعشرين وكانت ما تزال عذراء. إذن بدأت معها بكل رقة ولطف. ولم يبد عليها أي حب استطلاع ولم تبحث عن أي شيء خيالي. لقد مارسنا وما زلنا نمارس العلاقات الجنسية العادية. بالتأكيد، كانت قد قرأت منذ زمن كتاب نصائح من نوع ما، أنت تعرف هذا النوع ولا شك: كيف تمارس هذا... كيف تنجح في هذا، نوع من الإرشاد للحياة الزوجية، ففي السنوات الأخيرة قامت بمحاولات عدة خرقاء بالفم. في السابق لم أكن أجرؤ على ممارسة شيء كهذا معها. فهي ليست من هذا النوع أبداً. وأنا لست بحاجة لأشكال الهوى هذه. الإله يعلم إن كنت قد نوعت المسرات عندما كنت عازباً. فقد كنت آخذ نصيبي منها لأيام عدة. بعدئذ، بدت جوديث قانعة بحب أيام زمان، وكان هذا يناسبني. عدا عن ذلك، ما كانت تحبه في حياتنا الزوجية هو وجود كثير الحركة، عاطفي و...

وصمت، إذ صدمته فكرة مفاجئة. إنه الخوف! خوفه الخاص الذي خلط فيه بين الآي بي سي وجوديث. لقد كانت تخشى الحياة التي جعلها تعيشها في الماضي. إنه يحبها. كلا، أكثر من ذلك، إنه يعبدها. إذ رغم أنه كان يقف ضد حفلات الكوكتيل التي تقيمها زوجته في رأس السنة، كان ما يزال مندهشاً من أنها كانت تشكل نوعاً من السحر والروعة في حياته. فحين كانا يستقبلان الناس على العشاء كان متأكداً التأكد كله من أنها هي التي غيرت حياته وأنارتها. وحينذاك كان الخوف يستولي عليه من أن يحطم شيء ما هذا السحر. رجل آخر؟ كلا، فجوديث لم يكن لها مزاج مناسب لهذا. المال؟ أيضاً كان لديها الكثير منه. آه! أجل: لعل المرض هو الذي قضى على كل شيء. لقد حصل هذا، وخسر جوديث. فقد بحثت عن طريقة لإعدام نفسها.

لكن ألم يكن هو نفسه قد أقدم على ترف التخلي عن شبكته لروبن بعد شفائه؟ وفجأة ظهرت له الحقيقة بوضوح كامل. بإمكانه أن يضع جوديث على قدميها. هذا ليس سهلاً. لكن إرادة الكفاح عادت إليه من جديد.

في البداية، كان عليه أن يستعيد إدارتـه لـلآي بي سـي، وبـذلك يقبض عل الثور من قرنيه. فذهب لرؤية روبن حيث أعلن له بصراحة:

ـ لا تتخذ أي قرار فيما يتعلق بالسنة القادمة دون استشارتي.

ـ ولماذا؟ سأل روبن.

فانزعج غريغوري. لقد أقلقته نظرة روبن الباردة، مع ذلك حاول أن يتكلم ببساطة وقلب مفتوح:

ـ اسمع يا روبن، كنـت صـحفياً وأنـا مـن رقـاك إلى مـدير عـام للشبكة. إنني فخور بك ويودي أن نشتغل معاً. فأنت بحمايتي.

ـ أنا لست بحمايـة أحـد. وهـاهي ذي قرابـة الـسنتين وأنـا أتخـذ القرارات دون استشارة أحـد. ولـن أبـدأ الآن بطلـب الإذن أبـداً. وإذا كان هذا ما تنتظره فابحث لك عن محامٍ آخر.

بالتأكيد، لم يكن من الصعب على غريغوري أن يعثر على البديل لكنه لم يكن يود أن يترك روبن لشبكة أخرى تستفيد من مهاراتـه. مـع ذلك كان في كل مرة يرى فيها جوديث يتأكد قراره ويرسـخ، مـسكينة جوديث، هذه التي تحملت كل آلام العمليات، أيدعها تغـرق بـسبب خطيئته هو في النسيان؟ إذن لا بد له من أن يعود إلى دفة القيادة.

كان غريغوري يأمل أن تساعده الرحلـة إلى لـوس أنجلـوس، في تحقيق ذلك. كان عليه أن يتمهل كما كان يأمل أن تصاب برامج روبـن بالفشل وأعمال البورصة الخاصة بـالآي بي سـي بالتـدهور. فهـو وإن كان سيخسر كثيراً إلا أنه كان مـستعداً لقبـول ذلـك إذ أن المـساهمين سيطلبون حينذاك إقصاء روبن.

كذلك قدر الطبيب جالن أنه سيكون للوس أنجلوس تأثير علاجي على جوديث شريطة ألا تبقى محبوسة في الفندق. اتصل غريغوري بكلي وهاير طالباً الإعلان على نطاق واسع عن وصول إدارة مؤسسة الآي بي سي وآل أوستن والاهتمام بتأمين دعوات لهم في كل حفلات الاستقبال الكبرى. أن يتوجه إلى وكالة الدعاية هذه شيء مؤلم بالحقيقة لكن الشيء الوحيد الذي بات يهمه هو سعادة جوديث. أنجز كاي وهاير العمل على نحو جيد فقبل سفرهما تلقى السيد والسيدة أوستن دعوات عدة. توقفت جوديث عن تناول المنوم وبدأت تسرح شعرها كما اشترت خزانة ثياب كاملة لإقامتها في كاليفورنيا. أسبوع من الحياة النشطة ربما سينتزعها من حالة انهيارها العصبي.

حدد يوم الأحد موعداً لانطلاقهما. وفي يوم الجمعة سأل غريغوري زوجته عن الساعة التي تريد السفر بها.

ـ لا يوجد خطر في البقاء! ردت جوديث. أعط أوامرك بحيث تكون الطائرة جاهزة عند الظهيرة..

طلب غريغوري إلى أمينة سره أن تهتف للطيار كي يكون تحت تصرفهم. فبدت أمينة السر مندهشة:

ـ لقد غادر السيد ستون بالطائرة قبل ساعتين.

ـ ماذا؟

ـ لقد ذهب إلى لاس فيجاس لمقابلة فنان هناك. بعدئذ سيسافر إلى الشاطئ كي يحضر جلسات مجلس الإدارة. كنت أعتقد أنك مطلع على الوضع.

ـ الحقيقة نسيت، تعجل غريغوري في الإجابة.

كيف تجرأ روبن على أخذ طائرته! فاستدعى مباشرة كليف دورن.

تأوه كليف:

ـ ماذا تريد يا غريغوري؟ إنه شيء عادي تماماً، هذه الطائرة تخص المؤسسة. وستون مدير المؤسسة كما أنه يحق له استخدام الطائرة. في شارع ماديسون يلقبها الناس باسم «الأريكة الطائرة» فقد أعاد روبن تجهيز داخلها كي يعد فيها غرفة نوم ذات سرير عريض يكفي لاثنين. ونادراً ما يأخذها بمفرده بل ينقل معه دائماً إحدى الفتيات، أول فتاة تقع تحت يده لكي تؤمن رفقته في السرير. الحقيقة، من المستحيل الإشراف عليه أو ضبه، فخلال نصف وقته لا يعرف أحد مكان وجوده.

ـ يجب أن يتوقف هذا.

ـ لسوء الحظ، إن زوجتك أعطته أثناء مرضك كامل الصلاحيات. لو تعلم كم من المرات تملكتني رغبة في أن أترك المؤسسة صافقاً الباب، لكن هذا كان يعني أن أترك له الميدان حراً بحيث يضع الرجل الذي يناسبه على رأس القسم القانوني وينهينا.

ـ إننا منتهون الآن، قال غريغوري بهدوء.

ـ كلا، هو نفسه من سينتهي.

ـ من سمح لك أن تقول شيئاً كهذا؟ سأل غريغوري.

ـ يجب أن يحصل هذا، اليوم أو غداً. إذ ليس عليك إلا أن ترى كيف تصرف خلال الأشهر الأخيرة الثلاثة. لقد قبل برنامجين يجب أن يكسر من أجلهما رأسه إن أردت الحقيقة، ولقد فشل البرنامجان على كل حال.

ـ إنه ككل الناس، السلطة تفسده وهو يعاني من جنون العظمة.

ـ كلا، لا أظن أن الأمر هكذا. أحياناً يعتقد المرء أنه يريد أن يضيء اسمه مثل نار اصطناعية وأحياناً أخرى تراه ينزعج حتى من شهرته. أعترف لك بصراحة، أنا لم أفهم هذا الشخص البتة. هنالك تقولات تشير إلى أنه لوطي، مع ذلك فهو دائماً محاط بالفتيات. آخرون يرون أنه يقبل رشاوي وقد قضيت أسابيع عدة بحثاً في هذه المسألة إنما دون أن أجد شيئاً. مرة وضعت إصبعي على شيء غريب، حتى وقت متأخر كان روبن يرسل أسبوعياً ثلاثمائة دولار لممثل إيطالي وصل حديثاً إلى هوليود: سرجيو ميلانو. لقد عرفت ذلك لأن المستشار المالي لروبن ومستشاري أنا أبناء عم. عملياً، سرجيو هذا على علاقة حميمة بألفريد نايت.

ـ هكذا إذن!؟

ـ أجل، لكن سرجيو لم يكشف بعد. أحدهم أعطاه دوراً مثيراً وهو بالحقيقة ولد جميل. حسب كل الدلائل فإنه يكسب الآن ما يجعله بغنى عن مساعدة روبن. إذ أنه توقف عن قبول ماله لأنه مع ألفريد نايت.

ـ لا يمكن للمرء أن يتهم إنساناً آخر بطرفة عين؟ أنا شخصياً لا أعلم كيف يترك الإنسان نفسه يتصرف هكذا، قال غريغوري منزعجاً.

ـ أنا بنفسي اهتممت بالأمر. تحر خاص سيتعقب أثر روبن منذ يضع رجله على الشاطئ. إننا نتحمل مسؤوليات إزاء المساهمين. وأنت ولا شك تحسب حساب الأثر على الجمهور إذا علق مديرنا العام في قضية أخلاقية.

ـ لكن لا أريد فضائح يا كليف! أريد أن أتخلص من روبن، لكن دون أن أحطم كليتيه. إنني غير مستعد للوصول إلى هنا.

ـ غريغوري، ببساطة، أنا أريد تقريراً مكتوباً. وسنعلم منه بالتأكيد أشياء جميلة. حينئذ سنقدم التقرير إلى روبن. هو نفسه لن يكون مستعداً لتحمل الفضيحة. أخته من الطبقة الراقية، وهي تشكل جزءاً من نخبة سان فرنسيسكو. وهو ذكي بما فيه الكفاية كي يعلم أن فضيحة واحدة كفيلة بإنهاء حياته المهنية. لذا سيقبل حينئذ بأن تكلف واحداً آخر بمساعدته وسنجري عملية تقسيم للسلطة، ومن المناسب بالنسبة لك أن تتصور لقباً جديداً. أن يبقى روبن ستون مديراً عاماً للشبكة ليس شيئاً مزعجاً. لكن يجب إعادة دان ملر. وبإمكانك أنت أن تلعب دور الحكم بين الرجلين وقرارك يصبح القرار النهائي.

كان غريغوري وهو يصغي لكليف يهز رأسه، فقال أخيراً:

ـ يسرني كثيراً أن يعود دان. فهذا، على الأقل، أستطيع ضبطه دائماً. لكن هل يرضى أن يقتسم السلطة مع روبن؟ في المرة الأخيرة فضل أن يستقيل.

ـ كلا، لقد استقال لأن روبن أصبح رئيسه.

ـ طيب، لكن لنفرض أن روبن تركنا بدوره. كل الشبكات الأخرى سيسرها أن تتعاقد معه.

ـ لا أخشى خطراً من هذا النوع حين يتوفر لنا التقرير الذي ذكرته لك.

ـ إذن، لا يمكننا أن نأتي بأية حركة قبل ذلك، استنتج غريغوري.

ـ هذا سيستغرق بعض الوقت. وإن لم نوفق هذه المرة فالمرة القادمة. وإذا لم يكن في هوليود ففي نيويورك. لقد اتصلت مع وكالة من الدرجة الأولى لها فروع في كل المدن والبلدان، وبانتظار الجواب علينا أن نصبر.

ـ لنصبر، تأوه غريغوري.

كان يتساءل في تلك اللحظة عن الطريقة التي يعلن بها لجوديث أنهما سيذهبان إلى لوس أنجلوس بطائرة عادية، لكنها تلقت الخبر على نحو مختلف:

ـ إنني أكره طائرتك القذرة، بعها.

وصل روبن إلى لوس أنجلوس عصر يوم الأحد. كدسة من الرسائل كانت تنتظره في الفندق. وكلاء وسطاء، نجوم، مدراء محطات فرعية للشبكة كلهم كانوا قد اتصلوا به. بل أرسلوا له زجاجات جيدة، إلى حد ما كان جناحه يمثل مشهد مشرب مليء تماماً وحين اطلع على الرسائل، وجد إحداها من سرجيو. صب روبن لنفسه كأس فودكا.

سيكون بولولونج مزدحماً بالناس وشخصيات الآي بي سي ومن الأفضل تجنبه. فاتصل روبن بسرجيو.

ـ روبن، في الشهر القادم سأرسل شكاً أعوض لك به عن كل السُلَف التي قدمتها لي. لقد فرغت قبل قليل من التوقيع على عقد رائع من شركة «القرن».

ـ لكن حذار أن تفعل شيئاً من هذا. فأنت ستعقد وضعي المالي فقط. لقد كنت في الماضي صديقاً ثميناً وما تركته لك كيتي لا يمكن أن يستمر إلى الأبد، إنني أعرف ذلك.

ـ أوه، الضرائب لم تترك لي الكثير، تنهد سرجيو، (بعدئذ تغير مزاجه) روبن، ألفي يقيم حفلة ساهرة كبيرة في منزله الليلة وبودي أن تأتي.

ـ كلا، أنا لست من هذا النوع.

ـ روبن، ليست الحفلة كما تظن بالضرورة. فهو يدعو هوليود كلها، (وفقع سرجيو ضحكة) يا لي من مسكين! لقد بدأت الآن أفهم أنه ليس باستطاعتي بعد الآن أن أسمح لنفسي بإقامة علاقات هوى خطرة. فهناك شرط في عقدي حول موضوع الأخلاق، وألفي أيضاً.

ـ ليس هذا ما أشرت إليه. بل لم أفكر به. كلا، إن احتفالات هوليود نفسها تسممني. وهذا ما أردت قوله. آسف يا أخي العجوز فأنت ستقيم احتفال لك بدوني، لكنك بالحقيقة تعيش أنت وألفي معاً، أليس كذلك.

ـ كلا، إنه يملك منزلاً صغيراً يسكن فيه وأنا أسكن في «ملتون تاور» فيما بعد، ربما سنشتري منزلاً كبيراً لنا نحن الاثنين، هذا حلمي.

ـ في «ملتون تاور»؟ إنني أعرف شخصاً يسكن هناك، ماجي ستيوارت...

ـ صحيح، إننا نتقابل من حين لآخر في المصعد. إنها جميلة جداً.

بعد أن انتهى الاتصال، طلب روبن «ملتون تاور» فردت ماجي بعد الرنة الأولى.

ـ هيه، ها أنت إذن أيها السوبرمان صاحب الأريكة الطائرة. لقد قرأت في الجرائد المفروض أن تصل اليوم.

ـ ماجي، يجب أن أراك.

ـ أنا أعمل في تصوير فيلم تلفزيوني. ثلاث جلسات هذا اليوم وجلستان غداً. وعلي أن أحمل معي دائماً ما يعادل خزانة ثياب لكي أغير بين مشهد وآخر، فعلي أن أظهر أنيقة، فوارة، مفعمة بالمرح والحماسة. وليس هنالك شيء يصدع الرأس كهذا.

ـ يجب أن أراك، كرر روبن.

ـ لقد سمعت أول مرة.

ـ إذن، لماذا تهذرين حول موضوع تسجيلاتك وتلك الخزعبلات الأخرى؟

ـ لأنني مريضة عقلياً. هل تريد أن تعرف لماذا؟ لأنني أرغب برؤيتك، مما يثبت أنني مصروعة. لابد بالفعل أن أكون شقية لكي أهتم بشخص مثلك.

ـ هل تريدين أن تأتي هنا؟ سأجعلهم يطلبون لنا وجبة إلى غرفتي، إلا إن كنت تفضلين العشاء في ماتيو؟

ـ كلا، تعال عندي، قالت ببطء. فقد سبق لي أن نزعت زينتي وفردت شعري. لدي نقانق فرانكفورتية في الثلاجة وسأسخن علبة رائعة من الفاصولياء الصغيرة.

ـ سأجيء.

ـ لا تضغط على نفسك. أعطني ساعة. فعلي أن آخذ «دوشاً» وأستعيد هيئة مقبولة نوعاً ما.

صبَّ روبن لنفسه كأساً أخرى من الفودكا وأشعل التلفزيون ثم راح يتساءل إن كان غريغوري أوستن قد وصل. ربما كان عليه أن يتصل به هاتفياً؟ فهز كتفيه. وبعد؟ ليحدث ما يحدث! سيرى غريغوري يوم الثلاثاء في مجلس الإدارة.

كان غريغوري جالساً في صالون البيت المنفرد رقم ثمانية، الملحق بفندق بفرلي هلز. في الأوقات العادية كان يفضل النزول في فندق «الهواء الجميل» فهذا أكثر انعزالاً كما أنه يوفر عليه مواجهة شخصيات الشبكة. نظر إلى ساعته، إنها التاسعة مساء، إنما حسب توقيت نيويورك؛ أي السادسة بتوقيت الشاطئ الغربي. لقد انتهى كلنت مردوك من الاتصال به قبل لحظة، كجنرال متقاعد، كان كلنت أحد الشخصيات الرئيسية في مجلس الإدارة، وكانت السيدة مردوك قد جاءت لاستقبال آل أوستن في المطار كما دعتهما للعشاء في المساء نفسه في قاعة الفندق. لم يكن باستطاعة غريغوري أن يرفض.

فالجنرال شخصية في غاية الأهمية. حسناً، هذا العشاء لن يطول كثيراً. بأية ضربة من ضربات الحظ سيكون باستطاعة غريغوري أن ينسحب إلى البيت المنفرد قبل منتصف الليل؟ وتثاءب. إنه نعسان، ولعله سيجد الوقت الكافي لأخذ غفوة صغيرة طالما أن العشاء غير متوقع قبل الساعة الثامنة.

كان عليه أيضاً أن ينذر جوديث، ورغم أنه كان منهمكاً إلا أن هذا العشاء سيقدم لجوديث مناسبة عرض واحد من ثيابها الجديدة. ولعلهم سيتناولون المقبلات في بولونج قبل ذلك.

إنهما، اعتباراً من الغد، مدعوان كل يوم. لقد أنجز كلي وهليس شيئاً مقابل الألف دولار أسبوعياً. وكان يأمل أن تكون جوديث سعيدة بذلك.

التحقت به جوديث في الصالون.

ـ لا أعرف ما أفعل، قالت جوديث، محل التنظيف مغلق مساء الأحد.

ـ سيفتح غداً باكراً.

ـ حسناً، كنت سألبس هذا المساء طقمي الصوفي الموشى بالذهب. فكل ما لدي من ملابس بحاجة للكي.

ـ هذا المساء؟

فلوحت له بدعوة:

ـ لقد وجدت هذه عند وصولي، ألفي نايت يقيم حفل استقبال كبير. هوليود برمتها ستكون هناك.

ـ جوديث، نحن مدعوان إلى جميع السهرات بدءاً من الغد. لكن هذا اليوم قبلت دعوة عشاء عند الجنرال مردوك وزوجته.

ـ آل مردوك؟ لن أتعشى عندهم حتى لو لم يكن لدي ما أفعله. لا، لن أفوت سهرة ألفي نايت من أجلهم.

فنهض غريغوري من مقعده وأمسك بها من خصرها:

ـ جوديث، أنا بحاجة لمردوك. قد ينفعني في مجلس الإدارة.

فكشرت جوديث تكشيرة خبيثة:

ـ هكذا إذن! سأقضي الساعات أثرثر بغباء مع السيدة مردوك بينما تصغي أنت إلى قصص صيد الجنرال الأخيرة؟ وهل تعتقد أن روبن ستون سيتمرغ هكذا؟ لا، ستجده لدى ألفي نايت هذا المساء. كل هوليود ستكون هناك. ودفعت زوجها عنها ثم أسرعت إلى غرفتها.

رآها تجتاز الغرفة ذاهبة إلى الحمام فسيطر عليه نوع من الرعب:

ـ جوديث، ماذا تفعلين؟ صرخ غريغوري.

فأرته زجاجتها الصغيرة الخاصة بأقراص التنويم:

ـ سآخذ قرصين. لست مستعدة مقابل أي شيء في العالم لأن أضيع وقتي مع هؤلاء المشؤومين، وحين أنام لن آسف على أنني فوت أفضل سهرة من سهرات الموسم.

فأمسك بالزجاجة:

ـ اسمعي، لن يكون باستطاعتي أن أخدع الجنرال. لكن إن كنت تصرين على الذهاب لهذا الحفل فاذهبي، وسأخترع حجة لتبرير غيابك.

ـ ليس باستطاعتي أن أذهب وحدي لحفل كهذا (ومدت يدها إلى الزجاجة) أعطني هذه الأقراص، أرجوك غريغ، أنا أشعر أنني غير قادرة على تحمل عشاء لا أدري متى ينتهي عند هؤلاء الناس.

ـ كلا، قال غريغوري، سأجد من يرافقك إلى هناك. (وفجأة مال نحوها) روبن ستون ممكن؟

فظلت جامدة لا تبدي تأثراً.

ـ لكنه لن يكون وحيداً بالتأكيد.

ـ حتى لو كان لديه رفيقة أخرى فقد يصحبك.

واتجه إلى الهاتف، سيكلفه الأمر أن يطلب خدمة من روبن، إنه مستعد لأن يفعل كل شيء من أجل جوديث. يالله! كل شيء ما عدا أن يتركها تشرب العقاقير وتنام من أول السهرة.

حين أصبح روبن على الطرف الآخر من الخط، دخل غريغوري في لب الموضوع.

ـ أحد نجوم السينما يقيم حفلة هذا المساء يا روبن. أظن أنه ألفي نايت. بالحقيقة، أوف، السيدة أوستن تلقت الدعوة وتظن أنها ستجد فيها شيئاً من التسلية. ولقد مضى زمن طويل لم تحضر مثل هذه الحفلات الهوليودية. لسوء الحظ إنني مرتبط هذا المساء، فسأتعشى مع أحد أعضاء مجلس الإدارة. إذن هل يمكن أن تؤدي لي خدمة بمرافقة السيدة أوستن.

كانت جوديث تراقب وجه غريغوري كي ترصد فيه كل تغيّر في التعبير. وبدا لها الصمت ثقيل الوطأة... لقد قدرت أن روبن سيرفض.

ـ هذا رأيي أيضاً، استأنف غريغوري، لكن ستقدم لي خدمة شخصية. أجل، إنني أرى... حسناً، اصغ إلي يا روبن، بإمكانك أن تحافظ على موعدك على العشاء وترافق بعدئذ السيدة أوستن. فالدعوة في الساعة الثامنة لكن هذا النوع من الاحتفالات لا يزهو إلا بعد التاسعة أو العاشرة. سأكون لك في غاية الامتنان.

ـ حباً بالله! صرخت جوديث، اقلع عن هذا التوسل (ووثبت نحوه نازعة من يده السماعة).

ـ روبن، جوديث على الخط، لا تول كبير اهتمام لما قاله زوجي، إنها فكرته وليست فكرتي.

ـ هل لديك رغبة في الذهاب إلى هناك حقاً! سألها روبن.

ـ لقد فكرت بأنني سأتسلى هناك، أنا بحاجة لشيء من التسلية. لكنني لا أريد مقابل أي شيء في الدنيا أن ألزمك بالذهاب إلى هناك.

ـ إنني أرتعب من حفلات هوليود. لكن اصغي يا جوديث، إذا ذهبنا إلى هناك متأخرين قليلاً فهل هذا يناسبك؟ حوالي العاشرة مثلاً؟

ـ هذا سيكون مدهشاً؟ فذلك سيعطيني وقتاً كي أنام قليلاً.

ـ تمام، إذن سأخبرك من الحفل.

وأغلقت الخط محاولة ألا يظهر عليها الفرح. لم يكن روبن يرغب في الذهاب إلى هناك ولقد ضحى بسهرة من أجلها. إذن ما يزال يحس بعاطفة نحوها؟ لقد قدمت له الإمكانات كلها للرفض. ربما كان لديه موعد مع إحدى الفتيات وسيتخلى عنها لكي يخرج معها. وقبلت جوديث زوجها قبلة خفيفة على وجنتيه.

ـ إنني أتذمر منهم مرؤوسيك هؤلاء، قالت جوديث مبتسمة، لكنهم ما يزالون يطيعونك الطاعة كلها.

فارتاح غريغوري لمزاج زوجته الحسن وجعله يشعر بالعزاء.

ـ لم يكن ميالاً للطاعة كثيراً. ليس لي على كل حال. فأنت من جعله يقرر. لكن ماذا تريدين يا جوديث؟ أنت دائماً قادرة على نوال ما تريدين من الرجال.

كانت جوديث سعيدة إلى حد رغبت معه بأن تكون طيبة مع الناس كلها.

ـ هذا العشاء مع ماردوك؟ هل تستطيع أن تدبر نفسك فيه بدوني؟ متأكد؟

ـ بالتأكيد، فسأقول إن الرحلة قد أتعبتك كثيراً، ولن يعرفوا أنك ذهبت إلى حفل الفي نايت. أي حظ أنهم لم يدعوا إلى هناك!

فقبلت جبينه:

ـ سأضع شيئاً من المرهم على وجهي، وسأسترخي قليلاً في مغطس الحمام الساخن ثم أغفو قليلاً، أيقظني عندما تذهب.

راحت جوديث، وهي تنتظر المغطس أن يمتلئ، تترنم بالأغاني في الحمام. ستذهب لمقابلة روبن، هي متأكدة من أنه مشتاق لمقابلتها هو الآخر. هذا واضح، لقد كان متعلقاً بها لكنها أرعبته بمحادثته عن الزواج. منذ هذا المساء، ستجعله يفهم أنها سترضى في المستقبل بكل شروطه. ستراه في كل سهرة من سهرات هذا الأسبوع، فهم، لا بد مدعوون إلى الحفلات نفسها. وبعد عودتهم إلى نيويورك ستلتقي به من جديد في «مكان الشرحات» وأخيراً... ياالله ما أجمل هذه الحياة!

استأجر روبن سيارة وتوجه إلى شقة ماجي. كانت الساعة السابعة. أية كارثة، هاتف غريغوري هذا! لكن جوديث بدت له يائسة تماماً! لقد توقف كلياً عن رؤيتها مذ تكلمت معه عن الزواج وكان يأمل أن تجد بديلاً له منذ ذلك الحين. لكن حين أكدت له بكل كبرياء أنها لا تريد إلزامه بعمل من أعمال السخرة، شعر بحقيقة الموقف، لم تخدعه هبة الكبرياء هذه، فقد أحس وكأنه نداء استغاثة ولم يكن يملك الشجاعة للرفض.

طوال الطريق كان روبن يتساءل لماذا يشفق هكذا على امرأة مثل جوديث؟ الحقيقة، أنه لم يكن يحس بأي شيء تجاه أي شخص ما عدا ماجي. بأي عنف كان يشتهيها!! إنها حاجة جسدية. قوة ملزمة. هكذا بكل بساطة. لقد كان معجباً أيضاً بالشجاعة التي كانت ماجي تعد بها الضربة تلو الضربة. في حياته، كانت ماجي تمثل التحدي. فهي ليست أماندا اللطيفة ذات العينين الحزينتين. ماجي امرأة مقاتلة:

امرأة من نوع فريد. لكن جوديث؟ جوديث ليس مديناً لها بأي شيء. لماذا بحق الشيطان كان قد وعدها بقطع سهرته مع ماجي؟ ردة الفعل العفوية للهاتف كانت قد بلبلته. وأجهد نفسه في ألا يفكر بالأمر حين دخل إلى الموقف الصغير القريب من «برج ملتون».

بدت ماجي متعبة، لكن جميلة إلى حد الروعة. وقد لاحظ الدوائر البنفسجية تحت عينيها. كانت ماجي نحيفة جداً لكنها بدت أكثر إثارة من أي وقت مضى.

تعشيا في الصالون على طاولة صغيرة منخفضة. وحين انتهت الوجبة ساعدها برفع الأواني. بعدئذ وبابتسامة شبه وجلى، قادته إلى غرفة النوم. فالأثر الذي كانت قد مارسته عليه أدهشه كل الإدهاش. كان حضور ماجي وحده كافياً لإيقاظ كل رقة في قلبه... فيما بعد شعر وهو يحضنها بين ذراعيه أنه سعيد غاية السعادة، ذلك الشعور الذي لم يعرفه منذ زمن طويل. يا للعجب! لو كان بإمكانهما فقط أن يتفاهما على تسوية عملية مرضية! فسيعيش معها، لكن ليس بإمكانه أن يسألها ببساطة أن تقاسمه وجوده، وفكر روبن بالزواج وهو مستغرق بمداعبة شعرها بلطف بالغ هذا قد يمشي... شريطة أن تترك له شيئاً من الحرية كل مرة يرغب فيها بذلك. شيء غريب، فهو لم يكن يرى أحداً يمكن إغراؤه بفعل أدنى عمل طائش. يالله! بعد قليل سيكون مجبراً على مغادرتها كي يذهب لمرافقة السيدة أوستن إلى ذلك الحفل اللعين. فألقى نظرة إلى ساعته الأسوارة. التاسعة إلا ربعاً... ما يزال لديه قليل من الوقت.

ـ ماجي؟

ـ / م م..؟ (وتحركت حاشرة وجهها بين كتف روبن وذقنه)

ـ هل لديك مشاريع أخرى سوى الأفلام التلفزيونية؟

ـ ألفي نايت سيخرج فيلماً وبودي أن أمثل فيه.

ـ لقد عرضت عليك أن تقومي ببطولة مسلسل جديد في التلفزيون وعرضي مايزال قائماً.

ـ أحب أكثر أن أمثل فيلماً.

ـ هل أنت مهتمة بذلك فعلاً؟

فانحنت من فوق روبن مادة يدها إلى منضدة السرير وأخذت سيجارة:

ـ لقد وعدت ألفي، وهاي لا يتركه أبداً. ألفي مستعد لتشغيلي، على ما يبدو، إن لم يصل لوضع الكف على المرجل. لقد سمعت أنه يرغب إليزابيت تايلور. لذا أظن أن فرصتي تضاءلت كثيراً.

ـ لعلي أستطيع مساعدتك هنا. لكن لماذا لا تقبلين مسلسلي التلفزيوني؟ هذا سيجعلك أكثر شهرة على المستوى الجماهيري والآي بي سي تدفع حسناً. ثم ألفي لن يخرج فيلمه قبل العام القادم.

فرفعت نفسها ببطء وحدقت مباشرة إلى عينيه:

ـ إذ ذاك ستكون معي طوال الأشهر الثلاثة أو الأربعة، وسنلتقي ونمارس الحب ونتكلم عن عملي.

ـ سأكون هنا غالباً جداً...

ـ إذن سنمارس حباً أكثر وسنتكلم أكثر. (ونهضت)

ـ آخر الحساب، ماذا تريدين يا ماجي؟

فتوقفت وسط الغرفة حيث كان ضوء الحمام ينير جسدها، ورأى روبن بريق غضب في عينيها.

ـ أريدك أنت، وأنت من أريد! هذا المساء أيضاً، كان شيئاً رائعاً، لكن كالعادة، غداً صباحاً سأرغب بك ثانية. أما أنا فلست سوى سلعة لديك... الفتاة التي تفتح لك أحضانها على الشاطئ الغربي.

فقفز خارج السرير وأخذها بين ذراعيه:

ـ يالله! هذا خطأ، خطأ، وأنت تعرفين ذلك. فتيات!! ثمة أكداس من الفتيات في المدينة وليس علي إلا أن ألوح لواحدتهن بإمكانية تعاقد...

ـ وأي شيء آخر فعلت قبل قليل؟ لقد قدمت لي مناسبة غير مأمولة، دوراً من ذهب في مسلسل تلفزيوني. مقابل ذلك، تأمل مني أن أفتح لك ذراعي لدى أدنى إشارة. قل لي ماذا تدعى الفأرة التي تحتفظ بها في نيويورك وهي على أهبة الاستعداد للانسلال إلى اللانسر عندما تشتهيها؟ هل هنالك واحدة أخرى في شيكاغو؟ هذا على ما يبدو أمر لا مناص منه. إذ لا بد للأريكة الطائرة من أن تتزود بالوقود في كل مرحلة.

فتركها وانسل مبتعداً، بينما ارتدت هي رداءً منزلياً ثم أشعلت سيجارة وراحت ترقبه وهو يرتدي ثيابه. فجأة تألق وجه روبن:

ـ الأريكة الطائرة؟... هل هذا هو اسم طائرتي؟

ـ ألم تقرأ مجلة «تحت الغطاء» الشهر الماضي؟

ـ أنا لا أعرف حتى بوجودها.

ـ مجلة فضائح. كانت صورتك فيها على الغلاف. فهم لا يتحدثون عنك في النيوز ويك والتايم وحسب، بل كل الدوريات الصحفية تهتم بالسيد روبن ستون. حسب رأي «تحت الغطاء»، قليلاً يهم من هو فوق الأريكة: رجل أو امرأة فكله مقبول بالنسبة لك.

وفجأة صفعها. وفجأة أيضاً ارتخت مفاصلها ثم انفجرت بالبكاء مرتمية بين ذراعيه:

ـ يا إلهي! روبن، لماذا نمزق أنفسنا هكذا؟ قالت منتحبة.

ـ ماجي، أنا ما أزال متمسكاً برغبتي في أن تقبلي عرضي.

ـ أنا لا أبيع نفسي! (والدموع ما تزال تجري على وجنتيها) ألا تفهمني إذن؟ أنا لا أريد سوى شيء واحد في العالم: أنت.

ـ حسناً، أنا هنا، إنني لك أكثر مما أنا لأية امرأة أخرى، بل إنني ألبس خاتمك اللعين الذي يعطيني هيئة رجل لوطي.

وحين لم تجبه استأنف:

ـ بمناسبة الخاتم، هل تسير الأمور بمحبس على نحو أفضل؟

ـ أجل.

ـ طيب.

ـ طيب ماذا؟

الذهاب للقاء جوديث، لكنه كان مهتماً بترتيب الوضع مع ماجي. ستكونين السيدة روبن ستون، لكنني سأحتفظ بحريتي في الحركة، الآن، مثلاً، إنني مضطر لمغادرتك.

فتطلعت إليه غير مصدقة:

ـ مضطر لفعل ... ماذا؟

ـ علي أن أذهب كي أرافق سيدة إلى حفل.

فبقيت لحظة مبهوتة. بعدئذ تراجعت كما لو أنه ضربها:

ـ هل جئت إلى هنا هذا المساء وقد ضربت موعداً متأخراً مع امرأة أخرى؟ هل كنت تعلم أنك ستهب نازلاً من سريري لتلتحق بامرأة ثانية؟

ـ ليس الأمر هكذا، يا طفلتي المسكينة. هذه المرأة هي السيدة أوستن.

ـ إذن كله صحيح، رغم أنه لا يمكن للمرء أن يقول إن هذه فتاة جذابة.

ـ كوني لطيفة يا ماجي ولا تحشريها في قصتنا.

ـ بالتأكيد، إنها فوق هذا! (وأطلقت ماجي قهقهة عالية) معي، أنت تطلب الاحتفاظ بحريتك. لكنك تقفز مثل «التوتو» حين تشير لك السيدة أوستن. أتراك بهذه الطريقة أصبحت مدير الآي بي سي؟

ـ إنني مضطر لأن أذهب يا ماجي ولا أريدك أن تقولي لي أشياء مزعجة، أنت نفسك غير مؤمنة بها، سأخابرك غداً.

ـ ليس هناك من غد (وكانت عيناها تلتهبان غضباً)

ـ هل تتكلمين بجد يا ماجي؟

فقامت بنصف دورة تهز كتفيها شهقات البكاء. فاقترب منها. وأخذها بين ذراعيه:

ـ ماجي، إنني متعلق بك، يالله، كيف تريدينني أن أبرهن على ذلك؟ إنني أطلب يدك للزواج إن وافقت على قبولي كما أنا! لكنني أريدك.

ـ يجب أن تكون بحاجة إلي، حاجة، قالت لاهثة. في الماضي تزوجت رجلاً لم يكن بحاجة إلي إلا لكي أعطيه وريثاً. افهمني يا روبن. إنني أحبك لدرجة تخيفني. عندما خانني هدسون جرحني ذلك رغم أنني لم أكن مغرمة به. لكن لو كنت أنت من يخونني فإنني سأموت. لقد عملت كل ما في وسعي كي أنساك، صدقني، مع آندي، مع آدم، مع كل زملائي الأبطال في السينما. إنما لم يجد هذا كله. لا، لا أريدك أن تتزوجني لكي تسرني. أريدك أن تتزوجني لأنك تريدني، لأنك ترغب في أن أتقاسم معك كل شيء: أفكارك، آمالك، حبك، همومك، لا مجرد جسدك. ألم تفهمني يا روبن؟ أريدك أن تكون بحاجة إلي.

ـ إذن، لا أرى حلاً للمشكلة، قال روبن أخيراً. (وابتسم بهيئة غريبة) انظري يا عزيزتي أنا لست بحاجة لأحد.

فهزت رأسها، مهزومة:

ـ دان ملر قال لي ذلك.

ـ إذن، هو أخبث مما كنت أعتقد (واتجه نحو الباب) هل تريدين أن تشتركي في هذا البرنامج؟ سألها.

ـ كلا.

ـ هل تريدين أن تتزوجيني؟

فهزت رأسها:

ـ ليس بشروطك.

ففتح الباب:

ـ إنني باق هنا أربعة أو خمسة أيام، إذا غيرت رأيك بالنسبة للعمل أو الزواج...

فحدقت إليه بإمعان وقد انتفخت عيناها من البكاء:

ـ لا تعد إلي أبداً. لا تخابرني أبداً، روبن، أبداً، أبداً أرجوك.

ـ هل أنت جادة؟

ـ أجل، صرخت ماجي، لا أريد أن أسمع كلمة واحدة عنك طالما لا تستطيع أن تقول لي إنك بحاجة إلي.

وذهب روبن، بينما بقيت ماجي جامدة دون حراك، وحين سمعت باب المصعد ينطبق ألقت بنفسها على السرير وشرعت تنتحب.

في العاشرة إلا دقيقة واحدة وصل روبن إلى قاعة بيفرلي هلز. وبعد لحظة ظهرت جوديث حمراء لامعة في طقمها المصنوع من الصفائح. لقد كانت أكثر جمالاً من أية مرة من قبل. لم تعد توحي بالشفقة لروبن مطلقاً. لقد فكر بماجي وبشعرها الذي كان على شكل الحصان ودوائر اللون البنفسجي تحت عينيها. فأدرك أنه لم يعد

باستطاعته أن يمارس الحب مع جوديث مهما حاول أو فعل. مع ذلك، فقد بش لها بابتسامة متألقة وهو يتجه نحوها.

ـ نجمات السينما كلهن سيغرن منك.

ـ لا تسخر مني. لقد لبست هذا الطقم في عدد من الاحتفالات في نيويورك لا يعلمه إلا الله ولسوء الحظ، لم أجد لدي شيئاً آخر أرتديه هذا المساء.

ـ لكنني لم أستأجر إلا سيارة «رامبلر» وهي لا تليق كثيراً بك، قال وهو يقودها إلى السيارة فالتصقت به في المقعد الأمامي.

ـ إنني أفضل هذه على الليموزين، (وابتعدت قليلاً كي تتأمل وجهه الجانبي بينما أدار هو محرك السيارة وانطلق بها فوق الهضاب) أوحشتني يا روبن. قالت جوديث بكل ما لديها من رقة.

ـ امرأة جميلة مثلك يجب ألا تكون بحاجة لأحد، قال روبن بلهجة ملؤها الطيبة. كوني لطيفة أرجوك وراقبي أسماء الشوارع من جانبك. الفي يسكن في شارع «السنونو» كل الشوارع في هذا الحي تحمل أسماء طيور.

ـ الآن، نحن في شارع دوهيني.

ـ إنه الطريق الصحيح. ليس بعيداً من هنا. علي أن أنحرف إلى اليمين.

فثبتت انتباهها على لوحات الطرقات.

ـ لقد عملت من نفسي تابعة لك، قالت بتمهل.

ـ متى هذا؟

ـ عندما أخذت الطائرة كي ألحق بك إلى شيكاغو.

ـ كان ذلك تصرفاً قليل الحكمة لكنه ساحر.

ـ لقد فكرت كثيراً منذ ذلك الحين يا روبن. أنا لا أستطيع التخلي عن غريغوري إنه بحاجة إلي.

ـ عال. وأنت أيضاً بحاجة إليه.

ـ كلا، أنا بحاجة إليك أنت.

ـ انتبهي، هذا هو ممر السنونو. أظن أنني وصلت المنزل، هاهنا سيارات رولز وبنتلي. في اللحظة التي كان يصف فيها روبن سيارته بحذاء الرصيف كانت سيارة أخرى تتوقف أيضاً بحذائه.

ـ هل ستدخل إلى المنزل؟ سأله الشرطي.

ـ أجل، إنهم يقيمون حفل استقبال.

فقهقه الشرطي ضاحكاً:

ـ هذه هي المرة الثالثة التي يرسلونني بها إلى هنا. تلطف وقل لألفي نايت إنني واحد من معجبيه وإن له الحق في أن يتسلى لكن لسوء الحظ، لدى الجيران هناك طفل تنبت أسنانه.

ـ تكرم، وعده روبن ثم ساعد جوديث بالنزول من السيارة.

تفحصها الشرطي ودار على نفسه مصدوماً حين رأى أنها لا تمت لعالم السينما، ثم عادت نظرته واستقرت على روبن.

ـ يخيل إلي أنني أعرفك. أنت.. أي نعم. في السابق لم أكن أبداً أفوت فرصة التفرج على برنامج «من الأعماق» عندما كنت تقدمه. أنت روبن ستون، أليس ذلك صحيحاً؟

ـ صحيح.

ـ كل المشاهير تقريباً يجتمعون هنا هذه الليلة. يجب أن تعود وتستأنف هذا البرنامج، فقد كان يعجبني كثيراً، أيامك. إنك جيد تماماً مثل برنكلي وهنتلي.

ـ الآن السيد ستون يقدم برنامجاً يدعى «الظاهرة» أعلنت جوديث بكبرياء صاحب الملك.

ـ لسوء الحظ، إنني في الوقت الحالي أخدم ليلاً ولا أرى كثيراً من برامج التلفزيون. (وانتظر إلى أن دخل روبن الممر ثم ناداه دون أن يزعج صوته سيدة ستون)، هل تسمح لي بثانية من وقتك بمفردك؟

فتردد روبن، إلا أن جوديث ابتسمت وهزت كتفيها، فذهب إلى السيارة الأخرى:

ـ اسمع، سيد ستون، استأنف الشرطي، الكهلة التي معك، ليست امرأتك. إنها أكبر منك. (فتطلع السيد روبن ببرود دون أن يجيبه) فتابع الشرطي: ما أردت قوله، ليس من شأني التدخل في قضاياك، لكن أردت أن أنبهك... إن لم تكن هذه المرأة زوجتك.

ـ لم أفهم.

ـ لا شيء يخفى علي، انظر، فطوال الوقت الذي تحدثت به معك كان هناك من يرصدك.

ـ أنا؟

ـ أنا متأكد من ذلك. هل لديك مضايقات أو شيء من هذا القبيل؟

ـ ليس إلا المضايقات العادية.

ـ جيد، إذن، هاهو ذا. خلال محادثتنا توقف أحدهم هناك، قام بنصف دورة في المكان ثم غادر، ثم عاد وابتعد من جديد، الآن، سيارته واقفة قبل المفرق بقليل. في المرة الثانية استطعت أن أميزه، إنه تحر خاص.

ـ ربما كان يرصد شخصاً آخر. فأنا أرافق هذه السيدة لأن زوجها طلب مني ذلك.

فهز الشرطي كتفيه:

ـ ربما كان يراقب منزلاً آخر، وربما كان ينتظر زوجاً يخرج من منزل شخص آخر لكنني واثق من أنه في مهمة.

ـ لا علاقة لي بالأمر. طمأنه روبن. لكن، شكراً لك على كل حال. ثم أسرع والتحق بجوديث.

دهشة وفرح سرجيو لدى وصول روبن حملا لنفسه الكثير من العزاء لما لاقاه في سهرته من انزعاج، كما تعرف إلى عدد من المخرجين المشهورين، والنجوم الكبار، وإلى الطاقم المعتاد من النجمات السينمائيات. إحداهن أمسكت به من ذراعه ثم قبلته قبلة ندية على عنقه. وحين التفت وجد أنها تينا سنت كلير. قدم روبن جوديث لسرجيو وألفي وتينا. بعدئذ ملأ كأساً وقاد جوديث إلى كنبة. قط سيامي كبير اجتاز الصالون ببضع نطات. تطلع إلى روبن وماء مواءات عدة جافة ثم قفز على ركبتيه. وكاد الكأس يفلت من يد ألفي.

ـ هكذا إذن! هتف ألفي، بإمكان المرء أن يقول إن فيك نداء جنسياً خاصاً. فسلجر يكره العالم كله.

ـ سلجر! كرر روبن (ولدى سماع صوته، أصدر القط هريراً خاصاً، فداعبه روبن خلف أذنه) من أين جئت به؟

ـ آيك ريان أعطاني إياه. لقد كان لزوجته، وبما أن آيك يسافر كثيراً فهذا القط المسكين يقضي جل حياته في دار معاش. وبما أنني أعبد القطط فقد ألفني رغم أنه يكره الغرباء، لربما كنت أنت نوعاً من الاستثناء.

ـ نحن أصدقاء قدامى، أنا وسلجر. وداعب عنق سلجر فلاحظ أن المدالية الفضية الصغيرة كانت ماتزال معلقة بعنقه.

راحت تينا وقد وقفت أمام الجوقة الموسيقية تتثنى تثنيات مغرية مركزة نظرة كلها إغراء أيضاً على روبن.

ـ اطلب إليهم ألا يثيروا الكثير من الضجيج، طلب روبن من ألفي. فهنالك سيارة شرطة في القطاع.

ـ آه! هذا الشرطي الملحاح! طفل الجيران ليس إلا حجة للمضايقة. بيننا، أعتقد أنه منهم.

فابتسمت جوديث لروبن ثم همست له:

ـ لسنا مجبرين على البقاء.

ـ هل تضايقت؟ قال متعجباً، أم ليس هناك كثير من الناس بالنسبة لك؟

ـ هنالك دائماً كثير من الناس حين نكون معاً. إنني أحب أن أشرب كأساً معك في شقتك.

ـ كنت أعتقد أنك متمسكة بالمجيء إلى هنا.

ـ هذا صحيح، لكنني الآن أرغب في أن أكون وحيدة معك.

ـ هذه ستكون إهانة لألفي وسرجيو فهذا واحد من أفضل أصدقائي.

فهزت كتفيها مبتعدة وهي تبتسم متظاهرة بأنها موافقة على الصبر قليلاً.

شرب روبن ثم راح يدردش مع سرجيو والفي، بينما تركت جوديث نفسها تحاط بمجموعة من الممثلين. كان روبن مصمماً على البقاء إلى وقت متأخر عند ألفي، متأخر إلى حد لا يستطيع بعده أن يأخذ جوديث إلى شقته.

حوالي منتصف الليل، بدأ الحضور بالانصراف، فتخلصت جوديث من جلسائها وانضمت إلى روبن قرب المشرب محاولة أن تبتسم.

ـ لقد تركتك طوال الوقت وحيداً مع هذين الفتيين، والآن جاء دوري، إذن، هذه الكأس؟

ـ ماذا ترغبين أن تشربي؟

ـ لا يهم.

ـ في مشرب ألفي كل ما ترغبين من مشروبات، اختاري.

ـ ليس هنا المكان الذي أرغب فيه بالشرب، قالت بنوع من الغضب.

فاقترب ألفي.

ـ ما الخطب يا عزيزتي؟

فاغتصب روبن ابتسامة. لقد كان الفي واحداً من النجوم النادرين الذين لا يريدون أن يسمعوا كلمة واحدة عن التلفزيون. لذا لم تترك السيدة أوستن أي انطباع بالأهمية في نفسه..

ـ كل شيء على ما يرام، قالت مبتسمة، فقط كنت أقول لروبن إنه حان موعد العودة.

ـ إن كنت متعبة يا صغيرتي فسأجد حالاً من يوصلك إلى كوخك.

فالتفتت جوديث إلى روبن، مترفعة عن إجابة ألفي، ثم قالت بلهجة جازمة:

ـ روبن، أريد أن أعود.

ـ ألفي، قال روبن مبتسماً، سمعت ما قالت السيدة؟ من يمكن أن يوصلها إلى بفرلي هلز؟

ـ جوني يقطن «نورث كانيون».. هي.. جوني! متى ستذهب؟

فنهض شاب، في الطرف الآخر من الغرفة، ثم أشار بيديه أنه على أهبة الانطلاق.

ـ حسناً، يا صديقتي، هاهو ذا سائق تحت تصرفك، أعلن ألفي.

ـ من يسمح لك؟ (وأدارت ظهرها إلى ألفي ثم طلبت بثبات وقوة أشد) روبن أعدني إلى فندقي.

ـ طيب، طيب. لكن ليس مباشرة، دعيني أكمل كأسي.

فمر ألفي خلف المشرب ثم قدم له زجاجة فودكا.

ـ يخيل إلي أنه لم يبق لديك الكثير.

فتطلعت جوديث إلى روبن وهو يملأ كأسه من جديد ثم ألحت:

ـ روبن، أريد أن أذهب، معك.

ـ اسمعي، يا صديقتي، تدخل ألفي. لا يستطيع الإنسان أن يحصل دائماً على ما يريد.

فاتقد الغضب في عيني جوديث وهي تركزهما على روبن:

ـ هل أنت مسرور مع هؤلاء المنحطين؟

ـ إنني مسرور مع أصدقائي.

ثم تركها ومضى إلى إحدى الكنبات. فانضم الفي وسرجيو إليه. بينما بقيت جوديث منتصبة عند المشرب، لم يكن قد حدث لها شيء من هذا النوع من قبل. حقارة ألفي هذا!... لقد عاملوها معاملة فتيات الشوارع. هي! السيدة غريغوري أوستن! لقد سخروا منها وأداروا لها ظهورهم، لقد احتقروها!

فصبت لنفسها كأس وسكي. كانت تكتكة ساعة الحائط المعلقة خلف المشرب تتردد مسموعة في الغرفة الصامتة. فلاحظت أن جميع الناس تقريباً قد ذهبوا، ولم يبق إلا روبن وهذان اللوطيان الصغيران الملتصقان واحدهما بالآخر على الكنبة. لقد كانا يتصرفان هكذا قصداً لإهانتها. فنزلت عن الكرسي العالي، وفي تلك اللحظة لفت نظرها شيء يلمع على السجادة، إنها حلية ذهبية. فتناولتها وقرأت النقش المكتوب في داخلها، ثم ابتسمت بتمهل واقتربت من الكنبة ممسكة الحلية بين إبهامها وبنصرها، مادة يدها إلى أقصى مدى وكأنها تريد ألا تتسخ بها:

ـ الآن فهمت لماذا تريدون التخلص مني. تريدون الانفراد بأنفسكم، أنتم الثلاثة، أليس كذلك؟

هذا الأسلوب أدهش الرجال الثلاثة في البداية. بعدئذ رأى ألفي الحلية فنهض واثباً، ماداً بشكل آلي يده إلى معصمه.

ـ أين وجدت هذه أيتها القذرة؟ لقد كنت ألبسها هذا المساء.

ـ وجدتها على الأرض، أمام المشرب، قالت وهي تتراجع (محركة الحلية أمام أنفه). لا بد أن الماسكة قد انكسرت، هاهي ذي حلية مثيرة للغاية.

فنهض سرجيو بدوره وتقدم نحوها قائلاً:

ـ أعيدي هذه الحلية.

وبحركة سريعة أسقطت جوديث الحلية بين نهديها ثم مسحت كفيها ضاربة إحداهما بالأخرى.

ـ هاهو ذا المكان الذي لا يملك أمثالكم الجرأة على لمسه.

فنهض روبن متباطئاً:

ـ لا تنسيني، إن النهود لا تخيفني.

ـ إنك منهم، أنت الآخر، رمته بقولها وهي تتراجع، هذه الحلية تؤكد ذلك.

ـ ماذا تقولين؟ صاح بها ألفي.

ـ عليك أنت أن تشرح لي، ردت جوديث ساخرة. فعليها نقش باسم سرجيو وفي الداخل: إلى سرجيو من روبن ستون، روما، نويل 1962، لكن ألفي هو الذي يلبسها في معصمه، ومن أجل هذا أردت أن تبقى هنا يا روبن.

فاندار سرجيو نحو روبن بهيئة حزينة:

ـ إنها الحلية التي قدمتها لي في روما. وقد سمحت لي أن أنقش عليها ما أريد. تذكر، لقد جعلت الصائغ ينقش اسمك. وقد لبستها منذ ذلك الحين وبصورة دائمة. لقد كانت وما تزال أغلى كنوزي. (ثم مد يده ليعرض على روبن حلية مماثلة) لكن الفي أعطاني حليته التي أخذها من أمه. بالنسبة له هذه أيضاً أثمن ما لديه، وقد تبادلنا.

فوافق الفي بهزة من رأسه ثم قال:

ـ نعم، يا روبن، بالنسبة لنا، القضية أكثر من حلي.

فقذفت جوديث رأسها إلى الوراء ضاحكة:

ـ لم أشهد في حياتي مشهداً مؤثراً كهذا. الآن يخيل إلي أنه لم يبق لدي ما أفعله هنا. لذلك سأذهب، فغريغوري سيسر كثيراً لرؤية هذه الحلية. كما ستكون مادة طيبة لمجلات الفضائح. ربما ستنفجر القنبلة قبل موعد انعقاد مجلس الإدارة يوم الثلاثاء. وأرجو أن تفهم يا روبن؟ لسوف تجعلك.. كيف أعبر؟ آه... أجل.. شخصاً بلا اعتبار.

ـ جوديث، أنا على استعداد لترك الشبكة بكل بساطة. وإن كنت تمقتينني فلا تزعجي نفسك. لكن لا تحشري سرجيو والفي في هذه القصة، إنك بذلك تحطمين حياتهما.

فدعمت نظرتهما بضحكة:

ـ أحسن وأحسن. (واندارت نحو الفي) مجلات الفضائح ستكون ملائكية بالنسبة لك «يا صديقي». واتقد الغضب في عينيها وهي تتجه نحو الباب.

فأسرع سرجيو نحوها، لكن الفي سبقه فأمسك بها من ذراعها بكثير من الخفة وبالتعاون بين الاثنين قاداها إلى المشرب. فخطا روبن خطوة نحوهم كي يفصل بين الطرفين. كان ألفي قد ترك جوديث حينذاك إلا أن سرجيو ظل أمامها.

فتراجعت جوديث لتجد نفسها محاصرة خلف المشرب. حينذاك ألقت حولها نظرة مذعورة كوحش وجد نفسه في شرك. وإذ رأت تمثال أوسكار يلمع فوق أحد الرفوف أمسكت به وحين اقترب سرجيو منها ضربته على جمجمته، فسقط في الحال متصلباً.

ـ وسخة! ركض الفي صائحاً. لقد قتلته! أوه! يا إلهي! سرجيو... وسقط على ركبتيه وهو ينتحب، منكباً على صديقه المستلقي دون حراك.

فجرت جوديث نحو الباب، لكن الفي نهض واصطادها قبل أن تخرج:

ـ آه، لا! لا! لن تهرب هكذا.

وكنس وجهها بظهر يده. أما روبن فرفع سرجيو ثم مدده على الكنبة. بعدئذ سمع صرخات جوديث لكنه اعتقد أن ترفعها وحده سيعاني من صفعات ألفي. كانت حالة سرجيو تقلقه أكثر فذهب يفتش عن ثلج في المشرب كي يضعه على رأسه.

ـ انتبه! صرخ الفي، ربما كان هناك كسر في الجمجمة.

التفت روبن فشاهد جوديث، بعدئذ اجتاز الصالة بوثبة. كانت شفتها قد انشقت وكان أنفها ينزف دماً. وقد أعطت وقفتها الجانبية وجهها المنتفخ شكلاً غريباً للغاية.

حاول روبن أن يفصل بينهما لكن ألفي كان قد أمسك بها من شعرها وسحبها خلفه وبأعجوبة ظل الشعر المستعار في مكانه. كانت جوديث تصرخ بكل قواها فقبض روبن على ذراع ألفي وأكرهه على التخلي عن فريسته. كان الطقم المصنوع من الصفائح قد تمزق عند قبته عند المنهدة الضخمة كثيراً.

أحدثت الحلية خشخشة حادة حين سقطت على الأرض، فقبض الفي عليها. ثم وجه إلى جوديث صفعة كبيرة، كخاتمة للعراك.

حينذاك جذبها روبن إليه فضمته وهي تشهق باكية.

ـ آسف يا جوديث، آسف كثيراً، غمغم لها روبن. لكن من يلاعب القط عليه أن يتحمل مخالبه.

وفجأة تجمد الثلاثة جميعاً في أمكنتهم منتبهين لصوت دق على الباب وصوت ضخم يصيح: افتحوا، شرطة!

ـ أوه، يا إلهي! صاحت جوديث بنوع من الفواق، سيموت غريغوري بسبب هذه الحادثة. انظر بأية حالة تركني.

ـ وأنا الآخر؟ تمتم ألفي، وسرجيو! فضيحة كهذه تهدد بتدمير حياتنا جميعاً... وكل ذلك نتيجة خطئك أيتها العجوز الوسخة.

فالتصقت جوديث بروبن قائلة:

ـ روبن، أنقذني، آه! يا إلهي! أنقذني روبن، لن أسيء لك بعد الآن.

ـ لن تسيئي له أبداً، طبعاً، سيكون بإمكانك دائماً أن تتخندقي وراء ملايينك. صرف ألفي بأسنانه. لكن أنا، آه، هناك شرط حول الأخلاق في أسفل عقدي.

فقبض روبن على يد الفي الحرة، شاداً جوديث كلياً إليه ثم قال:

ـ ستخرج من هذا المغطس شريطة أن تكون ماجي ستوارت بطلة فلمك القادم.

ـ أي فلم؟ غداً ستنتشر الفضيحة في كل هوليود.

ـ اصغوا إلي جيداً. قال روبن (ثم ابتعد قليلاً عن جوديث متطلعاً إلى وجهها المتورم) اسمعوا ما تقولونه: كنت أنا سكران. فطرحت نفسي عليك ومزقت ثوبك الداخلي. تدخل سرجيو كي يخلصك مني، أردت أن أضربه فزاغ مني وكنت أنت من تلقى الضربة، وهذا يفسر الحالة التي صرت عليها. بعدئذ صرعت أنا سرجيو.

ـ وأنا، ما كنت أفعل هنا؟ سأل ألفي.

ـ أنت هبيت لمساعدة جوديث و... (ووجه له روبن قبضة صكته على فكه فدوى صوتها) اعذرني يا عجوزي لكن عندما يدافع المرء عن سيدة فلا بد أن يلقى بعض الألم، ختم روبن كلامه ساخراً.

هدأت الضجة على الباب ولم يعد هناك من طرق فأدرك روبن أن الشرطة تحاول الدخول من الجهة الخلفية.

ـ إذن، أنتم تعرفون دوركم على ما أرجو. قال روبن، فالشرطة هنا... ولفت رأسه تماماً في اللحظة التي كان أفراد الشرطة يظهرون بها من شرفة مخدع النوم. فأسرعت جوديث خائفة، نحو الباب لكن ما إن فتحته حتى بهرتها فجأة أضواء آلات تصوير الصحفيين الذين كانوا قد غزوا الصالون. فعادت جوديث راكضة نحو روبن ثم حشرت وجهها في صدره كي تخفيه عن الأضواء. وباضطراب شديد راحت تصغي لشرح الفي:

ـ سوء تفاهم، أيها السادة. قصة محزنة. لقد ظل السيد ستون هنا كي يحدثني عن الآنسة ماجي ستوارت التي أصر على أن تكون نجمة فيلمي القادم، وأثناء استغراقنا في الحديث شربنا كؤوساً عدة، أما روبن فقد شرب كثيراً. وبالتأكيد لم يعد يعي ما يفعله وإلا، لما حاول المسكين أن يغتصب السيدة أوستن. هذه العجوز المسكينة التي يمكن أن تكون أمه.

فرفعت جوديث رأسها بشفتيها المتورمتين ثم كشرت تكشيرة لؤم بوجه ألفي:

ـ أبداً، وسخ صغير...

ـ مهلاً، مهلاً، تدخل روبن. لنقل إنني كنت فاقداً الوعي.

وصلت سيارة الإسعاف، فالتف الناس جميعاً حول الطبيب الذي انحنى على سرجيو.

ـ لا شيء سوى صدمة على ما أعتقد، لكن المرء لا يستطيع أن يؤكد شيئاً قبل التصوير الشعاعي، ثم هز رأسه، أنتم أقوياء، يا رجال السينما.

وجاء الشرطي الذي كان قد تحدث في مطلع السهرة مع روبن ثم أمسك بذراع روبن وحدق إليه بنظرة منزعجة كأنها تقول: «أنت الذي وثقت بك!!».

طلب أحدهم من ألفي أن يرافق روبن كشاهد. وأعلنت جوديث أنها ترفض رفع شكوى إلا أنهم شحنوها معهم رغم احتجاجاتها.

جرى كل شيء في مركز الشرطة على النحو المعتاد تماماً. وخيل لروبن أن صحافيي لوس أنجلوس جميعاً مجتمعون هناك. بل كان ثمة مصور لمحطة تلفزيونية محلية. لم يحاول روبن أبداً أن يتجنب آلات التصوير بل جهد على إخفاء وجه جوديث. وحينما حاول مصور حشري أن يتدخل بينهما لالتقاط صورة قريبة لوجه جوديث المتورم انتزع روبن آلته وحطمها بعقب حذائه بينما كان الآخرون يصورون المشهد. وفي الحال أعاد الشرطة النظام.

رفض ألفي هو الآخر أن يرفع شكوى.

ـ أنا الذي ضربته في البداية، أكد الرجل، ولم يفعل سوى أن ردها لي. ثم لقد كان الرجل ثملاً.

هتف الطبيب معلناً للشرطة أن سرجيو استعاد وعيه ووقف على قدميه. وأن الضربة مجرد صدمة خفيفة. فدفع روبن مباشرة غرامة الإزعاج الليلي كما وقع شكاً للصحفي الذي حطم له آلته. وفي نهاية المطاف تركت الشرطة الجميع.

أوصل روبن جوديث إلى فندقها حيث أوقف سيارته قرب «الهلال».

ـ بإمكاننا أن ندخل من هنا فنبلغ منزلك المنفرد دون المرور بمكتب الاستقبال. سأوصلك.

ـ روبن...

فالتفت نحوها. كانت عينها قد بدأت تزرق أما شفتاها فمحمرتان دماً.

ـ ضعي كمادة باردة على وجهك. وغداً ستكون عينك مغطاة بالسواد.

ـ ماذا سأقول لغريغوري؟ سألته وهي تتحسس وجهها بأطراف أصابعها.

ـ تمماً ما قلته للشرطة.

فأخذت يديه:

ـ روبن، قد يبدو هذا سخيفاً، إنني أعرف ذلك، لكنني أحبك بكل صدق. يجب أن تؤمن بذلك. (واغرورقت عيناها بالدموع) والآن لقد دمرتك.

ـ أبداً يا عزيزتي، أنت لم تفعلي سوى أنك حررتني. ولقد حان الوقت لذلك على كل حال.

رافقها روبن إلى المنزل المنفرد حيث لم يكن هنالك أي ضوء.

ـ لن أوقظ غريغوري، همست جوديث، سيكون هنالك وقت كاف لمواجهة هذا غداً.

ـ طابت ليلتك يا جوديث، ونوماً هنيئاً.

فعانقته بلحظة قصيرة من الزمن ثم قالت:

ـ يا إلهي يا روبن، لمَ حدث هذا؟

فتمتم روبن:

ـ عودي إلى بيتك. وامكثي فيه. وفي المستقبل، ابقي في العالم الذي هو عالمك.

ثم مضى إلى غرفته حيث قطع خط هاتفه وألقى بنفسه وهو بكامل لباسه على السرير واستغرق في سبات عميق.

في الساعة السابعة صباحاً أيقظ كليف دورن غريغوري أوستن هاتفاً له:

ـ يا للمسيح! لقد أصبت بصداع فور سماعي أخبار الراديو. كيف هي؟

ـ من هي؟ أجاب غريغوري وهو ما يزال نائماً تقريباً.

ـ جوديث.

فألقى غريغوري نظرة على ساعة منضدته الليلية.

ـ عم تتكلم؟

ـ غريغوري، القاعة تغص بالمحررين الصحافيين. عاملة المقسم رفضت إزعاجك. وقد أخذت أنا المسؤولية على عاتقي. هل قرأت جرائد الصباح؟

ـ بحق السماء! اشرح لي القضية، فأنت الذي أيقظتني. لكن ما دخل جوديث بهذه القصة؟

ـ روبن ستون ضربها.

ـ ماذا؟ وترك غريغوري السماعة تسقط من يده جارياً إلى غرفة جوديث. هناك وجدها نائمة، ووجهها على الوسادة. هزها غريغوري من ذراعها هزة خفيفة، فأنّت ثم نهضت ببطء.

ـ جوديث! عينك متورمة! ماذا جرى؟ صرخ مذعوراً.

ـ لا شيء، لا شيء، قالت جوديث.

وأرادت أن تخفي وجهها في الوسادة، لكنه أجبرها على الجلوس قائلاً:

ـ كليف على الهاتف، والصحافيون في القاعة. يبدو أن الصحافة كلها تتكلم عن مغامرتك. فماذا حدث؟

ـ أريد قهوة، قالت بتمهل، ليس الأمر خطيراً كما تظن.

فانقلب غريغوري عائداً إلى غرفته ثم أخذ السماعة موجهاً أوامره إلى كليف:

ـ جوديث على ما يرام. تعال هنا حالاً وأحضر معك الصحف.

بعدئذ طلب القهوة.

أخيراً استطاعت جوديث النهوض والمجيء إلى الصالون.

ـ أرجو ألا تكون هيئتي سيئة للغاية، قالت وهي تبتسم بصعوبة.

ـ اروي لي ما حدث.

ـ ليس هنالك الكثير مما يروى. روبن شرب كثيراً وفجأة ألقى بنفسه علي. صديقه سرجيو تدخل، أراد روبن أن يضربه، زاغ سرجيو فتلقيت أنا الضربات. بعدئذ صرع روبن سرجيو، ثم وصلت الشرطة. هذا كل شيء.

ـ هذا كل شيء! أرعد صوت غريغوري. لكن انظري لنفسك في المرآة، أيتها التعيسة. لماذا لم تبعثي في طلبي؟ أنا أو كليف دورن؟

فارتشفت جوديث رشفات عدة من القهوة:

ـ إنك تثير الكثير من الضجيج حول لا شيء يا غريغ. فالأمر ليس خطيراً جداً طالما أن الشرطة نفسها تركتنا. عدا عن ذلك، فروبن نفسه أوصلني إلى هنا.

ـ هل رافقك بعد الحادث؟

ـ أجل، كان قد هدأ.

وسمعت جرس الباب، فنهضت في الحال:

ـ إنه كليف ولا شك، قالت جوديث. ولا أريد أن يراني على هذه الحال.

ثم اختفت في غرفة نومها.

كان كليف قد حمل معه صحف الصباح كلها، وراح غريغوري يصرف أسنانه وهو يرى عناوين الصحف التي كانت كلها تقريباً تدق على الوتيرة نفسها:

«الرجل الآلي ينقلب إلى وحش»

«روبن ستون ينقض على زوجة معلمه»

«ستون يتورط في مشاجرة»

«هذه الليلة، الرجل الآلي يفقد توازنه»

حتى المقالات كانت شبه متجانسة، فتأمل غريغوري الصورة. الجميع كانوا يبدون وكأنهم على حافة التصدع ما عدا روبن الذي كان يبدو هادئاً هدوءاً غريباً، بل كانت على شفتيه ابتسامة صغيرة.

كان لكليف وهو جالس قرب غريغوري هيئة من يمسك بطرف الكفن. في كل لحظة كان جرس باب الدخول يرن ويدخل الخدم حاملين برقيات مرسلة إلى جوديث من أصدقائها في نيويورك. هناك، كان الوقت ظهراً تقريباً وقد روت الصحف القصة نفسها كما نشرت الصور نفسها.

شرع غريغوري يذرع الغرفة:

ـ كيف جرى أن وصل الصحفيون إلى المكان بهذه السرعة؟

فقال كليف مكتئباً:

ـ لقد نبههم شرطي التحري الذي وضعته في أعقاب ستون، ولم يكن يعلم أن جوديث متورطة في المشاجرة.

خرجت جوديث من غرفة النوم وقد وضعت شاشاً أسود على عينها المتورمة. كانت رغم تورم شفتيها مقبولة المنظر تماماً، بل نجحت في أن تبتسم لكليف:

ـ حسناً، هذه التجربة علمتني الكثير من الأشياء. الأصدقاء الذين كانوا قد نسونا تذكروا وجودنا فجأة. غريغ تصور، إنهم في جميع برقياتهم يحدثونني عن فتنتي التي لا تقاوم. سأجعلك تقرأها. بجي اشتون تريد أن تقيم حفل استقبال على شرفنا. بنظرها، أنا امرأة القرن العشرين لأن رجلاً كروبن اشتبك مع رجلين كي يمتلكني. (وأفصحت ابتسامتها عن نوع من الجذل الطفولي).

ـ يجب توزيع بيان على الصحف، قال كليف، طبعاً لم يعد هناك مكان لروبن ستون في الآي بي سي. خسارة أن ينتهي هكذا (وألقى نظرة نحو جوديث التي كانت مستمرة بفتح البرقيات) إنما لدينا حجة مقبولة تماماً من أجل مجلس الإدارة.

ـ كلا، قال غريغوري، روبن سيبقى.

لا جوديث ولا كليف صدقا آذانهما.

ـ لا بد من إيجاد قصة قابلة للتصديق. بالنسبة لنا، سنركز على نوع من سوء التفاهم. في بياننا سنؤكد أن روبن لم يكن يبتغي الإساءة لجوديث، بل هي انزلقت على السلم.

ـ لا أوافق! صرخت جوديث وهي تنهض. هذا البيان سيظهرني حمقاء وروبن بطلاً. لقد انقض علي، هذه النقطة هي الأهم في القضية كلها. (وتراجعت إلى غرفتها غاضبة)

ـ بيدها حق، قال كليف. الإنكار سيؤجج الفضيحة، وإذا جمدت روبن أياماً عدة فإن أحداً لن يتكلم عن القضية بعد.

ـ روبن سيبقى! اهتف لدانتون ملر واعرض عليه أن يعود إلى مركزه القديم. قل له إنه سيعمل مع روبن. وإنهما سيتقاسمان السلطة، لكن لا هو ولا روبن سيكون بإمكانهما اتخاذ قرارات دون موافقتي. فاعتباراً من هذه اللحظة، أنا السيد.

ـ أنت تفقد صوابك يا غريغوري. كنت تبحث عن مناسبة لتصفية روبن وهاهي ذي المناسبة جاءتك بنفسها الآن.

ـ كنت أريد أن أستعيد الشبكة لتصبح تحت سيطرتي وهـذا حـصل. شيء آخر، بالحقيقة، أنا من طلب مـن روبـن أن يرافـق جوديـث إلى هذه الحفلة إذ كانت تود الذهاب إليها. والآن أرجو أن تـتعلم أن تبقـى ضمن إطار وسطها الخاص، لكنني غـير مـستعد مقابـل أي شـيء في الدنيا أن أرمي بروبن إلى الذئاب.

ـ أعتقد أنك ترتكب خطأً كبيراً. من الآن فـصاعداً مـا مـن شـبكة سترغب بتشغيله، وليس هنالك ما تخشاه من هذه الناحية.

ـ احتفظ بآرائك لنفسك، رد غريغوري، إنـني أدفـع لـك مقابـل نصائحك القانونية، وهذا كل شيء، لقد قدم روبن سـتون الكـثير لنـا كما ساهم في تقدم الآي بي سي إلى حد لا يمكنننـا معـه التخلـي عنـه لأنه أضاع رشده في إحدى السهرات.

القضية كلها ستنسى بعـد حـين. ونحـن لـن نجتمـع في مجلـس الإدارة إلا بعد غدٍ. خلال هـذا الوقـت سأشـرف بنفسي علـى تقريـر الإدارة وبنفسي سأقدمه. استدع دان. قـل لـه أن يـأتي في أول طـائرة. وسيحل هو وروبن ورائي بصفة معاونين وأنا من سيتولى القيادة.

ضربات عنيفة على الباب أيقظت روبن الذي كان ما يزال متمدداً بكامل ثيابه على الفراش، فسار بخطـوة متـصلبة إلى البـاب ثم فتحـه. دخل كليف دورن وألقـى رزمـة مـن الـصحف علـى طاولـة الـصالون الواطئة. فوجدها روبن، أسوأ مما توقع!

ـ إنني آت من بيت أوستن.

ـ مفهوم، غريغوري يريد استقالتي.

ـ بالتأكيد! لكنه يشعر بالخوف عليك... لذا استأجر دانتون ملر كي يحل محلك. لكن باستطاعتك البقاء إلى أن تجد شيئاً آخر. وهذا سيسمح لك بإنقاذ ماء الوجه.

ذهب روبن إلى مكتبه وارتجل بضع كلمات على ورقة.

ـ خذ، أعتقد أن هذه هي الصيغة المناسبة. على كل حال، عقدي يقارب نهايته، وهذه استقالتي. بإمكانك أن توقع بصفة شاهد. ومد الورقة والقلم لكليف.

ـ منذ زمن طويل وأنا أنتظر هذه اللحظة، قال كليف مبتسماً:

ـ أنا ذاهب في أول طائرة، وسأمر على المكتب كي أفرغ أدراجي. لكن اسمع يا كليف... برمجة مواد الربيع قد انتهت، وكل شيء موجود هنا: المشاريع، تجهيز البرامج، التقرير الذي كنت سأقدمه إلى مجلس الإدارة. (ودفع محفظة محشوة بالمصنفات إلى محدثه).

ـ سأرسلها لك إلى نيويورك.

ـ لا فائدة، ثم إنك أنت من قدمها لي العام الماضي في عيد الميلاد.

ثم اتجه إلى الباب وأمسك به مفتوحاً على مصراعيه.

تطلع غريغوري أوستن إلى استقالة روبن وهز رأسه.

ـ هل قلت له يا كليف إنني أود الاحتفاظ به؟

ـ كان كتاب استقالته جاهزاً حين ذهبت إليه.

فهز غريغوري كتفيه:

ـ إنه يقصي نفسه عن عالم التلفزيون كلياً وإلى الأبد، أنانية لعينة! لو بقي يعمل مع دان فإن هذه القضية ستسوى. علي ولا شك أن أتكلم معه.

ـ إن فعلت هذا تركتك! صاحت جوديث.

فنظر الاثنان إليها مندهشين.

ـ أريد أن أطرده من وجودنا، استأنفت جوديث، إنني جادة يا غريغوري.

فهز غريغوري رأسه.

ـ حسن، في هذه الحالة يا كليف. قل لدان أن كل شيء مرتب، لكنني أريد أن أشغل سامي تابت كي يحل محل روبن. سامي شخص كفؤ... طبعاً لا يقارن بروبن، لكنني لا أعتقد أن بالإمكان إيجاد من هو أفضل منه.

ـ لكن لماذا تشغل سامي إن كنت ستستعيد دان؟ سألت جوديث.

ـ يلزمني رجلان، أجاب غريغوري مبتسماً، أريد أن أضعهما الواحد تجاه الآخر.

فوافق كليف بهزة من رأسه ثم خرج.

جهز روبن حقائبه ثم هم بمغادرة الغرفة حين غير رأيه وعاد فرفع سماعة الهاتف.

ـ آه! سيد ستون! قالت عاملة المقسم، كنت قد قطعت الخط. وقد تلقينا العديد من الاتصالات بك، كل الصحف طلبت الكلام معك. محرر من «التايم» ينتظرك مع مصور في القاعة. إذا كنت تود التخلص منهم فهناك باب النجدة الذي ينفذ إلى ممر الهلال.

ـ شكراً، عزيزتي، هل يمكنك إعطائي «برج ملتون» إنها بناية، إنما هناك مقسم.

ـ أجل، أجل، لدينا الرقم. ثم هل تعلم يا سيد ستون أنني معجبة بك، اسمح لي أن أقول لك ذلك، رغم ما ترويه الجرائد. في أيامنا لم يعد هناك رجل على استعداد للاشتباك مع رجلين للفوز بمعشوقته. إنني أجد هذا شيئاً شاعرياً.

هكذا راحت تنق ثم اتصلت ببرج ملتون.

عند الرنة الثانية ردت ماجي بصوت ناعس. فقدر روبن أنها لم تطلع على الأحداث بعد.

ـ أفيقي أيتها الكسول. الناس يتظرونك في الاستديو لتسجيل الفلم.

ـ ليس قبل الواحدة... روبن! هتفت متعجبة وقد استيقظت تماماً. أنت تتصل!؟ هل ذلك يعني...

ـ ذلك يعني أنني مسافر إلى نيويورك على طائرة الساعة الحادية عشرة يا ماجي.

وبعد وقفة طويلة، سألت ماجي:

ـ أمن أجل هذا تتصل بي؟

ـ أجل، لكنني أردت أن تعرفي أنني لم... وصمت فجأة.

فقد بدا له من غير المفيد أن يوضح لها أنه لم يسيء لجوديث وأنه لم يضربها.. فماجي ستفهم تلقائياً ما قد حصل. لكنه كان متمسكاً بأن تعرف أنه لم يفرّ دون أن يقول لها: إلى اللقاء.

ـ أنت ترين، ماجي، أنا...

لكنه كان يتكلم في الهواء. إذ كانت قد أغلقت الخط من قبل.

الفصل السابع والعشرون

كانون الأول 1968

أسرع ديب نلسون متعجلاً الوصول إلى مطعم ساردي والعدد الأخير من مجلة «منوعات» تحت إبطه. لدى دخوله، أحس من جديد بإحساس القوة. ديب نلسون أصبح مخرجاً في برودوي وهو لا يحمل عن روبن ستون سوى ذكرى شبه منسية.

كان قد مضى على الفضيحة أكثر من عام، مع ذلك لم يكن أحد قد سمع أو عرف بما حل بروبن منذئذ. لكن ديب العظيم لم يكن قد استسلم، بل صعد السفح من جديد، إن لم يكن كممثل فعلى الأقل كمخرج. وقد أصبح الآن واحداً من مشاهير برودوي. جو كاتز لم يكن لديه اختيار. فلكي يضمن بولي كنجمة كان مجبراً على أن يأخذ ديب بصفة مساعد مخرج. وقد سجلت مسرحيتهم نصراً. راح ديب يتوقف عند كل طاولة كي يري الناس ما نشرته «المنوعات» وقد أعطوه جميعاً أذناً صاغية إذ كانوا جميعاً قد قرأوا المقالة وكانوا يعرفون أن بولي هي نجمة الساعة. كذلك ما من أحد كان يجهل علاقتها بشريكها في بطولة المسرحية.

تصفح كرستي لين «المنوعات» وهو جالس في الطائرة. فأضاءت بسمة كبيرة قسمات وجهه ثم نزع قصاصة من منشوراتها «تنقلات».

ـ ما هذا؟ سألته إثيل.

فمد لها يده بالقصاصة:

من لوس أنجلوس إلى نيويورك

كرستي لين، إثيل لين، كرستي لين الصغير

ثم طواها ووضعها في محفظته.

ـ قصاصة الصحيفة الأولى التي يجب أن توضع في ألبومه. سأضعها مع قصاصات أخبار ميلاده.

فقالت إثيل التي كانت تمسك بالطفل على ركبتيها، وهي تبتسم:

ـ برنامجك الأول سيثير ضجة. ألفي وسرجيو حجزا مسبقاً مكانين في الطائرة لحضوره. نصف هوليود ستكون هناك.

فهز رأسه ثم استرخى في كرسيه وحاول أن يغفو قليلاً. لقد كان يتحرق لهفة ونفاد صبر لتمثيل ملهاة موسيقية في برودوي. آيك ريان هو الذي نظم المسرحية وذلك أمر لم يزعجه على الإطلاق. فحتى الآن لم يكن آيك ريان قد عرف الفشل. ولم يكن آيك قد خضع لأي ابتزاز فعندما أراد ديب أن يفرض نفسه كمساعد مخرج طرده خارج مكتبه. بالحقيقة لقد تعامل ديب بنفس الطريقة مع جو كاتز وقد حققت بولي نجاحاً مدوياً. أفضل بكثير بالنسبة لديب... لقد تعلم كثيراً من معاشرته لروبن ستون. غريب! روبن كان الأقوى بينهم جميعاً ومع ذلك فقد اختفى من الوجود في طرفة عين ودونما أثر. وفجأة فكر كريس بأماندا. الآن كان بإمكانه أن يتذكرها دون أن تبدو عليه الدهشة. فذكراها لم تعد إلا ذكرى شديدة الغموض. إثيل أعطته الشيء الوحيد الذي كان يرغب به فعلاً: ولد.

وابتسم كريس راضياً.

أما إثيل فشددت من ضمتها على الصغير وقبلت رأسه. غريب! في البداية لم تكن قد أنجبت هذا الصغير إلا لكي تفرض نزواتها على كريس، أما الآن فقد أصبح وحده ما يهمها فعلاً. إنها غير متعلقة

إلا به. كل الحب اللاواعي الذي كانت قد أعطته لمن مروا في حياتها من رجال تغدقه الآن على وليدها. لكنها لن تربيه ولداً مدللاً مخنثاً أبداً. ستعلم اللحظة التي ينبغي أن تعطيه حريته فيها. إنه ابنها ولسوف تؤمن له أجمل حياة في العالم. برنامج كرستي الأول سيعطي حياتها نكهة. لقد كانت تعيش حياة جديدة. فكرستي كعادته لم يكن يهتم مطلقاً بأمور الدنيا، لكن زوجته كانت تلعب دور صاحبة المنزل عند الفي وسرجيو. وكانت قد أصبحت واحدة من الضيفات الأكثر تواجداً في حفلات هوليود.

آخر المطاف، لقد تحققت أحلام صباها في هامترامك، فرغم أنها لم تتزوج نجماً جذاباً من نجوم هوليود... لا أحد سوى كرستي، إلا أنه كان لديها الكثير من الفرص للمغامرة. لكن واأسفاه!! ما من أحد كان يقدم على إقامة علاقة معها. إنهم يحترمون السيدة لين، ولا عجب!! فليس باستطاعة الإنسان أن ينال كل شيء.

تصفح دانتون ملر نقد برنامجه الأخير في مجلة «المنوعات» كارثة! إنه ليكاد ينشق من الغضب؛ فالبرامج الوحيدة التي ما تزال محافظة على تفوقها هي البرامج التي كان روبن قد اختارها، يا لروبن اللعين! لقد ارتفع في دنيا التلفزيون بسرعة صاروخ. لكنه ككل صاروخ، وصل إلى نقطة الانفجار ثم تناثر شظايا في العلاء.

كان دان يقبض جيداً على سامي تابت كلما حاول هذا الانفراد والاستقلال. سامي شخص لامع. وعلى دان أن يبقيه تحت نظره. فهو لا يود أن يعاني من روبن آخر في حياته. كان غريغوري يشرف على الأمر بنفسه. لقد استعاد غريغوري العجوز دفة القيادة وكان يقود عالمه بإصبعه. إنه قد يلغي المشهد الجديد من برنامج

«منوعات» الذي أعده دان في شهر أيلول. دان يحس بهذا، وقد يحدث لك في الاجتماع الأسبوعي غداً. أشعل دان سيجارة. قرحته تتحرك عليه. تطلع إلى السقف ثم وعد نفسه بألا يدخن قط إذا احتفظ بمركزه بعد اجتماع الغد، كما شرع يتساءل إن كان غريغوري قد قرأ مجلة «المنوعات».

الحقيقة أن غريغوري قرأها لكنه كان يتأمل غلاف مجلة «ثياب المرأة» التي كانت جوديث قد ظهرت عليه. وراح يمعن النظر إليها برقة بالغة. كل مرة كان يتذكر فيها تلك الصور التي ظهرت قبل أكثر من عام على الصفحات الأولى من الجرائد، كان يرتعش. شيء غريب! لقد استعادت جوديث شهرتها القديمة منذ ذلك الحين فقد أبقت الشاش على عينيها مدة أسبوع. لقد أعطاها انقضاض روبن ستون عليها اعتباراً جديداً بين صديقاتها، مما يثبت أن ردود الفعل الأنثوية أمر لا يمكن للإنسان أن يخمنه.

منذئذ انتزعت جوديث مكانها في الصالونات. يا يسوع! كل ليلة لديهم سهرة أو برنامج افتتاح أو حفلة، ويتذكر غريغوري فجأة أن لديه موعداً في الساعة الخامسة كي يجرب لدى خياطه بذلة جديدة للسهرة. لقد ألزمته جوديث أن يخيط بذلة سموكن مخملية لحفلتهم التي سيقيمونها بمناسبة رأس السنة والتي ستكون أفضل من سابقاتها جميعاً. ابتسم الزوج العجوز وهو يتفرج على صورة امرأته. لم تكن جوديث أكثر جمالاً مما هي عليه الآن ولا أكثر سعادة...

كان الكل قد قرأوا «المنوعات» لكن ما من أحد كان قد انتبه لقسم «الأدبيات» كما لم يلحظ أحد هذه اللقطة الصغيرة: «روبن ستون، مدير عام قديم لـلآي بي سي انتهى أخيراً من كتابه الذي ستصدره أساندس في نهاية الربيع».

صعدت ماجي ستوارت إلى طائرة من طائرات البوك البريطانية المغادرة إلى لندن. هي أيضاً كانت تحمل «المنوعات» تحت إبطها. العنوان الكبير على الصفحة الأولى كان يعلن أنها تخلت عن تصوير فيلم ألفي نايت الجديد. وعندما أقلعت الطائرة لم تكن تقرأ «المنوعات»، بل كانت تقرأ المرة تلو المرة برقية تقول:

آنسة ماجي ستوارت

برج ملتون

بفرلي هلز، كاليف

إنني بحاجة إليك ـ روبن

فندق دورشتستر ـ لندن

الإنسان صنَع الآلة.

والآلة لا تشعر بالحب أو الكراهية أو الخوف. كما أنها لا تقاسي من قرحة معدية أو أزمة قلبية أو اضطرابات عاطفية.

لعل الفرصة الوحيدة لخلود الإنسان هي أن يصبح آلة. وقد نجح البعض في ذلك. إن الآلة التي تتخذ شكل إنسان غالباً ما تحكم المجتمعات. فالدكتاتور آلة متمسكة بالسلطة والفنان المهووس بفنه ينقلب إلى آلة للموهبة.

أحياناً يحدث هذا التطور دون أن يعيه الإنسان. ولعله حين يحدث لأول مرة، يقول الإنسان: «لقد تعرضت للأذى» فيجيبه لا شعوره: «إن تُزل كل شعور من حياتك لن تشعر بالأذى» ستضحك أماندا كثيراً إَن قلت لها هذا عن روبن ستون. فأماندا مولعة بالرجل كثيراً.

رجل وسيم.

يبتسم بشفتيه.

يفكر متجرداً من العواطف.

يمارس الحب بجسده، وجسده لا غير.

روبن ستون هو تجسيد للحبّ الآلي.

jackline suzan

The Love Machine

ISBN 978-9933-429-94-2

9789933429942